مَجْمُوع رَسَائِل

فِي التَّوحِيد وَالعَقِيدَة

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

عفا الله عنه

المجلد الثاني

١- التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين. ٢- مسألة تحديث العوام. ٣- القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن. ٤- القول الأسنى في شرح الأسماء الحسنى. ٥- مختصر أصول أهل السُنة والجماعة. ٦- معنى معية الله تعالى لخلقه وبيان أنواعها.

٧- الإيمان بالقدر. ٨- اللمعة في تقسيم البدعة.

مجموع رسائل

في التوحيد والعقيدة

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزُّعكري

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الثاني

١- التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين. ٢- مسألة تحديث العوام.

٣- القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن. ٤- القول الأسنى في شرح الأسماء الحسنى.

٥- مختصر أصول أهل السُنة والجماعة. ٦- معنى معية الله تعالى لخلقه وبيان أنواعها.

٧- الإيمان بالقدر. ٨- اللمعة في تقسيم البدعة.

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

تأليف فضيلة الشيخ:

أبي محمد عبد الحميد بن زيد الحجوري الزُّعكري

التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ العلامة: أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله

الحَمدُ لله، وَالصَّلاة وَالسَّلام عَلَىٰ رَسُول الله، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلم.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد أرسل إليَّ أبو محمد عبد الحميد بن يحيىٰ الزعكري الحجوري بحثه الذي سماهُ: (التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين)، فقرأت بعضه، وتصفحت البعض الآخر، حيث ورد إليَّ وأنا في زحمة من الأعمال، فألفيته بحثًا جيدًا في بابه، حيث إن أسماء الله -جل شأنه- لا يحيط بها العباد، ولا يأتي عليها الحصر، بدلالة قوله في الحديث الذي رواه أحمد وغيره من طريق عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي... ». الحديث.

وفي حديث الشفاعة: «فإذا رأيت ربي سجدت بين يديه سجدة قدر جمعة، فيفتح الله علي بمحامد أحمده بها، لا تحضرني، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع».

والشاهد: أن السجدة التي تكون قدر أسبوع يفتح الله فيها علىٰ نبيه بمحامد محمد ربه بها، من أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا، ونعوت جلاله، ما لم يفتحه علىٰ

أحد قبله، ولن يفتحه علىٰ أحد بعده، وهذا يدل علىٰ أن أسماءه تفوق الحصر، وكذلك صفاته جل سلطانه، وتعالت صفاته.

والمهم أنّ الكاتب قد وِفْقَّ فيها أرىٰ في هذا البحث الذي أنكر فيه علىٰ من جعل أسماء الله محصورة في تسعة وتسعين، فجزاه الله خيرًا، وبارك فيه، وكثر من أمثاله، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه:

أحمد بن يحيى النجمي

في: ١٤٢٦/٦/٤هـ

مقدمة الشيخ: يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾[الكهف:١٠٩].

نحمده سبحانه لا يحصي ثناءً عليه من خلقه أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوث من ربه عَزَّوَجَلَّ بالبينات والهدىٰ.

أما بعد:

فقد بذل سلفنا رحمهم الله من جهدهم غاية الجهد في تصحيح عقائدهم، وعقائد غيرهم من المسلمين، من جميع الأخطاء المخالفة للأدلة، وأصل منهج الأمة؛ لأن أهم مكسب لدىٰ المسلم تصحيح عقيدته، علىٰ ضوء كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وفهم الرعيل الأول رحمهم الله، وبذلك تعلم أن السعي في إزالة الأخطاء في العقيدة وغيرها عن المسلمين، من باب ما أمر الله به، وأثنىٰ علىٰ أهله في قوله: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:١-٣].

وعلىٰ هذا التوجيه العظيم إن شاء الله قام أخونا الفاضل الباحث المفيد عبد الحميد الحجوري حفظه الله، بهذا النصح المبارك في هذه الرسالة النافعة في بابها، قصد بذلك الرد علىٰ الإمام أبي محمد ابن حزم رَحِمَهُٱللَّهُ، وعلىٰ من انخدع بزلقته الفالجة في القول بحصر أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، في تسعٍ وتسعين اسمًا، مما يجر إلىٰ التعطيل لأسماء لله عَزَّوَجَلَّ أخرىٰ لا نعلمها، وغير خافٍ علىٰ ذي السنة الصحيحة

خطر ذلك، فجزىٰ الله أخانا الجليل: عبد الحميد الحجوري خيرًا علىٰ هذا التنبيه الهام، ونفع به.

كتبه:

أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

في: ١٤٢٦/٣/٥هـ

مقدمة المؤلف

الحمد لله القائل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف:١٨٠]، والقائل: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء:١١٠]، والقائل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨]، والقائل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحشر:٢٤].

أنعَمَ علينا فأفضل، وأعطانا فأجزل علمنا، وهدانا، ومن كل بلاء حسنٍ أبلانا، لا نحيط به علمًا جل أن تحصر أسماءه وصفاته، وأصلي وأسلم علىٰ نبينا محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أعلم الخلق بربه، ومع ذلك قال: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

أما بعد:

فلما كان علم أسماء الله وصفاته، أشرف العلوم وأزكاها، بينها الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن، غاية البيان.

وكذا رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في سنته، كيف لا وهو القائل: «ما بعث الله من نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم»، أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وأجل ما دلنا عليه، هو علم أسماء الله، وصفاته، حيث وشرف العلم بشرف المعلوم، ولما كان رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أعلم الخلق بربه، قال: لأصحابه: «أَنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وهكذا كان الأصحاب أعلم الأمة بربها، لتلقيهم العلوم من النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وعدم خوضهم في علم الكلام المذموم، ولهذا توعد الله عَزَّ وَجَلَّ من شاقهم بالعذاب الأليم، والخسران المبين، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

﴿ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

ووعد من سار علىٰ سيرهم، واقتفىٰ آثارهم، بالنعيم المقيم، في جنات النعيم، فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة:١٠٠].

فكان لزامًا علينا أن نقف، حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وأن لا نخالف إجماعهم، وطريقتهم، فإن هذا من الشقاق المذموم، ولهذا تجد أن أهل السنة والجماعة، أصوب الناس، وأتقىٰ الناس، وأعلم الناس بربهم عَزَّوَجَلَّ، وبأسمائه، وصفاته؛ لأنهم تلقوا ذلك من كتاب ربهم، ومن سنة نبيهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ولمَّا كان الخوض في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وصفاته عن غير قول علىٰ الله بغير علم، حذر الله عَزَّوَجَلَّ منه بقوله: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾[الإسراء:٣٦].

وبقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف:٣٣].

أحببت أن أجمع هذه الرسالة؛ لتكون بعون الله حجة في مسألة عدم حصر أسماء الله عَزَّوَجَلَّ في عدد معين.

أسميتها: (التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين).

لِمَا رأيت بعض إخواننا الباحثين وفقه الله ونفع به في كتاب له فيه عدة أخطاء من أفحشها عندي هذا، وكذا بعض المحققين لشرح الواسطية، يميلون إلىٰ مذهب الحصر في تسعة وتسعين، مع أنه مذهب مهجور، إنما قال به من لا يعتد به، في هذا

الباب، وهو الإمام أبو محمد بن حزم الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، الذي ليس هو من أئمة هذا الشأن.

وكان قد أشار بهذا العمل، شخينا الفاضل الناصح الأمين، يحيىٰ بن علي الحجوري، فالله أسأل أن يجزيه خيرًا.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

كتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى الزعكري الحجوري.
دارالحديث دماج: ١٦/ محرم الحرام/ سنة (١٤٢٦هـ).

تمهيد

لا يخفىٰ علىٰ المسلم أهمية الإيمان بالله تعالىٰ، فهو أول أركان الإيمان، كما في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند مسلم: قال جبريل: ما الإيمان؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

أركان الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ أربعة:

الإيمان بوجوده.

الإيمان بألوهيته.

الإيمان بربوبيته.

الإيمان بأسمائه وصفاته.

فعلم مما تقدم أن توحيد الأسماء والصفات، ركن مهم من أركان الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "مفتاح دار السعادة" (١/٨٦): فلا ريب أن العلم به، وبأسمائه وصفاته، وأفعاله، أجل العلوم، وأفضلها، ونسبته إلىٰ سائر العلوم كنسبة معلومة، إلىٰ سائر المعلومات. اهـ

واعلم أن معرفة أسماء الله، وصفاته، يتحقق بهما أمران مهمان جدًا:

الأول: أن يُعرف الرب تعالىٰ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثاني: أن يعبد بموجبها ومقتضاها. راجع "مفتاح دار السعادة" (١/ ١٧٨).

واعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أمرنا بدعائه، بأسمائه الحسنىٰ، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[1].

والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلىٰ أن يعرفوه بأسمائه، وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحضهم من عبوديتها. اهـ "مدارج السالكين" (١/ ٤٢٠).

ومعنىٰ: (**توحيد الأسماء والصفات**): هو إفراد الله بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ، الواردة في الكتاب والسنة، والإيمان بها، وبمعانيها وأحكامها. اهـ "معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات" (ص ٣١).

ويجب في هذا الباب أن يسمىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ويوصف بما سمىٰ به نفسه في كتابه، أو سماه به رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، بل سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورى:١١].

واعلم وفقك الله عَزَّوَجَلَّ للحق والهدىٰ، أن سلف الأمة، تلقوا الكتاب والسنة، يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه في جميع الأبواب، ينطبق عليهم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ

(١) سورة لأعراف، آية: (١٨٠)، تعبدنا الله عَزَّوَجَلَّ بدعائه، بما علمنا عَزَّوَجَلَّ علىٰ وجه الخصوص نحو: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران:١٤٧]، وندعوه بها علىٰ وجه العموم الشامل، لما نعلمه ولما لا نعلمه، كما في حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفيه: «**أسألك بكل اسم هو لك**» الحديث. فتكون الآية مبينة لحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
المذكور في التسعة والتسعين، وفي حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وبغيرهما، مما ثبت من الأدلة في ذلك، أما من قال: أن الآية مبينة بحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في التسعة والتسعين فقط، فهذا قصور فادح، تبنىٰ عليه لوازم خاطئة، فتأمل. (الشيخ يحيىٰ الحجوري).

۞﴾[آل عمران:٧]، وفي هذا الباب لم نجد أحدًا منهم نص علىٰ حصر أسماء الله في تسعة وتسعين اسمًا، حتىٰ جاء أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو ليس من أئمة هذا الشأن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فذهب إلىٰ أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ محصورة في تسعة وتسعين اسمًا مستدلًا بحديث أبي هريرة، عند الشيخين مرفوعًا: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ».

وسيأتي تخريجه، فقد احتجوا بالتأكيد في قوله: «مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا»، **قال ابن حزم في "المحلىٰ"** (١/ ٣١): إنه لو جاز أن يكون له اسم زائد علىٰ العدد المذكور، لزم أن يكون له مائة اسم فبطل قول: «مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا».

وقال: صح أن أسماء الله، لا تزيد علىٰ تسعة وتسعين اسمًا؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا»، فنفىٰ الزيادة، وأبطلها. "المحلىٰ"(١/ ٣٠).

وسيأتي الرد عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر المبحث.

قواعد مهمة في أسماء الله عز وجل:

ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "بدائع الفوائد" وتبعه عليها ابن عثيمين في القواعد المثلىٰ:

القاعدة الأولى:

أسماء الله عَزَّوَجَلَّ كلها حسنىٰ، أي: بالغة في الحسن كاملة؛ لأنها تضمنت صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ ولأنها كلها أسماء مدح وحمد، ويكون للاسم كمال فوق كمال، فإذا قرن باسم آخر، مثل **(العزيز الحكيم)**.

القاعدة الثانية:

أسماء الله أعلام وأوصاف، أعلام من حيث دلالتها علىٰ الذات، وأوصاف من حيث دلالتها علىٰ المعاني.

وهي باعتبار دلالتها علىٰ الذات، مترادفة، وباعتبار دلالتها علىٰ الصفات متباينة، ومن هذه القاعدة يتبين خطأ، من زعم أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ مترادفة من حيث المعنىٰ، بل إن كل اسم يتضمن صفة، ويدل علىٰ كمال غير الكمال الذي يتضمنه الاسم الآخر، ولذلك تجد أن بعض من يحصر أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، في تسعة وتسعين يقع في مزلق خطير، وهو ترادف معاني الأسماء، وهذا لا قائل به من أهل السنة، أما القول بأن الرحمن والرحيم، والواحد، والأحد يعنىٰ واحد، فهذا يشبه قول من يقول بالترادف مطلقًا، وهذا إنما قال به المعتزلة، نسأل الله السلامة.

ومن المعلوم: أن كل اسم من أسماء الله تعالىٰ له دلالات من حيث الذات، والصفة، ولها اعتبارات من حيث الذات والصفة، فكل اسم يثبت كما جاء به النص، ولا تقول: إن الرحمن بمعنىٰ الرحيم؛ لأن لكل اسم من الكمال، ما ليس في غيره فتنبه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "البدائع" (١/٢٣) في كلامه حول اسم الرحمن: ولكنه وإن جرىٰ مجرىٰ الأعلام، فهو وصف يراد به الثناء، وكذلك الرحيم إلا أن الرحمن من أبنية المبالغة. اهـ

وقال ناقلًا عن بعضهم (١/٢٤): وفائدة الجمع بين الصفتين الرحمن، والرحيم الإنباء عن رحمة عاجلة، وآجلة، وخاصة وعامة. اهـ ثم عقبه بقوله: وأما الجمع بين الرحمن والرحيم، ففيه معنىٰ هو أحسن من المعنين الذين ذكرهما، وهو أن الرحمن دال علىٰ الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال علىٰ تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف، والثاني للفعل فالأول دل علىٰ أن الرحمة صفته، والثاني دل علىٰ أنه يرحم خلقه برحمته. اهـ فتأمل هذا تكن من الراشدين.

القاعدة الثالثة:

أسماء الله عَزَّوَجَلَّ إن دلت علىٰ وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور:

- ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

- ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّوَجَلَّ.

- ثبوت حكمها ومقتضاها. مثل اسم السميع، يثبت منه اسم السمع، وصفة السمع، وحكمها أنه يسمع المسموعات.

وإن دلت علىٰ وصف غير متعد تضمنت أمرين:

- ثبوت ذلك الاسم لله.

- ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّوَجَلَّ. مثل الحي، يثبت منه اسم (الحي لله)، وصفة الحياة.

القاعدة الرابعة:

دلالة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ذاته، وصفاته تكون بالمطابقة: (وهي دلالة اللفظ علىٰ جميع معناه: أي تدل علىٰ الذات والصفة، مثلًا: اسم الرحمن يدل بالمطابقة علىٰ ذات الله، وعلىٰ صفة الرحمة، وبالتضمن: وهو دلالة اللفظ علىٰ جزء معناه، أي: أن هذه الدلالة تدل علىٰ الذات وحدها، وعلىٰ الصفة وحدها مع العلم أن الاسم لا ينفك عن الصفة، وإنما هذا من باب افتراض الانفكاك، الدلالة عليهما مجتمعين.

وبالإلزام: وهي دلالة اللفظ علىٰ أمر خارج، عن مسماه، وهي في أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ، دلالة الاسم منها علىٰ صفات الله الأخرىٰ الغير داخلة في مدلول اللفظ، مطابقة وتضمنًا. اهـ بتصرف من القواعد الكلية. (٢٣٥-٢٣٩).

وبهذا القاعدة، والقاعدة الثانية يظهر لك جليًا بعد قول من يقول بترادف معاني الأسماء، فلكل اسم دلالته، وكلما تعددت أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ظهر من كمال المسمىٰ بها ما هو أكثر.

القاعدة الخامسة:

أسماء الله عَزَّوَجَلَّ توقيفية لا مجال للعقل فيها، بمعنىٰ أنه لا يثبت اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ إلا بدليل من كتاب ربنا، وبما صح من سنة نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف:٣٣].

ولقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦].

القاعدة السادسة:

لا يجوز الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ لقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

والإلحاد في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ: هو الميل بها عما يجب فيها، وهو أنواع:

أن ينكر شيئًا منها، أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من معتزلة، وجهمية، وأشاعرة، وغيرهم.

أن يجعلها دالة علىٰ صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل الممثلة.

أن يسمي الله عَزَّوَجَلَّ بما لم يسم به نفسه.

وأن يشتق من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في في اشتقاق العزىٰ من العزيز، واللات من الإله.

القاعدة السابعة:

أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الحسنىٰ، لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد فإن لله عَزَّوَجَلَّ أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب له.

وهذه القاعدة هو موضوع بحثنا.

أدلة القائلين بعدم الحصر:

قال الإمام أحمد (١/ ٣٩١):

١- حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَنْبَأَنَا فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ الْجُهَنِيُّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ، هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٣)، وأبو يعلىٰ (٥٢٩٧)، وابن حبان كما في "الإحسان" (٩٧٢)، كلهم من طريق يزيد بن هارون به.

وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٠٣٥٢)، وفي الدعاء (١٠٣٥)، والحاكم في "المستدرك" رقم (١٩٢٩)، من تحقيق الوادعي رَحِمَهُاللَّهُ من طريق فضيل بن مرزوق به،

ثم **قال الحاكم**: هذا حديث صحيح، علىٰ شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه.

قال الذهبي أبو سلمة: لا يُدرىٰ من هو ولا رواية له في الكتب الستة.

ويتبين مما تقدم أن الحديث قد أعل بأبي سلمة الجهني، حيث حكم عليه بالجهالة جمع من أهل العلم، فقد ذكره البخاري في "التأريخ" (٨/ ٣٥١) رقم (١٣٣٤٩)، فقال أبو سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، روىٰ عنه فضيل ابن مرزوق. اهـ ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وذكره ابن حبان في "الثقات" (٧/ ٦٥٩)، وابن حبان متساهل في توثيق المجاهيل كما هو معلوم.

وذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن أبا سلمة الجهني، هو موسىٰ بن عبد الله الجهني، منهم يحيىٰ بن معين فقد قال كما في "الكنىٰ" للدولابي (١٩١)، وأبو سلمة الجهني أراه موسىٰ الجهني، وإذا كان هذا فهو من رجال "التهذيب" وهو ثقة.

وقال الحافظ في "تعجيل المنفعة" (٢/٤٧١): أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن روىٰ عنه فضيل بن مرزوق مجهول، قاله الحسيني، **وقال مرة**: لا يدري من هو، وهو كلام الذهبي في "الميزان" وقد ذكره ابن حبان في "الثقات" وأخرج حديثه في "صحيحه" وقرأت بخط الحافظ ابن عبد الهادي يحتمل أن يكون خالد بن سلمة، فتعقبه الحافظ وقال: قلت: وهذا بعيد؛ لأن خالد مخزومي، وهذا جهني. اهـ

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قلت**: وما استبعده الحافظ، هو الصواب لما سيأتي، ووافقه علىٰ ذلك الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما في تعليقه علىٰ "المسند" (٥/ ٢٦٧)، وأضاف إلىٰ ذلك قوله وأقرب ما يكون عندي، أن يكون هو موسىٰ بن عبد الله الجهني، ويكنىٰ أبا سلمة، فإنه من هذه الطبقة. اهـ "الصحيحة" (١/ ٣٣٧).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما استقر به الشيخ هو الذي أجزم به، بدليل ما ذكره مع ضميمة شيءٍ، وهو أن موسىٰ الجهني، قد روىٰ حديثًا آخر عن القاسم بن عبد الرحمن، وهو الحديث الذي قبله، فإذا ضمت إحدىٰ الروايتين إلىٰ الأخرىٰ ينتج أن الراوي عن القاسم، هو موسىٰ بن عبد الله الجهني، وهو الذي يكنىٰ بأبي سلمة، وهو ثقة من

رجال مسلم، وكأن الحاكم أشار إلىٰ هذه الحقيقة، حين قال: صحيح علىٰ شرح مسلم، فإن معنىٰ ذلك أن رجاله، رجال مسلم. اهـ

وقال الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على كلام الذهبي السابق: بل هو موسىٰ بن عبد الله الجهني، فتلخص لنا مما تقدم أن مجموعة من الأئمة وهم:

يحيىٰ بن معين، والوادعي، والألباني، والشيخ أحمد شاكر رحمهم الله جميعًا، وكذا الغنيمان في "شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري" [١/ ٢١٨]، ينصون علىٰ أن أبا سلمة الجهني هو موسىٰ بن عبد الله، أو عبد الرحمن الجهني الثقة، الذي أخرج له مسلم.

أما ما ذهب إليه محقق مسند أحمد بأن البخاري قد ترجم للاثنين، وتلاه ابن حبان فلا حجة فيه؛ لأن ابن معين عنده زيادة علم، والمثبت مقدم علىٰ النافي، كما هو معلوم من قواعد الجرح والتعديل، وأما قول الدارقطني (٥/ ٤٠٠)، إسناده ليس بالقوي، فليس فيه نص أنه يجزم أن أبا سلمة الجهني مجهول، بل ربما يريد شيئًا آخر، فلا يردُ نص ابن معين باحتمال مراد قول الدارقطني.

بقي معنا قول الحاكم: إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، نقول قد نص مجموعة من الحفاظ علىٰ إثبات السماع، منهم: يحيىٰ بن معين، في رواية عنه، وأحمد عند أن سئل، سمع عبد الرحمن من أبيه، **فقال الثوري**: وشريك يقولان: سمع، وكذلك أثبت له ابن المديني السماع. اهـ "جامع التحصيل".

وأخرج البخاري في "التأريخ الأوسط" رقم (٢٤٦)، (١/ ١٦٩).

قال: حدثني مقدام بن محمد بن يحيىٰ، حدثني القاسم بن يحيىٰ، ثنا أبو عثمان عبد الله بن عثمان بن خثيم المكي، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه: أخر الوليد بن عقبة الصلاة بالكوفة، فانكفأ ابن مسعود إلىٰ مجلسه، وأنا مع أبي.

قال محمد: شعبة: يقول عبد الرحمن لم يسمع من أبيه، وحديث ابن خيثم أولىٰ عندي. اهـ

وهذا سنده حسن، رجاله رجال الصحيح.

فعلىٰ هذا فالحديث صحيح لذاته، رجاله رجال الصحيح.

يزيد: هو ابن هارون، أبو خالد الواسطي إمام، وفضيل بن مرزوق: ثقة.

وأبو سلمة الجهني: هو موسىٰ بن عبد الله، أو عبد الرحمن الجهني: ثقة، من رجال مسلم.

القاسم بن عبد الرحمن بن مسعود: ثقة عابد، كما في "التقريب"، وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود: ثقة، كما في "التقريب".

من ترجم أن موسىٰ بن عبد الله أو عبد الرحمن الجهني: هو أبو سلمة الجهني:

١- الحافظ في "التقريب" و"التهذيب". اهـ

٢- المزي في "تهذيب الكمال"، قال موسىٰ بن عبد الله، أو ابن عبدالرحمن الجهني، أبو سلمة، ويقال: أبو عبد الله. اهـ

٣- ومغلطاوي في "إكمال تهذيب الكمال".

٤- والذهبي في "التهذيب".

وجاء من حديث أبي موسىٰ أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" رقم (٣٣٩)، **قال**: حدثني أبو عروبة، قنا عمرو بن هشام، ثنا مخلد بن يزيد، عن جعفر بن برقان، عن فياض، عن عبد الله بن زبيد عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكره.

وهذا حديث سنده حسن، إلىٰ فضيل بن غزوان، وفضيل قد وثقه أحمد كما في "لسان الميزان".

وعبيد بن زبيد قال ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" عن أبيه، روىٰ الكوفيون، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، والعمدة هو حديث ابن مسعود المذكور في الباب.

فهو مستور، حديثه في الشواهد، لكن الحديث منقطع بين عبد الله بن زبيد وأبي موسىٰ، فعلىٰ هذا فحديث عبد الله بن قيس أبي موسىٰ: ضعيف.

ذكر بعض العلماء الذين صححوا الحديث:

١- قال ابن الوزير في "إيثار الحق علىٰ الخلق" (١٥٨ـ١٥٩)، في كلامه حول حديث ابن مسعود، وأبو سلمة: هو الجهني، وثقه ابن حبان، ولم يذكره في "الميزان" وعدم ذكره في "الميزان" دليل علىٰ ثقته، لا سيما مع تصحيح أبي عوانة للحديث، وبقيتهم رجال الصحاح، فثبت هذا الحديث. اهـ

قلت: قد تقدم أن أبا سلمة: هو موسىٰ بن عبد الله، وهو من رجال الصحيح ثقة. اهـ

٢- وقال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الفتوحات الربانية علىٰ الأذكار النووية" (٤/ ١٣)، ذكر ابن السني عقب حديث أبي موسىٰ، عن ابن مسعود نحوه.

وحديث ابن مسعود: أثبت سندًا، وأشهر رجالًا، وهو حديث حسن، وقد صححه بعض الأئمة، فعجب من عدول الشيخ عن القوي إلىٰ الضعيف. اهـ

٣- ممن جزم بصحة الحديث الخطابي، كما سيأتي كلامه واستدلاله.

٤- وابن تيمية في نقله عن الخطابي، وارتضائه لكلامه رحمة الله عليهم.

٥- وابن القيم يقول في "البدائع"(١/ ١٦٦): **السادس عشر**: أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد، فإن لله تعالىٰ أسماء وصفات، استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ».

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمىٰ به نفسه، فأظهره لمن شاء من ملائكته، وغيرهم ولم ينزله في كتابه، وقسم أنزله في كتابه، فتعرف به إلىٰ عباده، وقسم استأثر به في علم الغيب، فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه، ولهذا قال: «اسْتَأْثَرْتَ بِهِ»، أي: انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها في كتابه، ومنه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»، وأما قوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، فالكلام جملة واحدة.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْصَاهَا»، صفة لا خبر مستقبل، والمعنىٰ أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينبغي أن يكون له أسماء غيرها. اهـ

٦- قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، ثم ليعلم أن الأسماء الحسنىٰ ليست منحصرة في التسعة والتسعين، بدليل ما وراه الإمام أحمد، وذكر حديث ابن مسعود المتقدم. اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "الفوائد" (٤٤): بعد أن صحح الحديث: «بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ.. إلخ»، توسل إليه بأسمائه كلها، ما علم العبد منها وما لم يعلم. اهـ

أقول: ولا شك أن ما كان في الكتاب والسنة: أنه معلوم لدىٰ كثير من الناس، وما اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعلمه، فلا يعلمه أحد.

٧- **قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ (٦/ ٤٦٣)، مكتبة أولاد الشيخ، للتراث**: ثم ليعلم أن الأسماء الحسنىٰ ليست منحصرة في التسعة والتسعين، بدليل ما رواه أحمد في مسنده، وذكر حديث عبد الله ابن مسعود المتقدم بسنده. اهـ

وأتعجب مما قاله بعضهم، وإن صح حديث ابن مسعود، فليس فيه دلالة علىٰ أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين.

وذلك أن فهمه هذا يدل علىٰ قلة فقهه في المسألة، أو علىٰ أن حب المخالفة قد تشغف في قلبه حتىٰ أنه لا يريد أن ينصر إلا ما في قلبه، نسأل الله السلامة، بل في كلام ابن القيم المتقدم الغُنية لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

فالحديث قد قسم ما سمىٰ الله به نفسه، إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أنزله الله في كتابه، ويدخل فيه ما كان علىٰ لسان نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحىٰ.

القسم الثاني: ما خص به بعض خلقه، عن بعضهم، مما لم يرد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وقد يدخل أصحاب هذا الخصوص من الأنبياء، والملائكة في معرفة ما أنزله الله في كتابه.

القسم الثالث: ما استأثر به الله في علم الغيب عنده، مما لم ينزله في كتابه، ولا علَّمه أحدًا من خلقه، إذ يستحال أن ينزل شيئًا في كتابه، وعلىٰ لسان نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم لا يعلمه، ولا يعرفه أحدٌ من الخلق، فتنبه، ولا تكن من الذين يصيدون في الماء العكر، ويتتبعون زلات العلماء، فيجعلون منها علومًا، نسأل الله السداد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شفاء العليل" (٢٧٦١): ومعلوم أن هذا تقسيم وتفصيل لما سمي به نفسه، فوجه الكلام أن يقال سميت به نفسك، فأنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك. اهـ

ومما استدل به العلماء علىٰ أن أسماء الله غير محصورة بعدد معين:

١- ما أخرجه الإمام مسلم رقم (٤٨٦) قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ حَبَّانَ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ؛ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَىٰ بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

والشاهد من الحديث قوله: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ»، قال شيخ الإسلام في "درء تعارض العقل والنقل"، فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يحصي ثناءً عليه، ولو أحصىٰ أسمائه، لأحصىٰ صفاته كلها، فكان يحصي الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه. اهـ (٣/ ٣٣٢-٣٣٣).

٢- **واستدل العلماء أيضًا:** بما أخرجه البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الشفاعة الطويل.

٣- **قال البخاري** رَحِمَهُ اللَّهُ (٦٥٦٥): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَيَقُولُ: ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ؛ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ،

وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ، أَوْ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ»، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ.

وفي مسلم برقم (١٩٣): «فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي».

٤- وأخرج البخاري برقم (٧٥١٠): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَذَهَبْنَا إِلَىٰ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَىٰ، فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ لَا تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي؛ فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ

فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ».

وفي رواية عند مسلم قال: «فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي».

٥- ومما استدل به أهل العلم علىٰ أن أسماء الله غير محصورة بالتسعة والتسعين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

قال شيخ الإسلام: (٢٢/ ٤٨١-٤٨٦): فأمر أن يدعوا بأسمائه الحسنىٰ مطلقًا، ولم يقل ليست أسماؤه الحسنىٰ، إلا تسعة وتسعين أسمًا، والحديث قد سلم معناه، والله أعلم. اهـ

٦- واستدل العلماء أيضًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠]، وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة:٢٥٥].

قال ابن كثير: أي لا يطلعون علىٰ شيء من علم ذاته، وصفاته، إلا بما أطلعهم الله عليه، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[طه:١١٠].

٧- ومما استدل به العلماء علىٰ أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين: الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، أكثر من تسعة وتسعين.

قال ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في "إيثار الحق علىٰ الخلق"(ص ١٥٨): وقد ثبت أن أسماء الله تعالىٰ أكثر من ذلك المروي بالضرورة، والنص: أما الضرورة، فإن في كتاب الله أكثر من ذلك، كما سيأتي بيان ذلك، وأما النص فحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ..»، الحديث. اهـ

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (٢٢/ ٤٨٢): وإن قيل لا تدعوا إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة، قيل: هذا أكثر من تسعة وتسعين. اهـ

٨- ومما يدل علىٰ أن أسماء الله تعالىٰ غير محصورة في تسع وتسعين، دخول كثير من الأسماء المضافة في اسمائه الحسنىٰ.

فقد قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى"(٢٢/٤٨٥): وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "درء تعارض العقل والنقل" (٣/٢٣١): ولما كانت حاجة النفوس إلىٰ معرفة ربها أعظم الحاجات، كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه، وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه، وله سبحانه في كل لغة أسماء وله في اللغة العربية أسماءً كثيرة. اهـ

٩- قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾[الإسراء:١١٠]، أي: لا فرق بين دعائكم له باسم الله، أو باسم الرحمن، فإنه ذو الأسماء الحسنىٰ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

توجيه الحديث الذي احتج به المخالف:

أما حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٦٤١٠) قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: حَفِظْنَاهُ مِنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رِوَايَةً قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، -مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا- لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ».

وأخرجه مسلم (٢٦٧٧)، بلفظ: «مَنْ أَحْصَاهَا».

وجاء بلفظ: «مَنْ أَحْصَاهَا»، بدل: «مَنْ حَفِظَهَا»، ذكره البخاري في (التوحيد).

وبهذا الحديث استدل بعض المتأخرين: كابن حزم، أن أسماء الله تعالىٰ محصورة بتسع وتسعين اسمًا فقط، وقد رد العلماء هذا الاستدلال منه رَحِمَهُٱللَّهُ.

قال الحافظ في "الفتح" (١١/ ٢٦٣): قد اختلف في هذا العدد هل المراد به حصر الأسماء الحسنىٰ في هذه العدة، أو أنها أكثر من ذلك، ولكن هذه اختصت بأن من أحصاها دخل الجنة، فذهب الجمهور إلىٰ الثاني، ونقل النووي اتفاق العلماء عليه، فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالىٰ، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أنَّ هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد به دخول الجنة، لا المراد الإخبار بحصر الأسماء[(١)]، ويؤيده قوله في حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد، وصححه ابن حبان: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»، وعند مالك، عن كعب الأحبار في دعاء: «وأَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى، مَا

(١) »شرح مسلم« (١٧/ ٥).

عَلِمْتُ مِنْهَا، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ»، وأورده الطبراني عن قتادة نحوه، ومن حديث عائشة[1]، أنها دعت بحضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنحوه. اهـ

قال البغوي في شرح السنة (٥/ ٣٥) بعد أن ذكر حديث الوليد الذي فيه سرد الأسماء الحسنىٰ قال: ولله أسماء سوىٰ هذه الأسامي (وذكر منها عددًا).

قال العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ **في "طرح التثريب" (٧/ ١٤٨)**: في الرد علىٰ ابن حزم، قوله: «مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا»، مجرد تأكيد؛ لقوله تسعة وتسعين لجواز اشتباهها في الخط بسبعة وسبعين، ولم يفد شيئًا زائدًا علىٰ ما تقدم حتىٰ يقول: إن هذا اللفظ فيه نفي الزيادة، وإبطالها، وقد تقدم أن المقصود الإخبار بأن من أحصاها دخل الجنة، وما قبله مواطئ له، والله أعلم. اهـ

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالىٰ في شأن الدعاء (ص ٢٤)**: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»، فيه إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد، وليس فيه نفي ما عداها من الزيادة عليها، وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء؛ لأنها أشهر الأسماء وأبينها معاني، وأظهرها، وجملة قوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، قضية واحدة لا قضيتان، ويكون تمام الفائدة في خبر [إن] في قوله: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، لا في قوله: «تِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، وإنما هو بمنزلة قولك، إن لزيد ألف درهم، أعدها للصدقة، وكقولك: إن لعمرو مائة ثوب، من زاره خلعها عليه، وهذا لا يدل أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب، وإنما دلالته أن الذي أعده زيد للصدقة ألف درهم.

---

(١) حديث عائشة عند الطبراني في »الدعاء« رقم (١١٨)، من طريق إسحاق بن أسيد: ضعيف، وفيه رجل مبهم.

والذي يدل علىٰ صحة هذا التأويل، حديث عبد الله بن مسعود الذي أخرجه محمد بن إسحاق بن خزيمة في "المأثور" وذكر حديث عبد الله المتقدم: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ...»، الحديث.

فهذا يدل علىٰ أن لله أسماء لم يذكرها في كتابه، حجبها عن خلقه، ولم يظهرها لهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شفاء العليل" (٢٧٧): قوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة، أي له أسماء موصوفة بهذه الصفة، كما يقال لفلان، مائة عبد أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدهم للجهاد، وهذا قول الجمهور، وخالفهم ابن حزم، فزعم أن أسماءه تنحصر في هذا العدد. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "بدائع الفوائد"(١/ ١٦٧): وأما قوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، فالكلام جملة، واحدة وقوله: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، صفة لا خبر مستقل، والمعنىٰ له أسماء متعددة، مع شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها، وهذا كما تقول لفلان مائة مملوك، وقد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم، معدون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء. اهـ

وقال الحافظ أيضًا (١١/ ٢٦٤): قال الخطابي في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد وليس فيه منع ما عداها من الزيادة، وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسماء وأبينها معاني.

وخبر المبتدأ في الحديث هو قوله: «مَنْ أَحْصَاهَا»، لا قوله: «لله»، وهي قوله: لزيد ألف درهم، أعدها للصدقة، وقال القرطبي في "المفهم" نحو كلام الخطابي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونقل ابن بطال عن القاضي أبي بكر بن الطيب ليس في الحديث دليل علىٰ أنه ليس من الأسماء إلا هذا العدد، وإنما معنىٰ الديث: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ».

ويدل علىٰ عدم الحصر أن أكثرها صفات، وصفات الله لا تتناهىٰ...

واستدل أيضًا علىٰ عدم الحصر بأنه مفهوم عدد، وهو ضعيف.

وابن حزم ممن ذهب إلىٰ الحصر في العدد المذكور، وهو لا يقول بالمفهوم[1] أصلًا، ولكنه احتج بالتأكيد في قوله: «مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا»، قال: لأنه لو جاز أن يكون له اسم زائد علىٰ العدد المذكور؛ لزم أن يكون له مائة اسم فيبطل قوله: «مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا»، وهذا الذي قاله ليس بحجة علىٰ ما تقدم؛ لأن الحصر المذكور عندهم باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها فمن أدعىٰ علىٰ أن الوعد وقع لمن أحصىٰ زائد ذلك أخطأ.

قال شيخ الإسلام في "درء تعارض العقل والنقل" (٣/٣٣٢): والصواب الذي عليه جمهور العلماء أن قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ». اهـ

معناه: أن من أحصىٰ التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة، ليس المراد أنه ليس له إلا تسعة وتسعون اسمًا. اهـ

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في "مجموع الفتاوىٰ" (٦/ ٣٨٢)**: ولهذا قال: «إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»، ومحبته لذلك تدل علىٰ أنه متعلق بالإحصاء، أي يحب من أن يُحصىٰ من أسمائه، هذا العدد، وإذا كانت أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، أمكن أن يكون

---

(١) **المفهوم**: هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، فهو المعنىٰ المستفاد من حيث السكوت اللازم، فينقسم إلىٰ قسمين:

١- مفهوم الموافقة، وهو ما وافق المسكوت عنه المنطوق في الحكم.

٢- مفهوم المخالفة: هو ما خالف المسكوت عنه المنطوق في الحكم.

إحصاء تسعة وتسعين اسمًا يورث، الجنة، مطلقًا علىٰ سبيل البدل، فهو يوجه قول هؤلاء، وإن كان كثير من الناس يجعلها معينة، ثم من هؤلاء من يقول ليس إلا تسعة وتسعون اسمًا فقط، وهو قول ابن حزم، وطائفة، والأكثرون منهم، يقولون: وإن كانت أسماء الله أكثر، لكن الموعود بالجنة، لمن أحصاها معينة. اهـ

فتنبه لقوله: والأكثرون منهم، أي: من الطائفة التي ترىٰ الحصر، يقولون: وإن كانت أسماء أكثر.

قال ابن عثيمين في "القواعد المثلى": القاعدة السادسة من قواعد الأسماء، فأما قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، فلا يدل علىٰ حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر، لكانت العبارة: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، ونحو ذلك.

إذًا فمعنىٰ الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، جملة مكملة لما قبلها، وليست مستقلة، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم، أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرىٰ، لم تعدها للصدقة. اهـ

وقال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في "الأسماء والصفات"(١/٢٧): وليس في قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»، نفي غيرها، وإنما وقع التخصيص بذكرها؛ لأنها أشهر الأسماء، وأبينها معاني، وفيها ورد الخبر: «أَنَّ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، وفي رواية سفيان: «مَنْ حَفِظَهَا»، وذلك يدل علىٰ أن المراد من أحصاها، من عدها وقيل: معناه من أطاقها، بحسن المراعاة لها، والمحافظة علىٰ حدودها في معاملة الرب بها، وقيل معناه: من عرفها وعقل معانيها، وآمن بها. اهـ

وقال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٦/٣٨٠-٣٨٢): فالذي عليه جماهير المسلمين: أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، قالوا: ومنهم الخطابي قوله: «إِنَّ لِلَّهِ

تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا»، التقيد بالعدد عائد إلىٰ الأسماء الموصوفة بأنها هي هذه الأسماء.

فهذه الجملة، وهي قوله: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، صفة للتسعة والتسعين، ليست جملة مبتدأة، ولكن موضعها النصب، ويجوز أن تكون مبتدأة، والمعنىٰ لا يختلف، والتقدير [إن لله أسماء بقدر هذا العدد، من أحصاها دخل الجنة]، كما يقول القائل: إن لي مئة غلام، أعددتهم للعتق، فالتقيد بالعدد، هو الموصوف، بهذه الصفة، لا في أصل استحقاقه؛ لذلك العدد، فإنه لم يقل إن أسماء الله تسعة وتسعون...

قوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، تقييده بهذا العدد بمنزله قوله تعالىٰ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾[المدثر:٣٠]، فلما استقلوها قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر:٣١]، فإنه لا يعلم أسمائه إلا هو أولىٰ، وذلك أن هذا لو كان قد قيل منفردًا لم يفد النفي، إلا بمفهوم العدد الذي هو دون مفهوم الصفة، والنزاع مشهور...، فقوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، قد يكون للتحصيل بهذا العدد فوائد غير الحصر:

منها: ذكر أن إحصاءها يورث الجنة، فإنه لو ذكر هذه الجملة منفردة، وأتبعها بهذه مفردة لكان حسنًا، فكيف والأصل في الكلام الاتصال، وعدم الانفصال، فتكون الجملة الشرطية صفة لا ابتدائية، فهذا هو الراجح في العربية، مع ما ذُكر من الدليل، ولهذا قال: «إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»، ومحبته لذلك تدل علىٰ محبته للإحصاء، أي يحب أن يحصىٰ من أسمائه هذا العدد، وإن كانت أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين أمكن أن يكون إحصاء تسعة وتسعين اسمًا، يورث الجنة مطلقًا علىٰ سبيل البدل، فهذا يوجه قول هؤلاء، وإن كان كثيرًا من الناس يجعلها أسماء معينة، ثم هؤلاء من يقول ليس إلا تسعة وتسعين اسمًا فقط، وهو قول ابن حزم، وطائفة، والأكثرون منهم

يقولون: وإن كانت أسماء الله أكثر، لكن الموعود بالجنة لمن أحصاها هي معينة، وبكل حال فتعينها ليس من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتفاق أهل المعرفة بحديثه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في الجواب الصحيح (٣/٢٢٣): حول حديث: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»، وهذا معناه في أشهر قولي العلماء، وأصحها أن من أسماء الله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة، وإلا فأسماؤه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أكثر من ذلك. اهـ

قال ابن بطال في "شرح البخاري" (١٠/ ١٤١): قال المهلب: اختلف الناس في الاستدلال بهذا الحديث، فذهب قوم إلىٰ أن ظاهره يقتضي أن لا اسم لله تعالىٰ غير التسعة والتسعين اسمًا التي نص عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ لو كان له غيرها لم يكن لتخصيص هذا العدد معنىٰ، قالوا: والشريعة متناهية، والحكمة فيها بالغة، وذهب آخرون إلىٰ أنه يجوز أن تكون له أسماء زائدة علىٰ التسعة والتسعين، إذ لا يجوز أن تتناهىٰ أسماء الله تعالىٰ؛ لأن مدائحه، وفواضله غير متناهية، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[لقمان:٢٧].

ومعنىٰ ما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التسعة والتسعين اسمًا، إنما هو معنىٰ الشرع لنا في الدعاء بها، وغيرها من الأسماء لم يشرع لنا الدعاء بها؛ لأن حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبني علىٰ قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، فكان ذكر هذا العدد، إنما هو لشرع الدعاء به، وهذا القول أميل إلىٰ النفوس، لإجماع الأئمة علىٰ أن لله تعالىٰ لا يبلغ كنهه الواصفون، ولا ينتهي إلىٰ صفاته المُقرِظون، دليل لازم أن له أسماء غير هذه، وصفات، وإلا فقد تناهت صفاته -تعالىٰ عن ذلك-، وهذا قول أبي الحسن الأشعري، وابن الطيب، وجماعة من أهل العلم.

قال ابن الطيب: وليس في الحديث دليل علىٰ أن ليس لله تعالىٰ أكثر من تسعة وتسعين اسمًا، لكن ظاهر الحديث يقتضي أن من أحصىٰ تلك التسعة والتسعين اسمًا علىٰ وجه التعظيم لله، دخل الجنة، وإن كان له أسماء أخر. اهـ

قال الكرماني في "شرح صحيح البخاري" (١١/١٨٩): يريد بالمحافظة، محافظة مقتضايتها، والتصديق بمعانيها ليس فيه حصر لأسمائه، إذ ليس له اسم غيره، بل معناه أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، أي المراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء فيها، وقيل: أسماء الله تعالىٰ، وإن كانت أكثر منها، لكن جميع معانيها محصورة فيها. اهـ

بل لكل اسم من المعاني والكمال، ما ليس للآخر كما يعلم من دلالات الألفاظ.

قال القرطبي في "شرح مسلم" (٧/١٦): وقوله من أحصاها دخل الجنة، هذه الجملة خبر ثانٍ للمئة المذكورة في الجملة الأولىٰ، غير أن هذه الجملة هي الفائدة المقصودة لعينها، والجملة الأولىٰ مقصودة لها، لا أن مقصودها حصر الأسماء، فيما ذكر، وهذا كقول القائل: لزيد مئة دينار، أعدها للصدقة، لا يفهم من هذا أنه ليس له مال غير المائة الدينار، وإنما يفهم أن هذه المئة هي التي أعدها للصدقة، لا غيرها، وقد دل علىٰ أن لله أسماء أخر، ما قدمناه من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ - سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ..»، الحديث.

وقوله: فأحمده بمحامد لا أقدر عليها؛ إلا أن يلهمنيها الله. اهـ

قال الحافظ في "الفتح" (١/٢١٩): قال مجموعة من العلماء: الحكمة في قوله: «مائة إلا واحد»، بعد قوله: «تسعة وتسعين»، أن يقرر ذلك في نفس السامع، جمعًا بين جهتي الإجمال، والتفصيل، أو دفعًا لتصحيف الخطي أو اللفظي. اهـ

معاني الإحصاء

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "بدائع الفوائد"(١/١٦٤): الإحصاء ثلاثة مراتب:

إحصاء ألفاظها وعدها.

فهم معانيها ومدلولها: (رجل ذو حصاة)، أي: ذو فهم.

دعاؤه تعالىٰ بها، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

والإحصاء في اللغة: يأتي بمعنىٰ العد، لقوله تعالىٰ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن:٢٨]، وإلىٰ هذا القول ذهب الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وذهب قوم إلىٰ: أن معنىٰ من أحصاها، أي من أطاقها، لقوله تعالىٰ: ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ [المزمل:٢٠]، أي تطيقوه.

وذهب البخاري والنووي إلىٰ أن المراد من حفظها؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[يس:١٢]، وقد جاء في بعض ألفاظ البخاري: «مَنْ حَفِظَهَا». اهـ راجع "المفهم" (٧/ ١٧)، "شرح مسلم" للنووي (١٧/ ٨).

قوله: «وَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»، **الوتر:** الفرد، ومعناه في حق الله تعالىٰ الواحد الذي لا شريك له، ولا نظير، ومعنىٰ يجب الوتر تفضيل الوتر في الأعمال، وكثير من الطاعات، فجعل الصلاة خمسًا، والطواف سبعًا، والسعي سبعًا...»، اهـ النووي "شرح مسلم"(١٧/ ٩).

هذا غيظ من فيض، جمعته من كلام أئمة الهدىٰ، ومصابيح الدجىٰ، الذين عُرفوا في هذه المسألة، بالمعتقد السليم.

وأما علماء هذا العصر، فلم أعرج عليهم؛ لأني لا أعلم أحدًا منهم ذهب إلىٰ الحصر، وما ذلك إلا لأنه مذهب مهجور، وليس بمشهور، ويخالف معتقد أهل السنة والجماعة.

والذي يقول بهذا القول، لا يستطيع أن يأتِ بقول إمام يقتدىٰ به، من الصحابة الكرام، فمن بعدهم إلىٰ يومنا هذا، وإنما نقل من نقل هذا المذهب، عن الإمام ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ المعروف بمخالفاته المنكرة في كثير من شرائع الدين، وهو إن شاء الله مجتهد له أجر، أما هذا المقلد فعليه الوزر، وله البتر.

وابن حزم هذا قال عنه ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في "طبقات أهل الحديث"(٣/ ٣٥٠)**: وقد طالعت أكثر كتاب "الملل والنحل" لابن حزم، فرأيته قد ذكر فيه عجائب كثيرة، ونقولًا غريبة، وهو يدل علىٰ قوة ذكاء مؤلفه، وكثرة اطلاعه، لكن تبين لي منه أنه جهمي جلد. اهـ

إلىٰ أن قال: وكان ابن حزم في صغره، قد اشتغل في المنطق، والفلسفة، وأخذ المنطق عن محمد بن الحسن المذحجي، وأمعن في ذلك، وتقرر في ذهنه، بهذا السبب معاني باطلة، ثم نظر في الكتاب والسنة فوجد ما فيها من المعاني المخالفة لما تقرر في ذهنه، فصار في الحقيقة حائرًا، في تلك المعاني الموجودة في الكتاب والسنة، فروغ في ردها روغان الثعلب، فتارة يحمل اللفظ علىٰ غير معناه اللغوي، ومرة يحمل ويقول: هذا اللفظ لا معنىٰ له أصلًا، بل هو بمنزلة الأعلام، وتارة يرد ما ثبت عن المصدوق، كرده الحديث المتفق علىٰ صحته، في إطلاق لفظ الصفات، وقول الذي كان يلزم قرأت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾[الإخلاص:١]، أنها صفة الرحمن، وأحب أن أقرأ بها، ومرة يخالف إجماع المسلمين في إطلاق بعض الأسماء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال ابن عبد الهادي أيضًا: أبو محمد بن حزم، من بحور العلوم له اختيارات كثيرة، حسنة وافق فيها غيره، من الأئمة، وله اختيارات انفرد بها في الأصول والفروع، وجميع ما انفرد به خطأ، وهو كثير الوهم في الكلام علىٰ تصحيح الحديث، وعلىٰ أحوال الرواة. اهـ

وقال الذهبي في "السير" (١٨/١٨٦): فإنه رأس في الإسلام، متبحر في النقل، عديم النظير علىٰ يبس فيه، وفرط ظاهريه في الفروع، دون الأصول. اهـ

وقال شيخ الإسلام كما في نقض المنطق (١٧-١٨): وَكَذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ فِيمَا صَنَّفَهُ مِنْ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ إنَّمَا يُسْتَحْمَدُ بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ مِثْلَ مَا ذَكَرَهُ فِي مَسَائِلِ " الْقَدَرِ " وَ " الْإِرْجَاءِ " وَنَحْوِ ذَلِكَ بِخِلَافِ مَا انْفَرَدَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ. وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي "بَابِ الصِّفَاتِ" فَإِنَّهُ يُسْتَحْمَدُ فِيهِ بِمُوَافَقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ لِكَوْنِهِ يَثْبُتُ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَيُعَظِّمُ السَّلَفَ وَأَئِمَّةَ الْحَدِيثِ وَيَقُولُ إنَّهُ مُوَافِقٌ لِلْإِمَامِ أَحْمَد فِي مَسْأَلَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مُوَافِقٌ لَهُ وَلَهُمْ فِي بَعْضِ ذَلِكَ. لَكِنَّ الْأَشْعَرِيَّ وَنَحْوَهُ أَعْظَمُ مُوَافَقَةً لِلْإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ الْأَئِمَّةِ فِي الْقُرْآنِ وَالصِّفَاتِ وَإِنْ كَانَ " أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ " فِي مَسَائِلِ الْإِيمَانِ وَالْقَدَرِ أَقْوَمَ مِنْ غَيْرِهِ وَأَعْلَمَ بِالْحَدِيثِ وَأَكْثَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَلِأَهْلِهِ مَنْ غَيْرِهِ لَكِنْ قَدْ خَالَطَ مِنْ أَقْوَالِ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ مَا صَرَفَهُ عَنْ مُوَافَقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي مَعَانِي مَذْهَبِهِمْ فِي ذَلِكَ فَوَافَقَ هَؤُلَاءِ فِي اللَّفْظِ وَهَؤُلَاءِ فِي الْمَعْنَىٰ.اهـ

قال ابن كثير في "البداية والنهاية" حوادث ست وخمسين و أربعمائة - (ج ١٢ / ص ١١٣): والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهريًا حائرًا في الفروع، لا يقول بشيء من القياس لا الجلي ولا غيره، وهذا الذي وضعه عند العلماء، وأدخل عليه خطأ كبيرًا في نظره وتصرفه وكان مع هذا من أشد الناس تأويلًا في باب الأصول، وآيات الصفات وأحاديث الصفات؛ لأنه كان أولًا قد تضلع من علم المنطق، أخذه عن محمد بن الحسن المذحجي الكناني القرطبي، ذكره ابن ماكولا وابن خلكان، ففسد بذلك حاله في باب الصفات.

أقول: فمن كان هذا حاله في مسائل العقيدة، فكيف يؤخذ عنه، ويقبل منه قول لم يوافقه عليه غيره، إلا من كان من أحداث الأسنان، نسأل الله السلامة.

وأما قول يوسف بن أحمد بن كَجٍّ، ترجمته في "السير" (١٧/ ١٨٣)، وغيرها الشافعي المذهب، فلم نجد قوله حتىٰ يتكثر به من يقول بالحصر، **وإنما قال الحافظ ابن حجر في "التخليص"**(٤/ ٣٢١): (والذي يظهر من قوله: فربما ظهر غير هذا، والله أعلم. ولم نجد ترجمة له تبين ما كان عليه من المعتقد، حتىٰ نعلم هل هو ممن يأخذ عنه أم لا، والعجب أنه شافعي، وأغلب الشراح من الشافعية، لم يعرجوا علىٰ قوله، مما يدل أنهم ربما اطلعوا علىٰ القول، ولم يستظهروا ما استظهره الحافظ.

وهذا الإمام ابن كَجٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ له غرائب في المذهب، كما نص علىٰ ذلك ابن كثير، في "حوادث" (٤٠٥)، من "البداية والنهاية".

فلا تكن أخي في الله من متتبعي الغرائب؛ لأنه من تتبع زلات العلماء، تزندق، كما قال بعضهم.

ونسأل الله السداد، وأن يوفقنا للصواب.

ونسأله جل ذكره أن يجعل ما كتبناه في هذه العجالة، وما جمعناه من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء خالصًا لوجهه، نصرًا للحق في هذه المسألة، وغيرها لا عن عصبية ولا تقليد ولا هوىٰ، وسبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك. والحمد لله رب العالمين.

* فائدة:

اعلم وفقك الله للحق أن مسألة عدم حصر أسماء الله في تسعة وتسعين، مجمع عليها، وممن نقل ذلك:

١- النووي في "شرح مسلم" (١٧/ ٥)، وقد تقدم نقل كلامه.

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: وهو قول ابن حزم، وطائفة من المتأخرين، وشاهدنا أنه لو سبق ابن حزم أحد بهذا القول لذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- **ابن القيم في "بدائع الفوائد"**(١/ ١٦٧): واعلم أن أسماء الله لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد فإن لله أسماء، وصفات أستأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، [ثم ساق رَحِمَهُ اللَّهُ أدلة عدم الحصر، إلىٰ أن قال] أما قوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ».

صفة لا خبر مستقل، والمعنىٰ: له أسماء متعددة، من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا كقوله لفلان: ألف شأة أعدها للأضياف، فلا يدل علىٰ أنه لا يملك غيرها، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه. اهـ

وقد نقل هذا الكلام صاحب "تيسير العزيز الحميد" وأقره.

مسألة:

هل يدعىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالأسماء الحسنىٰ فقط؟ أم بها وبأسماء الإخبار؟

قال شيخ الإسلام كما في "الفتاوىٰ" (٦/ ١٤١-١٤٢): قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء:١١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[طه:٨]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الحشر:٢٤].

والحسنىٰ المفضلة علىٰ الحسنة، والواحد الأحاسن، **ثم هنا ثلاثة أقوال:**

١- إما أن يقال ليس له من الأسماء، إلا الأحسن ولا يدعي إلا به.

٢- وإما أن يقال لا يدعي إلا بالحسنىٰ، وأن سمي بما يجوز، وأن لم يكن من الحسنىٰ، وهذان قولان معروفان.

٣- وإما أن يقال بل يجوز في الدعاء، والخبر، وذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

أثبت له الأسماء الحسنىٰ، وأمر بالدعاء بها، فظاهر هذا أن له جميع الأسماء الحسنىٰ...

ويفرق بين دعاءه والإخبار عنه، فلا يدعىٰ إلا بالأسماء الحسنىٰ، وأما الإخبار عنه، فلا يكون باسم سيء، لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيء، وإن لم يحكم بحسنه، مثل اسم الشيء والذات. اهـ

قال السعدي في "تفسيره": ومن تمام حسنها، أنه لا يدعىٰ إلا بها، ولذلك قال فادعوه بها، وهذا شامل لدعاء المسألة، ودعاء العبادة. اهـ

ومما تقدم نستخلص أن كل الأسماء التي دعا بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو جاءت في القرآن، سواء كانت مركبة أو مفردة، فهي أسماء حسنىٰ، أما أسماء الإخبار فلا يدعىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بها، لأنها لم تبلغ كمال الحسن، ولم تتضمن صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ولم تكن أسماء مدح لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

* تنبيه:

ينبغي للمسلم أن يأخذ بما كان عليه السلف الصالح، رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان بدون مشاقة؛ لأن مشاقتهم الهلاك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء:١١٥].

ومن المعلوم من ديننا، أنهم أحرص الناس علىٰ الخير، وأسرعهم إليه، وأشدهم تمسكًا به، وما من أمرٍ تركوه إلا علمنا أنه لا خير فيه، لو كان خيرًا لسبقونا إليه.

ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» (١)، إلىٰ غيرها من الأدلة.

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فينبغي للعبد أن يسعه ما وسعهم، ويترك الخوض فيما لا ينفعه في الدنيا، ولا في الأخرىٰ، ومنها هذه المسألة التي لم نجد عنهم، ولا عمن تبعهم بإحسان أنهم يحصرون أسماء الله بتسعة وتسعين، إلا ما كان من ابن حزم الذي لا يعتد به في هذا الباب.

أما ابن كَجّ، فليس هنالك ما يفيد أنه كان يحصرها بتسعة وتسعين، وإنما هو استظهار استظهره الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وربما ظهر لغيره غير هذا الاستظهار، والله أعلم.

وسيخرج إن شاء الله تعالىٰ ما تيسر من جمع أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ، الذي أسميته: (فتح العلي الأعلى في أسماء الله وصفاته العلى)، ولم أضعه هنا للاختصار.

أقوال أئمة الحديث في سرد الأسماء في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وبيان ضعفه:

قد يتعلل بعض من حصر أسماء الله الحسنىٰ بتسع وتسعين بحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند الترمذي، وإليك بعض أقوال أئمة الحديث حول هذا الحديث، وقد اكتفيت بحكمهم وجزمهم علىٰ تخريج طرقه.

قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ج ٥ ص ٥٣٠): حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، حدثني صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ،**

الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوُّ، الرَّءُوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ».

قال أبو عيسىٰ: هذا حديث غريب. حدثنا به غير واحد، عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد روي هذا الحديث من غير وجه، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نعلم في كثير شيء من الروايات، له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، وقد روىٰ آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح

قال شيخ الإسلام كما في (مجموع الفتاوى) (٢٢/٤٨٢): **احدها**: أن التسعة والتسعين اسمًا، لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي، الذي رواه الوليد بن مسلم، عن شعيب عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم، عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثان أضعف من هذا رواه ابن ماجه، وقد روي في عددها غير هذين.

الوجه الثاني: أنه علىٰ ما في حديث الترمذي مثلًا، ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث مثل اسم (رب) فإنه ليس في حديث الترمذي وأكثر الدعاء المشروع إنما هو بهذا الاسم، كقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[الأعراف:٢٣]، وقول نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾[هود:٤٧]، وقول موسىٰ:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[القصص:١٦]، وقول المسيح: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[المائدة:١١٤]، وأمثال ذلك حتىٰ أنه يذكر عن مالك وغيره أنهم كرهوا أن يقال يا سيدي، بل يقال: يا رب؛ لأنه دعاء النبيين وغيرهم، كما ذكر الله في القرآن، وكذلك اسم المنان ففي الحديث الذي رواه أهل السنن، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع داعيًا، يدعو: اللهم أنىٰ أسألك بأن لك الملك، أنت الله المنان، بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»، وهذا رد لقول من زعم: أنه لا يمكن في أسمائه المنان...

وأيضًا بثت فقد في الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»، وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين، وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»، وليس هو فيها...

و «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»، وليس هذا فيها، وتتبع هذا يطول...

ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسمه: السبوح. وفى الحديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ»، واسمه الشافي كما ثبت في الصحيح أنه كان يقول: «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا».

وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين، وليس من هذه التسعة والتسعين.

الوجه الثالث: ما احتج به الخطابي وغيره وهو حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»، رواه الإمام أحمد في المسند، وأبو حاتم، وابن حبان في صحيحه، **قال الخطابي وغيره**: فهذا يدل علىٰ أن له أسماء استأثر بها، وذلك يدل علىٰ أن وقوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، إن في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: أن لي ألف درهم أعددتها للصدقة، وإن كان ماله أكثر من ذلك، والله في القرآن قال: ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها، فأمر أن يدعىٰ بأسمائه مطلقًا، ولم يقل ليست أسماؤه الحسنىٰ إلا تسعة وتسعين اسمًا، والحديث قد سلم معناه. والله أعلم. اهـ

قال ابن كثير في التفسير (ج ٢/ ٢٧٠)، بعد أن ذكر حديث الوليد في سرد الأسماء: والذي عول عليه جماعة من الحفاظ، أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه. اهـ

قال الحافظ في "التلخيص الحبير" (ج ٤ ص ١٧٢): «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وفي رواية: «مَنْ حَفِظَهَا»، وفي رواية: «لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ»، وله طرق ورواه بن خزيمة، وابن حبان، والترمذي، والحاكم من حديث الوليد، عن شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، وسرد الأسماء قال الترمذي: لا نعلم في كثير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، وذكر آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد آخر، عن أبي هريرة وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح.

قلت: ورواه بن ماجة من طريق زهير بن محمد، عن موسىٰ بن عقبة، عن الأعرج وساق الأسماء، وخالف سياق الترمذي في الترتيب والزيادة والنقص، فأما الزيادة فهي: البار، الراشد، البرهان، الشديد، الواقي، القائم، الحافظ، الفاطر، السامع، المعطي، الأبد، المنير، التام، والطريق التي أشار إليها الترمذي رواها الحاكم في «المستدرك» من طريق عبد العزيز بن الحصين، عن أيوب. وعن هشام بن حسان جميعًا، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، وفيها أيضًا زيادة ونقصان.

وقال: المحفوظ عن أيوب وهشام بدون ذكر الأسامي.

قال الحاكم وعبد العزيز: ثقة. اهـ

وقال أبو محمد بن حزم: جاء في إحصائها أحاديث مضطربة لا يصح منها شيء أصلًا.

وقال بن عطية: حديث الترمذي ليس بالمتواتر، وفي بعض الأسماء التي فيه شذوذ.

وقد تكلم أحمد والبيهقي علىٰ رواية أبي هريرة، وذكر أنها من رواية من فيه ضعف، وأشار أبو عيسىٰ الترمذي في مسنده إلىٰ شيء من ذلك، ويدل علىٰ ضعف هذه الرواية سوىٰ ما ذكره المحدثون ثلاثة أمور:

أحدها: اضطراب الرواية عن أبي هريرة، إذ عنه روايتان وبينهما تباين ظاهر في الإبدال والتغيير.

والثاني: أن روايته ليست تشتمل علىٰ ذكر: الحنان، والمنان، وجملة من الأسامي التي وردت الأخبار بها.

والثالث: أن الذي أورد في الصحيح هذا القدر، وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ».

وأما ذكر الأسامي فلم تورد في الصحيح، بل وردت به، رواية غريبة وفي إسنادها ضعف. اهـ من المقصد الأسنىٰ (ج ١ص ١٧١).

خطر القول بالحصر

القول بحصر أسماء الله عَزَّوَجَلَّ يؤدي إلىٰ التعطيل المقيت الذي حذر منه العلماء رحمهم الله تعالىٰ.

قال ابن القيم في بدائع الفوائد (ج ١ ص ١٧٢): **الرابع عشر**: أن الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاث اعتبارات اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، أو العبد اعتباره مضافًا إلىٰ الرب مختصًا به اعتباره مضافًا إلىٰ العبد مقيدًا به فما لزم الاسم.

لذاته وحقيقته كان ثابتًا للرب، والعبد، وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه ما يليق به، وهذا كاسم السميع الذي يلزمه إدراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات والعليم والقدير، وسائر الأسماء فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها، وحقائقها للموصوف بها، فما لزم هذه الأسماء لذاتها، فإثباته للرب تعالىٰ، لا محذور فيه بوجه، بل ثبتت له علىٰ وجه لا يماثله فيه خلقه، ولا يشابههم، فمن نفاه عنه لإطلاقه علىٰ المخلوق ألحد في أسمائه، وجحد صفات كماله، ومن أثبته له علىٰ وجه يماثل فيه خلقه فقد شبهه بخلقه، ومن شبه الله بخلقه، فقد كفر ومن أثبته له علىٰ وجه لا يماثل فيه خلقه، بل كما يليق بجلاله وعظمته، فقد بريء من فرث التشبيه، ودم التعطيل، وهذا طريق أهل السنة، وما لزم الصفة لإضافتها إلىٰ العبد وجب نفيه عن الله، كما يلزم حياة العبد من النوم والسِنَةِ والحاجة إلىٰ الغذاء، ونحو ذلك.

وكذلك ما يلزم إرادته من حركة نفسه في جلب ما ينتفع به، ودفع ما يتضرر به، وكذلك ما يلزم علوه من احتياجه إلىٰ ما هو عال عليه، وكونه محمولًا به مفتقرًا إليه محاطًا به، كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالىٰ بها، فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه كعلمه الذي يلزمه القدم،

والوجوب والإحاطة بكل معلوم، وقدرته وإرادته وسائر صفاته، فإن ما يختص به منها لا يمكن إثباته للمخلوق، فإذا أحطت بهذه القاعدة خبرًا وعقلتها، كما ينبغي خلصت من الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتكلمين، آفة التعطيل، وآفة التشبيه، فإنك إذا وفيت هذا المقام حقه من التصور، أثبت لله الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ حقيقة فخلصت من التعطيل، ونفيت عنها خصائص المخلوقين، ومشابهتهم، فخلصت من التشبيه فتدبر هذا الموضع، واجعله جنتك التي ترجع إليها في هذا الباب، والله الموفق للصواب. اهـ

القول بالتعطيل يؤدي إلى الإلحاد المذموم:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى البدائع (ج ١ ص ١٧٩): الإلحاد في أسمائه تعالىٰ أنواع:

أحدها: أن يسمىٰ الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزىٰ من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا، وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلىٰ أوثانهم، وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارىٰ له أبا وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالىٰ عنه، ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير. وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة:٦٤].

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها كقول من يقول: من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة، لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه

اسم السميع والبصير، والحي والرحيم، والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع ولا بصر، ولا كلام ولا إرادة تقوم به.

وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا وشرعًا، ولغةً وفطرةً، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية، وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط، والمنكوب وكل من جحد شيئًا عما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالىٰ الله عما يقول المشبهون علوًا كبيرًا، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه...

وإن أولت النص بالعدم عطلته، فأنت في تأويلك بين التعطيل والتشبيه مع جنايتك علىٰ النص، وانتهاكك حرمته، فهلا عظمت قدره، وحفظت حرمته وأقررته وأمررته مع نفي التشبيه والتخلص من التعطيل، وبالله التوفيق. اهـ من الصواعق المرسلة (ج١ص ٢٣٧).

وقال في "مدارج السالكين" (ج ١ص ٤١٧): وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة، فإن أسماءه أوصاف مدح وكمال، وكل صفة لها مقتضٍ، وفعل إما لازم، وإما متعد، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه، وهذا في خلقه، وأمره وثوابه وعقابه كل ذلك آثار الأسماء الحسنىٰ، وموجباتها ومن المحال تعطيل أسمائه، عن أوصافها ومعانيها وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال، وتعطيل الأفعال، عن المفعولات كما أنه يستحيل تعطيل مفعولة عن أفعاله، وأفعاله عن صفاته، وصفاته عن أسمائه، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته، وإذا كانت أوصافه

صفات كمال وأفعاله حكمًا ومصالح وأسماؤه حسنىٰ، ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه. اهـ

قال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" - (ج ٧ / ص ٥٦١-٥٦٣): فَتَفَاضُلُهُمْ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا يُعْلَمُ وَيُقَالُ يَدْخُلُ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ إذْ لَا مَوْجُودَ إلَّا وَهُوَ خَلْقُهُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْأَقْدَارِ وَالْأَفْعَالِ فَإِنَّهَا شَوَاهِدُ وَدَلَائِلُ عَلَىٰ مَا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْعُلَىٰ إذْ كُلُّ كَمَالٍ فِي الْمَخْلُوقَاتِ فَمِنْ أَثَرِ كَمَالِهِ، وَكُلُّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِهِ، وَكُلُّ نَقْصٍ تَنَزَّهَ عَنْهُ مَخْلُوقٌ فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِتَنْزِيهِهِ عَنْهُ، وَهَذَا عَلَىٰ طَرِيقِ كُلِّ طَائِفَةٍ وَاصْطِلَاحِهَا. فَهَذَا يَقُولُ كَمَالُ الْمَعْلُولِ مِنْ كَمَالِ عِلَّتِهِ وَهَذَا يَقُولُ: كَمَالُ الْمَصْنُوعِ الْمَخْلُوقِ مِنْ كَمَالِ صَانِعِهِ وَخَالِقِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَصَابَ عَبْدًا هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُك ابْنُ أَمَتِك نَاصِيَتِي بِيَدِك مَاضٍ فِيَّ حُكْمُك عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُك أَسْأَلُك بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَك سَمَّيْت بِهِ نَفْسَك أَوْ أَنْزَلْته فِي كِتَابِك أَوْ عَلَّمْته أَحَدًا مَنْ خَلْقِك أَوْ اسْتَأْثَرْت بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَك أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي إلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا». قَالُوا. يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهُنَّ؟ قَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»، فَقَدْ أَخْبَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً اسْتَأْثَرَ بِهَا فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ وَأَسْمَاءُ اللهِ مُتَضَمِّنَةٌ لِصِفَاتِهِ لَيْسَتْ أَسْمَاءَ أَعْلَامٍ مَحْضَةً بَلْ أَسْمَاؤُهُ تَعَالَىٰ: كَالْعَلِيمِ وَالْقَدِيرِ وَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ وَالرَّحِيمِ وَالْحَكِيمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ كُلُّ اسْمٍ يَدُلُّ عَلَىٰ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الِاسْمُ الْآخَرُ مِنْ مَعَانِي صِفَاتِهِ مَعَ اشْتِرَاكِهَا كُلِّهَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ ذَاتِهِ وَإِذَا كَانَ مِنْ أَسْمَائِهِ مَا اخْتَصَّ هُوَ بِمَعْرِفَتِهِ وَمِنْ أَسْمَائِهِ مَا خُصَّ بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ عُلِمَ أَنَّ تَفَاضُلَ النَّاسِ فِي مَعْرِفَتِهِ أَعْظَمُ مِنْ

تَفَاضُلِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ مَا يَعْرِفُونَهُ. وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ لَك أَنَّ مَنْ زَعَمَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ أَنَّهُمْ عَرَفُوا اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ لَهُ صِفَةٌ إلَّا عَرَفُوهَا وَأَنَّ مَا لَمْ يَعْرِفُوهُ وَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ دَلِيلٌ عَلَىٰ ثُبُوتِهِ كَانَ مَعْدُومًا مُنْتَفِيًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ قَوْمٌ غالطون مُخْطِئُونَ مُبْتَدِعُونَ ضَالُّونَ وَحُجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ دَاحِضَةٌ فَإِنَّ عَدَمَ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ وَالظَّنِّيِّ عَلَىٰ الشَّيْءِ دَلِيلٌ عَلَىٰ انْتِفَائِهِ إلَّا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ثُبُوتَهُ مُسْتَلْزِمٌ لِذَلِكَ الدَّلِيلِ.

مِثْلُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ لَوْ وُجِدَ لَتَوَفَّرَتْ الْهِمَمُ وَالدَّوَاعِي عَلَىٰ نَقْلِهِ فَيَكُونُ هَذَا لَازِمًا لِثُبُوتِهِ، فَيُسْتَدَلُّ بِانْتِفَاءِ اللَّازِمِ عَلَىٰ انْتِفَاءِ الْمَلْزُومِ؛ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْحِجَازِ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ مِثْلُ بَغْدَادَ وَمِصْرَ لَكَانَ النَّاسُ يَنْقُلُونَ خَبَرَهَا فَإِذَا نَقَلَ ذَلِكَ وَاحِدٌ وَاثْنَانِ وَثَلَاثَةٌ عُلِمَ كَذِبُهُمْ.

وَكَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ أَحَدٌ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ مُسَيْلِمَةَ والعنسي وطليحة وسجاح لَنَقَلَ النَّاسُ خَبَرَهُ كَمَا نَقَلُوا أَخْبَارَ هَؤُلَاءِ، وَلَوْ عَارَضَ الْقُرْآنَ مُعَارِضٌ أَتَىٰ بِمَا يَظُنُّ النَّاسُ أَنَّهُ مِثْلُ الْقُرْآنِ لَنُقِلَ كَمَا نُقِلَ قُرْآنُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، وَكَمَا نَقَلُوا الْفُصُولَ وَالْغَايَاتِ لِأَبِي الْعَلَاءِ المعري وَكَمَا نَقَلُوا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَالِ الْمُعَارِضِينَ، (وَلَوْ بِخُرَافَاتِ لَا يَظُنُّ عَاقِلٌ أَنَّهَا مِثْلُهُ فَكَانَ النَّقْلُ لِمَا تَظْهَرُ فِيهِ الْمُشَابَهَةُ وَالْمُمَاثَلَةُ أَقْوَىٰ فِي الْعَادَةِ وَالطِّبَاعِ فِي ذَلِكَ وَأَرْغَبُ - سَوَاءٌ كَانُوا مُحِبِّينَ أَوْ مُبْغِضِينَ - هَذَا أَمْرٌ جُبِلَ عَلَيْهِ بَنُو آدَمَ.

كَمَا يُعْلَمُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَوْ طَلَبَ الْخِلَافَةَ عَلَىٰ عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَقَاتَلَ عَلَيْهَا لَنَقَلَ ذَلِكَ النَّاسُ كَمَا نَقَلُوا مَا جَرَىٰ بَعْدَ هَؤُلَاءِ؛ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَمَرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ صَلَاتَهُمْ لَنَقَلُوا ذَلِكَ كَمَا نَقَلُوا أَمْرَهُ لِأَبِي بَكْرٍ وَصَلَاتَهُ بِالنَّاسِ، وَكَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ عَهِدَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ لَنَقَلُوا ذَلِكَ كَمَا نَقَلُوا مَا دُونَهُ؛ بَلْ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجْتَمِعُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَىٰ اسْتِمَاعِ دُفٍّ أَوْ كَفٍّ وَلَا عَلَىٰ رَقْصٍ وَزَمْرٍ؛ بَلْ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ يَجْتَمِعُ هُوَ وَهُمْ عَلَىٰ دُعَاءٍ وَرَفْعِ

أَيْدٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، إِذْ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَنَقَلُوهُ بَلْ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ فِي السَّفَرِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْعِشَاءَ أَرْبَعًا وَأَنَّهُ لَوْ صَلَّىٰ فِي السَّفَرِ أَرْبَعًا بَعْضَ الْأَوْقَاتِ لَنَقَلَ النَّاسُ ذَلِكَ كَمَا نَقَلُوا جَمْعَهُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ بَعْضَ الْأَوْقَاتِ.

بَلْ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُصَلِّي الْمَكْتُوبَاتِ وَحْدَهُ بَلْ إِنَّمَا كَانَ يُصَلِّيهِنَّ فِي الْجَمَاعَةِ؛ بَلْ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَحْمِلُونَ التُّرَابَ فِي السَّفَرِ لِلتَّيَمُّمِ وَلَا يُصَلُّونَ كُلَّ لَيْلَةٍ عَلَىٰ مَنْ يَمُوتُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَنْوُونَ الِاعْتِكَافَ كُلَّمَا دَخَلُوا مَسْجِدًا لِلصَّلَاةِ؛ بَلْ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ غَائِبٍ غَيْرَ النَّجَاشِيِّ؛ بَلْ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ دَائِمًا يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ أَوْ غَيْرِهَا بِقُنُوتٍ مَسْنُونٍ يَجْهَرُ بِهِ لَنَقَلَ النَّاسُ ذَلِكَ - كَمَا نَقَلُوا قُنُوتَهُ الْعَارِضَ الَّذِي دَعَا فِيهِ لِقَوْمٍ وَعَلَىٰ قَوْمٍ وَكَانَ نَقْلُهُمْ لِذَلِكَ أَوْكَدَ - وَكَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَمَّا صَلَّىٰ بِعَرَفَةَ وَمُزْدَلِفَةَ قَصْرًا وَجَمْعًا لَوْ أَمَرَ أَحَدًا خَلْفَهُ أَنْ يُتِمَّ صَلَاتَهُ أَوْ أَنْ لَا يَجْمَعَ مَعَهُ لَنَقَلَ النَّاسُ ذَلِكَ كَمَا نَقَلُوا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ.

وَكَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرِ الْحُيَّضَ فِي زَمَانِهِ الْمُبْتَدَآتِ بِالْحَيْضِ أَنْ يَغْتَسِلْنَ عِنْدَ انْقِضَاءِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَأَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ أَصْحَابَهُ أَنْ يَغْسِلُوا مَا يُصِيبُ أَبْدَانَهُمْ وَثِيَابَهُمْ مِنَ الْمَنِيِّ وَأَنَّهُ لَمْ يُوَقِّتْ لِلنَّاسِ لَفْظًا مُعَيَّنًا لَا فِي نِكَاحٍ وَلَا فِي بَيْعٍ وَلَا إِجَارَةٍ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ وَلَمَّا حَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ لَمْ يَعْتَمِرْ عَقِيبَ الْحَجِّ وَأَنَّهُ لَمَّا أَفَاضَ مِنْ مِنًى إِلَىٰ مَكَّةَ يَوْمَ النَّحْرِ مَا طَافَ وَسَعَىٰ أَوَّلًا ثُمَّ طَافَ ثَانِيًا إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ.

وَمَنْ تَتَبَّعَ كُتُبَ الصَّحِيحَيْنِ وَنَحْوَهَا مِنَ الْكُتُبِ الْمُعْتَمَدَةِ وَوَقَفَ عَلَىٰ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ قَفَا مِنْهَاجَهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَرْضِيِّينَ - قَدِيمًا وَحَدِيثًا - عَلِمَ صِحَّةَ مَا أَوْرَدْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ. وَ(الْمَقْصُودُ هُنَا): أَنَّ الْمَدْلُولَ إِذَا كَانَ وُجُودُهُ مُسْتَلْزِمًا لِوُجُودِ دَلِيلِهِ كَانَ انْتِفَاءُ دَلِيلِهِ دَلِيلًا عَلَىٰ انْتِفَائِهِ أَمَّا إِذَا أَمْكَنَ وُجُودُهُ وَأَمْكَنَ أَنْ لَا نَعْلَمَ نَحْنُ دَلِيلَ ثُبُوتِهِ لَمْ يَكُنْ عَدَمُ عِلْمِنَا بِدَلِيلِ وُجُودِهِ دَلِيلًا عَلَىٰ عَدَمِهِ، فَأَسْمَاءُ اللهِ وَصِفَاتِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا يَدُلُّنَا عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمًا لِانْتِفَائِهَا إِذْ

لَيْسَ فِي الشَّرْعِ وَلَا فِي الْعَقْلِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّا لَا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ كُلَّ مَا هُوَ ثَابِتٌ لَهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بَلْ قَدْ قَالَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَعْلَمُهُمْ بِاَللهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْك أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْت عَلَى نَفْسِك» وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ «فَأَخِرَّ سَاجِدًا فَأَحْمَدَ رَبِّي بِمَحَامِدَ يَفْتَحُهَا عَلَيَّ لَا أُحْصِيهَا الْآنَ»، فَإِذَا كَانَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ لَا يُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ وَلَا يَعْرِفُ الْآنَ مَحَامِدَهُ الَّتِي يَحْمَدُهُ بِهَا عِنْدَ السُّجُودِ لِلشَّفَاعَةِ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ غَيْرُهُ عَارِفًا بِجَمِيعِ مَحَامِدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَكُلُّ مَا لَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ فَإِنَّهُ دَاخِلٌ فِي مَحَامِدِهِ وَفِيمَا يُثْنِي عَلَيْهِ بِهِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَنْ كَانَ بِمَا لَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَعْلَمَ وَأَعْرَفَ كَانَ بِاَللهِ أَعْلَمَ وَأَعْرَفَ؛ بَلْ مَنْ كَانَ بِأَسْمَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ أَعْلَمَ كَانَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَ فَلَيْسَ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ كَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ رَسُولٌ، وَلَا مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ رَسُولٌ كَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ خَاتَمُ الرُّسُلِ، وَلَا مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ خَاتَمُ الرُّسُلِ كَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا مَنْ عَلِمَ ذَلِكَ كَمَنْ عَلِمَ مَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ الشَّفَاعَةِ وَالْحَوْضِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالْمِلَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَضَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ جَهِلَ شَيْئًا مِنْ خَصَائِصِهِ يَكُونُ كَافِرًا بَلْ كَثِيرٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَسْمَعْ بِكَثِيرِ مِنْ فَضَائِلِهِ وَخَصَائِصِهِ، فَكَذَلِكَ لَيْسَ كُلُّ مَنْ جَهِلَ بَعْضَ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ يَكُونُ كَافِرًا إذْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَسْمَعْ كَثِيرًا مِمَّا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ وَأَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ.

فَهَذِهِ الْوُجُوهُ وَنَحْوُهَا مِمَّا تُبَيِّنُ تَفَاضُلَ الْإِيمَانِ الَّذِي فِي الْقَلْبِ؛ وَأَمَّا تَفَاضُلُهُمْ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ فَلَا تَشْتَبِهُ عَلَىٰ أَحَدٍ وَاَللهُ أَعْلَمُ.

شبهه والرد عليها:

ربما ظن البعض إلي أن الإمام البخاري يرىٰ الحصر بسبب تبويبه رَحِمَهُ اللَّهُ فقال:

(بَاب إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا).

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٣٩٢): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ أَحْصَيْنَاهُ حَفِظْنَاهُ».

وهذا الفهم يرد عليه من وجوه:

أحدها: تبويب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على لفظ الحديث في بعض الأحيان نذكر بعضها.

١- (بَاب مُقَلِّبِ الْقُلُوب):

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْلِفُ: «لَا. وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ». (٧٣٩١).

٢- (بَاب الأَلَدِّ الْخَصِمِ):

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ». (٧١٨٨)

٣- (بَاب مَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ):

عَنْ طَرِيفٍ أَبِي تَمِيمَةَ قَالَ: شَهِدْتُ صَفْوَانَ وَجُنْدَبًا وَأَصْحَابَهُ، وَهُوَ يُوصِيهِمْ فَقَالُوا: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: وَمَنْ يُشَاقِقْ يَشْقُقْ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٧١٥٢)

٤- (بَاب إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا):

عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ، مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ». (٧١٠٨).

٥- (بَاب تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي وَالْمَاشِي، فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ». (٧٠٨١).

٦- (بَاب إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا):

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَكِلَاهُمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ قِيلَ فَهَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ: إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ». (٧٠٨٣).

٧- (بَاب الْمَعْدِنُ جُبَارٌ وَالْبِئْرُ جُبَارٌ):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْعَجْمَاءُ جَرْحُهَا جُبَارٌ وَالْبِئْرُ جُبَارٌ وَالْمَعْدِنُ جُبَارٌ وَفِي الرِّكَازِ الْخُمُسُ (٦٩١٢).

٨- (بَاب مَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ):

عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ قَتَلَتْ خُزَاعَةُ رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ بِقَتِيلٍ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلَا وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، أَلَا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ لَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلَا يَلْتَقِطُ سَاقِطَتَهَا، إِلَّا مُنْشِدٌ وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا يُودَى وَإِمَّا يُقَادُ». (٦٨٨٠).

٩- (بَاب الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». (٣١٥٨).

١٠- (بَاب لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ):

عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧٠٦٨).

الثاني: لم ينص أحد من شراح البخاري علىٰ هذا القول، ومنهم الحافظ بن حجر مع معرفته بالمراد من تبويب البخاري؛ لأنه قد سبر الكتاب سبرًا عجيبًا حتىٰ قال الشوكاني عند أن طلب منه شرح البخاري: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ».

الثالث: لو كان قول البخاري الحصر لتناقله العلماء وخصوصًا من اهتم بهذه المسائلة، مثل ابن تيمية، وابن القيم، والخطابي وغيرهم، وهذا ابن تيمية مع غزارة علمه، وسعة اطلاعه، يقول: لم يخالف في هذا إلا مجموعة من المتأخرين منهم ابن حزم.

الخاتمة

أشكر الله عَزَّوَجَلَّ أولًا وآخرًا، وظاهرًا، وباطنًا، علىٰ ما أنعم عليَّ من نعم ظاهرة، وباطنة، وأجلها، نعمة الإسلام، والسنة، والعلم النافع ثم أشكر لشيخنا الهمام وعالمنا الإمام: (أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ) علىٰ تعليمه لنا للسنة، والعلم النافع.

ثم أشكر لخليفته: (أبي عبد الرحمن الناصح الأمين يحيىٰ بن علي الحجوري)، علىٰ ما يقوم به، من جهود في العلم والتعليم، والدعوة والتوجيهات السديدة، والحسنة، نسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

وأشكر الوالد العزيز: (يحيىٰ بن زيد) ختم الله له بالحسنىٰ، علىٰ حسن التربية، وما يقوم به من التشجيع علىٰ طلب العلم النافع، وأشكر كل من ساهم معي بمشورة، أو فائدة، من الطلبة الكرام.

وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل هذا المبحث خالصًا لوجهه الكريم، وأن يسددنا لقول الحق والصواب، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٥/صفر/١٤٢٦هـ دار الحديث دماج

مسألة تحديث العوام بأدلة الأسماء والصفات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ العلامة : يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تركنا علىٰ مثل البيضاء في كل صغير من أمورنا وكبير.

أما بعد:

فقد تصفحت هذا المبحث المختصر في رسالة تحديث العوام بآيات وأحاديث الصفات لأخينا الشيخ عبد الحميد الحجوري حفظه الله فرأيته جمع فيها من الأدلة والأقوال جمعًا طيبًا، وقد وفِقّ في ذلك؛ لأن عوام الناس ممن يشملهم قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل:٧٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ [العلق:٥]، ومن أجل ما يجب علىٰ المسلم تعلمه توحيد الله عَزَّوَجَلَّ الشامل لأسمائه وصفاته، ومن هذين الدليلين يعلم أنه ما من عبد تعلم إلا وكان قبل ذلك لا يعلم ذلك العلم، فعدم ذكر أدلة الصفات لعوام الناس يجعلهم لا يفهمون العقيدة الصحيحة بأدلتها وينقبضون من سماعها ـ وهذا دفع بهم إلىٰ التشبه بضُلال المعطلة وكتمان علم يجب بيانه، وقد لعن الله عَزَّوَجَلَّ كاتم العلم بعد ما بينه في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾[البقرة:١٥٩]، الآية، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا

﴿يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران:١٨٧]، فذمهم الله علىٰ عدم بيان الكتاب للناس والكتاب المذكور وسائر كتب الله المنزلة هي كلام الله عَزَّوَجَلَّ من صفاته العظيمة. وأمرنا بتدبر القرآن فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[محمد:٢٤]، وهذا شامل لكل من سمعه ممن مده الله سمع وبصر وفؤاد فيستفيد منها في فهم دين الله قال تعالىٰ عن المشركين: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾ [الأحقاف:٢٦]، الآية.

ومن الأدلة ما يصعب حصره في جواز تحديث سائر المسلمين بأدلة الأسماء والصفات وبيانها لهم بيانا صحيحًا علىٰ فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

أما الإشارة حال التحديث بصفات الله إلىٰ بعض ما مسماه أبعاض لنا فقد صح عند أبي داود وعند ابن خزيمة في التوحيد من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه: "قرأ قول الله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء:٥٨]، ووضع إبهامه علىٰ أذنه وأصبعه التي تليها علىٰ عينه وقال هكذا رأيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرؤها ويضع أصبعه قال أبو داود: وهذا رد علىٰ الجهمية.

وفي هذه الرسالة فصل في الإشارة وذكر حديث أنس: "الصحيح ذكر إشارة ثابت البناني فقال له حميد: ما تريد من هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد؟ وما أنت يا حميد؟ يحدثني به أنس عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم تقول أنت ماذا تريد إليه!".

وفي الباب غير ذلك من الأدلة و الآثار القاضية بجواز ذلك عند من يعَلمْ أو يُعلم: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورىٰ:١١].

* **تنبيه:**

أطلت في المقدمة لهذه الرسالة المختصرة حسب طلب أخينا الشيخ عبد الحميد الحجوري أثابه الله لمقدمة تتضمن فتوىٰ بما نراه في المسألة، وبالله التوفيق.

كتبه:

يحيى بن علي الحجوري

حرر في: ٢٤/جماد الأول/١٤٣١هـ

مقدمة المؤلف

الحمد لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن الله عَزَّ وَجَلَّ خلقنا لطاعته وعبادته حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات:٥٦]

ولمَّا حصل من الناس المخالفة لهذا الأصل العظيم أرسل الرسل، وأنزل الكتب لدعوة الناس للعودة إلىٰ هذا الطريق العظيم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦]

وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٢٥﴾[الحديد:٢٥]، إلىٰ غير ذلك من الأدلة القويمة الواضحة البينة، فدعوة الرسل صلوات الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم أجمعين دعوة إلىٰ العلم والعمل، دعوة إلىٰ البر والتقوىٰ، دعوة إلىٰ التوحيد والسنة، دعوة إلىٰ الانقياد والطاعة دعوة إلىٰ كل بر وفضيلة وتحذير من كل شرٍ ورذيلة.

وأخذ الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم الميثاق في البلاغ، وإن أدركوا محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاتباع.

قال الله تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة:٦٧].

وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[آل عمران:٨١].

فمن أخذ سبيلهم واقتفىٰ أثرهم وسلك جادتهم، واعتقد عقيدتهم، وجعل من منهجهم نبراسًا ودليلًا وصل إلىٰ المطلوب من مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ، وجنات الخلود: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾[البقرة:١٣٧]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[يوسف:١١١]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام:٩٠].

وهم في التوحيد والعقائد متفقون، وإن اختفت شرائعهم صلوات ربي عليهم، فكلهم يدعون إلىٰ الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وكلهم يدعون إلىٰ الإيمان،﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[البقرة:١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة:٤٨].

فكان لا سبيل -لأي أمة- إلىٰ معرفة الله عَزَّوَجَلَّ ومعرفة الدين إلا بالأخذ لطريقهم وتلقي علومهم.

وكان من نعمة الله البالغة وحجته الدامغة أن ختمهم بسيد الأنبياء، وإمام الأتقياء، وأعلم الناس بربه محمد ص، فبلغ البلاغ المبين، وبين ووضح الصراط المستقيم، وما قبضه الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ أتم به الدين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ [المائدة:٣]، فما من خيرٍ إلا ودلنا عليه، ففي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم: «ما بعث الله من نبي في أملة قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم».

فعلينا إن أردنا السلامة في الدين، ومرضاة رب العالمين أن نكون على طريقه سائرين: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:٥٤]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

وعن العرباض بن سارية: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور»، أخرجه الترمذي وغيره.

ومع ذلك فإننا نلاحظ أن كثيرًا من أهل الملة قد تنكبوا عن طريقته والأخذ بسنته إلى طرق مبتدعة، ومهاوي ضلالة فاستحقوا العذاب الأليم: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى؟» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»، أخرجه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: «فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»، فمن أراد مرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ وقبول عمله فليلزم الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ في الأقوال والأعمال والمعتقدات، فإن الله أمر بذلك فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، وليلزم هدى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقال الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

مع الأخذ بطريقة السلف رضوان الله عليهم في العلم والفهم والعمل قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وعلىٰ كل حال، اللهم اغفر لي ولوالديَّ ولمشايخي وللمسلمين.

كتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

الأحد ٢/ربيع أول/١٤٣١هـ

وكانت المراجعة الأخيرة: ١٤٣١/٥/٢٤هـ

بعد عصر يوم السبت مسجد دار الحديث بدماج اليمن صعدة

الفصل الأول: أهمية العلم النافع

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩].

وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر:١٩-٢١].

فالعالم مبصر والعلم نور، والعلم ظل ونعيم، والجهل عمىً وظلمات وحر، نسأل الله العلم النافع والعمل الصالح، وقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣].

فالعلم النافع أهميته للمسلم أعظم من أهمية الزاد والشراب واللباس والسكن؛ لأن العلم النافع حياة القلوب، وصلاح الدنيا والدين، ورحم الله الزهري إذ يقول: "أدركت كثيرًا من علمائنا يقولون: التمسك بالسنة نجاة والعلم يقبض قبضًا سريعًا وبانتعاش العلم انتعاش الدنيا والدين" أخرجه الدارمي في مقدمة سننه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

إن السعادات التي تؤثرها النفوس ثلاث سعادات:

السعادة الأولىٰ: سعادة خارجية عن ذات الإنسان، بل هي مستعارة له من غيره، تزول باسترداد العارية، وهي سعادة المال والجاه وتوابعها، فبينا المرءُ بها سعيدًا ملحوظًا بالعناية مرموقًا بالأبصار إذ أصبح في اليوم الواحد أذل من وتدٍ بقاع يشج رأسه بالفهرواجي فالسعادة بهذا كفرح الأقرع بجمة ابن عمه.

السعادة الثانية: سعادة في جسمه وبدنه كصحته واعتدال مزاجه، وتناسب أعضائه وحسن تركيبه وصفاء لونه وقوة أعضائه، فهذه ألصق به من الأولىٰ، ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته، وحقيقته فإن الإنسان إنسانٌ بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه.

السعادة الثالثة: هي السعادة الحقيقية وهي سعادة نفسانية روحية قلبية، وهي سعادة العلم النافع ثمرته، فإنها هي الباقية علىٰ تقلب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره ودوره الثلاثة –أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار– وبها يرتقي في معارج الفضل ودرجات الكمال. اهـ

واعلم أن أهمية العلم عظيمة، فلا يمكن للمكلف أن يكون علىٰ مراد الله عَزَّوَجَلَّ الشرعي إلا بالعلم والعمل، ودين الله الذي بعث به محمدًا صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو العلم النافع علم الكتاب والسنة، قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة:٣٣].

فالله عَزَّوَجَلَّ بعث محمدًا صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالعلم الذي هو الهدي والدعوة إلىٰ العمل الصالح والعمل به.

فهذان الأصلان العظيمان إن وجدت في دعوة حصل لها الظهور والنصر المبين.

ولهذا إذا ارتفع العلم ارتفع الدين وقامت الساعة، وفي حديث ابن عمرو: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»، أخرجاه في الصحيحين.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ كما في «فضل العلم والعلماء» (ص ٣٦): إن حاجة العباد إلىٰ العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلىٰ الغذاء؛ لأن الجسم يحتاج إلىٰ الغذاء في اليوم مرة أو مرتين، وحاجة الإنسان إلىٰ العلم بعدد الأنفاس؛ لأن كل نفس من أنفاسه فهو محتاج فيه إلىٰ أن يكون مصاحبًا لإيمان أو حكمة، فإن فارقه الإيمان أو

الحكمة في نفس من أنفاسه فقد عطب وقرب هلاكه، وليس إلىٰ ذلك سبيل إلا بالعلم، فالحاجة إليه فوق الحاجة إلىٰ الطعام والشراب. اهـ

أهم العلوم الشرعية

أهم العلوم الشرعية هو علم التوحيد، فإن شرف العلم بشرف المعلوم، وعلم العباد بربهم هو الغاية.

قال شيخ في الأصفهانية(١٠٨): وهذا بخلاف العلم الأعلىٰ عند المسلمين فانه العلم بالله الذي هو في نفسه أعلىٰ من غيره من كل وجه والعلم به أعلىٰ العلوم من كل وجه والعلم به أصل لكل علم وهم يسلمون أن العلم به إذا حصل علىٰ الوجه التام يستلزم العلم بكل موجود.اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «فضل العلم والعلماء» (ص ٣٤): "أخبر سبحانه أنه خلق الخلق ووضع بيته الحرام والشهر الحرام والهدي والقلائد ليعلم عباده أنه بكل شيء عليم، وعلىٰ كل شيء قدير، فقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢﴾ [الطلاق:١٢]، فدلَّ علىٰ أن عِلمَ العباد بربهم وصفاته وعبادته هو الغاية المطلوبة من الخلق والأمر". اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٣٨): ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلىٰ سائر العلوم كنسبة معلومة إلىٰ سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلِّها...

فالعلم بذاته سبحانه وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه، فهو في ذاته ربُّ كل شيءٍ ومليكه، والعلم به أصل كلِّ علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهم لما سواه أجهل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر:١٩] اهـ.

ولذلك عرف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلم في الأصول الثلاثة بأنه معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

التحذير من كتم العلم

كتم العلم صفة يهودية ونصرانية، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران:١٨٧].

وفي الحديث: «من سُئل عن علم فكتمه أُلجِمَ يوم القيامة بلجام من نار»، رواه أبو داود (٣٦٥٨) وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد حث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورغب علىٰ بث العلم فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «نضر الله امرئ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرُبَّ مبلغ أوعى من سامع» أخرجه الترمذي (٢٦٥٩).

فلا يجوز كتم العلم إذا سئلت عنه سواءً في باب الصفات أو غيره من الأبواب.

ولا يجوز كذلك تأخير البيان عن وقت الحاجة، فإذا رأيت أناسًا يجهلون ربهم عَزَّوَجَلَّ أو يؤولون صفاته أو غير ذلك من الأبواب فتعليمهم متعين وواجب: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر:٩٤].

وفي السنن: عَنْ عَبَّادِ بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ: أَصَابَتْنِي سَنَةٌ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَفَرَكْتُ سُنْبُلًا فَأَكَلْتُ وَحَمَلْتُ فِي ثَوْبِي فَجَاءَ صَاحِبُهُ فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ لَهُ: «مَا عَلَّمْتَ إِذْ كَانَ جَاهِلًا وَلَا أَطْعَمْتَ إِذْ كَانَ جَائِعًا»، أَوْ قَالَ: «سَاغِبًا»، وَأَمَرَهُ فَرَدَّ عَلَيَّ ثَوْبِي وَأَعْطَانِي وَسْقًا أَوْ نِصْفَ وَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ.

كيفية معرفة الله عز وجل

يُعرف الله عَزَّوَجَلَّ بالنظر في آياته الكونية وآياته الشرعية.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «شرح الأصول الثلاثة» (ص ١٩): "ويتعرف العبد علىٰ ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلكم المخلوقات ازداد علمًا بخالقه ومعبوده، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات:٢٠-٢١]".

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ الإنسان أن يعرفها؟ فقل: معرفة العبد ربه". اهـ

فيجب علىٰ جميع المكلفين أن يعرفوا ربهم وخالقهم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ حتىٰ يلتزموا شرعه ويعبدوه ولا يكفروه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في طريق الهجرتين(٣٠٦): وهذا القرآن المجيد عمدته ومقصوده الإخبار عن صفات الرب سبحانه وأسمائه وأفعاله، وأنواع حمده والثناء عليه والإنباء عن عظمته وعزته وحكمته وأنواع صنعه، والتقدم إلىٰ عباده بأمره ونهيه، علىٰ ألسنة رسله، وتصديقه يفهم بما أقامه من الشواهد والدلالات علىٰ صدقهم، وبراهين ذلك، ودلائله وتبيين مراده من ذلك كله، وكان من تمام ذلك الإخبار عن الكافرين والمكذبين، وذكر ما أجابوا به رسلهم وقابلوا به رسالات ربهم، ووصف كفرهم وعنادهم وكيف كذبوا علىٰ الله وكذبوا رسله وردوا أمره ومصالحه، فكان في اجتلاب ذلك من العلوم والمعارف والبيان وضوح شواهد الحق وقيام أدلته وتنوعها، وكان موقع هذا من خلقه موقع تسبيحه تعالىٰ وتنزيهه من الثناء عليه، وأن أسماءه الحسنىٰ وصفاته العليا هي موضع الحمد، ومن تمام حمده تسبيحه وتنزيهه

عما وصفه به أعداؤه والجاهلون به مما لا يليق به وكان في تنوع تنزيهه عن ذلك من العلوم والمعارف، وتقرير صفات الكمال وتكميل أنواع الحمد ما في بيان محاسن الشيء وكماله عند معرفة ما يضاده ويخالفه؛ ولهذا كان تسبيحه تعالىٰ من تمام حمده وحمده من تمام تسبيحه، ولهذا كان التسبيح والتحميد قربتين وكان ما نسبه إليه أعداؤه والمعطلون لصفات كماله من علوه علىٰ خلقه وإنزاله كلامه الذي تكلم به علىٰ رسله وغير ذلك مما نزه عنه نفسه وسبح به نفسه، وكان في ذلك ظهور حمده بخلقه بل وتنوع أسبابه وكثرة شواهده وسعة طرق الثناء عليه به وتقرير عظمته ومعرفته في قلوب عباده، فلولا معرفة الأسباب التي يسبح وينزه ويتعالىٰ عنها وخلق من يضيفها إليه ويصفه بها لما قامت حقيقة التسبيح ولا ظهر لقلوب أهل الإيمان عن أي شيء يسبحونه وعن ماذا ينزهونه، فلما رأوا في خلقه من قد نسبه إليه أعداؤه والمعطلون لصفاته ونظير هذا اشتمال كلمة الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله علىٰ النفي والإثبات، فكان في الإتيان بالنفي في صدر هذه الكلمة من تقرير الإثبات وتحقيق معنىٰ الإلهية وتجريد التوحيد الذي يقصد بنفي الإلهية عن كل ما ادعيت فيه سوىٰ الإله الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فتجريد هذا التوحيد من العقد واللسان بتصور إثبات الإلهية لغير الله كما قاله أعداؤه المشركون ونفيه وإبطاله من القلب واللسان من تمام التوحيد وكماله وتقريره وظهور أعلامه ووضوح شواهده وصدق براهينه، ونظير ذلك أيضًا أن تكذيب أعداء الرسل وردهم ما جاؤوهم به كان من الأسباب الموجبة ظهور براهين صدق الرسل ودفع ما احتج به أعداؤهم عليهم من الشبه الداحضة ودحض حججهم الباطلة وتقرير طرق الرسالة وإيضاح أدلتها فإن الباطل كلما ظهر فساده وبطلانه أسفر وجه الحق واستنارت معالمه ووضحت سبله وتقررت براهينه، فكسر الباطل ودحض حججه وإقامة الدليل علىٰ بطلانه من أدلة الحق وبراهينه، فتأمل كيف اقتضىٰ الحق وجود الباطل؟ وكيف تم ظهور الحق بوجود

الباطل؟ وكيف كان كفر أعداء الرسل بهم وتكذيبهم لهم ودفعهم ما جاؤوا به وهو من تمام صدق الرسل وثبوت رسالات الله وقيام حججه علىٰ العباد؛ ولنضرب مثالًا يتبين به وهو ملك له عبد قد توحد في العالم بالشجاعة والبسالة والناس بين مصدق ومكذب، فمن قائل هو كذلك ومن قائل هو بخلاف ما يظن به، فإنه لم يقابل الشجعان ولا واجه الأقران ولو بارز الأقران، وقابل الشجعان لظهر أمره وانكشف حاله فسمع به شجعان العالم وأبطالهم فقصدوه من كل صوب وأتوه من كل قطر فأراد الملك أن يظهر لرعيته ما هو عليه من الشجاعة فمكن أولئك الشجعان من منازلته ومقاومته وقال: دونكم وإياه وشأنكم به، فهل تسليط الملك لأولئك علىٰ عبده ومملوكه إلا لإعلاء شأنه وإظهار شجاعته في العالم وتخويف أعدائه به، وقضاء الملك أوطاره به كما يترتب علىٰ هذا إظهار شجاعة عبده وقوته وحصول مقصوده بذلك، فكذلك يترتب عليه ظهور كذب من ادعىٰ مقاومته وظهور عجزهم وفضيحتهم وخزيهم وأنهم ليسوا ممن يصلح لمهمات الملك وحوائجه، فإذا عدل بهم عن مهماته وولايته وعدل بها عنهم كان ذلك مقتضىٰ حكمة الملك وحسن تصرفه في ملكه وأنه لو استعملهم في تلك المهمات لتشوش أمر المملكة وحصل الخلل والفساد والله أعلم بالشاكرين والمقصود أن خلق الأسباب المضادة للحق وإظهارها في مقابلة الحق من أبين دلالاته وشواهده، فكان في خلقها من الحكمة ما لو فاتت لفاتت تلك الحكمة وهي أحب إلىٰ الله من تفويتها بتقدير تفويت هذه الأسباب والله أعلم. انتهىٰ

أهمية الفقه بباب الأسماء والصفات

قال ابن القيم في التبيان في أقسام القرآن - (١ / ١٤٤):

وإذا حصل للعبد الفقه في الأسماء والصفات انتفع به في باب معرفة الحق والباطل من الأقوال والطرائق والمذاهب والعقائد - أعظم انتفاع وأتمه، وقد بينا في كتابنا المعالم بطلان التحيل وغيره من الحيل الربوبية من أسماء الرب وصفاته، وأنه يستحيل علىٰ الحكيم أن يحرم الشيء ويتوعد علىٰ فعله بأعظم أنواع العقوبات، ثم يبيح التوصل إليه بنفسه بأنواع التحيلات، فأين ذلك الوعد الشديد، وجواز التوصل إليه بالطريق البعيد، إذ ليست حكمة الرب تعالىٰ وكمال علمه وأسمائه وصفاته تنتقض بإحالة ذلك وامتناعه عليه، فهذا استدلال بالفقه الأكبر في الأسماء والصفات علىٰ الفقه العملي في باب الأمر والنهي، وهذا باب حرام علىٰ الجهمي المعطل أن يلجه إلىٰ الجنة حرام عليه ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين ألف سنة، والله العزيز الوهاب لا مانع لما أعطىٰ ولا معطىٰ لما منع وبه التوفيق وحياة العالم ومدار السعادة وقائد الفلاح وطريق النجاة وسبيل الرشاد ونور البصائر، فكيف تطلب المداهنة بما هذا شأنه ولم ينزل للمداهنة؟ وإنما أنزل بالحق وللحق والمداهنة إنما تكون في باطل قوي لا يمكن إزالته أو في حق ضعيف لا يمكن إقامته فيحتاج المداهن إلىٰ أن يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل فأما الحق الذي قام به كل حق فكيف يدهن به؟

ثم قال سبحانه: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ [الواقعة:٨٢]، لما كان قوام كل واحد من البدن، والقلب، إنما هو بالرزق، فرزق البدن الطعام والشراب، ورزق القلب الإيمان والمعرفة بربه وفاطره ومحبته والشوق إليه والأنس بقربه والابتهاج بذكره، وكان لا حياة له إلا بذلك كما أن البدن لا حياة له إلا بالطعام والشراب -

أنعم سبحانه علىٰ عبادة بهاذين النوعين من الرزق، وجعل قيام أبدانهم وقلوبهم بهما ثم فآوت سبحانه بينهم في قسمة هذين الرزقين بحسب ما اقتضاه علمه وحكمته: فمنعم من وفر حظه من الرزقين ووسع عليه فيهما ومنهم من قتر عليه في الرزقين، ومنهم: من وسع عليه رزق البدن وقتر عليه رزق القلب وبالعكس، وهذا الرزق إنما يتم ويكمل بالشكر، والشكر مادة زيادته وسبب حفظه وبقائه، وترك الشكر سبب زواله وانقطاعه عن العبد فإن الله تعالىٰ تأذن أنه لابد أن يزيد الشكور من نعمه، ولابد أن يسلبها من لم يشكرها فلما وضعوا الكفر والتكذيب موضع الشكر والإيمان جعلوا رزقهم نفسه تكذيبًا فإن التصديق، والشكر لما كانا سبب زيادة الرزق وهما رزق القلب حقيقة، فهؤلاء جعلوا مكان هذا الرزق التكذيب والكفر فجعلوا رزقهم التكذيب وهذا المعنىٰ هو الذي حام حوله من قال: التقدير: **(وتجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون)**، وقال آخرون: التقدير: **(وتجعلون بدل شكر رزقكم أنكم تكذبون)**، فحذف مضافين معًا، وهؤلاء أطالوا اللفظ وقصروا بالمعنىٰ، ومن بعض معنىٰ الآية قوله: «**مطرنا بنوء كذا وكذا**»، فهذا لا يصح أن تدل عليه الآية ويراد بها، وإلا فمعناها أوسع منه وأعم وأعلىٰ والله أعلم. انتهىٰ

محبة الله تعالى للمدح

قال ابن القيم في مدارج السالكين - (١ / ٤١٧):

وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ الْمَشَاهِدِ، وَهُوَ أَعْلَىٰ مِمَّا قَبْلَهُ وَأَوْسَعُ.

وَالْمَطْلَعُ عَلَىٰ هَذَا الْمَشْهَدِ: مَعْرِفَةُ تَعَلُّقِ الْوُجُودِ خَلْقًا وَأَمْرًا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ الْعُلَا، وَارْتِبَاطِهِ بِهَا، وَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ بِمَا فِيهِ مِنْ بَعْضِ آثَارِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا.

وَهَذَا مِنْ أَجَلِّ الْمَعَارِفِ وَأَشْرَفِهَا، وَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ لَهُ صِفَةٌ خَاصَّةٌ، فَإِنَّ أَسْمَاءَهُ أَوْصَافُ مَدْحٍ وَكَمَالٍ، وَكُلُّ صِفَةٍ لَهَا مُقْتَضًى وَفِعْلٌ إِمَّا لَازِمٌ، وَإِمَّا مُتَعَدٍّ، وَلِذَلِكَ الْفِعْلِ تَعَلُّقٌ بِمَفْعُولٍ هُوَ مِنْ لَوَازِمِهِ، وَهَذَا فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ، كُلُّ ذَلِكَ آثَارُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَمُوجِبَاتُهَا.

وَمِنَ الْمُحَالِ تَعْطِيلُ أَسْمَائِهِ عَنْ أَوْصَافِهَا وَمَعَانِيهَا، وَتَعْطِيلُ الْأَوْصَافِ عَمَّا تَقْتَضِيهِ وَتَسْتَدْعِيهِ مِنَ الْأَفْعَالِ، وَتَعْطِيلُ الْأَفْعَالِ عَنِ الْمَفْعُولَاتِ، كَمَا أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ تَعْطِيلُ مَفْعُولِهِ عَنْ أَفْعَالِهِ وَأَفْعَالِهِ عَنْ صِفَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ عَنْ أَسْمَائِهِ، وَتَعْطِيلُ أَسْمَائِهِ وَأَوْصَافِهِ عَنْ ذَاتِهِ.

وَإِذَا كَانَتْ أَوْصَافُهُ صِفَاتِ كَمَالٍ، وَأَفْعَالُهُ حِكَمًا وَمَصَالِحَ، وَأَسْمَاؤُهُ حُسْنَىٰ فَفَرْضُ تَعْطِيلِهَا عَنْ مُوجَبَاتِهَا مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّهِ، وَلِهَذَا يُنْكِرُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ مَنْ عَطَّلَهُ عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ نَسَبَهُ إِلَىٰ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ وَإِلَىٰ مَا يَتَنَزَّهُ عَنْهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ حُكْمٌ سَيِّئٌ مِمَّنْ حَكَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ مَنْ نَسَبَهُ إِلَىٰ ذَلِكَ فَمَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَا عَظَّمَهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ مُنْكِرِي النُّبُوَّةِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٩١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ مُنْكِرِي الْمَعَادِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، وَقَالَ فِي

حَقِّ مَنْ جَوَّزَ عَلَيْهِ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْمُخْتَلِفَيْنِ، كَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية:٢١]، فَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا حُكْمٌ سَيِّئٌ لَا يَلِيقُ بِهِ، تَأْبَاهُ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦]، عَنْ هَذَا الظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ، الَّذِي تَأْبَاهُ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ.

وَنَظَائِرُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ، يَنْفِي فِيهَا عَنْ نَفْسِهِ خِلَافَ مُوجَبِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ إِذْ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ تَعْطِيلَهَا عَنْ كَمَالِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا.

فَاسْمُهُ الْحَمِيدُ، الْمَجِيدُ يَمْنَعُ تَرْكَ الْإِنْسَانِ سُدًى مُهْمَلًا مُعَطَّلًا، لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَىٰ، وَلَا يُثَابُ وَلَا يُعَاقَبُ، وَكَذَلِكَ اسْمُهُ الْحَكِيمُ يَأْبَىٰ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ اسْمُهُ الْمَلِكُ وَاسْمُهُ الْحَيُّ يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مُعَطَّلًا مِنَ الْفِعْلِ، بَلْ حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ الْفِعْلُ، فَكُلُّ حَيٍّ فَعَّالٌ، وَكَوْنُهُ سُبْحَانَهُ خَالِقًا قَيُّومًا مِنْ مُوجَبَاتِ حَيَاتِهِ وَمُقْتَضَيَاتِهَا، وَاسْمُهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ يُوجِبُ مَسْمُوعًا وَمَرْئِيًّا، وَاسْمُهُ الْخَالِقُ يَقْتَضِي مَخْلُوقًا، وَكَذَلِكَ الرَّازِقُ، وَاسْمُهُ الْمَلِكُ يَقْتَضِي مَمْلَكَةً وَتَصَرُّفًا وَتَدْبِيرًا، وَإِعْطَاءً وَمَنْعًا، وَإِحْسَانًا وَعَدْلًا، وَثَوَابًا وَعِقَابًا، وَاسْمُ الْبَرِّ وَالْمُحْسِنِ، الْمُعْطِي الْمَنَّانِ وَنَحْوِهَا تَقْتَضِي آثَارَهَا وَمُوجَبَاتِهَا. انتهىٰ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طريق الهجرتين(١/ ٢٧٤): ويحب أسماءه وصفات ويحب المتعبدين له بها ويحب من يسأله ويدعوه بها ويحب من يعرفها ويعقلها ويثنىٰ عليه بها ويحمده ويمدحه بها.

كما في الصحيح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، ولا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ

وَمُنْذِرِينَ»، وفي حديث آخر صحيح: «لا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذَى سَمْعِهِ مِنَ اللهِ، يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ»، ولمحبته لأسمائه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالعدل والإحسان والبر والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكر والحلم والأناة والتثبت ولما كان سبحانه يحب أسماءَه وصفاته كان أَحب الخلق إِليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأَبغضهم إِليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإِنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت؛ لأَن اتصافه بها ظلم، إِذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه، لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحدَّه، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإِحسان والصبر والشكر فإِنها لا تنافي العبودية، بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته، إِذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره ولم يخرج بها من دائرة العبودية، والمقصود أَنه سبحانه لكمال أَسمائه وصفاته موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، له كل ثناءٍ حسن ولا يصدر عنه إِلا كل فعلٍ جميل، ولا يسمىٰ إِلا بأَحسن الأَسماءِ ولا يثنىٰ عليه إِلا بأَكمل الثناءِ وهو المحمود المحبوب المعظم ذو الجلال والإِكرام علىٰ كل ما قدره وخلقه، وعلىٰ كل ما أَمر به وشرعه.

ومن كان له نصيب من معرفة أَسمائه الحسنىٰ واستقر آثارها في الخلق والأَمر، رأىٰ الخلق والأَمر منتظمين بها أَكمل انتظام، ورأىٰ سريان آثارها فيهما وعلم -بحسب معرفته بها ما يليق بكماله وجلاله أَن يفعله وما لا يليق، فاستدل بأَسمائه علىٰ ما يفعله وما لا يفعله فإِنه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته، وكذلك يعلم ما يليق به أَن يأمر به ويشرعه مما لا يليق به، فيعلم أَنه لا يأْمر بخلاف موجب حمده وحكمته. فإِذا رأىٰ بعض الأَحكام جورًا وظلمًا أَو سفهًا وعبثًا ومفسدة أَو ما لا يوجب حمدًا وثناءً، فليعلم أنه ليس من أَحكامه ولا دينه، وأَنه بريء منه ورسوله،

فإنه إنما أمر بالعدل لا بالظلم وبالمصلحة لا بالمفسدة وبالحكمة لا بالعبث والسفه، وإنما بعث رسوله بالحنيفية السمحة لا بالغلظة والشدة، وبعثه بالرحمة لا بالقسوة، فإنه أرحم الراحمين، ورسوله رحمة مهداة إلىٰ العالمين، ودينه كله رحمة، وهو نبىٰ الرحمة وأُمته الأُمة المرحومة وذلك كله موجب أسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا وأفعاله الحميدة، فلا يخبر عنه إلا بحمده ولا يثنىٰ عليه إلا بأحسن الثناءِ كما لا يسمىٰ إلا بأحسن الأسماءِ.انتهىٰ

معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته

قال شيخ الإسلام كما في المجموع (١٧/١٠٥):

قَوْلُ الْقَائِلِ مَعْرِفَةُ ذَاتِهِ وَمَعْرِفَةُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَعْرِفَةُ أَفْعَالِهِ إنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ ذَاتَه تُعْرَفُ بِدُونِ مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الثُّبُوتِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ فَهَذَا مُمْتَنِعٌ وَلَوْ قَدَّرَ إمْكَانَ ذَلِكَ أَوْ فَرَضَ الْعَبْدُ فِي نَفْسِهِ ذَاتًا مُجَرَّدَةً عَنْ جَمِيعِ الْقُيُودِ السَّلْبِيَّةِ وَالثُّبُوتِيَّةِ فَلَيْسَ ذَاكَ مَعْرِفَتُهُ بِاَللهِ أَلْبَتَّةَ وَلَا هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. اهـ

قال الشيخ صالح آل الشيخ في التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٣٤-٤٣٧):

كذلك توحيد الأسماء والصفات برهان علىٰ توحيد الإلهية، ومن حصل عنده ضلال في توحيد الأسماء والصفات فإن ذلك سيتبعه ضلال في توحيد الإلهية؛ ولهذا تجد المبتدعة الذين ألحدوا في أسماء الله وفي صفاته من هذه الأمة: من الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، والأشاعرة، والماتريدية، ونحو هؤلاء، تجد أنهم لما انحرفوا في باب توحيد الأسماء والصفات لم يعلموا حقيقة معنىٰ توحيد الإلهية ففسروا (الإله) بغير معناه وفسروا: (لا إله إلا الله) بغير معناها الذي دلت عليه اللغة ودل عليه الشرع، وكذلك لم يعلموا متعلقات الأسماء والصفات وآثارها في ملك الله - جَلَّ وَعَلَا - وسلطانه؛ لهذا عقد الشيخ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - هذا الباب لأجل أن يبين أن تعظيم الأسماء والصفات من كمال التوحيد وأن جحد الأسماء والصفات مناف لأصل التوحيد، فالذي يجحد اسما سمىٰ الله به نفسه أو سماه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثبت ذلك عنه وتيقنه فإنه يكون كافرا بالله - جَلَّ وَعَلَا - كما قال سبحانه عن المشركين: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠].

والواجب علىٰ العباد من أهل هذه الملة، أن يوحدوا الله - جَلَّ وَعَلَا - في أسمائه وصفاته، ومعنىٰ توحيد الله في أسمائه وصفاته: أن يتيقن ويؤمن بأن الله - جَلَّ وَعَلَا -

ليس له مثيل في أسمائه ولا في صفاته كما قال ـ جَلَّوَعَلَا ـ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١]، فنفىٰ وأثبت، نفىٰ أن يماثل الله شيء - جَلَّوَعَلَا - وأثبت له صفتي السمع والبصر.

قال العلماء: قدم النفي قبل الإثبات علىٰ القاعدة العربية المعروفة أن التخلية تسبق التحلية، فيجب أن يخلو القلب من كل براثن التمثيل ومن كل ما كان يعتقده المشركون الجاهلون من تشبيه الله بخلقه، أو تشبيه خلق الله به، فإذا خلا القلب من كل ذلك، وبرئ من التشبيه والتمثيل، أثبت ما يستحقه الله - جلا وعلا - من الصفات، فأثبت هنا صفتين وهما السمع والبصر. وسبب ذكر السمع والبصر هنا في مقام الإثبات دون غيرهما من الصفات، أو دون ذكر غير اسم السميع والبصير من الأسماء؛ لأن صفتي السمع والبصر مشتركة بين أكثر المخلوقات الحية، فجل المخلوقات الحية التي حياتها بالروح والنفس لا بالنماء فإن السمع والبصر موجود فيها جميعا، فالإنسان له سمع وبصر وسائر أصناف الحيوانات لها سمع وبصر، فالذباب له سمع وبصر يناسبه، والبعير له سمع وبصر يناسبه، وكذلك الطيور، والأسماك، والدواب الصغيرة، والحشرات كل له سمع وبصر يناسبه. ومن المتقرر عند كل عاقل أن سمع هذه الحيوانات ليس متماثلًا، وأن بصرها ليس متماثلا وأن سمع الحيوان ليس مماثلًا لسمع الإنسان، فسمع الإنسان ربما كان أبلغ وأعظم من سمع كثير من الحيوانات وكذلك البصر، فإذا كان كذلك كان اشتراك المخلوقات التي لها سمع وبصر في السمع والبصر اشتراكًا في أصل المعنىٰ، ولكل سمع وبصر بما قدر له وما يناسب ذاته، فإذا كان كذلك ولم يكن وجود السمع والبصر في الحيوان وفي الإنسان مقتضيا لتشبيه الحيوان بالإنسان، فكذلك إثبات السمع والبصر للملك الحي القيوم ليس علىٰ وجه المماثلة للسمع والبصر في الإنسان أو في

المخلوقات، فلله - جَلَّ وَعَلَا - سمع وبصر يليق به، كما أن للمخلوق سمعًا وبصرًا يليق بذاته الحقيرة الوضيعة، فسمع الله كامل مطلق من جميع الوجوه لا يعتريه نقص وبصره كذلك. واسم الله (السميع) هو الذي استغرق كل الكمال في صفة السمع، وكذلك اسم الله (البصير) هو الذي استغرق كل الكمال في صفة البصر، فدل ذلك علىٰ أن النفي مقدم علىٰ الإثبات، وأن النفي يكون مجملا والإثبات يكون مفصلا، فالواجب علىٰ العباد أن يعلموا أن الله - جَلَّجَلَالُهُ - متصف بالأسماء الحسنىٰ وبالصفات العلىٰ وأن لا يجحدوا شيئًا من أسمائه وصفاته، فمن جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته فهو كافر؛ لأن ذلك صنيع الكفار والمشركين.

والإيمان بالأسماء والصفات يقوي اليقين بالله، وهو سبب لمعرفة الله، والعلم به، بل إن العلم بالله ومعرفة الله - جَلَّ وَعَلَا - تكون بمعرفة أسمائه وصفاته، وبمعرفة آثار الأسماء والصفات في ملكوت الله - جَلَّ وَعَلَا -.

وقال صالح آل الشيخ في التمهيد (٤٣٩): وجميع الصفات التي تتضمنها الأسماء كلها دالة علىٰ كمال الله - جَلَّ وَعَلَا - وعلىٰ عظمته، فالعبد المؤمن إذا أراد أن يكمل توحيده فليعظم العناية بالأسماء والصفات؛ لأن معرفة الاسم والصفة يجعل العبد يراقب الله - جَلَّ وَعَلَا - وتؤثر هذه الأسماء والصفات في توحيده وقلبه وعلمه بالله ومعرفته. اهـ

معرفة الأسماء والصفات هو داخل في الإيمان بالله وكتبه ورسله

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦]

فالإيمان بالله يتضمن الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي أنزل علىٰ رسوله يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من الصفات، وكون محمد رسول الله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

الإيمان والإخبار بخبر الله ورسوله ليس فيه محظور

قال شيخ الإسلام في العقيدة الحموية (٣٣٧):

وروى اللالكائي والبيهقي بإسنادهما عن عبد الله بن المبارك: أن رجلا قال له يا أبا عبد الرحمن إني أكره الصفة -عنى صفة الرب- فقال له عبد الله بن المبارك: وأنا أشد الناس كراهية لذلك ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هذا.

أراد ابن المبارك: أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار.اهـ

باب توجيه أثر علي رضي الله عنه

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى(١٢٧):

وقال علي: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

حدثنا عبيد الله بن موسىٰ عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن علي بذلك.

قال العلامة العثيمين في القول المفيد على كتاب التوحيد (٢ / ١٣٣)؛ **قوله**: (في أثر علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ): "حدثوا الناس"، أي: كلموهم بالمواعظ وغير المواعظ:

قوله: (**بما يعرفون**): أي بما يمكن أن يعرفوه وتبلغه عقولهم حتىٰ لا يفتنوا، ولهذا جاء عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: "**أنك لن تحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**"، ولهذا كان من الحكمة في الدعوة ألا تباغت الناس بما لا يمكنهم إدراكه، بل تدعوهم رويدًا رويدًا حتىٰ تستقر عقولهم، وليس معنىٰ "**بما يعرفون**"، أي: بما يعرفونه من قبل؛ لأن الذي يعرفونه من قبل يكون التحديث به من تحصيل الحاصل.

قوله: (**أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!**): الاستفهام للإنكار، أي: أتريدون إذا حدثتم الناس بما لا يعرفون أن يكذب الله ورسوله، لأنك إذا قلت: قال الله وقال رسوله كذا وكذا، قالوا هذا كذب إذا كانت عقولهم لا تبلغه، وهم لا يكذبون الله ورسوله، ولكن يكذبونك بحديث تنسبه إلىٰ الله ورسوله، فيكونون مكذبين لله ورسوله، لا مباشرة ولكن بواسطة الناقل.

فإن قيل: قل ندع الحديث بما لا تبلغه عقول الناس وإن كانوا محتاجين لذلك؟

أجيب: لا ندعه، ولكن نحدثهم بطريق تبلغه عقولهم، وذلك بأن ننقلهم رويدًا رويدًا حتىٰ يتقبلوا هذا الحديث ويطمئنوا إليه، ولا ندع ما لا تبلغه عقولهم ونقول: هذا شيء مستنكر لا نتكلم به.

ومثل ذلك العمل بالسنة التي لا يعتادها الناس ويستنكرونها، فإننا نعمل بها ولكن بعد أن نخبرهم بها، حتىٰ تقبلها نفوسهم ويطمئنوا إليها.

ويستفاد من هذا الأثر أهمية الحكمة في الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه يجب علىٰ الداعية أن ينظر في عقول المدعوين وينزل كل إنسان منزلته.

مناسبة هذا الأثر لباب الصفات:

مناسبته ظاهرة، لأن بعض الصفات لا تحتملها أفهام العامة فيمكن إذا حدثتهم بها كان لذلك أثر سيئ عليهم، كحديث النزول إلىٰ السماء الدنيا مع ثبوت العلو، فلو حَدّثت العاميّ بأنه نفسه ينزل إلىٰ السماء الدنيا مع علوه علىٰ عرشه، فقد يفهم أنه إذا أنزل؛ صارت السماوات فوقه وصار العرش خاليًا منه، وحينئذ لا بد في هذا من حديث تبلغه عقولهم فَتُبين لهم أن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل نزولًا لا يماثله نزول المخلوقين مع علوه علىٰ عرشه، وأنه لكمال فضله ورحمته يقول: "من يدعوني فأستجيب له.." الحديث.

والعامي يكفيه أن يتصور مطلق المعنىٰ، وأن المراد بذلك بيان فضل الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الساعة من الليل. وَرَوَىٰ عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس: " **أنه رأىٰ رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الصفات، استنكار لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمة، ويهلكون عند متشابهة؟!** ". انتهي

قال الشيخ الفوزان في إعانة المستفيد (٥٠-٥١): الحكمة؛ أن العلم لا يوضع إلاَّ في مواضعه، فإذا خيف من إلقاء المسائل علىٰ بعض الناس محذور أكبر، فإنهم تُكتم

عنهم بعض المسائل من أجل الشفقة بهم، ورحمتهم من الوقوع في المحذور، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بكتمان هذا النوع من العلم عن عامة الناس، وأخبر به معاذًا، لأن معاذًا من الجهابذة، ومن خواص العلماء، فدلَّ علىٰ أنه يجوز كتمان العلم للمصلحة، إذا كان يترتب علىٰ إيضاح بعض المسائل للناس محذور: بأن يفهموا خطًا، أو يَتَّكِلوا علىٰ ما سمعوا، فإنهم لا يُخبَرون بذلك، وإنما تلقىٰ هذه المسائل علىٰ خواص العلماء الذين لا يُخشىٰ منهم الوقوع في المحذور، فأخذ العلماء من هذا الحديث جواز كتمان العلم للمصلحة، وإنما أخبر معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بهذا الحديث عند وفاته، خشية أن يموت وعنده شيء من الأحاديث لم يبلِّغه للناس، كما في حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "**حدِثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله**"، يعني: لا يُلقىٰ علىٰ كل الناس بعض المسائل التي فيها أمور يَخفىٰ عليهم معناها، أو تشوِّش عليهم، وإنما يُلقىٰ علىٰ الناس ما يفهمونه، ويستفيدون منه، أما نوادر المسائل، وخواص المسائل، فهذه تلقىٰ علىٰ طلبة العلم، والمتفقهين المتمكِّنين، وهذا من الحكمة ووضع الشيء في موضعه، لمّا تكون أمام عُصاة يشربون الخمور، ويزنون، ويسرقون، وتقول: الله غفور رحيم، الله قريب مجيب، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يغفر ويسمح، فيزيدون في الشرور، لكن حين تقول لهم: اتقوا الله، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ توعّد الزناة بالعذاب وتوعّد علىٰ السرقة، وعلىٰ المعاصي بالعذاب الشديد، فتذكر لهم نصوص الوعيد، من أجل التوبة، ولو أتيت عند متمسِّكين وطيبين فذكرت لهم آيات الوعيد، فهذا ربما يزيدهم وسواسًا، أو تشدّدًا، فأنت تذكر لهم آيات التيسير، وأحاديث التيسير، والتسهيل، والرحمة، الفرج، إلىٰ غير ذلك، من أجل أن لا يزيدوا ويشتدوا ويغلوا، فكل مقام له مقال، وتوضع الأمور في مواضعها، هذا هو الميزان الصحيح، والناس ليسوا علىٰ حد سواء، كل يخاطب بما يستفيد منه ولا يتضرر به، فلا تأتي بآيات الوعد والرجاء عند المتساهلين، ولا تأتي بآيات الوعيد عند

المتشدّدين، بل تكون كالطبيب تضع الدواء في موضعه المناسب، هكذا يكون طالب العلم، إذا كانت هناك أمور غامضة لا يعرفها العوام، ولا تتسع لها عقولهم، من المسائل العلمية، فلا تُلقىٰ علىٰ العوام، وإنما تُلقىٰ علىٰ طلبة العلم، وعلىٰ الناس الذين يستوعبونها، ولهذا يقول ابن مسعود: "ما أنت بمحدث قومًا بحديث لا تبلغه عقولهم إلاَّ كان لبعضهم فتنة" وقال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله".

فالحاصل: أن طالب العلم والواعظ والمعلم يجب عليه أن يراعي أحوال الحاضرين وأحوال الناس، ويعطيهم ما يحتاجون إليه من المسائل، ولا يُلقىٰ عليهم المسائل الغريبة التي لم يتوصلوا إليها، فلو أتيت عند طلبة علم مبتدئين، فلا تلق عليهم غرائب المسائل التي لا يعرفها إلاَّ الراسخون في العلم، بل تعلمهم مبادئ مبسطة سهلة يتدرّجون بها شيئًا فشيئًا، لا تطلب من طالب مبتدئ أن يقرأ في "صحيح البخاري"، لأنه لم يصل إلىٰ هذا الحد لكن لَقِّنه "الأربعين النووية"، والأحاديث القريبة، وشروط الصلاة، وأحكام الطهارة، إلىٰ آخره، وإنسان مبتدئ بعلم العربية، لا تأمره بقراءة كتاب سيبويه؟، لكن تأمره بقراءة "الأجرُّوميَّة"، ومسائل مبسطة، يدخل بها علىٰ اللغة العربية والنحو، شيئًا فشيئًا، ولذلك ألف العلماء المختصرات والمتوسطات والمطوّلات، من أجل إن طالب العلم يمشي مراحل، شيئًا فشيئًا، الحاصل: أن كل شيء له شيء، وكل مقام له مقال. اهـ

وقال (٢/١٣٤-١٣٥): "وفي صحيح البخاري: قال عليّ": علي بن أبي طالب يخاطِب العلماء، ويقول لهم: "حدِّثوا النّاس بما يعرفون" أي: تكلّموا عندهم بما يعرفون، أي: بما لا تستنكِرُه عقولهم، بل حدِّثوهم بما تتحمّله عقولهم، وتُدركه أفهامُهم، ولا تُسمعوهم شيئًا لا يفهمون معناه، أو يجهلونه، فيبادِرون إلىٰ تكذيبه فتوقعونهم في الحَرَج.

وكأنّه قال هذه المقالة لَمّا كثُر القُصّاص في وقته، وهم: الوُعّاظ، والوُعّاظ يحرصون علىٰ أن يخوِّفوا الناس، فيذكُرون لهم كلّ ما قرأوا أو سمعوا من الأخبار والأحاديث، سواءً كانت صحيحة أو غير صحيحة، وسواء كان النّاس يفهمونها أو لا يفهمونها. وهذا أمرٌ لا يجوز، فالحاضرون يحدِّثون بما تتحمّلُه عقولهم، ربما ينفعُهم، أما ذكر الأشياء التي تشوِّش عليهم- وقد تحمِل بعضَهم علىٰ التكذيب- فهذا أمرٌ محرّمٍ، فينبغي للقاصّ والواعظ والخطيب والمتحدِّث أن يراعيَ أحوال السّامعين، فيتكلّم معهم بما يُناسِب حالهم: إنْ كان يتكلّم في وسط علماء يتكلّم بالكلام اللائّق بأهل العلم، وإن كان يتكلّم في وسط عوام فيتكلّم بما يناسبهم وبما تتحملّه عقولهم، ويحرص علىٰ ما ينفعهم أيضًا، ويعلِّمهم أُمور دينهم: أمور عقيدتهم وصلاتهم، وأُمور عبادتهم، ويحذّرهم من المعاصي ومن المحرّمات، ولا يدخُل في المواضيع العلميّة البعيدة عن أفهام العوامّ.

وهذه حكمةٌ عظيمة من أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه أمر أن يراعىٰ أحوال الحاضرين وأحوال السّامعين، فيحدّثون بما يتناسب مع مستواهم العلميّ.

ويا ليت المتحدِّثين في وقتنا هذا والخُطباء يمشون علىٰ هذا النّظام وهذه القاعدة التي قالها أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب.

فهذه قاعدة للمتحدِّثين في كل وقت: أنّ المتحدِّث يراعِي أحوالَ السّامعين: إنْ كان في وسطٍ علمي يتحدّث بما يناسِبه، وإن كان في وسط عامِّي يتحدّث بما يناسبه، وإنْ كان في وسط مختَلِط من العلماء ومن الجُهّال ومن العوام فإنه يلاحظ الواقع، فيتحدّث بحديث يستفيدُ منه الحاضرون ويفهمونه من أُمور دينهم، ويدرِّسون العقائد والعلوم شيئًا فشيئًا حتىٰ تتسع لها عقولهم، وتتقبلها أفهامهم.

ولا يدخل في هذا ذكر نصوص الأسماء والصّفات بدليل قول ابن عباس الآتي لما ذكر حديثًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصّفات. وإنما هذا خاص بأحاديث القصاص التي قد تكون مكذوبة أو لا تتحملها عقول الناس. اهـ

وقال الشيخ صالح آل الشيخ في التمهيد لشرح كتاب التوحيد - (١٢٤): وفي صحيح البخاري قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟**" هذا فيه دليل علىٰ أن بعض العلم لا يصلح لكل أحد؛ فإن من العلم ما هو خاص، ولو كان نافعا في نفسه ومن أمور التوحيد، لكن ربما لا يعرفه كثير من الناس، وهذا من مثل بعض أفراد توحيد الأسماء والصفات كبعض مباحث الأسماء والصفات، وذكر بعض الصفات لله - جَلَّ وَعَلَا - فإنها لا تناسب كل أحد حتىٰ إن بعض المتجهين إلىٰ العلم قد لا تطرح عليه بعض المسائل الدقيقة في الأسماء والصفات، ولكن يؤمرون بالإيمان بذلك إجمالا، والإيمان بالمعروف والمعلوم المشتهر في الكتاب والسنة، أما دقائق البحث في الأسماء والصفات فإنما هي للخاصة، ولا تناسب العامة والمبتدئين في طلب العلم؛ لأن منها ما يشكل، ومنها ما قد يؤول بقائله إلىٰ أن يكذب الله ورسوله، كما قال هنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!**" فمناسبة هذا الأثر لهذا الباب: أن من أسباب جحد الأسماء والصفات أن يحدث المرء الناس بما لا يعقلونه من الأسماء والصفات؛ لأن عامة الناس عندهم إيمان إجمالي بالأسماء والصفات يصح معه توحيدهم وإيمانهم وإسلامهم، فالدخول في تفاصيل ذلك غير مناسب إلا إذا كان المخاطب يعقل ذلك ويعيه، وليس أكثر الناس كذلك؛ ولهذا نهىٰ الإمام مالك - رَحِمَهُ اللَّهُ - لما حدث عنده بحديث الصورة نهىٰ المتحدث بذلك؛ لأن العامة لا يحسنون فهم مثل هذه المباحث، وهكذا في بعض المسائل في الأسماء والصفات لا تناسب العامة، فقد يكون سبب الجحد تحديث الرجل ببحث لا يعقله، فيؤول به

ذلك إلىٰ أن يجحد شيئًا من العلم بالله - جَلَّ وَعَلَا -، أو يجحد شيئا من الأسماء والصفات. فالواجب علىٰ المسلم وبخاصة طالب العلم أن لا يجعل الناس يكذبون شيئًا مما قاله الله - جَلَّ وَعَلَا - أو أخبر به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووسيلة ذلك التكذيب أن يحدث الناس بما لا يعرفون، وبما لا تبلغه عقولهم، كما جاء في الحديث الآخر: "**ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**"، وقد بوب علىٰ ذلك البخاري في الصحيح في كتاب العلم بقوله: "**باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه**"، وهذا من الأمر المهم الذي ينبغي للمعلم والمتحدث والواعظ والخطيب أن يعيه، وأن يحدث الناس بما يعرفون وأن يجعل تقوية التوحيد وإكمال توحيدهم والزيادة في إيمانهم بما يعرفون لا بما ينكرون.اهـ

قال الشيخ سلمان بن عبد الله في «تيسير العزيز الحميد» (ص ٤٩٩): "قال الحافظ فيه دليل علىٰ أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود: "**ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتة**"، رواه مسلم.

قال: ومن رأىٰ التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج علىٰ السلطان. ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما تقدم عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة وعن الحسن: أنه أنكر علىٰ أنس تحديث الحجاج بقصة العرنيين؛ لأنه اتخذها وسيلة إلىٰ ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي.

وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يُخشىٰ عليه الأخذ بظاهره مطلوب. اهـ

قال الشيخ سلمان: "وما ذكره عن مالك في أحاديث الصفات ما أظنه يثبت عن مالك وهل في أحاديث الصفات أكثر من آيات الصفات التي في القرآن فهل يقول

مالك أو غيره من علماء الإسلام أن آيات الصفات لا تتلىٰ علىٰ العوام، وما زال العلماء قديمًا وحديثًا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن بعدهم يقرؤون آيات الصفات وأحاديثها بحضرة عوام المؤمنين وخواصهم.

بل شرط الإيمان هو الإيمان بالله وصفات كماله التي وصف بها نفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف يكتم ذلك عن عوام المؤمنين، بل نقول: من لم يؤمن بذلك فليس من المؤمنين، ومن وجد في قلبه حرجًا من ذلك فهو من المنافقين، ولكن هذا من بدع الجهمية وأتباعهم الذين ينفون صفات الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلما رأوا أحاديث الصفات مبطلة لمذاهبهم قامعة لبدعهم تواصوا بكتمانه عن عوام المؤمنين لئلا يعلموا ضلالهم وفساد اعتقادهم فافهم ذلك". اهـ

معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى

من المتقرر والمعلوم أنه لا يعرف كيف الله عَزَّوَجَلَّ إلا هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولهذا إنما يعرف سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعلىٰ هذا لا سبيل للعبد أن يعرف ربه إلا بهذين الشيئين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٢/٦٨٤) في بيان معاني ألفاظ القرآن:

القسم الأول: تعريفه سبحانه نفسه لعباده بأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله، وأفعاله وأنه واحد لا شريك له وما يتبع ذلك. اهـ

وقال في الفوائد (ص ٢٧): قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٣-٤]، يتضمن الأصل الأول وهو معرفة الرب تعالىٰ، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله. اهـ

ولما كانت معرفة الله عَزَّوَجَلَّ لا تتم إلا بهذه الطريقة فقد قرر علماء السلف هذه القاعدة وساروا عليها، وهي أن أسماء الله توقيفية أي إثباتها ونفيها لا سبيل إليه إلا بالكتاب والسنة الصحيحة.

فما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبتناه وما نفاه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفينها.

قال شيخ الإسلام في «العقيدة الواسطية» (ص ٤٢) مع الشرح: ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته

ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفء له، ولا ندل له، ولا يقاس بخلقه سبحانه.

فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا من خلقه، ثم رسله صادقون مُصدَّقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢]، فسبح نفسه عمَّا وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب. اهـ

أحاديث وآيات الصفات من المحكم أم من المتشابه

* أولًا: (معنىٰ التشابه والإحكام):

تعريف المحكم لغة –: الحاء والكاف والميم- أصل واحد وهو المنع، ومنه قول الشاعر:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ❁❁ إني أخاف عليكم أن أغضبا

«معجم مقاييس اللغة» (ص ٢٧٧) و«لسان العرب» (٣/ ٢٧٢).

والمحكم: المتقن، قال الفيومي في «المصباح المنير» (ص ٥٦): وأحكمت الشيء بالألف أتقنته، فاستحكم هو صار كذلك اهـ.

تعريف المتشابه لغة:

قال ابن فارس في «معجم المقاييس» (ص ٥٤٨): الشين والباء والهاء واحد يدل علىٰ تشابه الشيء وتشكله لونًا ووصفًا اهـ.

تعريف المحكم والمتشابه اصطلاحًا:

تعريف المحكم والمتشابه اصطلاحًا: اختلف العلماء فيه إلىٰ أقوال:

أحدها: المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلىٰ بيان، والمتشابه ما احتاج إلىٰ بيان.

ثانيها: أن المحكم ما علم تفسيره العلماء والمتشابه ما لم يكن للعلماء أي سبيل إلىٰ معرفته كقيام الساعة.

ثالثها: أن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور.

رابعها: أن المتشابه ما اشتبهت معانيه.

خامسها: أن المتشابه ما تكررت ألفاظه.

سادسها: أن المتشابه ما احتمل وجوهًا.

سابعها: أن المتشابه هو القصص والأمثال.

ثامنها: أن المتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به.

تاسعها: قول بعض المتأخرين أن المتشابه آيات وأحاديث الصفات[1].

وقد ورد التشابه والإحكام في القرآن علىٰ ثلاثة أنواع:

١- أن القرآن كله محكم كما قال تعالىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود:١].

٢- أن القرآن كله متشابه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣].

٣- أن القرآن منه محكم ومتشابه؛كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران:٧].

ولا تعارض بين هذه الثلاث الآيات، فالآية الأولىٰ من حيث اتقان القرآن وصدقه ووضوحه وبيانه وإحكامه فكله محكم.

* والثاني: (**أن القرآن متشابه في إحكامه وإتقانه وعدله وقصصه**)؛ تُمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص علىٰ ما دلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغيرها....

وقال (ص ٢/١٢٩): الثاني: أنه إذا قل هذه من المتشابه أو كان فيها ما هو من المتشابه كما نقل عن بعض الأئمة أنه سمىٰ بعض ما استدل به الجهمي متشابه.

فيقال الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله، أما المتشابه وإما القرآن كله علىٰ ما تقدم.

---

(١) الفتاوىٰ لشيخ الإسلام (١٧/ ٤١٧-٤٢٤).

ونفي علم تأوله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة... ويؤيده أيضًا أنه قد ثبت أن في القرآن متشابهًا وهو ما يحتمل معنيين وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب كما أن ذلك في مسائل المعاد وأولىٰ، فإن نفي المشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المشابهة بين موعود الجنة وموجود الدنيا.

وإنما نكتة الجواب هو ما قدمناه أولًا أن نفي علم التأويل ليس نفيًا لعلم المعنىٰ. اهـ

* **والثالث: (أن في القرآن آيات واضحات الدلالة لا التباس فيها علىٰ أحد من الناس ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة علىٰ كثير من الناس أو بعضهم).**

فمن رد ما اشتبه إلىٰ الواضح منه وحكم بمحكمه علىٰ متشابهه فقد اهتدىٰ ومن عكس انعكس[(١)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في التفسير الكبير (٢/١١٥): "وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأوله إلا الله أو اعتقاد أن ذلك من المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله... فالكلام علىٰ هذا من وجهين:

الأول: من قال إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه؟

فنقول: أما الدليل علىٰ بطلان ذلك فإني لا أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفىٰ أن يعلم أحد معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم أحد معناه.

وقال شيخ الإسلام في «التدمرية» (ص ٢٩٣) مع شرح البراك: ومما يوضح هذا أن الله وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه متشابه وفي موضع آخر جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه فينبغي أن يعرف الإحكام والتشابه الذي يعمه ؛ والإحكام والتشابه

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٧).

الذي يخص بعضه قال الله تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود:١]، فأخبر أنه أحكم آياته كلها، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣]، فأخبر أنه كله متشابه والحكم هو الفصل بين الشيئين فالحاكم يفصل بين الخصمين، والحكم فصل بين المتشابهات علما وعملا إذا ميز بين الحق والباطل والصدق والكذب والنافع والضار وذلك يتضمن فعل النافع وترك الضار فيقال: حكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت علىٰ يديه وحكمت الدابة وأحكمتها إذا جعلت لها حكمة وهو ما أحاط بالحنك من اللجام وإحكام الشيء إتقانه فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره وتمييز الرشد من الغي في أوامره، والقرآن كله محكم بمعنىٰ الإتقان فقد سماه الله حكيما بقوله: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [يونس:١]، فالحكيم بمعنىٰ الحاكم ؛ كما جعله يقص بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦﴾ [النمل:٧٦]، وجعله مفتيًا في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النساء:١٢٧]، أي: ما يتلىٰ عليكم يفتيكم فيهن وجعله هاديًا ومبشرًا في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الإسراء:٩]، وأما التشابه الذي يعمه فهو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ٨٢﴾ [النساء:٨٢]، وهو الاختلاف المذكور في قوله: ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٍ مُّخۡتَلِفٍ ٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ٩﴾ [الذاريات:٨-٩]، فالتشابه هنا: هو تماثل الكلام وتناسبه: بحيث يصدق بعضه بعضًا؛ فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر ؛ بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته ؛ وإذا نهىٰ عن شيء لم يأمر به في موضع آخر بل ينهىٰ عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته إذا لم يكن هناك نسخ وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك بل يخبر بثبوته

أو بثبوت ملزوماته وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبته بل ينفيه أو ينفي لوازمه بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضًا فيثبت الشيء تارة وينفيه أخرىٰ أو يأمر به وينهىٰ عنه في وقت واحد ويفرق بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر فالأقوال المختلفة هنا: هي المتضادة.

والمتشابهة: هي المتوافقة وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ فإذا كانت المعاني يوافق بعضها بعضًا ويعضد بعضها بعضًا ويناسب بعضها بعضًا ويشهد بعضها لبعض ويقتضي بعضها بعضًا: كان الكلام متشابها ؛ بخلاف الكلام المتناقض الذي يضاد بعضه بعضا فهذا التشابه العام: لا ينافي الإحكام العام بل هو مصدق له فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضا لا يناقض بعضه بعضًا بخلاف الإحكام الخاص ؛ فإنه ضد التشابه الخاص والتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر بحيث يشتبه علىٰ بعض الناس إنه هو أو هو مثله وليس كذلك والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر وهذا التشابه إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما فيكون مشتبهًا عليه ومنهم من يهتدي إلىٰ ذلك ؛ فالتشابه الذي لا يتميز معه قد يكون من الأمور النسبية الإضافية بحيث يشتبه علىٰ بعض الناس دون بعض ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه كما إذا اشتبه علىٰ بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه في الدنيا فظن أنه مثله فعلم العلماء أنه ليس مثله، وإن كان مشبها له من بعض الوجوه ومن هذا الباب الشبه التي يضل بها بعض الناس وهي ما يشتبه فيها الحق والباطل حتىٰ تشتبه علىٰ بعض الناس؛ ومن أوتي العلم بالفصل بين هذا وهذا لم يشتبه عليه الحق بالباطل والقياس الفاسد إنما هو من باب الشبهات لأنه تشبيه للشيء في بعض الأمور بما لا يشبهه فيه فمن عرف الفصل بين الشيئين: اهتدىٰ للفرق الذي يزول به الاشتباه

والقياس الفاسد ؛ وما من شيئين إلا ويجتمعان في شيء ويفترقان في شيء فبينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه فلهذا كان ضلال بني آدم من قبل التشابه والقياس الفاسد". اهـ

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "واعلموا أن آيات الصفات كثير من الناس يطلق عليها اسم المتشابه؟ وهذا من جهة غلط ومن جهة قد يسوغ كما بينه الإمام مالك بن أنس، أما المعاني فهي معروفة عند العرب كما قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة".

كذلك يقال في النزول: "النزول غير مجهول والكيف غير معقول والسؤال عنه بدعة، واطراده في جميع الصفات؛ لأن هذه الصفات معروفة عند العرب، إلا أن ما وصف به خالق السماوات والأرض أكمل وأجل وأعظم من أن يشبهه شيئًا من صفات المخلوقين".

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «القول المفيد» (٢/١٩٧): "وبعض أهل العلم يظنون أن في القرآن ما لا يمكن الوصول إلىٰ معناه، فيكون من المتشابه المطلق، ويحملون آيات الصفات علىٰ ذلك، وهذا من الخطأ العظيم؛ إذ ليس من المعقول أن يقول الله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، ثم تستثني آيات الصفات وهي أعظم وأشرف موضوعًا وأكثر من آيات الأحكام ولو قلنا بذلك لكان أشرف ما في القرآن موضوعًا يكون خفيًا، ويكون معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: آيات الأحكام فقط، وهذا غير معقول، بل جميع القرآن يفهم معناه؛ إذ لا يمكن أن تكون هذه الآمة من رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ آخرها لا تفهم معنىٰ القرآن وعلىٰ رأيهم يكون رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر وجميع الصحابة يقرؤون آيات الصفات وهم لا يفهمون معناها، بل هي عندهم بمنزلة الحروف الهجائية أ، ب،

ت... والصواب أنه ليس في القرآن شيء متشابه على جميع الناس من حيث المعنى، ولكن الخطأ في الفهم". اهـ

صفات الله كمال محض لا نقص فيها بوجه من الوجوه

تختلف مدارك العباد من شخص إلىٰ شخص، فقد يرىٰ بعض الأشخاص أن صفة كذا كمال، واسم كذا مثله بينما أهل العلم و من عرف بعض هذا الباب تجد عنه انضباطًا وتؤمن الغوائل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البدائع» (١/٢٩٥):

الصفات ثلاثة أنواع:

صفات كمال.

وصفات نقص.

وصفات لا تقتضي كمالًا ولا نقصًا، وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسمًا رابعًا وهو ما يكون كمالًا ونقصًا باعتبارين، والرب تعالىٰ منزه عن الأقسام الثلاثة وموصوف بالقسم الأول من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكمله، وهكذا أسماؤه فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها اهـ.

لا يثنى على الله عز وجل إلا بأسمائه وصفاته، ولا يُسأل إلا بها

المسلم محتاج إلىٰ الثناء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وذكره ودعائه ورجائه، وإذا لم يكن عارفًا عالمًا بما جاء عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بعض ما جاء تجده مضطربًا لا يدري ما يقول ربما سمىٰ الله بما لم يسم به نفسه، ودعاه بغير الأسماء الحسنىٰ، وتوسل إليه بغير أسمائه وصفاته، وبما يشرع به التوسل، ويستخدم أسماء الجلال والعظمة في مواطن أسماء الجمال والإحسان والعكس، وكم نسمع ممن يدعو علىٰ الكافرين من الدعاة والخطباء والوعاظ فضلًا عن العوام، يقول: اللهم عليك بالكافرين يا أرحم الرحمين، وهذا من الجهل المركب الذي نسأل الله العصمة منه.

قال ابن القيم في «البدائع» (١/٢٨٨): فلا يُثنىٰ عليه إلا بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، ولذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال يا موجد أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني!!.

بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيًا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلًا إليه بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه وجدها مطابقة لهذا. اهـ

عدم بث آيات وأحاديث الصفات بين العوام يؤدي بهم إلى عدم استخدام الألفاظ الشرعية في هذا الباب

الله عَزَّوَجَلَّ حين أنزل القرآن، وعلم البيان ما فرط في شيء قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

الأخذ بالألفاظ الشرعية مطلوب شرعًا، وكم من لفظ يستخدمه الناس ظنًا منهم أن لا شيء فيه بينما الراجع إلىٰ كتب أهل العلم يجد التحذير من مثل هذه الألفاظ، ويكون النهي عنها إما تحريمًا أو كراهة.

وكان بعض المسلمين يقولون: راعنا فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ [البقرة:١٠٤].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يقلن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست نفسي»، أخرجه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وهذه بعض من كل، فإذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليهم في هذه الأبواب، فمن باب أولىٰ -باب الأسماء والصفات-.

قال شيخ الإسلام كما في «المجموعة العلية» (١١٤): لكن اتباع الألفاظ الشرعية في هذا الباب من الأدب المشروع لنا إما إيجابًا وإما استحبابًا. اهـ

إذا لم يعلم العوام الأسماء الحسنى والصفات العلى قد يقعون في الإلحاد في هذا الباب:

والإلحاد في أسماء الله وصفاته أنواع:

الأول: أن يسمي الأصنام بها.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله.

الثالث: وصفه بما يتعالىٰ عنه ويتقدس من النقائص.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول: سميع بلا سمع...

الخامس: تشبيه صفاته سبحانه بصفات خلقه[١].

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٩٨-٢٩٩).

رد شيخ الإسلام على من أنكر عليه تحديث العوام بأدلة الأسماء والصفات

الوجه الأول:

قال شيخ الإسلام في التسعينية ١/١١٧- ١٨٦): قَوْلَ الْقَائِلِ: نَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِهَا عِنْدَ الْعَوَامّ وَلَا يَكْتُبَ بِهَا إِلَىٰ الْبِلَادِ وَلَا فِي الْفَتَاوَىٰ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا، يَتَضَمَّنُ إِبْطَالَ أَعْظَمِ أُصُولِ الدِّينِ وَدَعَائِمِهِ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ الصِّفَاتِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، كَمَا اسْتَفَاضَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَكَذَلِكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ الَّتِي لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا، وَهِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ الَّتِي لَا تُجْزِئُ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهَا فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٢-٤].

كُلُّ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَىٰ سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ - فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ فَأَنَا أُحِبُّ أَقْرَأُ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ».

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ مَا كَانَ صِفَةً لِلَّهِ مِنْ الْآيَاتِ فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ قِرَاءَتُهُ، وَاللهُ يُحِبُّ ذَلِكَ، وَيُحِبُّ مَنْ يُحِبُّ ذَلِكَ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي اسْتِحْبَابِ قِرَاءَةِ آيَاتٍ فِي الصِّفَاتِ لِلصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ الَّتِي يَسْمَعُهَا الْعَامِّيُّ وَغَيْرُهُ، بَلْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَكَذَلِكَ أَوَّلُ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٦٥﴾ [البقرة:٢٦٥]، هِيَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ.

وَكَذَلِكَ آخِرُ سُورَةِ الْحَشْرِ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ الصِّفَاتِ بَلْ جَمِيعُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ هِيَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ كَقَوْلِهِ: الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ؛ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ، الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

وَمَا أَخْبَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرِضَاهُ وَسَخَطِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَبُغْضِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعُلُوِّهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَعَظَمَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ، فَهَلْ يَأْمُر مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ بِأَنْ يُعْرِضَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ، وَأَنْ لَا يُبَلِّغَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ هَذِهِ الْآيَاتِ وَنَحْوَهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَأَنْ لَا يَكْتُبَ بِكَلَامِ اللهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ الَّذِي هُوَ آيَاتُ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثُهَا إِلَىٰ الْبِلَادِ وَلَا يُفْتِي فِي ذَلِكَ وِلَايَةً.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[الجمعة:٢]، وَأَسْوَأُ أَحْوَالِ الْعَامَّةِ أَنْ يَكُونُوا أُمِّيِّينَ فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَنْهَىٰ أَنْ يُتْلَىٰ عَلَىٰ الْأُمِّيِّينَ آيَاتِ اللهِ، أَوْ عَنْ أَنْ يُعَلِّمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.

الوجه الثاني:

وَمَعْلُومٌ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا قَبْلَ مَعْرِفَةِ الرِّسَالَةِ أَجْهَلَ مِنْ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ، فَهَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَمْنُوعًا مِنْ تِلَاوَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ إِيَّاهُ، أَوَ مَأْمُورًا بِهِ أَوْ لَيْسَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ؟ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ [آل

عمران:٩٩]، الْآيَةَ، وَقَالَ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء:١٦٠]، أَوَلَيْسَ هَذَا نَوْعًا مِنْ الْأَمْرِ بِهَجْرِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَتَرْكِ اسْتِمَاعِهِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان:٣٠-٣١]، الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت:٢٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان:٧٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف:٢٠٤]، فَهَلَّا قَالَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ لَا لِأَعْظَمَ مَا فِيهِ وَهُوَ مَا وَصَفْت بِهِ نَفْسِي فَلَا تَسْتَمِعُوهُ أَوْ لَا تُسْمِعُوهُ لِعَامَّتِكُمْ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال:٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ﴾ [المائدة:٨٣].الْآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر:٢٣]، الْآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ﴾ [الكهف:٥٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء:١٠٦]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٩]..

الْوَجْهُ الثَّالِثُ:

أَنَّ أَعْظَمَ مَا يَحْذَرُهُ الْمُنَازِعُ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ مَا يَزْعُمُ أَنَّ ظَاهِرَهَا كُفْرٌ وَتَجْسِيمٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧]، وقوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وقوْله تَعَالَىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص:٧٥]، وقوْله تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن:٢٦]. ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم:٥٢]، ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢]، الْآيَةَ.

فَهَلْ سُمِعَ أَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مَنَعَ أَنْ يَقْرَأَ هَذِهِ وَتُتْلَىٰ عَلَىٰ الْعَامَّةِ وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ مَنْ مَنَعَ مِنْ سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي يَزْعُمُ أَنَّ ظَاهِرَهَا كُفْرٌ وَتَجْسِيمٌ وَخَبَرٌ يُخَالِفُ رَأْيَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود:١٠٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة:١٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف:١٨٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥]، وَكَذَلِكَ آيَاتُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَأَحَادِيثُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ هَلْ يَتْرُكُ تَبْلِيغَهَا

لِمُخَالَفَتِهَا لَهُ، أَوْ الْوَعِيدِيَّةِ أَوْ الْمُرْجِئَةِ، وَآيَاتُ التَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ كَقَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٣-٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم:٦٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ۝٩٤﴾ [الشعراء:٩٤]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء:٩٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢].

وَنَحْوُ ذَلِكَ هَلْ يَتْرُكُ تِلَاوَتَهَا وَتَبْلِيغَهَا لِمُخَالَفَتِهَا لِرَأْيِ أَهْلِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ؟».

الْوَجْهُ الرَّابِعُ:

أَنَّ كُتُبَ الصِّحَاحِ وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ هِيَ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَىٰ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، بَلْ قَدْ بُوِّبَ فِيهَا أَبْوَابٌ مِثْلُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ وَالرَّدِّ عَلَىٰ الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ " الَّذِي هُوَ آخِرُ كِتَابِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمِثْلُ كِتَابِ الرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد وَكِتَابِ النُّعُوتِ " فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ فَإِنَّ هَذِهِ مُفْرَدَةٌ لِجَمْعِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَكَذَلِكَ قَدْ تَضَمَّنَ " كِتَابُ السُّنَّةِ " مِنْ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ مَا تَضَمَّنَهُ وَكَذَلِكَ تَضَمَّنَ صَحِيحُ مُسْلِمٍ، وَجَامِعُ التِّرْمِذِيِّ، وَمُوَطَّأُ مَالِكٍ.

وَمُسْنَدُ الشَّافِعِيِّ، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَمُسْنَدُ مُوسَىٰ بْنِ قُرَّةَ الزُّبَيْدِيِّ، وَمُسْنَدُ أَبِي دَاوُد الطَّيَالِسِيِّ، وَمُسْنَدُ ابْنِ وَهْبٍ، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ مَنِيعٍ.

وَمُسْنَدُ مُسَدَّدٍ، وَمُسْنَدُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ، وَمُسْنَدُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيِّ، وَمُسْنَدُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُسْنَدُ بَقِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ، وَمُسْنَدُ الْحُمَيْدِيِّ.

وَمُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ، وَمُسْنَدُ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، وَمُسْنَدُ أَبِي يَعْلَىٰ الْمَوْصِلِيِّ، وَمُسْنَدُ الْحَسَنِ بْنِ سُفْيَانَ، وَمُسْنَدُ أَبِي بَكْرٍ الْبَزَّارِ، وَمُعْجَمُ الْبَغَوِيِّ، وَالطَّبَرَانِيِّ، وَصَحِيحُ أَبِي حَاتِمِ بْنِ حِبَّانَ، وَصَحِيحُ الْحَاكِمِ، وَصَحِيحُ الْإِسْمَاعِيلِيِّ، وَالْبَرْقَانِيِّ، وَأَبِي نُعَيْمٍ،

وَالْجَوْزَقِيِّ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْأُمَّهَاتِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللهُ: دَعْ مَا قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ مُصَنَّفَاتِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَجَامِعِ الثَّوْرِيِّ، وَجَامِعِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَمُصَنَّفَاتِ وَكِيعٍ، وَهُشَيْمٍ، وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَمَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ.

فَهَلْ امْتَنَعَ الْأَئِمَّة مِنْ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَلَىٰ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ مَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ.

أَمْ مَا زَالَتْ هَذِهِ الْكُتُبُ يَحْضُرُ قِرَاءَتَهَا أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَأَيْضًا فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ لَمَّا حَدَّثَ بِهَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ الْمُخَالِفِينَ، هَلْ كَانُوا يُخْفُونَهَا عَنْ عُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَكَاتَمُونَهَا وَيُوصُونَ بِكِتْمَانِهَا، أَمْ كَانُوا يُحَدِّثُونَ بِهَا كَمَا كَانُوا يُحَدِّثُونَ بِسَائِرِ سُنَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ نُقِلَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ امْتَنَعَ مِنْ رِوَايَةِ بَعْضِهَا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ فَهَذَا كَمَا قَدْ كَانَ هَذَا يَمْتَنِعُ عَنْ رِوَايَةِ بَعْضِ أَحَادِيثَ فِي الْفِقْهِ وَالْأَحْكَامِ وَبَعْضِ أَحَادِيثِ الْقَدَرِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ وَالْوَعِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ لَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُ مَخْصُوصًا بِهَذَا الْبَابِ، وَهَذَا كَانَ يَفْعَلُهُ بَعْضُهُمْ وَيُخَالِفُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ يَرَىٰ أَنَّ رِوَايَتَهَا تَضُرُّ بَعْضَ النَّاسِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَيَرَىٰ الْآخَرُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ بَلْ يَنْفَعُ، فَكَانَ هَذَا مِمَّا قَدْ يَتَنَازَعُونَ فِيهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ.

فَأَمَّا الْمَنْعُ مِنْ تَبْلِيغِ عُمُومِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ، فَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَإِنَّمَا هَذَا وَنَحْوُهُ رَأْيُ الْخَارِجِينَ الْمَارِقِينَ مِنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، كَالرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْحَرُورِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ وَهُوَ عَادَةُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ثُمَّ الْأَحَادِيثُ الَّتِي يَتَنَازَعُ الْعُلَمَاءُ فِي رِوَايَتِهَا، أَوْ الْعَمَلُ بِهَا لَيْسَ لِأَحَدِ الْمُتَنَازِعِينَ أَنْ يُكْرِهَ الْآخَرَ عَلَىٰ قَوْلِهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩].

الْوَجْهُ الْخَامِسُ:

أَنَّهُ إِذَا قُدِّرَ فِي ذَلِكَ نِزَاعٌ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، فَأَمَرَ اللهُ الْأُمَّةَ عِنْدَ التَّنَازُعِ بِالرَّدِّ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ وَوَصَفَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ ذَلِكَ بِالنِّفَاقِ وَالْكُفْرِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء:٦٠-٦٢]، إِلَىٰ قَوْلِه: ﴿بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء:٦٣]، فَوَصَفَ سُبْحَانَهُ مَنْ دُعِيَ إِلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَأَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ بِالنِّفَاقِ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ التَّوْفِيقَ بِذَلِكَ بَيْنَ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ إِحْسَانَ الْعِلْمِ أَوْ الْعَمَلِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة:١٧٠]، الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب:٦٦]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب:٦٨].

الْوَجْهُ السَّادِسُ:

أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة:١٥٩]، الْآيَةَ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة:١٧٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ

لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٨٧]، الْآيَةَ، فَمَنْ أَمَرَ بِكَتْمِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ فَقَدْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ، وَهَذَا مِمَّا ذَمَّ اللهُ بِهِ عُلَمَاءَ الْيَهُودِ، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الزَّائِغِينَ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ الْعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٤٠].

الْوَجْهُ السَّابِعُ:

أَنَّ مَنْ أَمَرَ بِكِتْمَانِ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ كَالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ، وَأَمَرَ مَعَ ذَلِكَ بِوَصْفِ اللهِ بِصِفَاتٍ أَحْدَثَهَا الْمُبْتَدِعُونَ، تَحْتَمِلُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، أَوْ تَجْمَعُ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ، وَهُوَ أَصْلُ الدِّينِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ، فَهَذَا مُضَاهَاةٌ لِمَا ذَمَّ اللهُ بِهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَيْثُ قَالَ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف:١٦٢]، وَقَالَ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة:٧٥]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩].

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَتَبُوا هَذِهِ الْمَقَالَاتِ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا، وَقَالُوا لِلْعَامَّةِ هَذَا أَمْرُ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَهَذَا كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ عَلَىٰ اللهِ، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَىٰ ذَلِكَ كِتْمَانَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، فَقَدْ ضَاهُوا أَهْلَ الْكِتَابِ فِي لَبْسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَكِتْمَانِ الْحَقِّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٠]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة:٤٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران:٧٨].

الْوَجْهُ الثَّامِنُ:

أَنَّ هَذَا خِلَافُ إِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، فَإِنَّهُمْ أَجْمَعُوا فِي هَذَا الْبَابِ وَفِي غَيْرِهِ عَلَىٰ وُجُوبِ إِتْبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَذَمِّ مَا أَحْدَثَهُ أَهْلُ الْكَلَامِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ.

مِثْلُ مَا رَوَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالْكَائِيُّ فِي أُصُولِ السُّنَّةِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَ: اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صِفَةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا وَصْفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ، فَمَنْ فَسَّرَ الْيَوْمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا، وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ثُمَّ سَكَتُوا فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةٍ لَا شَيْءٍ.

الْوَجْهُ التَّاسِعُ:

فَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ وُجُوبِ الْإِفْتَاءِ فِي بَابِ الصِّفَاتِ بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، دُونَ قَوْلِ جَهْمٍ الْمُتَضَمِّنِ لِلنَّفْيِ، فَمَنْ قَالَ لَا يُتَعَرَّضُ لِأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِهَا عِنْدَ الْعَوَامِّ، وَلَا يُكْتَبُ بِهَا إِلَىٰ الْبِلَادِ، وَلَا فِي الْفَتَاوَىٰ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا، بَلْ يَعْتَقِدُ مَا ذَكَرَهُ مِنَ النَّفْيِ، فَقَدْ خَالَفَ هَذَا الْإِجْمَاعَ، وَمِنْ أَقَلِّ مَا قِيلَ فِيهِمْ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافُ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الْكَلَامِ.

الْوَجْهُ الْعَاشِرُ:

أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: "لَا يَتَعَرَّضُ لِأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِهَا عِنْدَ الْعَوَامِّ، وَلَا يَكْتُبُ بِهَا إِلَى الْبِلَادِ، وَلَا فِي الْفَتَاوَى الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا".

إِمَّا أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا تُتْلَى هَذِهِ الْآيَاتُ وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ عِنْدَ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بُطْلَانُهُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ هَذَا الْقَوْلُ إِنْ أُخِذَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، فَهُوَ كُفْرٌ صَرِيحٌ فَإِنَّ الْأُمَّةَ مُجْمِعَةٌ عَلَى مَا عَلِمُوهُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ تِلَاوَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الصَّلَوَاتِ فَرْضِهَا وَنَفْلِهَا، وَاسْتِمَاعِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ لِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ تِلَاوَتُهَا وَإِقْرَاؤُهَا وَاسْتِمَاعُهَا خَارِجَ الصَّلَاةِ هُوَ مِنَ الدِّينِ الَّذِي لَا نِزَاعَ فِيهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَذَلِكَ تَبْلِيغُ الْأَحَادِيثِ فِي الْجُمْلَةِ هُوَ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَهُوَ مَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ.

إِذْ مَا مِنْ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ إِلَّا وَلَا بُدَّ أَنْ تَرْوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْإِثْبَاتِ أَوِ النَّفْيِ، فَإِنَّ اللهَ يُوصَفُ بِالْإِثْبَاتِ، وَهُوَ إِثْبَاتُ مَحَامِدِهِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَتَمْجِيدِهِ، وَيُوصَفُ بِالنَّفْيِ، وَهُوَ نَفْيُ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَإِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ لَا يُقَالُ حُكْمُهَا كَذَا وَكَذَا إِمَّا إِقْرَارٌ وَتَأْوِيلٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ هَذَا فَيَنْبَغِي لِقَائِلِ ذَلِكَ أَنْ يَلْتَزِمَ مَا أَلْزَمَ بِهِ غَيْرَهُ، فَلَا يَنْطِقُ فِي حُكْمِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ بِشَيْءٍ، وَلَا يَقُولُ الظَّاهِرُ مُرَادٌ أَوْ غَيْرُ مُرَادٍ، وَلَا التَّأْوِيلُ سَائِغٌ، وَلَا هَذِهِ النُّصُوصُ لَهَا مَعَانٍ أُخَرُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ إِذْ هَذَا تَعَرُّضٌ لِآيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، وَإِذَا الْتَزَمَ هُوَ ذَلِكَ وَقَالَ لِغَيْرِهِ: الْتَزِمْ مَا الْتَزَمْتُهُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهَا وَلَا تَنْقُصْ مِنْهَا، فَإِنَّ هَذَا عَدْلٌ بِخِلَافِ مَا إِذَا نَهَى غَيْرَهُ عَنِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا مَعَ تَكَلُّمِهِ هُوَ عَلَيْهَا، كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَلَا يَكْتُبُ بِهَا إِلَى الْبِلَادِ وَلَا فِي الْفَتَاوَى الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا.

إِنْ أَرَادَ أَنَّهَا أَنْفُسُهَا لَا تُكْتَبُ وَلَا يُفْتَىٰ بِهَا، فَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ فَسَادُهُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَإِنْ أَرَادَ لَا يَكْتُبُ بِحُكْمِهَا، وَلَا يُفْتِي الْمُسْتَفْتِيَ عَنْ حُكْمِهَا، فَيُقَالُ لَهُ: فَعَلَيْك أَيْضًا أَنْ تَلْتَزِمَ ذَلِكَ وَلَا تُفْتِي أَحَدًا فِيهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ النَّافِيَةِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ أَمْرُك لِغَيْرِك بِمِثْلِ مَا فَعَلْته عَدْلًا.

أَمَّا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ إِلَىٰ هَذِهِ النُّصُوصِ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِأَنْوَاعِ التَّحْرِيفَاتِ وَالتَّأْوِيلَاتِ جُمْلَةً أَوْ تَفْصِيلًا، وَيَقُولُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْتُمْ لَا تُعَارِضُونَ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِيهَا، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ وَالْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ.

الْوَجْهُ الْحَادِيَ عَشَرَ:

أَنَّ سَلَفَ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتَهَا مَا زَالُوا يَتَكَلَّمُونَ وَيُفْتُونَ وَيُحَدِّثُونَ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ الصِّفَاتِ، وَهَذَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالسُّنَنِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهُ إِلَّا اللهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَمَّا جَمَعَ النَّاسُ الْعِلْمَ وَبَوَّبُوهُ فِي الْكُتُبِ، فَصَنَّفَ ابْنُ جُرَيْجٍ التَّفْسِيرَ وَالسُّنَنَ، وَصَنَّفَ مَعْمَرٌ أَيْضًا، وَصَنَّفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَصَنَّفَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَقْدَمِ مَنْ صَنَّفَ فِي الْعِلْمِ صَنَّفُوا هَذَا الْبَابَ، فَصَنَّفَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ كِتَابَهُ فِي الصِّفَاتِ، كَمَا صَنَّفَ كُتُبَهُ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ الْعِلْمِ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَالِكًا إِنَّمَا صَنَّفَ الْمُوَطَّأَ تَبَعًا لَهُ، وَقَالَ: جَمَعْت هَذَا خَوْفًا مِنْ الْجَهْمِيَّةِ أَنْ يُضِلُّوا النَّاسَ، لَمَّا ابْتَدَعَتْ الْجَهْمِيَّةُ النَّفْيَ وَالتَّعْطِيلَ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَمَّا صُنِّفَ الْكُتُبُ الْجَامِعَةُ، صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا كَمَا صَنَّفَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ كِتَابَهُ فِي الصِّفَاتِ وَالرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ، وَصَنَّفَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ كِتَابَهُ فِي الصِّفَاتِ وَالرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ، وَصَنَّفَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ كِتَابَهُ فِي الصِّفَاتِ وَالرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ، وَكِتَابَهُ فِي النَّقْضِ عَلَىٰ الْمَرِيسِيِّ وَصَنَّفَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رِسَالَتَهُ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَالرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَمْلَىٰ فِي أَبْوَابِ ذَلِكَ حَتَّىٰ جَمَعَ كَلَامَهُ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ وَصَنَّفَ عَبْدُ الْعَزِيزِ

الْكِنَانِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ كِتَابَهُ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ، وَصَنَّفَ كُتُبَ السُّنَّةِ فِي الصِّفَاتِ طَوَائِفُ مِثْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ، وَحَنْبَلِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَأَبِي بَكْرٍ الْأَثْرَمِ، وَخُشَيْشِ بْنِ أَصْرَمَ شَيْخِ أَبِي دَاوُد.

وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ، وَالْحَكَمِ بْنِ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيِّ وَلِأَبِي بَكْرٍ الْخَلَّالِ، وَأَبِي الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيِّ، وَأَبِي الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيِّ، وَأَبِي أَحْمَدَ الْعَسَّالِ وَأَبِي بَكْرٍ الْآجُرِّيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ، كِتَابُ الصِّفَاتِ وَكِتَابُ الرُّؤْيَةِ؛ وَأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مَنْدَهْ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ ابْنِ بَطَّةَ، وَأَبِي قَاسِمٍ اللَّالَكَائِيِّ، وَأَبِي عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيِّ، وَغَيْرِهِمْ.

وَأَيْضًا فَقَدْ جَمَعَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ، وَتَكَلَّمُوا فِي إِثْبَاتِ مَعَانِيهَا، وَتَقْرِيرِ صِفَاتِ اللهِ دَلَّتْ عَلَيْهَا هَذِهِ النُّصُوصُ، لَمَّا ابْتَدَعَتْ الْجَهْمِيَّةُ جَحْدَ ذَلِكَ وَالتَّكْذِيبَ لَهُ، كَمَا فَعَلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ، وَكَمَا فَعَلَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ حَامِدٍ، وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَىٰ، وَكَمَا فَعَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ كِلَابٍ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ الطَّبَرِيُّ، وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ.

الْوَجْهُ الثَّانِي عَشَرَ:

أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، وَأَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ النِّعْمَةَ وَتَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، وَبَيَّنَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَعْظَمُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ تَعْرِيفُهُمْ رَبَّهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَمَا يَجِبُ وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَيَثْبُتُ لَهُ فَيُحْمَدُ وَيُثْنَىٰ بِهِ عَلَيْهِ وَيُمَجَّدُ بِهِ، وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، فَيُنَزَّهُ عَنْهُ وَيُقَدَّسُ.

ثُمَّ حَدَثَ بَعْدَ المِائَةِ الْأُولَىٰ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَأَتْبَاعُهُ الَّذِينَ عَطَّلُوا حَقِيقَةَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَسَلَكُوا مَسْلَكَ إِخْوَانِهِمْ الْمُعَطِّلَةِ الْجَاحِدِينَ لِلصَّانِعِ وَصَارَ أَغْلَبُ مَا يَصِفُونَ بِهِ الرَّبَّ هُوَ الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ الْعَدَمِيَّةُ، وَلَا يُقِرُّونَ إِلَّا بِوُجُودٍ مُجْمَلٍ، ثُمَّ يَقْرُنُونَهُ بِسَلْبٍ يَنْفِي الْوُجُودَ، وَمِنْ أَبْلَغِ الْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الَّتِي بَعَثَ اللهُ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهَا كُتُبَهُ، مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ الْإِثْبَاتِ الْمُفَصَّلِ، وَالنَّفْيِ الْمُجْمَلِ، كَمَا يُقَرِّرُ فِي كِتَابِهِ، وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَقُولُ فِي النَّفْيِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

وَعَلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ اتِّبَاعُ الْمُرْسَلِينَ مِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَمَّا طَرِيقَةُ هَؤُلَاءِ، فَهِيَ نَفْيٌ مُفَصَّلٌ، لَيْسَ بِكَذَا وَلَا كَذَا، وَإِثْبَاتٌ مُجْمَلٌ.

يَقُولُونَ: هُوَ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِسَلْبٍ أَوْ إِضَافَةٍ أَوْ مُرَكَّبٍ مِنْهُمَا وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَكُلُّ مَنْ عَلِمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَمَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ، عَلِمَ أَنْ هَؤُلَاءِ فِي غَايَةِ الْمُشَاقَّةِ وَالْمُحَادَّةِ وَالْمُحَارَبَةِ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ وَانْتَدَبَ هَؤُلَاءِ فِي تَقْرِيرِ شُبَهٍ عَقْلِيَّةٍ يَنْفُونَ بِهَا الْحَقَّ، وَتَأَوَّلُوا كِتَابَ اللهِ عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، فَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَلْحَدُوا فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ، بِحَيْثُ حَمَلُوهَا عَلَىٰ مَا يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّهُ خِلَافُ مُرَادِ اللهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا فَعَلَ إِخْوَانُهُمْ الْقَرَامِطَةُ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَجَحَدُوا الْحَقَائِقَ الْعَقْلِيَّةَ، كَمَا فَعَلَ إِخْوَانُهُمْ السُّوفِسْطَائِيَّةَ فَجَمَعُوا بَيْنَ السَّفْسَطَةِ فِي الْعَقْلِيَّاتِ، وَالْقَرَامِطَةِ فِي السَّمْعِيَّاتِ، فَلِهَذَا انْتُدِبَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَغَيْرُهُمْ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَتَقْرِيرِ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَرَدِّ تَكْذِيبِهِمْ وَتَعْطِيلِهِمْ، وَذَكَرُوا دَلَائِلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ بَيَانِ الْحَقِّ وَرَدِّ بَاطِلِهِمْ، وَلَمَّا احْتَجَّ أُولَئِكَ بِشُبَهٍ عَقْلِيَّةٍ، بَيَّنُوا أَيْضًا لَهُمْ أَنَّ الْعَقْلَ يَدُلُّ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِهِمْ وَصِحَّةِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٦]، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَنْ نَهَىٰ عَنْ بَيَانِ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الْإِثْبَاتِ، وَأَمَرَ بِمَا أَحْدَثَ مِنَ النَّفْيِ الَّذِي لَا يُؤْثَرُ عَنِ الرُّسُلِ، كَانَ قَدْ أَخَذَ مِنْ مُشَاقَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَمُحَادَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمُحَارَبَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، بِحَسَبِ مَا سَعَىٰ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، حَيْثُ أَمَرَ بِتَرْكِ مَا بَعَثَ بِهِ الرَّسُولُ، وَبِإِظْهَارِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثَ عَشَرَ:

أَنَّ النَّاسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا كَلَامَ اللهِ وَرَسُولِهِ هُوَ الْأَصْلُ الْمُتَّبَعُ، وَالْإِمَامُ الْمُقْتَدَىٰ بِهِ سَوَاءٌ عَلِمُوا مَعْنَاهُ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهُ، فَيُؤْمِنُونَ بِلَفْظِ النُّصُوصِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ مَعْنَاهَا، وَأَمَّا مَا سِوَىٰ كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ أَصْلًا بِحَالٍ، وَلَا يَجِبُ التَّصْدِيقُ بِلَفْظٍ لَهُ حَتَّىٰ يُفْهَمَ مَعْنَاهُ فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ كَانَ مَقْبُولًا وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا كَانَ مَرْدُودًا، وَإِنْ كَانَ مُجْمَلًا مُشْتَمِلًا عَلَىٰ حَقٍّ وَبَاطِلٍ، لَمْ يَجُزْ إِثْبَاتُهُ أَيْضًا، وَلَا يَجُوزُ نَفْيُ جَمِيعِ مَعَانِيهِ.

بَلْ يَجِبُ الْمَنْعُ مِنْ إِطْلَاقِ نَفْيِهِ وَإِثْبَاتِهِ، وَالتَّفْصِيلِ وَالِاسْتِفْسَارِ وَهَؤُلَاءِ جَعَلُوا هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الْمُبْتَدَعَةَ الْمُجْمَلَةَ أَصْلًا أُمِرُوا بِهَا وَجَعَلُوا مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فَرْعًا يُعْرَضُ عَنْهَا وَلَا يُتَكَلَّمُ بِهَا وَلَا فِيهَا، فَكَيْفَ يَكُونُ تَبْدِيلُ الدِّينِ إِلَّا هَكَذَا؟.

الْوَجْهُ الرَّابِعَ عَشَرَ:

لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ وَيُوجِبَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا أَوْجَبَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَحْظُرُ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا حَظَرَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَمَنْ وَجَبَ مَا لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَحَرَّمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَقَدْ شَرَعَ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ، وَهُوَ مُضَاهٍ لِمَا ذَمَّهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينًا لَمْ يَأْمُرْهُمُ اللهُ بِهِ، وَحَرَّمُوا مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْأَعْرَافِ وَبَرَاءَةَ

وَغَيْرِهِنَّ مِنَ السُّوَرِ، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ شِعَارِ أَهْلِ الْبِدَعِ، إِحْدَاثُ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَإِلْزَامُ النَّاسِ بِهِ وَإِكْرَاهُهُمْ عَلَيْهِ، وَالْمُوَالَاةُ عَلَيْهِ وَالْمُعَادَاةُ عَلَىٰ تَرْكِهِ، كَمَا ابْتَدَعَتْ الْخَوَارِجُ رَأْيَهَا، وَأَلْزَمَتْ النَّاسَ بِهِ وَوَالَتْ وَعَادَتْ عَلَيْهِ.

وَابْتَدَعَتْ الرَّافِضَةُ رَأْيَهَا، وَأَلْزَمَتْ النَّاسَ بِهِ، وَوَالَتْ وَعَادَتْ عَلَيْهِ وَابْتَدَعَتْ الْجَهْمِيَّةُ رَأْيَهَا وَأَلْزَمَتْ النَّاسَ بِهِ وَوَالَتْ وَعَادَتْ عَلَيْهِ لَمَّا كَانَ لَهُمْ قُوَّةٌ فِي دَوْلَةِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ، الَّذِينَ امْتُحِنَ فِي زَمَنِهِمْ الْأَئِمَّةُ لِيُوَافِقُوهُمْ عَلَىٰ رَأْيِ جَهْمٍ الَّذِي مَبْدَؤُهُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ وَعَاقَبُوا مَنْ لَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا مِنْ الْمُنْكَرَاتِ الْمُحَرَّمَةِ بِالْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْعِقَابَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَلَىٰ تَرْكِ وَاجِبٍ، أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ، وَلَا يَجُوزُ إِكْرَاهُ أَحَدٍ إِلَّا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَالْإِيجَابُ وَالتَّحْرِيمُ لَيْسَ إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

فَمَنْ عَاقَبَ عَلَىٰ فِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ بِغَيْرِ أَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَشَرَعَ ذَلِكَ دِينًا، فَقَدْ جَعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَلِرَسُولِهِ نَظِيرًا بِمَنْزِلَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا، أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْمُرْتَدِّينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَهُوَ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى:٢١].

وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَا يُلْزِمُونَ النَّاسَ بِمَا يَقُولُونَهُ مِنْ مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ، وَلَا يُكْرِهُونَ أَحَدًا عَلَيْهِ، وَلِهَذَا لِمَا اسْتَشَارَ هَارُونُ الرَّشِيدُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ فِي حَمْلِ النَّاسِ عَلَىٰ مُوَطَّئِهِ، قَالَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفَرَّقُوا فِي الْأَمْصَارِ، فَأَخَذَ كُلُّ قَوْمٍ عَمَّنْ كَانَ عِنْدَهُمْ، وَإِنَّمَا جَمَعْتُ عِلْمَ أَهْلِ بَلَدِي، أَوْ كَمَا قَالَ: وَقَالَ مَالِكٌ أَيْضًا: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُصِيبُ وَأُخْطِئُ، فَاعْرِضُوا قَوْلِي عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هَذَا رَأْيٌ، فَمَنْ جَاءَنَا بِرَأْيٍ أَحْسَنَ مِنْهُ قَبِلْنَاهُ، وَقَالَ **الشَّافِعِيُّ**: إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي الْحَائِطَ.

وَقَالَ: إِذَا رَأَيْت الْحُجَّةَ مَوْضُوعَةً عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَإِنِّي أَقُولُ بِهَا، وَقَالَ **الْمُزَنِيّ** فِي أَوَّلِ مُخْتَصَرِهِ، هَذَا كِتَابٌ اخْتَصَرْته مِنْ عِلْمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيِّ، لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ مَذْهَبِهِ.

مَعَ إِعْلَامِيَّةِ نَهْيِهِ عَنْ تَقْلِيدِهِ وَتَقْلِيدِ غَيْرِهِ مِنْ الْعُلَمَاءِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: مَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيهِ أَنْ يَحْمِلَ النَّاسَ عَلَىٰ مَذْهَبِهِ، وَلَا يُشَدِّدَ عَلَيْهِمْ قَالَ: لَا تُقَلِّدْ دِينَك الرِّجَالَ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَسْلَمُوا مِنْ أَنْ يَغْلَطُوا.

فَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَهُمْ فِي الْأُصُولِ الْعِلْمِيَّةِ وَفُرُوعِ الدِّينِ لَا يَسْتَجِيزُونَ إِلْزَامَ النَّاسِ بِمَذَاهِبِهِمْ مَعَ اسْتِدْلَالِهِمْ عَلَيْهَا بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَكَيْفَ بِإِلْزَامِ النَّاسِ وَإِكْرَاهِهِمْ عَلَىٰ أَقْوَالٍ لَا تُوجَدُ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا فِي حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تُؤْثَرُ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ لِابْنِ أَبِي دُؤَادٍ الْجَهْمِيِّ الَّذِي كَانَ قَاضِي الْقُضَاةِ فِي عَهْدِ الْمُعْتَصِمِ، لَمَّا دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ التَّجَهُّمِ، وَأَنْ يَقُولُوا الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَأَكْرَهَهُمْ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ، وَأَمَرَ بِعَزْلِ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ وَقَطَعَ رِزْقَهُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فَعَلَهُ فِي مِحْنَتِهِ الْمَشْهُورَةِ، فَقَالَ لَهُ فِي مُنَاظَرَتِهِ لَمَّا طَلَبَ مِنْهُ الْخَلِيفَةُ أَنْ يُوَافِقَهُ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ.

ائْتُونِي بِشَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ حَتَّىٰ أُجِيبَكُمْ بِهِ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: وَأَنْتَ لَا تَقُولُ إِلَّا بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ؟ فَقَالَ لَهُ: هَبْ أَنَّكَ تَأَوَّلْتَ تَأْوِيلًا فَأَنْتَ أَعْلَمُ وَمَا تَأَوَّلْت، فَكَيْفَ تَسْتَجِيزُ أَنْ تُكْرِهَ النَّاسَ عَلَيْهِ بِالْحَبْسِ وَالضَّرْبِ.

فَبَيَّنَ أَنَّ الْعُقُوبَةَ لَا تَجُوزُ إِلَّا عَلَىٰ تَرْكِ مَا أَوْجَبَهُ اللهُ، أَوْ فِعْلِ مَا حَرَّمَهُ اللهُ فَإِذَا كَانَ الْقَوْلُ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ لَمْ يَجِبْ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَقُولُوهُ؛ لِأَنَّ الْإِيجَابَ إِنَّمَا يُتَلَقَّىٰ مِنْ الشَّارِعِ، وَإِنْ كَانَ لِلْقَوْلِ فِي نَفْسِهِ حَقًّا، أَوْ اعْتَقَدَ قَائِلُهُ أَنَّهُ حَقٌّ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا مَا لَمْ يُلْزِمْهُمْ الرَّسُولُ أَنْ يَقُولُوهُ لَا نَصًّا وَلَا اسْتِنْبَاطًا، وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَوْلُ الْقَائِلِ: الْمَطْلُوبُ مِنْ فُلَانٍ أَنْ يَعْتَقِدَ كَذَا وَكَذَا، وَأَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِكَذَا وَكَذَا، إِيجَابٌ عَلَيْهِ لِهَذَا الِاعْتِقَادِ، وَتَحْرِيمٌ عَلَيْهِ لِهَذَا الْفِعْلِ.

وَإِذَا كَانُوا لَا يَرَوْنَ خُرُوجَهُ مِنَ السِّجْنِ إِلَّا بِالْمُوَافَقَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَحَلُّوا عُقُوبَتَهُ وَحَبْسَهُ حَتَّىٰ يُطِيعَهُمْ فِي ذَلِكَ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَا أَمَرُوا بِهِ قَدْ أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَمَا نَهُوا عَنْهُ قَدْ نَهَى اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ، كَانُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ ذُكِرَ مِنْ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْجَهْمِيَّةِ الْمُشَابِهِينَ لِلْمُشْرِكِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ بِحَالٍ، وَهُمْ أَيْضًا يُبَيِّنُوا أَنَّهُ يُوجَدُ فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَلَوْ كَانَ هَذَا مَوْجُودًا فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ لَكَانَ عَلَيْهِمْ بَيَانُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْعُقُوبَاتِ لَا تَجُوزُ إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء:١٥]، فَإِذَا لَمْ يُقِيمُوا حُجَّةَ اللهِ الَّتِي يُعَاقَبُ مَنْ خَالَفَهَا، بَلْ لَا يُوجَدُ مَا ذَكَرُوهُ فِي حُجَّةِ اللهِ وَقَدْ نُهُوا عَنْ تَبْلِيغِ حُجَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ كَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ مُمَاثَلَةً لِمَا ذُكِرَ مِنْ حَالِ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ الْمُضَاهِينَ لِلْمُشْرِكِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ وَالْمُنَافِقِينَ.

الْوَجْهُ الْخَامِسَ عَشَرَ:

أَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي قَالُوهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَقًّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ لَمْ يَجُزْ الْإِلْزَامُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ، فَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ دَلَالَتِهِ، فَإِنَّ الْعُقُوبَةَ لَا تَجُوزُ قَبْلَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ مِمَّا أَظْهَرَهُ الرَّسُولُ وَبَيَّنَهُ، فَقَدْ قَامَتْ الْحُجَّةُ بِبَيَانِ رَسُولِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ حُجَّتِهِ وَإِظْهَارِهَا الَّتِي يَجِبُ مُوَافَقَتُهَا وَيَحْرُمُ

مُخَالَفَتُهَا، وَلِهَذَا قَالَ الْفُقَهَاءُ فِي أَهْلِ الْبَغْيِ الْمُتَأَوِّلِينَ: إِنْ ذَكَرُوا مَظْلَمَةً أَزَالَهَا الْإِمَامُ، وَإِنْ ذَكَرُوا شُبْهَةً بَيَّنُوهَا لَهُ فَإِذَا لَمْ يُبَيِّنُوا صَوَابَ الْقَوْلِ أَصْلًا بَلِ ادَّعَوْهُ دَعْوَىٰ مُجَرَّدَةً حُورِبُوا.

فَكَيْفَ يَجِبُ الْتِزَامُ مِثْلِ ذَلِكَ الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ الرَّسُولِ، وَهَلْ يَفْعَلُ هَذَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ أَوْ دِينٌ؟.

الْوَجْهُ السَّادِسَ عَشَرَ:

أَنَّهُمْ لَوْ بَيَّنُوا صَوَابَ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْقَوْلِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُوجِبًا لِعُقُوبَةِ تَارِكِهِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَسْأَلَةٍ فِيهَا نِزَاعٌ إِذَا أَقَامَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ الْحُجَّةَ عَلَىٰ صَوَابِ قَوْلِهِ مِمَّا يُسِيغُ لَهُ عُقُوبَةَ مُخَالِفِهِ، بَلْ عَامَّةُ الْمَسَائِلِ الَّتِي تَنَازَعَتْ فِيهَا الْأُمَّةُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ الْمُتَنَازِعَيْنِ أَنْ يُعَاقِبَ الْآخَرَ عَلَىٰ تَرْكِ اتِّبَاعِ قَوْلِهِ.

فَكَيْفَ إِذَا لَمْ يَذْكُرُوا حُجَّةً أَصْلًا وَلَمْ يُظْهِرُوا صَوَابَ قَوْلِهِمْ.

الْوَجْهُ السَّابِعَ عَشَرَ:

أَنَّهُ لَوْ فُرِضَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي أَلْزَمُوا بِهِ حَقٌّ وَصَوَابٌ قَدْ ظَهَرَتْ حُجَّتُهُ، وَوَجَبَتْ عُقُوبَةُ تَارِكِ الْتِزَامِهِ، فَهَذَا لَمْ يَذْكُرُوهُ إِلَّا فِي هَذَا الْوَقْتِ، بَعْدَ هَذَا الطَّلَبِ وَالْحَبْسِ وَالنِّدَاءِ عَلَىٰ الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ بِالْمَنْعِ مِنْ مُوَافَقَتِهِ، وَنِسْبَتِهِ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ، وَمُخَالَفَةِ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَّامِ، وَخُرُوجِهِ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ إِلَىٰ أَنْوَاعٍ أُخَرَ مِمَّا قَالُوهُ وَفَعَلُوهُ فِي حَقِّهِ، مِنَ الْإِيذَاءِ وَالْعُقُوبَةِ وَالضَّرَرِ زَاعِمِينَ أَنَّ مَا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الْفَتَاوَىٰ وَالْكُتُبِ يَتَضَمَّنُ ذَلِكَ، فَإِذَا أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَمْ يُبَيِّنُوا فِي كَلَامِهِ الْمُتَقَدِّمِ شَيْئًا مِنَ الْخَطَأِ وَالضَّلَالِ الْمُوجِبِ لِلْعُقُوبَةِ، لَمْ يَكُنْ ابْتِدَاؤُهُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ مَقَالَةٍ إِنْشَاؤُهَا مُبِيحًا لِمَا فَعَلُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَالتَّبْدِيلِ لِدِينِ اللهِ، وَإِنَّمَا هَذَا انْتِقَالٌ مِنْ ظُلْمٍ إِلَىٰ ظُلْمٍ؛ لِيُقَرِّرُوا بِالظُّلْمِ الْمُتَأَخِّرِ حُسْنَ الظُّلْمِ الْمُتَقَدِّمِ.

كَمَنْ يَسْتَجِيرُ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ، وَهَذَا يَزِيدُهُمْ إِثْمًا وَعَذَابًا، فَهَبْ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ وَافَقَهُمُ الْآنَ عَلَىٰ مَا أَنْشَأَهُ مِنَ الْقَوْلِ، أَيُّ شَيْءٍ فِي ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ خَطَئِهِ وَضَلَالِهِ فِي أَقْوَالِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ إِذَا لَمْ تُنَافِ هَذَا الْقَوْلَ؟ دَعْ اسْتِحْقَاقَ الْعُقُوبَةِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ، فَمَا لَمْ يُبَيِّنُوا أَنَّ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ قَبْلَ طَلَبِهِ وَحَبْسِهِ وَإِعْلَامِ مَا ذَكَرُوهُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يُوجِبُ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ هَذَا وَهُمْ قَدْ عَجَزُوا عَنْ إِبْدَاءِ خَطَأٍ أَوْ ضَلَالٍ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الْمَقَالِ، وَهُمْ دَائِمًا يَسْتَعْفُونَ مِنَ الْمُحَاقَّةِ وَالْمُنَاظَرَةِ بِلَفْظٍ أَوْ خَطٍّ، وَقَدْ قِيلَ لَهُمْ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةً: مَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا فَلْيَكْتُبْ مَا يُنْكِرُهُ بِخَطِّهِ، وَيَذْكُرُ حُجَّتَهُ، وَيَكْتُبُ جَوَابَهُ، وَيُعْرَضُ الْأَمْرَانِ عَلَىٰ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأُبْلِسُوا وَبُهِتُوا وَطُلِبَ مِنْهُمْ غَيْرَ مَرَّةٍ الْمُخَاطَبَةُ فِي الْمُحَاضَرَةِ، وَالْمُحَاقَّةِ وَالْمُنَاظَرَةِ، فَظَهَرَ مِنْهُمْ مِنَ الْعِيِّ فِي الْخِطَابِ، وَالنُّكُوصِ عَلَىٰ الْأَعْقَابِ، وَالْعَجْزِ عَنِ الْجَوَابِ مَا قَدْ اُشْتُهِرَ وَاسْتَفَاضَ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدَائِنِ وَالْأَعْرَابِ.

وَمِنْ قُضَاتِهِمْ الْفُضَلَاءِ مَنْ كَتَبَ اعْتِرَاضًا عَلَىٰ الْفُتْيَا الْحَمَوِيَّةِ، وَضَمَّنَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْكَذِبِ وَأُمُورًا لَا تَتَعَلَّقُ بِكَلَامِ الْمُعْتَرَضِ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَتَبْتُ جَوَابَهُ فِي مُجَلَّدَاتٍ.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَتَبَ شَيْئًا ثُمَّ خَبَّأَهُ وَطَوَاهُ عَنِ الْأَبْصَارِ.

وَخَافَ مِنْ نَشْرِهِ ظُهُورَ الْعَارِ، وَخِزْيَ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالصَّغَارِ، إِذْ مَدَارُ الْقَوْمِ عَلَىٰ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا الْكَذِبُ الصَّرِيحُ، وَإِمَّا الِاعْتِقَادُ الْقَبِيحُ.

فَهُمْ لَنْ يَخْلُوا مِنْ كَذِبٍ كَذَبَهُ بَعْضُهُمْ وَافْتَرَاهُ، وَظَنٍّ بَاطِلٍ خَابَ مَنْ تَقَلَّدَهُ وَتَلَقَّاهُ.

وَهَذِهِ حَالُ سَائِرِ الْمُبْطِلِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ. اهـ

فصل: ذكر بعض آيات الصفات من القرآن

معلوم عند القاصي والداني أن القرآن يقرأوه المسلمون في صلواتهم وفي مساجدهم، ويسمعونه في طرقهم وفي بيوتهم إلىٰ غير ذلك، وهذه السور والآيات تتضمن أسماء وصفات، ومن أكثر السور قراءة سورة الفاتحة وسورة الإخلاص وآية الكرسي، وكل هذه تتضمن أسماء وصفات.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:١-٧].

فهذه السورة ذكر فيها:

اسم الله: مرتين.

الرحمن: مرتين.

الرحيم: مرتين.

مالك يوم الدين: مرة.

رب العالمين: مرة.

ومالك يوم الدين ورب العالمين تعتبر من الأسماء المركبة وهي من الأسماء الحسنىٰ ويجوز الدعاء بها بالإجماع نقل ذلك شيخ الإسلام بن تيمية.

واسم (الله) يتضمن صفة الألوهية.

واسم (الرحمن) يتضمن صفة الرحمة.

وكذلك اسم (الرحيم) وهكذا دواليك.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

هذه السورة قد جاءت الأحاديث في فضلها وشرفها، وأنها: «تعدل ثلث القرآن» كما في حديث أبي الدرداء عند مسلم (٨١١) وحديث أبي هريرة عنده أيضًا (٨١٢)، وفي حديث عائش في الصحيحين دلالة واضحة علىٰ أن هذه السورة وصف للرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا علىٰ سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أخبروه أن الله يحبه»[(١)].

وكون هذه السورة ثلث القرآن؛ لأن القرآن أحكام وأخبار وتوحيد، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعلىٰ في «بدائع الفوائد»[(٢)]: فإن هاتين السورتين[(٣)] سورتا الإخلاص، وقد اشتملتا علىٰ نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح إلا بهما وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد، وأنه إله أحد صمد، لم يلد فيكون له فرع ولم يولد فيكون له أصل، ولم يكن له كفوًا أحد يكون له نظير، ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها، فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال ونفي ما لا يليق به من الشرك أصلًا وفرعًا، ونظيرًا. اهـ

وصفات الله عز وجل تنقسم إلىٰ صفات ثبوتية مثل صفة الرحمة والرضىٰ والحب واليد والوجه، وصفات منفية وهي متضمنة لكمال الضد مثل الذي لا يموت، لكمال حياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لم يلد، لكمال قيوميته وغير ذلك.

---

(١) البخاري (٧٣٧٥) ومسلم (٧١٣).
(٢) (١/ ٢٤٣) طبعة عالم الفوائد.
(٣) سورة الكافرون، سورة الإخلاص.

وهذه السورة جمعت الصفات الثبوتية والصفات المنفية إلىٰ غير ذلك من أحكامها وما فيها، فتضمنت من الأسماء (الله) وذكر اسم الله فيها مرتين، وهو يتضمن صف الإلوهية.

﴿أَحَدٌ﴾ وهذا الاسم يتضمن صفة الأحدية.

﴿ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ وهذا الاسم يتضمن صفة الصمدية.

والصمد هو السيد الذي كمل في سؤدده أو الذي تصمد إليه الخلائق، أو الذي لا جوف له لقيوميته سبحانه وغناه وغير ذلك من صفات كماله، ودلت علىٰ نفي الوالد والولد الذي إنما يحتاج إليه المربوب الناقص لا الخالق الكامل.

وأيضًا آية الكرسي قال الله فيها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقد دلت الأحاديث علىٰ أن هذه أعظم آية في القرآن، فتضمنت هذه الآية عدة من الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ إليك ها:

قال عبد العزيز السلمان في «الكواشف الجلية» (ص ١٢٣، ١٢٤): ما يؤخذ من آية الكرسي:

إثبات الألوهية.

انفراده بالألوهية.

إثبات صفة الحياة.

إثبات صفة القيومية.

تنزيه الله عن السِّنة.

تنزيه الله عن النوم.

تنزيه الله عن العجز لما في ذلك من المنافات لكمال حياته وقيوميته وقدرته.

إثبات سعة ملكه وأنه تعالىٰ له ما في السموات والأرض ملكًا وخلقًا وليس له في ذلك شريك ولا منازع، وأن الجميع عبيده وتحت قهره وسلطانه.

إثبات سعة علمه وأنه محيط بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها، ومستقبلها، وأنه لا يغفل ولا ينسىٰ ولا يلهيه شأن عن شأن.

اختصاصه بالتعليم، وأن الخلق لا يعلمون إلا ما علمهم جَلَّ وَعَلَا.

إثبات صفة الكلام.

إثبات صفة العلم.

إثبات عظمة الله وقدرته، وأنه لا يعجزه شيء.

إثبات المشيئة لله.

إثبات القوة لله اهـ مختصرًا.

هذه ثلاث مواضع من القرآن سقتها وغيرها كثير وكثير، ثم بعد ذلك يقول قائل: لا يحدث بآيات وأحاديث الصفات بين العوام مع أنه لا يخرج هذا القول إلا من عنده شبهة، وإلا فيجب علىٰ العوام أن يعتقدوا المعتقد الصحيح في باب الأسماء والصفات وغيرها من أبواب الدين فبمعرفة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ يعرف الله عَزَّوَجَلَّ، وكلما قويت المعرفة لدىٰ الشخص كلما زادت عبادته وخشيته، قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

ونسوق بعض الآيات التي فيها إثبات صفات الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، إثبات صفة الوجه لله وجهًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، إثبات صفة اليدين لله عَزَّوَجَلَّ، يدان حقيقيتان تليق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ، ليست كيد المخلوقين المربوبين، وليست بمعنىٰ القدرة أو القوة كما يقول المعتزلة.

وقال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ [الأعلىٰ:١]، إثبات صفة العلو لله عَزَّوَجَلَّ علو القدرة والقهر وعلو الذات وأنه علىٰ العرش استوىٰ، أي علا، وارتفع، وصعد، والعرش في السماء وهو سقف الفردوس، وهو أعلىٰ المخلوقات، وعلو الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه، واستوائه يليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورىٰ:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]، دل عليه أيضًا حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم: «فيكشف الجبار عن ساقه»، ساق يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورىٰ:١١]، لا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

وقال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، إثبات صفة الرحمة لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما يليق بجلاله.

وقال تعالىٰ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، إثبات صفة الرضا لله عَزَّوَجَلَّ، رضًا حقيقي علىٰ ما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وليس هو بالثواب كما يقول المعتزلة، أو إرادة الثواب كما يقول الأشاعرة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦]، إثبات صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ غضب حقيقي يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وليس هو الانتقام ولا إرادة الانتقام فإن الله يقول: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف:٥٥]، أي: فلما أغضبونا انتقمنا منهم، ولا يصلح فلما انتقمنا منهم انتقمنا منهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ:١١]، إثبات صفتي السمع والبصر لله عَزَّوَجَلَّ، وأنه يسمع بسمع وبصير ببصر، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة:١].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾، وهكذا كل اسم يتضمن صفة حقيقية تليق بالله عَزَّوَجَلَّ، فليستحي علىٰ نفسه من يقول لا يحدث بآيات وأحاديث الصفات بين العوام.

فصل: ذكر بعض أحاديث الصفات، وتحديث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بها

وأما الأحاديث الواردة في هذا الباب فكثيرة جدًا، نذكر منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

حديث معاوية بن الحكم السلمي عند مسلم (٥٣٧): أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للجارية: «**أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة**».

وفي حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حجة الوداع التي حضرها مائة ألف من المسلمين أو قريب من ذلك، وفيهم من هو من أعراب المسلمين، ومن هو حديث عهد بالإسلام وفيه: بعد ذكر الحديث قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت ونصحت فقال بإصبعة السبابة يرفعها إلىٰ السماء وينكتها إلىٰ الناس: «**اللّٰهم أشهد، اللّٰهم أشد**»، ثلاث مرات أخرجه مسلم (١٢١٨) والعلماء يستدلون بهذين الحديثين علىٰ إثبات صفة العلو لله عَزَّوَجَلَّ، وأخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٩) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فاستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فاغفر له**».

ففي الحديث إثبات صفة النزول لله عَزَّوَجَلَّ نزولًا حقيقي يليق بجلاله، وإثبات صفة الكلام له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومما يدل علىٰ أن النزول حقيقي قوله: «**من يدعوني فاستجيب له**»، فمن قال بنزول الملك، الملك مخلوق مربوب لا يغفر، وإنما الذي يجيب ويغفر هو الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢]، وليس النازل أمره، فأوامره عَزَّوَجَلَّ نازلة في كل حين ووقت.

وأخرج مسلم من حديث أبي موسىٰ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل».

في الحديث إثبات صفة اليد لله عَزَّ وَجَلَّ يد حقيقية تليق بجلاله وكماله، وإثبات صفة البسط بالليل والنهار.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة، يقتل هذا في سبيل الله ثم يتوب على القاتل فيسلم، ويستشهد»، متفق عليه.

في الحديث إثبات صفة الضحك لله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ ما يليق به، وقد ثبت هذه الصفة في غير ما حديث فلا يجوز أن يفسر الضحك بالثواب أو إرادة الثواب علىٰ ما تقدم مرارًا.

وفي الحديث الطويل في قصة الأنصاري الذي أضاف ضيف رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما البارحة»، متفق عليه وفي قراءة: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾، عجب يليق بجلاله ليس بسبب خفاء الأسباب، فالله عَزَّ وَجَلَّ بكل شيء عليم، ولكن عجب بخروج الشيء عن نظائره.

وفي حديث جابر عند البخاري (٤٦٢٨) قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ...»، الحديث.

وفي الحديث: إثبات صفة الوجه لله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ ما تقدم بيانه.

وهذه أمثلة يعرف بها المراد مما بعدها.

فكل آية أو حديث محتج به فيه وصف لله عَزَّ وَجَلَّ يمر علىٰ ما جاء لا يتعرض له بالتحريف ولا بالتأويل ولا بالتعطيل ولا بالتكييف ولا بالتمثيل.

بل يثبت لله عَزَّوَجَلَّ ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مراد الله تعالىٰ، ومراد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمعاني معروفة، وقد تقدم أن آيات وأحاديث الصفات من باب المحكم لا المتشابه.

وإن وقعت في التشابه النسبي فارجع إلىٰ أهل العلم، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف:٧٦].

الدليل على الإشارة عند من يفهم

أخرج أبو داود (١٣/ ٣٧): فيما رواه أبو يونس سليم بن جابر، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾ إلىٰ قوله: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء:٥٨]، قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضع إبهامه علىٰ أذنه والتي تليها علىٰ عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأُها ويضع إصبعيه. قال المقرئ: يعني، يعني إن الله سمعًا وبصرًا.

قال أبو داود: وهذا رد علىٰ الجهمية.

قل الإمام الوادعي: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم.

وعند أحمد (٣/ ١٢٥): عن ثابت البناني أبي محمد، عن أنس، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف:١٤٣]، قال: هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر، فقال له حميد الطويل: ما تُريد من هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم تقول أنت ماذا تريد إليه.

وأخرج الحديث الترمذي (٨/ ٤٥١) من طريق حماد عن ثابت، عن أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف:١٤٣].

قال حماد: هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه علىٰ أُنْمُلة إصبعه اليمنىٰ قال: فانساخ الجبل، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾.

قال الإمام الوادعي في «الصحيح المسند» (٩٦): هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم.

وأخرج البخاري (٧٤٠٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: وذكر الدجال عند النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

وفي مسلم من حديث عبد الله عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يحكي عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «يأخذ الله عَزَّوَجَلَّ سماواته وأرضه بيديه فيقول: أنا الله– ويقبض أصابعه ويبسطها– أنا الملك»، حتىٰ نظرت إلىٰ المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتىٰ إني لأقول: أساقط هو برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» تحت باب رقم (٩) باب وكان الله سمعيًا وبصيرًا من كتاب التوحيد لعقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حديثًا قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول علىٰ المنبر: «إن ربنا سمع بصير»، وأشار إلىٰ عينيه، قال: وسنده حسن.

قال ابن عثيمين في شرح صحيح البخاري(١/٣٤١-٣٤٢):

ينبغي للإنسان أن يراعي حالة من يلقي إليه العلم فإذا كان يخشىٰ أن يفهم الملقي إليه العلم الشيء علىٰ خلافه فلا يلقه إليه لأن درأ خير من جلب المصالح.

ولهذا قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون ومراده بما يمكنهم معرفته وليس المراد بما سبق لهم به المعرفة لأن ما سبق لهم به المعرفة لا يحتاجون إلىٰ التحديث به فحدثوهم بما يمكنهم أن يعرفوه فأما مالا يمكنهم أن يعرفوه فلا تحدثوهم وعلل ذلك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقوله: أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

وعند العامة الآن أنك إذا أتيتهم بقول لا يعرفونه وإن كان من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا هذا دين جديد. ولا يقبلونه.

لكن هل يعني ذلك أن لا نقول الحق؟

الجواب: لا. بل نقول الحق ولكن نتحين وقتًا يكون فيه قبول الناس للحق علىٰ وجه صحيح وذلك بأن نأتيهم من أسفل الدرجة إلىٰ الأعلىٰ.

وما يفعله بعض إخواننا الآن إذا أرادوا أن يحققوا مسألة من صفات الله أو صفه من صفات الله جعلوا يشيرون بأيديهم فيقولون مثلًا: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجعل السماء علىٰ أصبع والأرضيين علىٰ أصبع، ثم يذكر الخمسة أصابع التي وردت في حديث أبن مسعود ثم يقول بيديه هكذا.

هذا حرام إذ من قال لك: أن أصابع الله مثل أصابعك؟

ثم إنك إذا ذكرت للعامة مثل هذا فإن أفكارهم سوف تنصب علىٰ التمثيل؛ لأن العامي لا يفهم.

فإن قيل أليس النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إلىٰ عينيه وأذنه حين قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء:٥٨]؟

فالجواب: **أن نقول**: هناك فرق بين ما فعلت وبين ما فعل الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهناك فرق بين من ينظرون إلىٰ الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن ينظرون إليك.

فالواجب على الإنسان: أن يراعي أحوال المخاطب، وأن لا يخاطبه بما لا يمكنه إدراكه فيقع فيما خافه أمير المؤمنين علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين قال: أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «شرح صحيح البخاري» (٣٣٢/١٠) حديث رقم (٧٤٠٧): قوله: «**وأشار بيده إلى عينه**»، المشير هو رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبهذا يسقط ويبطل قول من قال: إن المراد بالعور العيب؛ لأن بعض المحرفين الذين أصروا علىٰ أن تكون أعين الله كثيرة قالوا: المراد بالعور العيب والمعنىٰ أن الدجال أعور -أي معيب وليس المراد عور العين، ولكننا ندمغهم دمغًا يزهق به الباطل حين أشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ عينه.

والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم منا بالله، أشار بيده إلىٰ عينه. اهـ

وقال رحمه في «شرح الواسطية» (ص ١٧٣): فإن قلت: هل لي أن أفعل كما فعل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي الإشارة عند التحديث بالصفة، قال: فالجواب من العلماء من قال: نعم افعل كما فعل الرسول لستَّ أهد للخلق من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولست أشد تحرزًا من أن يضاف إلىٰ الله ما لا يليق به من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنهم من قال: لا حاجة أن تفعل ما دمنا نعلم أن المقصود هو التحقيق، فهذه الإشارة إذًا غير مقصودة لغيرها.

وحينئذٍ لا حاجة إلىٰ أن تشير لا سيما إذا كان يُخشىٰ من هذه الإشارة توهم الإنسان التمثيل كما لو كان أمامك عامة من الخلق لا يفهمون الشيء علىٰ ما ينبغي، فهذا ينبغي التحرز منه ولكل مقام مقال. اهـ

المذاهب والمشارب في الأسماء والصفات

أولًا: مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات:

قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (١٩٥/٥): " ومذهب سلف الأمة وأئمتها ان يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فلا يجوز نفى صفات الله تعالىٰ التي وصف بها نفسه ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين بل هو سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ". اهـ

ثانيًا: مذهب أهل البدع في الأسماء والصفات:

مذهب الجهمية أتباع جهم بن صفوان لا يثبتون الأسماء ولا الصفات.

قال شيخ الإسلام في التدمرية: وأعلم أن الجهمية المحضة كالقرامطة ومن ضاهاهم: ينفون عنه تعالىٰ اتصافه بالنقيضين حتىٰ يقولون ليس بموجود ولا ليس بموجود ولا حي ولا ليس بحي ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع في بدائه العقول كالجمع بين النقيضين وآخرون وصفوه بالنفي فقط فقالوا ليس بحي ولا سميع ولا بصير وهؤلاء أعظم كفرًا من أولئك من وجه وأولئك أعظم كفرا من هؤلاء من وجه. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى(١٤): وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب ومن دخل في هؤلاء من الصابئة المتفلسفة والجهمية والقرامطة والباطنية ونحوهم: فإنهم علىٰ ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية علىٰ وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجود مطلقًا لا حقيقة في الأعيان فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل فإنهم يمثلونه بالممتعات والمعدومات والجمادات ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلًا يستلزم نفي الذات

فلأنهم يسبلون عنه النقيضين فيقولون: لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل؛ لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين وهذا ممتنع في بداهة العقول وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب وما جاء به الرسول فوقعوا في شر مما فروا منه فإنهم يشبهونه بالممتنعات إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من الممتنعات.

وقد علم بالاضطرار: أن الوجود لا بد من موجود واجب بذاته غني عما سواه قديم أزلي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم فوصفوه بما يمتنع وجود ه فضلًا عن الوجوب أو الوجود أو القدم

وقاربهم طائفة من الفلاسفة وأتباعهم فوصفوه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات وجعلوا الصفة هي الموصوف فجعلوا العلم عين العالم مكابرة للقضايا البديهيات، وجعلوا هذه الصفة هي الأخرىٰ فلم يميزوا بين العلم والقدرة والمشيئة جحدًا للعلوم الضروريات، وقاربهم طائفة ثالثة من أهل الكلام من المعتزلة ومن اتبعهم فأثبتوا لله الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات - فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات، ومنهم من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدير، سميع بصير بلا سمع ولا بصر، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات.

والكلام علىٰ فساد مقالة هؤلاء وبيان تناقضها بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول: مذكور علىٰ غير هذه الكلمات. انتهىٰ

ثالثًا: مذهب المعتزلة:

يثبتون الأسماء مجردة عن الصفات أي أعلام لا معاني لها.

ثالثًا: مذهب الأشاعرة: يثبتون الأسماء وسبع صفات، وهي المذكورة في هذا البيت:

حـــي مريـــد قـــادرة عـــلام ❁❁ لـــه الســـمع والبصـــر والكـــلام

رابعًا: مذهب المفوضة:

الذي هو مذهب التجهيل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصواعق (٤٢٢/١): والصنف الثالث أصحاب التجهيل الذين قالوا نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها ولكن نقرأها ألفاظًا لا معاني لها ونعلم أن لها تأويلًا لا يعلمه إلا الله وهي عندنا بمنزلة: (كهيعص) و (حم عسق) و (المص) فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلا ولا تشبيها ولم نعرف معناه وننكر علىٰ من تأوله ونكل علمه إلىٰ الله وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ولا يفهمون معنىٰ قوله: (لما خلقت بيدي) (ص ٧٥)، وقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧].

وبنوا هذا المذهب علىٰ أصلين:

أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه.

والثاني: أن للمتشابه تأويلًا لا يعلمه إلا الله فنتج من هذين الأصلين استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأنهم كانوا يقرؤون: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، و ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

ويروون ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا ولا يعرفون معنىٰ ذلك ولا ما أريد به ولازم قولهم إن الرسول كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه، ثم تناقضوا أقبح تناقض

فقالوا تجري علىٰ ظواهرها وتأويلها مما يخالف الظواهر باطل، ومع ذلك فلها تأويل لا يعمله إلا الله فكيف.

يثبتون لها تأويلًا ويقولون تجر علىٰ ظواهرها ويقولون الظاهر منها غير مراد والرب منفرد بعلم تأويلها، وهل في التناقض أقبح من هذا!، وهؤلاء غلطوا في المتشابه وفي جعل هذه النصوص من المتشابه، وفي كون المتشابه لا يعلم معناه إلا الله، فأخطئوا في المقدمات الثلاث واضطرهم إلىٰ هذا التخلص من تأويلات المبطلين وتحريفات المعطلين، وسدوا علىٰ نفوسهم الباب وقالوا: لا نرضىٰ بالخطأ ولا وصول لنا إلىٰ الصواب، فهؤلاء تركوا التدبر المأمور به والتذكر والعقل لمعاني النصوص الذي هو أساس الإيمان وعمود اليقين، وأعرضوا عنه بقلوبهم وتعبدوا بالألفاظ المجردة التي أنزلت في ذلك، وظنوا أنها أنزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها.

فأولئك جعلوها عرضة للتأويل والتحريف كما جعلها أصحاب التخييل أمثالًا لا حقيقة لها. انتهىٰ

خامسًا: أصحاب التشبيه والتمثيل:

ففهموا منها مثل ما للمخلوقين وظنوا أن لا حقيقة لها سوىٰ ذلك وقالوا محال أن يخاطبنا الله سبحانه بما لا نعقله ثم يقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣﴾ [البقرة:٧٣]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩﴾ [البقرة:٢١٩]، ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩].

ونظائر ذلك وهؤلاء هم المشبهة.

فهذه الفرق لا تزال تبدع بعضهم بعضا وتضلله وتجهله وقد تصادمت كما ترىٰ فهم كزمرة من العميان تلاقوا فتصادموا كما قال أعمىٰ البصر والبصيرة منهم:

ونظيري في العلم مثلي أعمىٰ ❁❁ فترانا في حندس نتصادم

وهدىٰ الله أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلىٰ، فلم يتلوثوا بشيء من أوضار هذه الفرق وأدناسها وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهبًا بين مذهبين، وهدىٰ بين ضلالتين، خرج من بين مذاهب المعطلين والمخيلين والمجهلين والمشبهين؛ كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، وقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات ونفي مشابهة المخلوقات، فلا نعطل، ولا نؤول، ولا نمثل، ولا نجهل، ولا نقول ليس لله يدان، ولا وجه، ولا سمع، ولا بصر، ولا حياة، ولا قدرة، ولا استوىٰ علىٰ عرشه، ولا نقول له يدان كأيدي المخلوق ووجه كوجوههم، وسمع وبصر وحياة وقدرة واستوىٰ كأسماعهم، وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم، بل نقول له ذات حقيقة ليست كالذوات وله صفات حقيقة لا مجازًا ليست كصفات المخلوقين وكذلك قولنا في وجهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويديه وسمعه وبصره وكلامه واستوائه. انتهىٰ

الفصل الثاني: القواعد الحسان لمعرفة صفات الرحمن

القاعدة الأولى:

الله عَزَّوَجَلَّ موصف بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وما صح عن نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصادقين الأمين، وبيان ذلك أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ توقيفي يُتوقف في أثبتها على الكتاب والسنة الصحيحة؛ لأنه لا يعرف كيف الله إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بذلك إلىٰ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تقدم شيء من ذلك.

والدليل علىٰ هذه القاعدة: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

القاعدة الثانية:

يجب علىٰ جميع المسلمين أن ينقادوا للكتاب والسنة، ولا سيما في هذا الباب، فما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبتناه، وما نفاه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفيناه، والدليل قوله الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران:١٣٢]. ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

ومثال الإثبات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨]، فنثبت لله عَزَّوَجَلَّ السمع والبصر.

ومثال النفي: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فينزه الله عَزَّوَجَلَّ عن النوم، ومقدماته لكمال قيوميته عَزَّوَجَلَّ؛ ولأنه نفىٰ ذلك عن نفسه. وهنا تنبيه يعرف بالقاعدة الثالثة.

القاعدة الثالثة:

عند الإثبات والنفي يجب التخلي من محاذير تجر إلىٰ الباطل والضلال وتجر إلىٰ الزيغ والانحراف.

* أولًا: عند الإثبات: الحذر كل الحذر من التكييف والتمثيل، والتكييف: أن تتخيل لصفة الله عَزَّوَجَلَّ كيفية وهيئة، فإن اقترن هذا التكييف بشيء موجود كان تمثيلًا، وإن لم يقترن كان تكيفًا، والتكييف والتمثيل من أعظم الإلحاد في أسماء الله وصفاته، فالله يقول: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤]، ويقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم:٦٥]، ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١].

وفي أثر نعيم بن حماد شيخ البخاري: "**من شبه الله بخلقه كفر** ".

ويجب أن نؤمن أن لصفات الله عَزَّوَجَلَّ كيفية وحقيقة لكننا نجهلها؛ لأنها لا تعلم كيفية الشيء إلا بالنظر إليه أو إلىٰ مثيله، أو يحدثك من رآه عنه، وكل هذه منتفية في حق الله تعالىٰ.

* ثانيًا: **عند التنزيه يجب التخلي من محذورين:**

الأول: التعطيل.

والثاني: التحريف.

والتعطيل في اللغة: هو التفريغ.

وفي الاصطلاح: هو تعطيل الله عَزَّوَجَلَّ من معاني الصفات. والتحريف: هو الميل، وفي الاصطلاح: يكون التحريف إما بتغيير اللفظ بزيادة أو نقصان أو بهما أو تغيير المعنىٰ.

ومن هذه الأمثلة المحذورة قول القائل: يد الله كيدي، فهذا باطل وكفر، أو قوله: يد الله عَزَّوَجَلَّ كذا وكذا علىٰ كيفية ليست كالمخلوقات نقول: وهذا باطل، وكفر وحرام؛ لأنك تقول علىٰ الله ما لا تعلم.

ومن أمثلتها في باب التحريف والتعطيل أن يقول القائل: يد الله، هي نعمته، نقول: هذا باطل وحرام وكفر؛ لأنك صرفت اللفظ عن ظاهره الذي أرداه الله عَزَّوَجَلَّ، وهو إثبات اليد لله سبحانه يدًا تليق بجلاله لا تماثل صفات المخلوقين؛ إذ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١].

القاعدة الرابعة:

كل اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ يتضمن صفة: كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، فاسم الحي يتضمن صفة الحياة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، وكقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ يتضمن اسم السميع صفة السمع واسم العليم صفة العلم؛ لأن أسماء الله أعلام وأوصاف، ولهذا كانت حسنىٰ تدل علىٰ الذات وتدل علىٰ الوصف.

القاعدة الخامسة:

كل فعل إضافة لله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ نفسه يشتق منه صفة كقوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ﴾، وكقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ فنثبت لله صفة الكلام كما يليق بجلاله وكقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ينزل ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخر»، الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فنثبت لله عَزَّوَجَلَّ صفة النزول كما يليق بجلاله.

القاعدة السادسة:

ما أضيف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من المعاني التي تقوم بغيرها كالوجه والعين والكلام واليد وغير ذلك، فهو إضافة صفة إلىٰ موصوف، وما أضيف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من المعاني التي تقوم بنفسها فإضافتها إلىٰ الله إضافة خلق أو ملك كناقة الله عَزَّوَجَلَّ.

القاعدة السابعة:

كل دليل يدل علىٰ وصف الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يبقىٰ علىٰ ظاهره المتبادر للسان العربي، والفطرة السليمة المستقيمة ولا يجوز تحريفه؛ لأن هذا من الإلحاد الذي حرمه الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨١].

ومعلوم: أن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٥] فصرف اللفظ من المعاني الحقة إلىٰ معاني باطلة يعتبر جناية علىٰ القرآن وعلىٰ رب العالمين.

القاعدة الثامنة:

لِيُعلم أن المتصف بالصفات أكمل من الذين لا صفات له، فلا يعقل أن يكون المخلوق المربوب الضعيف المحتاج يسمع ويبصر ويعلم ويقدر، والله عَزَّوَجَلَّ معطل عن ذلك، بل يثبت لله عَزَّوَجَلَّ الكمال اللائق به مما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

القاعدة التاسعة:

لسنا أحرص من السلف رضوان الله عليهم، فهم قد أثبتوا لله عَزَّوَجَلَّ ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل، فلا يلبس علينا شياطين الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، والقرامطة والفلاسفة بشبه أوهىٰ من خيط العنكبوت "**وكل خير في اتباع من سلف**".

القاعدة العاشرة:

طريقة السلف أعلم وأحكم، فالسير عليها في جميع جوانب الحياة فما من خير إلا وسبقونا إله، وما من شر وضير إلا وحذرونا منه، وقديمًا قيل: عليك بآثار السلف وإن كرهك الناس.

القاعدة الحادية عشرة:

الله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن وذكر فيه صفاته وأسمائه وذكر فيه الأحكام وغير ذلك، وكل هذه الآيات تُتلىٰ علىٰ العالم والجاهل والذكر والأنثىٰ، فليبلغ دين الله الحق وخصوصا في هذا الباب.

القاعدة الثانية عشرة:

أن القول في بعض الصفات كالقول في الصفات الأخرىٰ، وهذه القاعدة رد علىٰ الأشاعرة الذين يثبتون لله عَزَّوَجَلَّ سبع صفات وهي: حيٌ، مريدٌ، قادرٌ، علام له السمع والبصر والكلام، زاعمين أن هذه دل عليها العقل، فيلزمهم أن يثبتوا لله عَزَّوَجَلَّ هذه الصفات التي دل عليها الشرع والعقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح والعقل يعتبر في هذا الباب منقادًا لا قائدًا.

ومعلوم أن ما عارض الشرع من موازين العقل فهو إما قياس فاسد أو خيال بارد، ويدل علىٰ تقرير مذهب السلف عدة أمور:

أولًا: أن باب الأسماء والصفات يدخل في نطاق علم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله أو من علمه فالعقل لا يدرك الغيب فلا يدرك الأسماء والصفات علىٰ وجه التفصيل.

ثانيًا: أن العلم بالأسماء والصفات علىٰ وجه التفصيل فرع من العلم بالذات والعقل لا يدرك الذات فلا يدرك الأسماء والصفات تفصيلًا.

ثالثًا: أن العقل عاجز عن إدراك كثير ما يدور حوله؛ فلأن يثبت عجزه عن إدراك باب الصفات والأسماء علىٰ سبيل التفصيل أولىٰ وأحرىٰ»[(١)].

(١) «القواعد الكلية» للبريكان (ص ١٤٦).

الخاتمة

يجب على المسلمين تحقيق واعتقاد ما دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة في باب الأسماء والصفات مع السير على منهج السلف الصالحين.

قال شيخ الإسلام في الفتوى الحموية (١٩٤-٢١٥): قولنا فيها ما قاله الله ورسوله ﷺ والسابقون الأولون: من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؛ وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره ؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق؛ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته - محال مع هذا وغيره: أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادًا وقولًا، ومن المحال أيضًا أن يكون

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد علم أمته كل شيء حتىٰ الخراءة، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»، وقال فيما صح عنه أيضًا: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم».

وقال أبو ذر: لقد توفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا.

وقال عمر بن الخطاب: قام فينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقامًا فذكر بدء الخلق؛ حتىٰ دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. رواه البخاري.

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين - وإن دقت - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب.

بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنىٰ مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول علىٰ غاية التمام، ثم إذا كان قد وقع ذلك منه: فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضًا: أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بعث فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين؛ لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع.

أما الأول: فلأن من في قلبه أدنىٰ حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه؛ أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته.

وليست النفوس الصحيحة إلىٰ شيء أشوق منها إلىٰ معرفة هذا الأمر.

وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي - الذي هو من أقوىٰ المقتضيات -: أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضًا عن الله وأعظمهم إكبابًا علىٰ طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالىٰ؛ فكيف يقع في أولئك؟.

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه: فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم.

ثم الكلام في هذا الباب عنهم: أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوىٰ وأضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف؛ بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها: من أن "**طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم**" - وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنىً صحيحًا.

فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم علىٰ طريقة السلف: إنما أتوا من حيث ظنوا: أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة:٧٨]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات. فهذا الظن الفاسد أوجب " تلك المقالة " التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد

كذبوا علىٰ طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنىٰ بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنىٰ -وهي التي يسمونها طريقة السلف- وبين صرف اللفظ إلىٰ معان بنوع تكلف -وهي التي يسمونها طريقة الخلف- فصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل والكفر بالسمع ؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه علىٰ أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه. فلما ابتنىٰ أمرهم علىٰ هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين: كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة ؛ لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله.

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة؛ بل في غاية الضلالة.

كيف يكون هؤلاء المتأخرون - لا سيما والإشارة بالخلف إلىٰ ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف علىٰ نهاية إقدامهم بما انتهىٰ إليه أمرهم، حيث يقول:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ❁❁ وسيرت طرفي بين تلك المعالمِ

فلم أرَ إلا واضعًا كف حائر ❁❁ علىٰ ذقن أو قارعًا سِنَّ نادمِ

وأقروا علىٰ أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم.

نهاية إقدام العقول عقال، وأكثر سعي العالمين ضلال، وأرواحنا في وحشة من جسومنا، وحاصل دنيانا أذىً ووبال، ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا، لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه:١١٠]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. اهـ

ويقول الآخر منهم: لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت علىٰ عقيدة أمي. اهـ

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكًا عند الموت أصحاب الكلام.

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر: لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولم يقعوا من ذلك علىٰ عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون المنقوصون المسبوقون الحيارىٰ المتهوكون؛ أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به علىٰ سائر أتباع الأنبياء فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة، ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة – لا سيما العلم بالله وأحكام

أسمائه وآياته – من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارىٰ والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان.

وإنما قدمت "هذه المقدمة" لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدىٰ أين هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولىٰ علىٰ كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البينات والهدىٰ، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره علىٰ نفسه، وبشهادة الأمة علىٰ ذلك، وبدلالات كثيرة؛ وليس غرضي واحدًا معينًا وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء.اهـ

ولا يظن أحد من أهل السنة أن المبتدعة الذين خالفوا معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وغيره قد انقرضوا وولوا، بل هم متوافرون لا كثرهم الله.

فأغلب الشافعية والمالكية أشاعرة، والأحناف ماتريدية، والرافضة والشيعة والزيدية والإباضية يسيرون علىٰ طريقة المعتزلة في التعطيل.

و الصوفية بفرقها بما فيهم جماعة التبليغ عندهم انحرافات عقدية خطيرة في هذا الباب فيقولون في الله تعالىٰ: إنه عاشق ومعشوق وعشق مع أن لفظ العشق فيه من التشبيه واحتمال النقص ما لا يخفىٰ علىٰ عاقل، وليس في الكتب الإلهية تسميته بعقل ولا عاشق ولا معقول ولا معشوق، يسمونه بغير اسمه ويصفونه بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالعودة إلىٰ طريقة السلف الصالحين علمًا وعملًا واعتقادًا والحمد لله رب العالمين.

القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي له من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، القائل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له تقدس عن المثيل، والنضير، وعن السمي، والكفؤ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾[الشورى:١١].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، المبين لكتاب ربه العظيم الكبير، والموضح لأسمائه وصفاته، بأحسن بيانٍ، وأوضح تفسير، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم، وأزكاها، وأفضلها، وأغلالها، وأعظمها، وأعلاها، لهو علم توحيد الله تعالىٰ، وإفراده بما يجب له الذي هو حق الله علىٰ العبيد؛ وذلك لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومن التوحيد الذي تجب معرفته وهو داخل في أركان الإيمان بالله تعالىٰ توحيد الله في أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ التي بينها تعالىٰ في كتابه بأكمل بيان، وجلّاها رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأوضح برهان، ونقله لنا الصحابة ومن تبعهم بإحسان، علىٰ أحسن وجهٍ وأتم بيان، فكانت دلالة الكتاب، والسنة، والإجماع مبينة لما تقدم، ولهذا حذر الله تعالىٰ من مخالفة هذه الأصول الثلاثة وخوف بقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ⑪⑤﴾[النساء:١١٥]، وأمتدح من سار علىٰ سيرهم، وأقتفىٰ طريقهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ

﴿وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة:١٠٠].

فمن خالف هذا الطريق عامدًا ضل، ومن حاد عنه جاهلًا زل، ومن لازمه إلىٰ مطلوبه وصل.

ثم إنه لاسبيل إلىٰ معرفة الله تعالىٰ، إلا بمعرفة أسمائه، وصفاته، ولا سبيل إلىٰ معرفة أسمائه وصفاته إلا بتلقيها من الوحي الشريف، ولا فهم للوحي علىٰ الوجه المطلوب إلا بموافقة السلف وطريقهم في العلم والفهم.

ثم إننا بحاجة إلىٰ تحقيق هذا الأصل، والسير فيه علىٰ الدليل، أعظم من حاجتنا إلىٰ الطعام والشراب، لأن تضيعه ضلال، وإعراض عن طاعة الملك الوهاب قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾[الكهف:٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾[طه:١٢٤-١٢٧]، ففي هذه الآيات من الوعيد عن الإعراض عن السنة والكتاب ما فيه موعظة وذكرىٰ لأولىٰ البصائر والألباب.

ولما كان المخالفون لسبيل السلف في هذا الباب، بين معطل، وممثل، ومكيف ومحرف، ومؤول، أحببت أن أشارك في نشر الحق والهدىٰ، وبيان الضلال، والردىٰ فأدليتُ بدلوي مع الدلاء، مشاركًا في الخير والدعوة إليه علىٰ طريق النصحاء الفضلاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد قسمت هذا المبحث إلىٰ مقدمة وستة فصول وخاتمة؛ تقريبًا للفوائد، وجمعًا للشوارد، والفرائد، وتسهيلًا للفهم وتقريبًا للعلم، مستفيدًا من علمائنا الأجلاء رحم الله أمواتهم وحفظ أحيائهم.

فالله أسأل أن يجعل عملي هذا وسائر أعمالي خالصًا لوجه نافعًا لعباده موصلًا لمرضاته، وأسأله أن يغفر لي ولوالديَّ ولمشايخي وللمسلمين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزُّعكري

في غرة شهر الله المحرم الحرام لعام أربعة وثلاثين وأربعمائة وألف

بدار الحديث بدماج حرسها الله

وكانت المراجعة للطبعة الثانية المعتمدة المزيدة المنقحة في شوال ١٤٣٤هـ

الفصل الأول

بيان توحيد الله عز وجل وأنواعه

في **حديث ابن عباس**: لما أرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا إلىٰ اليمن قال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»، وفي لفظ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»، وفي رواية: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»، الحديث في البخاري (٧٣٧) ومسلم (١٩).

والتوحيد هو: إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بما يجب له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وتوحيد الله تعالىٰ ثلاثة أقسام:

أولاً: توحيد الربوبية:

فأما توحيد الربوبية فهو الإقرار بأن الله وحده هو الخالق للعالم والمدبر له، والمالك، والرازق، إلىٰ غير ذلك من خصائص ربوبيته، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر.

والإقرار بهذا النوع مركوز في الفطرة لا يكاد ينازع فيه أحد من الأمم كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزخرف:٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾[الزخرف:٩]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[المؤمنون:٨٤-٨٥].

وهذا في القرآن كثير، ولم ينكر توحيد الربوبية، ويجحد الرب إلا شواذ من المجموعة البشرية تظاهروا بإنكار الرب مع اعترافهم به في الباطن، وإنكارهم له إنما هو من باب المكابرة كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عن فرعون قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[القصص:٣٨]، وقد خاطبه موسىٰ بقوله: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾[الإسراء:١٠٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[النمل:١٤]، وهم لم يستندوا إلىٰ حجة في جحودهم، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[الجاثية:٢٤].

ومن أكبر الشواهد علىٰ وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ آياته الكونية قال تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الطور:٣٥-٣٦].

وقال الشاعر:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدُ

ومن المعلوم: أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل هذه الأصناف التي كانت تقر بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر مع أن بعضهم يعبد الأحجار، وبعضهم الأشجار، وبعضهم الملائكة، وبعضهم الشياطين.

وربما اتخذوهم وسائط ووسائل للقربة إلىٰ الله تعالىٰ فلم ينفعهم ذلك قال الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[الزمر:٣].

فمن أقر بتوحيد الربوبية لزمه الإقرار بتوحيد الألوهية، **قال الشيخ سليمان بن عبد الله في «تيسير العزيز الحميد»**(١٧): وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الإلهية؛ لأن الله تعالىٰ حكىٰ عن

المشركين أنهم مقرّون بهذا التوحيد لله وحده قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾[يونس:٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزخرف:٨٧]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[العنكبوت:٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل:٦٢] الآية، فهم كانوا يعلمون أن جميع ذلك لله وحده ولم يكونوا بذلك مسلمين، بل قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[يوسف:١٠٦]، قال مجاهد: في الآية: إيمانهم بالله قولهم: إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره.

ثانيًا: توحيد الألوهية: :

وهو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة.

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

وهذا أشمل أنواع التعاريف، فالدين كله داخل في العبادة، فالعبادة المأمور بها تتضمن ثلاثة أركان المحبة والرجاء والخوف، وهذا التوحيد يسمىٰ بتوحيد القصد والطلب، وتوحيد الإرادة، والتوحيد العملي.

وهو الذي دعت إليه جميع الرسل قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

ومن أجله خلقت السموات والأرضين والإنس والشياطين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات:٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنبياء:٢٥]، وقال

تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[النساء:٣٦]، في آيات كثيرات في هذا الباب.

وهذا التوحيد مبني علىٰ إخلاص التأله لله تعالىٰ: وهي عبادته محبة وتعظيمًا ومن العبادة: المحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والدعاء لله وحده، ويبنىٰ علىٰ ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها، وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئًا لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلًا عن غيرهما، وهذا التوحيد هو الذي تضمنه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، وقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾[هود:١٢٣]، وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝١٢٩﴾[التوبة:١٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾[مريم:٦٥]، وقوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾[الحجر:٩٩].

وهذا التوحيد هو أول الأمر وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل، وآخرها، وهو معنىٰ قول: (لا إله إلا الله)، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلىٰ مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة، وأشقياء أهل النار... وهذا التوحيد هو أول واجب علىٰ المكلف.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال بحيث إن كل سورة في القرآن فيها الدلالة علىٰ هذا التوحيد.

فمن أشرك بين الله تعالىٰ وبين مخلوق فيما يختص بالخالق تعالىٰ فهو مشرك، وإنما ذكرنا هذه العبادات خاصة؛ لأن عبَّاد القبور صرفوها للأموات من دون الله

تعالىٰ، أو أشركوا بين الله تعالىٰ وبينهم، وإلا فكل نوع من أنواع العبادة، من صرفه لغير الله عَزَّوَجَلَّ، أو أشرك بين الله تعالىٰ وبين غيره فيه فهو مشرك قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[النساء:٣٦].

وهذا الشرك في العبادة هو الذي كفّر الله به المشركين وأباح دماءهم وأموالهم ونساءهم، وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ليس له شريك في ملكه، وإنما كانوا يشركون به في هذه العبادات ونحوها وكانوا يقولون في تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك).

ومن أنواع الشرك المنتشرة في البلاد الإسلامية صرف العبادات للقبور والمقبورين، يقفون بساحاتها فتسكب العبرات وتنزل بها الحاجات، وتتعلق بها القلوب، وترجىٰ في دفع المضرات، وجلب المنافع، وتطلب منها الأرزاق، وتنحر في ساحتها الجزور، ويقع عندها من الزور ما الله به عليم.

قال ابن الأمير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تطهير الاعتقاد» (٥٠): وقد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلىٰ الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا، بمجرد التشفع به والتوسل إلىٰ الرب تعالىٰ، إلا ما ورد في حديث فيه مقال، في حق نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أو نحو ذلك، فإنه قد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده، كما اعتقد المشركون في الأوثان، فضلا عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا من الله تعالىٰ من الحاجات، من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نيله لأي مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان ويكون عليه عباد الأصنام.

والنذر بالمال علىٰ الميت ونحوه والنحر علىٰ القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه

وثنا وصنما، وفعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبرا ومشهدا، والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني، ضرورة لغوية وعقلية وشرعية، فإن من شرب الخمر وسماها ماء، ما شرب إلا خمرا وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية.

وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها، وصدق ﷺ فإنه قد أتىٰ طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذا، وأول من سمىٰ ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين إبليس لعنه الله، فإنه قال لأبي البشر: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾[طه:١٢٠]، فسمىٰ الشجرة التي نهىٰ الله آدم عن قربانها شجرة الخلد، جذبا لطبعه إليها وهزا لنشاطه لقربانها وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه، كما يسمي إخوانه المقلدون له الحشيشة بلقمة الراحة، وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلمًا وعدوانًا وأدبًا، فيقولون: أدب القتل وأدب السرقة وأدب التهمة، بتحريف اسم الظلم إلىٰ اسم الأدب، كما يحرفونه في بعض المقبوضات إلىٰ اسم (النفاعة) وفي بعضها إلىٰ اسم (السياقة) وفي بعضها أدب المكاييل والموازين.

وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان، كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة، وكل ذلك مأخوذ عن إبليس حيث سمىٰ الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد.

وكذلك تسمية القبر مشهدًا ومن يعتقدون فيه وليًّا لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بها طواف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمونها استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: علىٰ الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها.

وكل قوم لهم رجل ينادونه، فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلاني، وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه، يقولون: (يا زيلعي، يا ابن

العجيل). وأهل مكة وأهل الطائف: (يا ابن العباس). وأهل مصر: (يا رفاعي، يا بدوي)، والسادة البكرية وأهل الجبال: (يا أبا طير). وأهل اليمن: (يا ابن علوان).

وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر، وهذا هو بعينه فعل المشركين في الأصنام، كما قلنا في الأبيات النجدية:

أَعَادُوا بِهَا مَعْنَىٰ سُوَاعَ وَمِثْلِهِ ❁❁ يَغُوثَ وَوَدٍّ بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وَدِّ
وَقَدْ هَتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ❁❁ كَمَا يَهْتِفُ الْمُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الْفَرْدِ
وَكَمْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا مِنْ نَحِيرَةٍ ❁❁ أُهِلَّتْ لِغَيْرِ اللهِ جَهْرًا عَلَىٰ عَمْدِ
وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ الْقُبُورِ مُقَبِّلًا ❁❁ وَيَسْتَلِمُ الْأَرْكَانَ مِنْهُنَّ بِالْأَيْدِي. اهـ

إلىٰ غير ذلك من الشرك بالله العظيم، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة، وحسن الخاتمة.

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإقرار والإيمان بما سمىٰ ووصف الله عَزَّوَجَلَّ به نفسه في كتابه وبما سماه ووصفه به رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وسيأتي الكثير من ذلك ضمن هذا الكتاب بما يشفي ويكفي إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الشيخ سليمان في «تيسير العزيز الحميد» (١٩): وهذا أيضًا لا يكفي في حصول الإسلام، بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية، والإلهية، والكفار يقرون بجنس هذا النوع، وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك إما جهلًا، وإما عنادًا كما قالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾[الرعد:٣٠]، قال الحافظ ابن كثير: والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود، وعناد وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في بعض أشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمن قال الشاعر:

(وَمَا يَشَأِ الرَّحْمَنُ يَعْقِدْ وَيُطْلِقِ)

وقال الآخر:

(أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا)

وهما جاهليان.

وقال زهير:

فَلَا تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ ❁❁ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يُعْلَمِ

قلت: ولم يعرف عنهم إنكار شيء من هذا التوحيد إلا في اسم الرحمن خاصة، ولو كانوا ينكرونه لردوا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك كما ردوا عليه توحيد الآلهية، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[ص:٥]، لا سيما والسور المكية مملوءة بهذا التوحيد. اهـ

أبواب في تحقيق الإيمان بأسماء الله وصفاته

شرف هذا العلم، وفضله بالنسبة لبقية العلوم عظيم، وذلك لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وبمعرفة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ تتحقق عبودية العبد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من خوف وإنابة، وعلم بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولذلك قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

فهو يحبها، وجعلت بين يدي المطلوب مقدمة من العبد في الدنيا والآخرة، كما في حديث فضالة بن عبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند أبي داود(١٤٨١) وغيره، قال: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «عَجِلَ هَذَا». والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل رَحِمَهُٱللَّهُ.

وجاء من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند ابن ماجه(٣٨٥٨)، وهو في «صحيح شيخنا» أيضًا: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سمع رجلًا يقول: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ».

وعنده (٣٨٥٧): عن بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ».

فانظر كيف بين رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فضيلة من قدم بين يدي سؤاله ثناءً وحمدًا لله بأسمائه وصفاته، وبين من عَجِلَ ودعا بدونها.

ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كما في حديث أنس عند البخاري (٦٥٦٥) ومسلم (١٩٤) وهو حديث الشفاعة الطويل، وحديث أبي هريرة عندهما، البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٣) أيضًا: «فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي».

فانظر كيف بدأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل شفاعته لأمته بالحمد والثناء علىٰ الله بأسمائه وصفاته؟

وجاء من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم (٤٨٦)، أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو الله ويقول: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»، إلىٰ غير ذلك من النصوص الدالة علىٰ فضيلة الابتداء بأسماء الله وصفاته بين يدي المطلوب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مفتاح دار السعادة» ص(٩٣) مبينًا شرف هذا العلم وشرف معرفة الأسماء والصفات: الوجه السابع والسبعين -من أوجه تفضيل العلم- وهو أن شرف العلم تابع لشرف معلومه؛ لوقوف النفس بأدلة وجوده وبراهينه، ولشدة الحاجة إلىٰ معرفته وعظم النفع بها، ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره فهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، الملك الحق المبين الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله، ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلىٰ سائر العلوم كنسبة معلومه إلىٰ سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها، كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلىٰ الملك الحق المبين، ومفتقر إليه في تحقيق ذاته...

فالعلم به أصل كل علم... إلىٰ أن قال: فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل الله فهو لما سواه أجهل، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾[الحشر:١٩].

فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنىٰ شريفًا عظيمًا، وهو أن من نسي ربه أنساه ذاته ونفسه، فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسيَّ به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده، فصار معطلًا مهملًا بمنزلة الأنعام. اهـ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأصفهانية» (١٠٨): وهذا بخلاف العلم الأعلىٰ عند المسلمين فانه العلم بالله الذي هو في نفسه أعلىٰ من غيره من كل وجه والعلم به أعلىٰ العلوم من كل وجه والعلم به أصل لكل علم وهم يسلمون أن العلم به إذا حصل علىٰ الوجه التام يستلزم العلم بكل موجود. اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «فضل العلم والعلماء» ص(٣٤): أخبر سبحانه أنه خلق الخلق ووضع بيته الحرام والشهر الحرام والهدي والقلائد ليعلم عباده أنه بكل شيء عليم، وعلىٰ كل شيء قدير، فقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق:١٢]، فدلَّ علىٰ أن عِلمَ العباد بربهم وصفاته وعبادته هو الغاية المطلوبة من الخلق والأمر. اهـ

ولذلك عرف شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلم في الأصول الثلاثة بأنه معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التبيان في أقسام القرآن» (١/١٤٤): وإذا حصل للعبد الفقه في الأسماء والصفات انتفع به - في باب معرفة الحق والباطل من الأقوال والطرائق والمذاهب والعقائد - أعظم انتفاع وأتمه. اهـ

كيفية معرفة الله عز وجل

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح الأصول الثلاثة» ص(١٩): ويتعرف العبد علىٰ ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلكم المخلوقات ازداد علمًا بخالقه ومعبوده، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾[الذاريات:٢٠-٢١]. اهـ

ومعرفة الله تعالىٰ أوجب الواجبات، قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ الإنسان أن يعرفها؟ فقل: معرفة العبد ربه. اهـ

فيجب علىٰ جميع المكلفين أن يعرفوا ربهم وخالقهم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ حتىٰ يلتزموا شرعه ويعبدوه ولا يكفروه، ولا تتم معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه، وصفاته.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «المجموع» (١٧/١٠٥): قول القائل: معرفة ذاته، ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة أفعاله، إن أراد بذلك أن ذاته تعرف بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته الثبوتية والسلبية فهذا ممتنع، ولو قدر إمكان ذلك، أو فرض العبد في نفسه ذاتًا مجردة عن جميع القيود السلبية والثبوتية، فليس ذاك معرفته بالله ألبتة، ولا هو رب العالمين. اهـ

محبة الله تعالى للمدح

قال البخاري (٤٦٣٤): حَدَّثَنَا حَفْصُ بن عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ» وأخرجه مسلم (٢٧٦٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «طريق الهجرتين» (١/٢٧٤): ويحب أسماءه وصفاته، ويحب المتعبدين له بها، ويحب من يسأله ويدعوه بها، ويحب من يعرفها ويعقلها ويثني عليه بها ويحمده ويمدحه بها، ولمحبته لأسمائه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها فأمرهم بالعدل والإحسان والبر والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكر والحلم والأناة والتثبت. اهـ مختصرًا.

معرفة الأسماء والصفات هو داخل في الإيمان بالله وكتبه ورسله

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[النساء:١٣٦].

فالإيمان بالله يتضمن الإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بالكتاب الذي أنزل علىٰ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من الأسماء والصفات، وكون محمد رسول الله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

تفاضل أسماء الله تعالى وصفاته

قال البخاري (٤٤٧٤): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ شُعْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي خُبَيْبُ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بن عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بن المُعَلَّىٰ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال:٢٤]»، ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»؟، قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ «هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ».

قال الإمام مسلم(٨١٠): حَدَّثَنَا أَبُوبَكْرِ بن أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُالْأَعْلَىٰ بن عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي السَّلِيلِ، عَنْ عَبْدِاللهِ بن رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أُبَيِّ بن كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٠١٣): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/٢١١): فتفاضل الأسماء والصفات من الأمور البينات. اهـ

ومن هذا الباب القول في الاسم الأعظم:

وقد ورد في خصوص (اسم الله الأعظم) عدة أحاديث، أشهرها:

حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اسْمُ اللهِ الأَعظَمُ فِي سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ ثَلَاثٍ: فِي (البَقَرَةِ) وَ(آلِ عِمرَانَ) وَ(طَهَ)»، رواه ابن ماجه (٣٨٥٦) وفي سنده غيلان بن أنس مجهول.

وحديث أَنَسٍ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا: (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ)، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى».

رواه الترمذي (٣٥٤٤)، وأبوداود (١٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨).

وحديث بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ».

رواه الترمذي (٣٤٧٥)، وأبوداود (١٤٩٣)، وابن ماجه (٣٨٥٧).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك.

وحديث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾».

رواه الترمذي (٣٤٧٨)، وأبوداود (١٤٩٦)، وابن ماجه (٣٨٥٥).

والحديث ضعيف، فيه عبيد الله بن أبي زياد وشهر بن حوشب، وكلاهما ضعيف.

وقد اختلف أهل العلم في (اسم الله الأعظم).

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٢٤): وقد أنكره قوم كأبي جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري وجماعة بعدهما كأبي حاتم بن حبان والقاضي أبي بكر الباقلاني فقالوا لا يجوز تفضيل بعض الأسماء علىٰ بعض ونسب ذلك بعضهم لمالك لكراهيته ان تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يظن أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل وحملوا ما ورد من ذلك علىٰ أن المراد بالأعظم العظيم وأن أسماء الله كلها عظيمة وعبارة أبي جعفر الطبري اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم والذي عندي أن الأقوال كلها صحيحة إذ لم يرد في خبر منها انه الاسم الأعظم ولا شيء أعظم منه فكأنه يقول كل اسم من أسمائه تعالىٰ يجوز وصفه بكونه أعظم فيرجع إلىٰ معنىٰ عظيم كما تقدم وقال بن حبان الاعظمية الواردة في الاخبار إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك كما اطلق ذلك في القرآن والمراد به مزيد ثواب القارئ وقيل المراد بالاسم الأعظم كل اسم من أسماء الله تعالىٰ دعا العبدبه مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله تعالىٰ فان من تأتي له ذلك استجيب له ونقل معنىٰ هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيرهما وقال اخرون استأثر الله تعالىٰ بعلم الاسم الأعظم ولم يطلع عليه أحدا من خلقه.

وأثبته آخرون معينًا واضطربوا في ذلك وجملة ما وقفت عليه من ذلك **أربعة عشر قولًا**:

الأول: الاسم الأعظم هو ما نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف واحتج له بأن من أراد أن يعبر عن كلام معظم بحضرته لم يقل له أنت قلت كذا وإنما يقول هو يقول تأدبا معه.

الثاني: (الله) لأنه اسم لم يطلق علىٰ غيره ولأنه الأصل في الأسماء الحسنىٰ ومن ثم أضيفت إليه.

الثالث: (الله الرحمن الرحيم) ولعل مستنده ما أخرجه بن ماجه عن عائشة أنها سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعلمها الاسم الأعظم فلم يفعل فصلت ودعت: **اللهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ اللهَ، وَأَدْعُوكَ الرَّحْمَنَ، وَأَدْعُوكَ الْبَرَّ الرَّحِيمَ، وَأَدْعُوكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ**... الحديث. وفيه: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها: «**إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا**».

* **قلت**: وسنده ضعيف، وفي الاستدلال به نظر لا يخفىٰ.(١)

الرابع: (الرحمن الرحيم الحي القيوم) لما أخرج الترمذي من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ**: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾، **وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ**: ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾».

أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي وحسنه الترمذي وفي نسخة صححه. وفيه نظر؛ لأنه من رواية شهر بن حوشب.

---

(١) في «الزوائد»: في إسناده مقال، وعبدالله بن عكيم وثقه الخطيب وعده من الصحابة، ولا يصح له سماع، وأبوشيبة لم أر من جرحه ولا من وثقه، وباقي رجال الإسناد ثقات. انتهىٰ قلت: أبوشيبة كذبه أبوحاتم وقال البخاري في حديثه عن ابن عكيم نظر.

الخامس: (الحي القيوم) أخرج ابن ماجه (٣٨٥٦) من حديث أبي أمامة الاسم الأعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه قال القاسم الراوي عن أبي أمامة التمسته منها فعرفت أنه الحي القيوم. وقواه الفخر الرازي واحتج بأنهما يدلان من صفات العظمة بالربوبية مالا يدل علىٰ ذلك غيرهما كدلالتهما.

السادس: (الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم) ورد ذلك مجموعًا في حديث أنس عند أحمد والحاكم وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان.

السابع: (بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام) أخرجه أبويعلىٰ من طريق السري بن يحيىٰ عن رجل من طي واثنىٰ عليه قال كنت أسأل الله أن يريني الاسم الأعظم فأريته مكتوبًا في الكواكب في السماء.

الثامن: (ذو الجلال والإكرام) أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل قال: سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يقول: (يا ذا الجلال والإكرام) فقال: «**قد استجيب لك فسل**». واحتج له الفخر بأنه يشمل جميع الصفات المعتبرة في الإلهية؛ لأن في (الجلال) إشارة إلىٰ جميع السلوب وفي (الاكرام) إشارة إلىٰ جميع الإضافات.

التاسع: (الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أخرجه أبوداود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك.

العاشر: (رب رب) أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس بلفظ: «**اسْمُ اللهِ الْأَكْبَرُ رَبِّ رَبِّ**». وأخرج بن أبي الدنيا عن عائشة: «**إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: لَبَّيْكَ عَبْدِي، سَلْ تُعْطَ**» رواه مرفوعًا وموقوفًا.

الحادي عشر: (دعوة ذي النون) أخرج النسائي والحاكم عن فضالة بن عبيد رفعه: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿نم نن ىٰ ني ىٰ ير يز يم ين يى﴾ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ».

الثاني عشر: نقل الفخر الرازي عن زين العابدين أنه سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم فرأىٰ في النوم: (هو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم).

الثالث عشر: هو مخفي في الأسماء الحسنىٰ ويؤيده حديث عائشة المتقدم لما دعت ببعض الأسماء وبالأسماء الحسنىٰ فقال لها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه لفي الأسماء التي دعوت بها.

الرابع عشر: كلمة التوحيد نقله عياض. انتهىٰ

تعطيل الله عز وجل من أسمائه وصفاته مسبة لله تعالى:

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٩٧٤): حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ».

انقسام الناس في باب الأسماء والصفات

طريقة السلف أصحاب الحديث:

المذهب الحق في هذا الباب هو منهج أهل السنة والجماعة، الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية، الذين تلقوا عقيدتهم، وعلومهم من وحي الله تعالىٰ المنزل علىٰ نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الآخذون بقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[البقرة:٣-٥].

وطريقهم هو الذي نقرر قواعده في هذا الكتاب إن شاء الله تعال، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السنة» (٢/ ٥٢٣): وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقين، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورىٰ:١١]، فقولهم في الصفات مبني علىٰ أصلين:

الأول: أن الله تعالىٰ منزه عن صفات النقص كالسِنة والنوم والعجز.

الثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها علىٰ وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات. اهـ

وأما المخالفون لطريقهم فكلهم علىٰ ضلال مبين، وطريق غير مستقيم وهم أقسام عدة، يبينه قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾[النساء:٨٢]، وهذه الأقسام مجموعة في:

القسم الأول: قول الجهمية والقرامطة ومن نحا نحوهم:

والجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان الذي تلقىٰ عقيدته من الجعد بن درهم، وكلاهما قتل علىٰ الزندقة، والإلحاد قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٢٤٤): ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم ومع هذا فكانوا قليلين مقموعين في الأمة.

وأولهم الجعد بن درهم، ضحىٰ به خالد بن عبدالله القسري يوم الأضحىٰ بواسط، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، انه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسىٰ تكليمًا، تعالىٰ الله عما يقول الجعد علوًا كبيرًا ثم نزل فذبحه. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (١/٣١٣): قال الإمام أحمد: وكان يقال إنه من أهل حران، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات، وكان بحران أئمة هؤلاء الصابئة الفلاسفة، بقايا أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٥/١٦٥): وكذلك وصف الإمام احمد وأمثاله قول الجهمية النفاة قال أحمد وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلىٰ المتشابه من القرآن والحديث وأضلوا بكلامهم بشرًا كثيرًا فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله إنه كان من أهل خراسان من أهل الترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله فلقي أناسًا من المشركين يقال لهم السمنية، فعرفوا الجهم فقالوا نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا ألست تزعم أن لك إلهًا قال الجهم: نعم، فقالوا: له فهل رأيت إلهك قال: لا، قالوا: فهل سمعت كلامه قال: لا، قالوا: فشممت له رائحة؟ قال: لا، قالوا: فوجدت له حسًا؟ قال: لا، قالوا: فوجدت له مجسًا؟ قال: لا، قالوا: فما يدريك أنه إله؟ قال: فتحير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يومًا، ثم إنه استدرك

حجة مثل حجة زنادقة النصارىٰ وذلك أن زنادقة النصارىٰ يزعمون أن الروح الذي في عيسىٰ هو روح الله من ذات الله. اهـ

وطريقتهم أنهم يصفون الله بالسلب علىٰ وجه التفصيل، فيقولون لا يسمع، ولا يُبصر، ولا كذا، ثم يرجعون وينفون النفي فيقولون: ولا ليس بعالم ولا ليس بسميع ولا هو خارج العالم ولا هو داخله وهذه الطريقة مخالفة لطريقة السلف، ويعطلون الله تعالىٰ من أسمائه، وصفاته، إلىٰ غير ذلك من زندقتهم.

القسم الثاني: قول المعتزلة ومن وافقهم:

وهم أتباع عمرو بن عبيد بن باب الضال المضل، وواصل بن عطاء الغزال ظهروا في أول القرن الثاني الهجري وبلغت بدعتهم قوتها في العصر العباسي الأول؛ ويرجع اسمها إلىٰ اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لقول واصل بأن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن وجلس عمرو بن عبيد إلىٰ واصل وتبعهما أنصارهما قيل لهم: معتزلة.

وهذه الفرقة تعظم العقل، وتغلو فيه، وتقدمه علىٰ النقل.

وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم وهي: العدل، ويريدون به نفي القدر، والتوحيد، ويعنون به نفي الصفات، والمنزلة بين المنزلتين، ومرادهم أن صاحب الكبيرة في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، والوعد والوعيد، يوجبون به علىٰ الله تخليد أصحاب الكبائر في النار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويريدون به الخروج علىٰ الحكام.

فأثبتوا لله عَزَّوَجَلَّ الأسماء دون ما تضمنته من الصفات، وهم علىٰ طريقين:

الأول: من جعل العليم والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات، ومؤدىٰ هذا القول إلىٰ أن الله تعالىٰ لا صفات له.

الثاني: من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بصير بلا سمع ولا بصر، فأثبتوا الاسم وصرحوا بنفي ما تضمنه من الصفات.

القسم الثالث: الأشاعرة، ومن إليهم:

الأشعرية هم أتباع أبي الحسن الأشعري - قبل أن يرجع إلىٰ معتقد أهل السنة - وهو علي بن إسماعيل وينتهي نسبه إلىٰ أبي موسي الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهم في الجملة لا يثبتون من الصفات إلا سبعًا، ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية رادين لأدلة الكتاب والسنة، كالوجه واليد وغيرهما من الصفات التي ثبتت لله تعالىٰ كما يليق بجلاله، أثبتها لنفسه في كتابه وفي صحيح سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخذ الأشاعرة هذه الطريقة عن محمد بن عبدالله بن كُلّاب حيث ردّ علىٰ المعتزلة سالكًا للطريقة العقلية قاليًا للطريقة السلفية.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «الاستقامة» (١/١٠٥): والكلابية هم مشايخ الأشعرية فإن أبا الحسن الأشعري إنما اقتدىٰ بطريقة أبي محمد بن كُلّاب. اهـ

القسم الرابع: أهل التمثيل:

وهم الذين يثبتون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الصفات، ولكنهم يشبهونها بصفات المخلوقين رادّين قول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورىٰ:١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم:٦٥]، والسمي هو المثيل، والنظير، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص:٤]، وقوله ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة:٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[النحل:٧٤].

فتعالىٰ الله عن أقوال المبطلين علوًّا كبيرًا.

القسم الخامس: وهم أهل التجهيل -المفوضة:

وهم من شر أهل البدع، والإلحاد كما قال شيخ الإسلام، وهم يثبتون ألفاظ الصفات كما وردت في الكتاب والسنة مع تفويضهم العلم بمعانيها إلىٰ الله تعالىٰ، فلا يعلم معناها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا أحد أبدًا، وربما ذهب بعضهم إلىٰ أنه لا معنىٰ لها بالمرة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء تعارض العقل والنقل» (١/١٥): وهؤلاء أهل التضليل والتجهيل الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء.

ثم هؤلاء منهم من يقول: المراد بها خلاف مدلولها الظاهر والمفهوم، ولا يعرف أحد من الأنبياء والملائكة والصحابة والعلماء ما أراد الله بها، كما لا يعلمون وقت الساعة.

ومنهم من يقول: بل تجري علي ظاهرها، وتحمل علي ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله، فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلًا يخالف ظاهرها، وقالوا ـ مع هذا ـ إنها تحمل علي ظاهرها، وهذا ما أنكره ابن عقيل علىٰ شيخة القاضي أبي يعلىٰ في كتاب ذم التأويل. اهـ

ولازم قولهم أن الله خاطبنا بكلام لا نعرف معناه، والله يقول: ﴿حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ② كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ③﴾[فصلت:١-٣].

وقوله: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾[هود:١]، ويقول تعالىٰ ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ②﴾[البقرة:٢]، وأمر بتدبر القرآن، وتعقله، وكل هذا يدل علىٰ المعاني التي تتضمنها الآيات القرآنية، والسنة النبوية، وهم يُجهِّلون رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام بأنهم لم يعرفوا مراد الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلىٰ غير ذلك، أو أنهم عرفوا ثم كتموا، وكلا القولين ضلال مبين، ولا حول ولا قوة إلا بالله الملك الحق المبين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء تعارض العقل والنقل» (٢٠٤/١): وأما علىٰ قول أكابرهم: إن معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة لا يعلمه إلا الله، وأن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها فعلىٰ قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه، لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه، وكذلك نصوص المثبتين للقدر عند طائفة، والنصوص المثبتة للأمر والنهي والوعد والوعيد عند طائفة، والنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة.

ومعلوم: أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدي وبيانًا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه - وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقًا لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر ونهي، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر - لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين.

وعلي هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به.

فيبقي هذا الكلام سدًا لباب الهدي والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدي والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأنا نحن نعلم ما

نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون: فضلًا عن أن يبينوا مرادهم.

فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد. اهـ

ومن العجب أن الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيره من المؤلة يجعلون طريقة المفوضة هي طريقة السلف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الفصل الثاني

القواعد المهمة في أسماء الله الحسنى

هذا الفصل معقود لبيان القواعد المهمة في أسماء الله الحسنىٰ، وهنا فوائد نذكرها قبل ذكر المهم من القواعد:

الأولى: في اشتقاق الاسم:

أن العلماء اختلفوا في اشتقاق الاسم فذهب البصريون إلىٰ أنه مشتق من السمو، والسمو الرفعة، ولأن الاسم يسمو بالمسمىٰ فيرفعه عن غيره، وذهب الكوفيون إلىٰ أنه مشتق من السمة، والسمة العلامة، والراجح أنه مشتق من السمو، ورجح هذا القول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جمهور العلماء بأدلة منها: أنه يجمع علىٰ أسماء، ولا يجمع علىٰ سمات، ويصغر إلىٰ سمي، لا إلىٰ وسيم، والجع، والتصغير يردان الأشياء إلىٰ أصولها.

وهل لهذا الخلاف أثر في العقيدة فمن قال أن الاسم مشتق من العلو يقول: لم يزل الله سبحانه ولا يزال مسميًا، ومتصفًا بالصفات، وعلىٰ أنه مشتق من السمة يقولون: كان الله في الأزل بلا اسم، ولا صفة فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات، وهذا أفناهم بقي بلا اسم، ولا صفة، وهذا قول المعتزلة.

الثانية: في أن الحسنى تأنيث الأحسن:

قال ابن الوزير في «إيثار الحق على الخلق» (١٦٦): وذلك أن الحسن من صفات الألفاظ، ومن صفات المعاني، فكل لفظ له معنيان حسن، وأحسن، فالمراد الأحسن منها، حتىٰ يصح جمعه علىٰ حسنىٰ، ولا يفسر بالحسن منهما إلا الأحسن لهذا الوجه. انتهىٰ.

الثالثة: في تعريف الاسم:

الكلمة تنقسم إلىٰ اسم وفعل وحرف، ويقول النحاة: الاسم: كلمة دلت علىٰ معنىً في نفسها ولم تقترن بزمن، وقد قال ابن مالك في «ألفيته»:

اسْمٌ يُعَيِّنُ المُسَمَّىٰ مُطْلَقَا ❁❁ عَلَمُهُ كَجَعْفَرٍ وَخِرْنِقَا

والفعل: كلمة دلت علىٰ معنىً في نفسها، واقترنت بزمن، وهو ثلاثةٌ: ماضٍ، ومضارعٌ، وأمرٌ.

والحرف: ما ليس فيه علامات الاسم، وعلامات الفعل، وقد قال الحريري:

وَالْحَرْفُ مَا لَيْسَتْ لَهُ عَلَامَهْ ❁❁ فَقِسْ عَلَىٰ قَوْلِي تَكُنْ عَلَّامَهْ

قواعد في أسماء الله عز وجل

القاعدة الأولىٰ: أسماء الله تعالىٰ كلها حسنىٰ:

أي: بالغة في الحسن كماله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]؛ وذلك لأنها متضمنة لصفاتٍ كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجه.

وكانت أسماء الله حسنىٰ لأربعة أمور، ذكرها السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[طه:٨]، أي له الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنىٰ.

من حسنها: أنها أسماء كلها دالة علىٰ المدح، فليس فيها اسم لا يدل علىٰ المدح والحمد.

ومن حسنها: أنها ليست أعلامًا محضة، وإنما هي أسماء وأوصاف.

ومن حسنها: أنها دالة علىٰ الصفات الكاملة، وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها.

ومن حسنها: أنه أمر العباد أن يدعوه بها؛ لأنها وسيلة مقربة إليه يحبها ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]. اهـ

وزاد شيخ الإسلام وجهًا خامسًا؛ حيث قال:

ومن حسنها: أنها مذكورة في الكتاب والسنة.

القاعدة الثانية: الحسن في أسماء الله تعالى حال الانفراد، والتركيب:

اعلم أن الحسن في أسماء الله يكون باعتبار كل اسم علىٰ انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلىٰ غيره فيحصل بجمع الاسم إلىٰ الآخر كمال فوق كمال، وهذا في القرآن كثير مثل قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الإسراء:١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[إبراهيم:٤] وهكذا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البدائع» (١٦١/١): صفة تحصل من اقتران الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد علىٰ مفرديهما نحو: الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغنىٰ صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنىٰ مع الحمد كمال آخر، فله ثناءٌ من غناه وثناء من حمده، وثناءٌ من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله، فإنه من أشرف المعارف. اهـ

القاعدة الثالثة: الأسماء المركبة الثابتة بالكتاب والسنة من الأسماء الحسنىٰ:

قال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٤٨٥/٢٢): وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين. اهـ

القاعدة الرابعة: أسماء الله تعالىٰ أعلام وأوصاف:

أعلام باعتبار دلالتها علىٰ الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها علىٰ مسمىٰ واحد، وهو الله عَزَّوَجَلَّ، وبالاعتبار الثاني: متباينة لدلالة كل واحد منها علىٰ معناه الخاص، فـ(الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم)، كلها أسماء لمسمىٰ واحد، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن معنىٰ الحي غير معنىٰ العليم، ومعنىٰ العليم غير معنىٰ القدير، وهكذا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البدائع» (١٦٢/١): أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية؛ بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالىٰ. اهـ

* **فائدة**: اجتماع العلمية والوصفية إنما يكون في أسماء الله وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأسماء كتابه وأسماء نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي أعلام دالة علىٰ معاني هي بها أوصاف، فلا تضاد فيها العلمية الوصف؛ بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين، أفاده ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «جلاء الأفهام» صـ(١٠٧).

بيانه قد يكون اسم الرجل صالح وليس فيه من الصلاح شيء، وجميل وليس فيه من الجمال شيء، وهكذا.

القاعدة الخامسة: دلالات أسماء الله المتعدية واللازمة:

أسماء الله تعالىٰ إن دلت علىٰ وصف متعد تضمنت **ثلاثة أمور**:

أحدها: ثبوت الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّوَجَلَّ.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

مثال ذلك السميع: يتضمن إثبات السميع اسمًا لله تعالىٰ، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو أنه يسمع السر والنجوىٰ كما قال: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾[المجادلة:١].

وإن دلت علىٰ وصف غير متعد تضمنت أمرين:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّوَجَلَّ.

مثل (الحي): يتضمن إثبات الحي اسمًا لله عَزَّوَجَلَّ، وإثبات الحياة صفة له،

قال السعدي في «القواعد الحسان في تفسير القرآن»:

القاعدة الثلاثون: أركان الإيمان بالأسماء الحسنىٰ ثلاثة: إيماننا بالاسم، وبما دل عليه من المعنىٰ، وبما تعلق به من الآثار.

وهذه القاعدة تنفعك في كل اسم من أسمائه الحسنىٰ المتعلقة بالخلق والأمر، والثواب والعقاب.

فعليك أن تؤمن بأنه عليم، وذو علم عظيم، ومحيط بكل شيء، قدير، وذو قدرة وقوة عظيمة ويقدر علىٰ كل شيء، ورحيم، وذو رحمة عظيمة ورحمته وسعت كل شيء والثلاثة متلازمة.

فالاسم دل علىٰ الوصف، وذلك دل علىٰ المتعلق. فمن نفىٰ واحدًا من هذه الأمور الثلاثة فإنه لم يتم إيمانه بأسماء الرب وصفاته، الذي هو أصل التوحيد.

ولنكتف بهذا الأنموذج ليعرف أن الأسماء كلها علىٰ هذا النمط.

القاعدة الخامسة: دلالات أسماء الله تعالى من حيث المطابقة والتضمن والالتزام:

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دلالة أسماء الله تعالىٰ علىٰ ذاته، وصفاته تكون بالمطابقة وبالتضمن وبالالتزام، مثال ذلك (الخالق) يدل علىٰ ذات الله وعلىٰ صفة الخلق بالمطابقة، ويدل علىٰ الذات وحدها وعلىٰ صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل علىٰ صفتي العلم والقدرة بالالتزام، ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق:١٢]. اهـ

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «درء تعارض العقل والنقل» (١٢/١٠):

فدلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ علىٰ جميع المعنىٰ الذي عناه المتكلم.

ودلالة التضمن: دلالة اللفظ علىٰ ما هو داخل في ذلك المعنىٰ.

ودلالة الالتزام: دلالة اللفظ علىٰ ما هو لازم لذلك المعنىٰ خارج عن مفهوم اللفظ. اهـ

* تنبيه: دلالة التضمن تكون في الأسماء الحسنىٰ علىٰ الذات، كأن الاسم لم يدل إلا علىٰ صفته تعالىٰ دون ذاته، أو علىٰ الذات دون الصفة في الافتراض فقط، وإلا فإن الاسم لا ينفك عن الدلالة عليهما مجتمعين؛ لأنه لا يعقل أنه تُجرد الذات عن الصفة أو الصفة عن الذات، أو أن توجد ذات لا صفات لها، أو صفة مجردة عن القيام بالموصوف. أفاده البريكان في «القواعد الكلية» ص(٢٣٨-٢٣٩).

القاعدة السادسة: باب أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البدائع» (١٦٢/١): باب الأسماء والصفات توقيفي. اهـ

ومعنىٰ توقيفية أنها تُتلقىٰ من الأدلة السمعية، وهي أدلة الكتاب والسنة الصحيحة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شفاء العليل» ص(٢٧٠): أسماء الله تعالىٰ توقيفية ولم يسم نفسه إلا بأحسن الأسماء. اهـ

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلىٰ هذا فيجب الوقوف فيها علىٰ ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يُزاد فيها ولا يُنقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالىٰ من الأسماء، فوجب الوقف في ذلك علىٰ النص لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦] الآية، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف:٣٣]. اهـ

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (٣/٣): فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفىٰ عنه ما نفاه عن نفسه. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٩٥/٥): ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولاتكيف ولا تمثيل، فلا

يجوز نفي صفات الله تعالىٰ التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين، بل هو سبحانه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى:١١]، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته. اهـ

القاعدة السابعة: أسماء لله تعالى غير محصورة بعدد معلوم لنا:

لحديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»، رواه أحمد وابن حبان والحاكم وهو صحيح، وقد خرجته في كتابي «التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين».

ويدل علىٰ عدم الحصر حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عند الإمام مسلم: أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول وهو ساجد: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

والثناء علىٰ الله تعالىٰ إنما يكون بالصفات العُلىٰ والأسماء الحسنىٰ.

قال شيخ الإسلام كما في «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٣٣٢-٣٣٣) في كلامه علىٰ حديث عائشة الآنف الذكر: فأخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يحصي ثناءً عليه، ولو أحصىٰ أسماءَه تعالىٰ لأحصىٰ صفاتِه كلَّها، فكان يحصي الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يعبر بها عن أسمائه. اهـ

وجاء في حديثي أبي هريرة وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الصحيحين: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أن يأتي إلىٰ ربه يستأذنه في الشفاعة، قال: «فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي»، وفي رواية: «بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ».

وهذا يدل علىٰ أن من أسماء الله تعالىٰ وصفاته ما لم يطلع عليه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا.

وأما من ذهب إلىٰ أنها محصورة فقد اضطربوا غاية الاضطراب، فذهب بعضهم إلىٰ أنها ثلاثمائة فقط، وقال بعضهم: ثلاثمائة وواحد، وذهب بعضهم إلىٰ أنها خمسة آلاف، وقال بعضهم: أربعة آلاف، ولا دليل علىٰ هذه الأقوال كلها.

وحصرها بعضهم بتسعة وتسعين اسمًا مستدلين بحديث أبي هريرة عند الشيخين: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، ولا دلالة لهم فيه، وإنما قال بحصرها بتسع وتسعين ابن حزم -ومخالفاته في هذا الباب مشهورة- وظاهر كلام ابن كجّ، وله ما ينتقد كما أشار إلىٰ ذلك ابن كثير في«البداية».

قال ابن حزم: إنه لو جاز أن يكون له اسم زائد علىٰ العدد المذكور لزم أن يكون له مائة اسم، فبطل قوله: مائة إلا واحد. اهـ

ورد عليه شيخ الإسلام وغيره، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٣٣٢): والصواب الذي عليه الجمهور: أن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، من أحصاها دخل الجنة»؛ معناه: أن من أحصىٰ التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة، وليس المراد أنه ليس له إلا تسعة وتسعين اسمًا. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الذي عليه جماهير المسلمين أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، قالوا -ومنهم الخطابي-: قوله: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، التقيد بالعدد عائد إلىٰ الأسماء الموصوفة بأنها هذه الأسماء. اهـ

قال ابن القيم في رَحِمَهُ ٱللَّهُ «شفاء العليل» ص(٢٧٧): قوله: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»، لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة أي له اسمًا موصوفة بهذه الصفة، يقال لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدهم للجهاد، وهذا قول الجمهور، وخالفهم ابن حزم، فزعم أن أسماء الله تنحصر. اهـ

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتفق العلماء علىٰ أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس معناه أن ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما المقصود من الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء. اهـ

* فائدة: مراتب الإحصاء:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البدائع» (١/١٦٤):

المرتبة الأولىٰ: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها، ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاءه بها كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[الأعراف:١٨٠]، وهو مرتبتان:

أحدها: دعاء ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة. اهـ

القاعدة الثامنة: الإلحاد في أدلة الأسماء والصفات:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البدائع» (١/١٦٩): العشرون: معرفة الإلحاد في أسمائه حتىٰ لا يقع فيه، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

والإلحاد في أسمائه: هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه أصل مادته (ل ح د). اهـ

وهو أنواع:

الأول: إلحاد المعطلة:

أن ينكرها، أو ينكر شيئًا منها. أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام كما فعل أهل التعطيل من الجهمية الذين يعطلون الأسماء، والصفات، والمعتزلة الذين يثبتون الأسماء، وينفون الصفات، أو كالأشاعرة الذين يثبتون الأسماء، وسبعا من الصفات.

الثاني: إلحاد الممثلة:

وهو أن يجعلها دالة علىٰ صفات تشابه صفات المخلوقين.

الثالث: إلحاد من سمىٰ الله بغير إسمائه الثابتة له:

كتسمية النصارىٰ له (الأب) والفلاسفة (العلة الفاعلة) والعشق، واللذة، وهذا من القول علىٰ الله تعالىٰ بلا علم مع ما تتضمن من المعاني الباطلة قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف:٣٣].

الرابع: إلحاد المشركين، ومن إليهم:

حيث يشتقون من أسماء الله تعالىٰ أسماء للأصنام، كا اشتقاق العزىٰ من العزيز، واللات من الإله ومناة من المنان في قول لأهل العلم.

ومنه: أن يُسمىٰ غير الله تعالىٰ بأسمائه المختصة به.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تحفة المودود بأحكام المولود» ص(١٢٥): ومما يمنع تسمية الإنسان به أسماء الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد ولا بالخالق ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار والمتكبر، والأول والآخر والباطن وعلام الغيوب.

وقد قال أبوداود في «سننه»: حدثنا الربيع بن نافع، عن يزيد بن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن جده شريح، عن أبيه هانئ أنه لما وفد إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الحَكَمِ؟» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟» قال: لي شريح ومسلمة وعبدالله، قال: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قلت: شريح، قال: «فَأَنْتَ أَبُوشُرَيْحٍ». وقد تقدم ذكر الحديث الصحيح: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ».

وقال أبوداود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا مسدد، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا أبوسلمة سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، عن مطرف بن عبدالله بن الشخير قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السَّيِّدُ اللهُ» قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَوْلًا، فقال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بِبَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». ولا ينافي هذا قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ» فإن هذا إخبار منه عما أعطاه الله من سيادة النوع الإنساني وفضله وشرفه عليهم،

وأما وصف الرب تعالىٰ بأنه السيد فذلك وصف لربه علىٰ الإطلاق، فإن سيد الخلق هو مالك أمرهم الذي إليه يرجعون، وبأمره يعلمون، وعن قوله يصدرون. اهـ

وقال ص(١٢٧): وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلىٰ غيره، كالسميع، والبصير، والرءوف، والرحيم، فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمىٰ بها علىٰ الإطلاق؛ بحيث يطلق عليه كما يطلق علىٰ الرب تعالىٰ. اهـ

الخامس: إلحاد المفوضة:

الذين يثبتون ألفاظًا لا معاني لها علىٰ ما يأتي بيانه في الفصل الخامس إن شاء الله تعالىٰ.

القاعدة التاسعة: القول في أسماء الأخبار:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البدائع» (١٦١/١): إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالىٰ أوسع مما يدخل في أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ. اهـ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «درء تعارض العقل والنقل»(٢٩٨/١): فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل، وبه يظهر الفرق بين ما يدعىٰ الله به من الأسماء الحسنىٰ، وبين ما يخبر به عنه عَزَّوَجَلَّ مما هو حق ثابت، لإثبات ما يستحقه سبحانه من صفات الكمال، ونفي ما تنزه عنه عَزَّوَجَلَّ من العيوب والنقائص، فإنه الملك القدوس السلام، سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾[الأعراف:١٨٠]، مع قوله: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾[الأنعام:١٩]، ولا يقال في الدعاء: يا شيء. اهـ

وقال في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية (٥/ ٨): والصواب... أن يفرق بين أن يدعىٰ بالأسماء أو يخبر بها عنه. فإذا دعي لم يدع إلا بالأسماء الحسنىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[الأعراف:١٨٠].

وأما الإخبار عنه فهو بحسب الحاجة؛ فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد إلىٰ أن يترجم أسماؤه بغير العربية، أو يعبر عنه باسم له معنًىٰ صحيح، لم يكن ذلك محرمًا. اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « بدائع الفوائد» (١/ ١٦٢): الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلا ومصدرا نحو السميع البصير القدير يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾[المجادلة:١]، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[المرسلات:٢٣]، هذا إن كان الفعل متعديا فإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال حي. اهـ

القاعدة العاشرة: أسماء الله سبحانه وتعالى غير مخلوقة:

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» للآجري (١٧٠): حَدَّثَنَا أَبُوالْقَاسِمِ عَبْدُاللهِ بن مُحَمَّدِ بن عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَنْبَلُ بن إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ أَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ عَمَّنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلمَ اللهِ وَأَسْمَاءَهُ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران:٦١]، أَفَلَيْسَ هُوَ الْقُرْآنُ؟ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلمَ اللهِ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتَهُ مَخْلُوقَةٌ فَهُوَ كَافِرٌ لَا يُشَكُّ فِي ذَلِكَ، إِذَا أعْتَقَدَ ذَلِكَ، وَكَانَ رَأْيُهُ وَمَذْهَبُهُ وَكَانَ دِينًا يَتَدَيَّنُ بِهِ، كَانَ عِنْدَنَا كَافِرٌ. اهـ

فمعتقد أهل السنة والجماعة: أنهم يؤمنون بأن الله الذي سمىٰ نفسه بأسمائه الحسنىٰ وتكلم بها حقيقة، وهي غير مخلوقة، وليست من وضع البشر.

وقالت الجهمية والمعتزلة: إن أسماء الله مخلوقة، وأن الله ليس هو الذي سمىٰ نفسه بهذه الأسماء، وكذلك لم يتكلم بها حقيقة، وإنما خلقها في غيره أو سماه بها بعض خلقه[1].

وذهبت الكلابية والأشاعرة والماتريدية: أن أسماء الله غير مخلوقة، ولكن مقصودهم بهذه العبارة أن الله بذاته غير مخلوق، وهذا مما لا تنازع فيه مع الجهمية والمعتزلة.

وأطلقوا القول بأن التسميات مخلوقة والتسميات عندهم هي الأسماء كالعليم والعزيز والرحيم، وبهذا وافقوا الجهمية والمعتزلة في المعنىٰ.[2]

وذلك لما يأتي:

حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ**»، دل علىٰ أن أسماء الله تعالىٰ غير مخلوقة، بل هو تكلم بها وسمىٰ بها نفسه؛ ولذلك لم يقل بكل اسم خلقته لنفسك، ولا قال: سماك بها خلقك. أفاده ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «شفاء العليل» صـ(٢٧٧).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن أسماء الله من كلامه، وكلامه تعالىٰ غير مخلوق، فأسماءه غير مخلوقة، فهو المسمي لنفسه بتلك الأسماء.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ١٨٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ١٩٢)، أفاده التميمي في «معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات».

إن الله تعالىٰ يُسأل بهذه الأسماء، ولو كانت مخلوقة لم يجز أن يُسأل بها، فإن الله تعالىٰ لا يقسم عليه بشيء من خلقه.

إن اليمين بهذه الأسماء منعقد، فمن حلف باسم من أسماء الله فهو حالفٌ بالله.

إن أسماء الله مشتقة من صفاته وصفاته قائمة به، فصفاته غير مخلوقة. اهـ

القاعدة الحادية عشرة: تعدد أسماء الله تعالى كمال:

وذلك لأن كل اسم يتضمن صفة، ويدل علىٰ معانٍ عظيمة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تحفة المودود بأحكام المولود» ص(١٤٤): لما كان المقصود بالاسم التعريف والتمييز وكان الاسم الواحد كافيا في ذلك كان الاقتصار عليه أولىٰ ويجوز التسمية بأكثر من اسم واحد كما يوضع له اسم وكنية ولقب وأما أسماء الرب تعالىٰ وأسماء كتابه وأسماء رسوله فلما كانت نعوتا دالة علىٰ المدح والثناء لم تكن من هذا الباب بك من باب تكثير الاسماء لجلالة المسمىٰ وعظمته وفضله قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» (١٢٢٠/٤): إن الأصل الذي قادهم إلىٰ النفي والتعطيل واعتقاد المعارضة بين العقل والوحي أصل واحد، هو منشأ ضلال بني آدم، وهو الفرار من تعدد صفات الواحد، وتكثر أسمائه الدالة علىٰ صفاته، وقيام الأمور المتجددة به، وهذا لا محذور فيه، وهو الحق الذي لا يثبت كونه سبحانه ربًّا وإلهًا وخالقًا إلا به، ونفيه جحد للصانع بالكلية، وإنكار له، وهذا القدر لازم لجميع طوائف أهل الأرض علىٰ اختلاف مللهم ونحلهم. اهـ

القاعدة الثانية عشرة: أسماء الله تعالى مشتقة من أفعاله وصفاته:

مثل اشتقاق لفظ الجلالة من الإله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» صـ(٢٧١): والرب تعالىٰ يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء، ولا يشتق له من مخلوقاته، وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته، أو فعل قائم به، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق المنفصل يسمىٰ متكونًا ومتحركًا وساكنًا وطويلًا وأبيض وغير ذلك؛ لأنه خالق هذه الصفات، فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك - مع أنه خالقه - علم أنما يشتق أسماءه من أفعاله وأوصافه القائمة به، وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه، ولا يتسمىٰ باسمه. اهـ

القاعدة الثالثة عشر: الأسماء المنقسمة إلى ما يُمدح به وغيره لا تطلق على الله تعالى إلا مقيدة:

يبين ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾[الطارق:١٥-١٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾[الأنفال:٣٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢].

الأسماء في هذا الباب وتنقسم الأسماء إلى أربعة أقسام، وهي:

الأول: أسماء تدل على الكمال المطلق من كل وجه، فهذه يُسمىٰ الله تعالىٰ بها، مع مراعاة أن الأسماء والصفات ببها توقيفي علىٰ ما تقدم

الثاني: أسماء تدل علىٰ النقص المطلق الذي لا كمال فيه كالعجز والفقر والعمىٰ فهذا لا يجوز أن يسمىٰ الله به فلا يسمىٰ بالعاجز أو الفقير أو الخائن ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ﴾[الأنفال:٧١]، ولم يقل خانهم.

الثالث: أسماء تدل على الكمال لكن تحتمل النقص بالتقدير الذهني كالمتكلم، والمريد فهذه يخبر عن الله تعالى بها ولا يسمى بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأصفهانية» (٥): وأما تسميته سبحانه بأنه مريد وأنه متكلم فإن هذين الاسمين لم يردا في القرآن ولا في الأسماء الحسنى المعروفة، ومعناهما حق، ولكن الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها كالعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح والأسماء الدالة عليها أسماء مدح وأما الكلام والإرادة فلما كان جنسه ينقسم إلى محمود كالصدق والعدل وإلى مذموم كالظلم والكذب والله تعالى لا يوصف إلا بالمحمود دون المذموم جاء ما يوصف به من الكلام والإرادة في أسماء تخص المحمود كاسمه الحكيم والرحيم والصادق والمؤمن والشهيد والرؤوف والحليم والفتاح ونحو ذلك.

فلهذا لم يجئ في أسمائه الحسنى المأثورة المتكلم المريد. اهـ باختصار.

الرابع: أسماء تدل على النقص في حال وعلى الكمال في حال مثل: المكر، والكيد، والاستهزاء فهذه لا يسمى الله به مطلقًا كما لاتنفى مطلقًا فلا يقال: الماكر والمخادع والمستهزئ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طريق الهجرتين وباب السعادتين» ص(٣٣٠): ومن هنا يعلم غلط بعض المتأخرين وزلقه الفاحش في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسمًا مطلقًا فأدخله في أسمائه الحسنى، فاشتق له اسم الماكر، والخادع، والفاتن، والمضل، والكاتب، ونحوها من قوله: ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾[الأنفال:٣٠]، ومن قوله: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢]، ومن قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ﴾[طه:١٣١]، ومن قوله:

﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾[الرعد:٢٧، النحل:٩٣، فاطر:٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ﴾[المجادلة:٢١]، وهذا خطأ من وجوه:

أحدها: أنه سبحانه لم يطلق علىٰ نفسه هذه الأسماء، فإطلاقها عليه لا يجوز.

الثاني: أنه سبحانه أخبر عن نفسه بأفعال مختصة مقيدة، فلا يجوز أن ينسب إليه مسمىٰ الاسم عند الإطلاق.

الثالث: أن مسمىٰ هذه الأسماءِ منقسم إلىٰ ما يمدح عليه المسمىٰ به، وإلىٰ ما يذم، فيحسن في موضع، ويقبح في موضع، فيمتنع إطلاقه عليه سبحانه من غير تفصيل.

الرابع: أن هذه ليست من الأسماء الحسنىٰ التي يسمىٰ بها سبحانه [فلا يجوز أن يسمىٰ بها فإن أسماء الرب تعالىٰ كلها حسنىٰ]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]، وهي التي يحب سبحانه أن يثنىٰ عليه ويحمد بها دون غيرها.

الخامس: أن هذا القائل لو سُمي بهذه الأسماء، وقيل له هذه مَدحتك وثناءٌ عليك، فأنت الماكر الفاتن المخادع المضل اللاعن الفاعل الصانع ونحوها لما كان يرضىٰ بإطلاق هذه الأسماء عليه ويعدها مدحة، ولله المثل الأعلىٰ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عما يقول الجاهلون به علوًا كبيرًا.

السادس: أن هذا القائل يلزمه أن يجعل من أسمائه اللاعن والجائي والآتي والذاهب والتارك والمقاتل والصادق والمنزل والنازل والمدمر وأضعاف أضعاف ذلك، فيشتق له اسمًا من كل فعل أخبر به عن نفسه، وإلا تناقض تناقضًا بينًا، ولا أحد من العقلاءِ طرد ذلك، فعلم بطلان قوله والحمد لله رب العالمين. اهـ

القاعدة الرابعة عشرة: أسماء الله تعالى ثابتة له على الحقيقة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما «مختصر الصواعق» صـ(٣٠٨): إن هذه الألفاظ التي تستعمل في حق الخالق والمخلوق لها **ثلاث اعتبارات**.

أحدها: أن تكون مقيدةً بالخالق، كسمع الله وبصره ووجهه ويديه واستوائه، ونزوله وعلمه وقدرته وحياته.

الثاني: أن تكون مقيدةً بالمخلوق كيد الإنسان ووجهه واستوائه.

الثالث: أن تجرد عن كلا الإضافتين وتوجد مطلقةً، فإثباتكم لها حقيقة، إما أن يكون بالاعتبار الأول أو الثاني أو الثالث، إذ لا رابع هناك، فإن جعلتم جهة كونها حقيقةً تقيدها بالخالق لزم أن تكون في المخلوق مجازًا، وهذا مذهب قد صار إليه أبو العباس الناشي ووافقه عليه جماعة، وإن جعلتم جهة كونها حقيقةً تقيدها بالمخلوق لزم أن تكون في الخالق مجازًا، وهذا مذهب قد صار إليه إمام المعطلة جهم بن صفوان، ودرج أصحابه علىٰ أثره، وإن جعلتم جهة كونها حقيقةً القدر المشترك، ولم يدخل القدر المميز في موضعها لزم أن يكون حقيقةً في الخالق، وهذا قول عامة العقلاء، وهو الصواب، وإن فرقتم بين بعض الألفاظ وبعض، وقعتم في التناقض والتحكم المحض. اهـ

تلخص لنا: أن ما كان مضافا إلىٰ الله تعالىٰ فهو خاص به، وما أضيف إلىٰ المخلوق فهو خاص به، ولا يقتضي ذلك اتحادًا ولا تماثلًا، وإن اتحاد الأسماء لايلزم منه اتحاد الصفات، والذوات.

وقال شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «التدمرية» ص(٢١): ولهذا سمىٰ الله نفسه بأسماء، وسمّىٰ صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به، إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمّىٰ بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده فقد سمّىٰ الله نفسه حيًّا، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[البقرة:٢٥٥]، وسمّىٰ بعض عباده حيًّا، فقال: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ

﴿ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾[الروم:١٩]، وليس هذا الحيّ مثل هذا الحي؛ لأن قوله: ﴿ٱلۡحَيِّ﴾ واسم لله مختص به، اسم للحي المخلوق مختص به. اهـ بتصرف

القاعدة الخامسة عشرة: أفعال الله صادرة عن أسمائه:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بدائع الفوائد» (١٦٢/١): إن أفعالَ الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صادرة عن أسمائِه وصفاتِه، وأسماءَ المخلوقين صادرة عن أفعالهم. فالرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فعاله عن كماله، والمخلوق كماله عن فعاله، فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل. فالرب لم يزل كاملًا، فحصلت أفعاله عن كماله؛ لأنه كامل بذاته وصفاته، فأفعاله صادرة عن كماله، كمل ففعل، والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به. اهـ

القاعدة السادسة عشرة: الإثبات المفصل في الأسماء والصفات:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التدمرية» صـ(١٠): وأما الإثبات المفصَّل، فإنه ذكر من أسمائه وصفاته ما أنزله في محكم آياته، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[البقرة:٢٥٥] الآية بكمالها، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾[الإخلاص: ١-٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾[التحريم:٢]، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾[الروم:٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى:١١]، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[إبراهيم:٤]، ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يونس:١٠٧]، ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾[البروج:١٤-١٦]، ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾[الحديد:٣-٤]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ

رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾﴾[محمد:٢٨]، وقوله: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤]، وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[المائدة:١١٩]، وقوله: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾﴾[النساء:٩٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾[غافر:١٠]، وقوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[البقرة:٢١٠]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[فصلت:١١].

وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾[النساء:١٦٤]، وقوله: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾﴾[مريم:٥٢]، وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾[القصص:٦٢]. اهـ

إلىٰ غير ذلك مما هو في القرآن والسنة.

القاعدة السابعة عشرة: القول في الاسم والمسمى:

في «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١٧٩٣): قال الشافعي: (إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمىٰ أو الاسم المسمىٰ فاشهد عليه أنه من أهل الكلام ولا دين له) وقال الطبري في صريح السنة: وأما القول في الاسم: أهو المسمىٰ أم غير المسمىٰ؟ فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول من إمام فيستمع، فالخوض فيه شين، والصمت عنه زين. وحسب امرئ من العلم به، والقول فيه أن ينتهي إلىٰ قول الله، عَزَّوَجَلَّ ثناؤه، الصادق، وهو قوله: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ) وقوله تعالىٰ: (ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها) ويعلم أن ربه هو الذي علىٰ العرش استوىٰ، (له ما في السموات وما في

الأرض وما بينهما وما تحت الثرىٰ)، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر وضل وهلك. فليبلغ الشاهد منكم أيها الناس من بعد منا فنأىٰ، أو قرب فدنا. انتهىٰ

ومن هنا فأقوال الناس في هذه المسألة تذكر فيما يلي:

١- الاسم غير المسمىٰ، وهذا قول الجهمية، حيث يزعمون أن أسماء الله تعالىٰ حروف حادثة مخلوقة تدا علىٰ الذات المقدسة.

٢- الاسم هو المسمىٰ، وهذا قول بعض المنتسبين إلىٰ السنة كالبغوي واللالكائي، وأبي عبيد معمر بن المثنىٰ، والقرطبي، وأحد قولي الأشاعرة.

٣- الاسم للمسمىٰ، وهو دليل وعَلَمٌ عليه. وهذا القول تدعمه الأدلة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه:٨].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[الإسراء:١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[الحشر:٢٤].

وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٦/٢٠٦-٢٠٧): وأما الذين يقولون: الاسم للمسمىٰ كما يقول أكثر أهل السنة، فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول. اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شفاء العليل» ص(٢٧٧): والاسم للمسمىٰ ولا يقال غيره. اهـ

القاعدة التاسعة عشرة: الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه:

قال السعدي في «القواعد الحسان» القاعدة الثالثة: وقد نص على ذلك أهل الأصول وأهل العربية، واتفق على اعتبار ذلك أهل العلم والإيمان. فمثلُ قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب:٣٥]، يدخل في هذه الأوصاف كل ما تناوله من معاني الإسلام والإيمان والقنوت والصدق إلى آخرها. وأن بكمال هذه الأوصاف يكمل لصاحبها ما رتب عليها من المغفرة والأجر العظيم، وبنقصانها ينقص، وبعدمها يفقد، وهكذا كل وصف رتب عليه خير وأجر وثواب، وكذلك ما يقابل ذلك كل وصف نهى الله عنه ورتب عليه وعلى المتصف به عقوبة وشرًا ونقصًا، يكون له من ذلك بحسب ما قام به من الوصف المذكور، وكذلك مثل قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾[المعارج:من ١٩-٢١]، عام لجنس الإنسان.

فكل إنسان هذا وصفه إلا من استثنى الله بقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾[المعارج: ٢٢]، إلى آخرها، كما أن قوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾[العصر:١-٢] دال على أن كل إنسان عاقبته ومآله إلى الخسار: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[العصر:٣]، وأمثال ذلك كثير.

وأعظم ما تعتبر به هذه القاعدة: في الأسماء الحسنى، فإن في القرآن منها شيئًا كثيرًا، وهي من أجل علوم القرآن بل هي المقصد الأول للقرآن.

فمثلًا يخبر الله عن نفسه: أنه الرب الحي القيوم، وأنه الملك والعليم والحكيم، والعزيز والرحيم، والقدوس السلام، والحميد المجيد. فالله هو الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يؤله لأجلها وهي صفات الكمال كلها، والمحامد كلها له،

والفضل كله، والإحسان كله، وأنه لا يُشارِك اللهَ أحد في معنىٰ من معاني الربوبية: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورىٰ: ١١]، لا بشر ولا مَلَك، بل هم جميعًا عبيد مربوبون لربهم بكل أنواع الربوبية، مقهورون خاضعون لجلاله وعظمته، فلا ينبغي أن يكون أحد منهم ندًا، ولا شريكا لله في عبادته وإلهيته، فبربوبيته سبحانه يربي الجميع من ملائكة وأنبياء وغيرهم: خلقًا ورزقًا وتدبيرًا وإحياء وإماتة، وهم يشكرونه علىٰ ذلك بإخلاص العبادة كلها له وحده، فيؤلهونه ولا يتخذون من دونه وليًا ولا شفيعًا، فالإلهية حق له سبحانه علىٰ عبادته بصفة ربوبيته، وأنه الملك الذي له جميع معاني الملك، وهو الملك الكامل والتصرف النافذ، وأن الخلق كلهم مماليك لله، عبيد تحت أحكام ملكه القدرية والشرعية والجزائية، وأنه العليم بكل شيء، الذي لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي أحاط علمه بالبواطن والظواهر والخفيات والجليات والواجبات والمستحيلات، والجائزات والأمور السابقة واللاحقة والعالم العلوي والسفلي والكليات والجزئيات. وما يعلم الخلق وما لا يعلمون ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[البقرة:٢٥٥]، وأنه الحكيم الذي له الحكمة التامة الشاملة لجميع ما قضاه وقدره وخلقه، وجميع ما شرعه لا يخرج عن حكمته، لا مخلوق ولا مشروع، وأنه العزيز الذي له جميع معاني العزة علىٰ وجه الكمال التام من كل وجه، عزة القوة وعزة الامتناع، وعزة القهر والغلبة، وأن جميع الخلق في غاية الذل ونهاية الفقر، ومنتهىٰ الحاجة والضرورة إلىٰ ربهم، وأنه الرحمن الرحيم الذي له جميع معاني الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء، ولم يخل مخلوق من إحسانه وبره طرفة عين. تبلغ رحمته حيث يبلغ علمه: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ

﴿كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]، وأنه القدوس السلام، المعظم المنزه عن كل عيب وآفة ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له ند من خلقه.

وهكذا بقية الأسماء الحسنىٰ، اعتبرْها بهذه القاعدة الجليلة ينفتح لك باب عظيم من أبواب معرفة الله، بل أصل معرفة الله تعالىٰ معرفة ما تحتوي عليه أسماؤه الحسنىٰ، وتقتضيه من المعاني العظيمة، بحسب ما يقدر عليه العبد، وإلا فلن يبلغ علم أحد من الخلق بذلك، ولن يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده..انتهىٰ

القاعدة العشرون: الأسماء المقيدة ليست من الأسماء الحسنى:

الأسماء المقيدة بالإضافة لا تدخل في الأسماء الحسنىٰ، وإنما هي من قبيل الصفات الاسمية التي يجوز الدعاء بها علىٰ الوضع الذي قيدت به. والأسماء المقيدة حسنها فيما قيدت به والأسماء المطلقة هي المقصودة بالتسعة والتسعين اسما ومن أمثلة الأسماء المقيدة الحفي قال تعالىٰ: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾[مريم:٤٧]، ولهذا تردد ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذكره في الأسماء الحسنىٰ، ومن أمثلته اسم الصاحب حيث رجاء مقيدا في السفر ففي حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَىٰ سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾[الزخرف:١٣-١٤] «اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وإذا رجع قالهنَّ وزاد فيهنَّ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»، هذه رواية مسلم.

القاعدة الحادية والعشرون: أحكام ختم الآيات بالأسماء الحسنى:

قال السعدي في «القواعد الحسان في تفسير القرآن»:

القاعدة التاسعة عشرة: الأسماء الحسنىٰ في ختم الآيات:

يختم الله الآيات بأسماء الله الحسنىٰ ليدل علىٰ أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم. وهذه القاعدة لطيفة نافعة، عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتدلك علىٰ أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته ومرتبط بها.

وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجل المعارف وأشرف العلوم.

فتجد آية الرحمة مختومةً بصفات الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر.

ولا بأس هنا أن نسوق بعض الآيات في هذا، ونشير إلىٰ مناسبتها بحسب ما وصل إليه علمنا القاصر وعبارتنا الضعيفة، ولو طالت الأمثلة هنا لأنها من أهم المهمات، ولا تكاد تجدها في كتب التفسير إلا يسيرًا منها.

قال تعالىٰ: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾[البقرة:٢٩]، فذكرُ إحاطة علمه بعد ذكر خلقه للأرض والسماوات يدل علىٰ إحاطة علمه بما فيها من العوالم العظيمة، وأنه حكيم حيث وضعها لعباده، وأحكم صنعها في أحسن خلق وأكمل نظام، وأن خلقه لها من أدلة علمه، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾[الملك:١٤]، فخلقه للمخلوقات وتسويتها علىٰ ما هي عليه من إنسان وحيوان ونبات وجماد: من أكبر الأدلة العقلية علىٰ علمه، فكيف يخلقها وهو لا يعلمها؟

ولما ذكر كلامَ الملائكة حين أخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة، ومراجعتهم لربهم في ذلك، فلما خلق آدم وعلمه أسماء كل شيء مما جعله الله له وبين يديه، وعجزت الملائكة عن معرفتها وأنبأهم آدم بها: ﴿قَالُوا۟ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِیمُ ٱلۡحَكِیمُ ۝٣٢﴾[البقرة:٣٢]، فاعترفوا لله بسعة العلم، وكمال الحكمة، وأنهم مخطئون في مراجعتهم ربهم في استخلافه آدم في الأرض التي خلقت له وهيئت لنزوله.

وفي هذا: أن الملائكة علىٰ عظمتهم وسعة معارفهم بربهم اعترفوا بأن علومهم تضمحل بجانب علم ربهم، وأنه لا علم لهم إلا منه، فختم هذه الآيات بهذين الاسمين الكريمين، الدالين علىٰ علم الله بآدم وما خلق له وما خلق عليه وتمام حكمته في خلقه، وما يترتب علىٰ ذلك من المصالح المتنوعة: من أحسن المناسبات.

وأما قوله عن آدم: ﴿فَتَلَقَّىٰۤ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتࣲ فَتَابَ عَلَیۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِیمُ ۝٣٧﴾[البقرة:٣٧]، وختمه كثيرًا من الآيات بهذين الاسمين [التواب الرحيم] بعد ذكر ما يدعو به العبد إلىٰ التعرض من رحمته ومغفرته، وتوفيقه وحلمه، فمناسبته جليلة لكل أحد، وأنه لما كان هو التواب الرحيم، أقبل بقلوب التائبين إليه، ووفقهم للأخذ بالأسباب التي ترجعهم إلىٰ الفطرة السليمة التي يعرفون بها نعمة ربهم فيقدرونها ويشكرونها ويستجيبون لما يدعوهم بها إليه سبحانه، فيرجعون في كل شئونهم وأمورهم إلىٰ ربهم، فيفرح بهم ويزيدهم من فضله ويتوب عليهم ثم يغفر لهم ويرحمهم، فتاب عليهم أولًا بتوفيقهم للتوبة وأسبابها، وتاب عليهم ثانيًا حين قبل متابهم وأجاب سؤالهم، ولهذا قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَیۡهِمۡ لِیَتُوبُوۤا۟ۚ﴾[التوبة:١١٨]، أي أقبل بقلوبهم عليه، فإنه لولا توفيقه وجذب قلوبهم إلىٰ ذلك بنعمه الكونية والعلمية لم يكن لهم سبيل إلىٰ ذلك حين استولت عليهم النفس

الأمارة، فإنها لا تأمر إلا بالسوء، إلا من رحم الله فأعاذه منها ومن نزغات الشيطان إلىٰ آخر ما ذكره.

القاعدة الثانية والعشرون: لايجوز أن يطلق على الله تعالى لفظ يقتضي التأنيث:

قال القرطبي في «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (٢٣): ولا يجوز أن يطلق علىٰ الله تعالىٰ لفظ يقتضي التأنيث وجهال الصوفية يطلقون لفظ ليلىٰ وسعدىٰ واطلاقه علىٰ الله محال إذ فيه تشبيه بالكفرة الضلال في إطلاقهم لفظ التأنيث علىٰ آلهتهم فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[النجم:١٩-٢٠]، ثم قال لا يقال أطلق لفظ الذات وهو مؤنث. انتهىٰ

القول في الذات:

قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٠٠-٤٠٣): وأما الذات فقد استهوىٰ أكثر الناس ولا سيما المتكلمين القول فيها أنها في معنىٰ النفس والحقيقة، ويقولون ذات الباري هي نفسه ويعبرون بها عن وجوده وحقيقته ويحتجون في إطلاق ذلك بقوله في قصة إبراهيم: «ثلاث كذبات كلهن في ذات الله» رواه البخاري ومسلم، وقول خبيب: (وذلك في ذات الإله) قال: وليست هذه اللفظة إذا استقريتها في اللغة والشريعة كما زعموا ولو كان كذلك لجاز أن يقال عند ذات الله واحذر ذات الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران:٢٨]، وذلك غير مسموع، ولا يقال إلا بحرف (في) الجارة، وحرف (في) للوعاء، وهو معنىٰ مستحيل علىٰ نفس الباري تعالىٰ، إذا قلت: جاهدت في الله تعالىٰ، وأحببتك في الله تعالىٰ، محال أن يكون هذا اللفظ حقيقة لما يدل عليه هذا الحرف من معنىٰ الوعاء، وإنما هو علىٰ حذف المضاف، أي: في مرضاة الله وطاعته، فيكون الحرف علىٰ بابه، كأنك قلت: هذا محبوب في الأعمال التي فيها مرضاة الله وطاعته، وأما أن تدع اللفظ علىٰ ظاهرة فمحال. وإذا ثبت هذا

فقوله: (في ذات الله) أو (في ذات الإله) إنما يريد في الديانة والشريعة التي هي ذات الإله، فـ(ذات) وصف للديانة، وكذلك هي في الأصل موضوعها نعت لمؤنث، ألا ترىٰ أن فيها تاء التأنيث وإذا كان الأمر كذلك فقد صارت عبارة عما تشرف بالإضافة إلىٰ الله تعالىٰ عَزَّوَجَلَّ لا عن نفسه سبحانه وهذا هو المفهوم من كلام العرب ألا ترىٰ قول النابغة الذبياني بجلتهم ذات الإله ودينهم...

فقد بان غلط من جعل هذه اللفظة عبارة عن نفس ما أضيف إليه وهذا من كلامه من المرقصات فإنه أحسن فيه ما شاء.

و أصل هذه اللفظة هو تأنيث (ذو) بمعنىٰ صاحب، فـ(ذات) صاحبة، كذا في الأصل؛ ولهذا لا يقال: ذات الشيء إلا لما له صفات ونعوت تضاف إليه، فكأنه يقول: صاحبة هذه الصفات والنعوت؛ ولهذا أنكر جماعة من النحاة منهم ابن برهان وغيره علىٰ الأصوليين قولهم: (الذات)، وقالوا: لا مدخل للألف واللام هنا، كما لا يقال: (الذو) في (ذو)، وهذا إنكار صحيح، والاعتذار عنهم أن لفظة (الذات) في اصطلاحهم قد صارت عبارة عن الشيء نفسه وحقيقته وعينه، فلما استعملوها استعمال النفس والحقيقة عرّفوها باللام وجردوها، ومن هنا غلّطهم السهيلي، فإن هذا الاستعمال والتجريد أمر اصطلاحي لا لغوي؛ فإن العرب لا تكاد تقول: رأيت الشيء لعينه ونفسه، وإنما يقولون ذلك لما هو منسوب إليه ومن جهته، وهذا كجنب الشيء، إذا قالوا: هذا في جنب الله، لا يريدون إلا فيما ينسب إليه من سبيله ومرضاته وطاعته، لا يريدون غير هذا البتة.

فلما اصطلح المتكلمون علىٰ إطلاق الذات علىٰ النفس والحقيقة ظن من ظن أن هذا هو المراد من قوله: «ثلاث كذبات في ذات الله» وقوله: (وذلك في ذات الإله) فغلط واستحق التغليط، بل الذات هنا كالجنب في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٦]، ألا ترىٰ أنه لا يحسن أن يقال ههنا: فرطت في نفس

الله وحقيقته، ويحسن أن يقال: فرط في ذات الله، كما يقال: فعل كذا في ذات الله، وقتل في ذات الله تعالىٰ، وصبر في ذات الله، فتأمل ذلك فإنه من المباحث العزيزة الغريبة التي يثنىٰ علىٰ مثلها الخناصر، والله الموفق المعين. انتهىٰ.

القاعدة الثالثة والعشرون: تقسيم أسماء الله تعالى إلى مختص وغير مختص:

قال القرطبي في «الأسنى» (٥): قال الشيخ أبو الحسن الأشعري أسماء الله تعالىٰ ضربان، اسم يختص به تعالىٰ لايشاركه فيه غيره كقولنا الله، الرحمن، ومليك، وغفار، وصمد، ومتعال، وسبوح وقدوس.. واسم لايختص به بل يجوز أن يسمىٰ به غيره كقولنا عالم وقادر وحي... انتهىٰ

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص(٨٨): أن أسماء الله تعالىٰ في جواز الإطلاق والإخبار بها لفظًا عنه وعن العباد علىٰ أربعة أضرب:

الأول: ما لا يجوز أن يخبر بها عن العباد بحال كقولنا الله والرحمن.

الثاني: ما يكون في صفة الله تعالىٰ واجبا وفي وصف العبد جائزًا كالعالم، والقادر.

الثالث: ما يكون في حق الله تعالىٰ حقًّا وفي حق العبد باطلًا كالجبار والمتكبر.

الرابع: ما يخبر به عن الله تعالىٰ وعن العبد كالخالق، فإنه جائز في حق الله تعالىٰ بمعنىٰ، ويكون في حق المخلوق جائزا بمعنىٰ آخر. انتهىٰ

وقد ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص(٣٣٠) الخلاف في وصف غير الله تعالىٰ بالخلق بمعنىٰ التقدير مستدلين بقول زهير:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

ذكر الأسماء التسعة والتسعين التي أرجو أن من أحصاها دخل الجنة

تقدم القول في أن أسماء الله تعالىٰ غير محصورة بعدد معلوم لنا، وهنا نذكر إن شاء الله تعالىٰ ما أرجو أن تكون المرادة بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقبل ذكرها أذكر تنبيهين:

الأول: أن الأسماء المشتقة من صفة واحدة لا تغد كلها أسما واحدا بل كل صيغة من صيغ الإسم تعتبر اسمًا مستقلًّا.

الثاني: الأسماء المقترنة لا يصح فيها إطلاق اسم منها دون الآخر.

قال ابن الوزير في «إيثار الحق على الخلق» (ص: ١٧٤): علىٰ تقدير صحة أن اسم الضار لا يجوز افراده عن النافع فحين لم يجز افراده لم يكن مفردا من أسماء الله تعالىٰ وإذا وجب ضمه إلىٰ النافع كانا معا كالاسم الواحد المركب من كلمتين مثل عبد الله وبعلبك فلو نطقت بالضار وحده لم يكن اسما لذلك المسمىٰ به ومتىٰ كان الاسم هو الضار النافع معا كان في معنىٰ مالك الضر والنفع وذلك في معنىٰ مالك الأمر كله ومالك الملك وهذا المعنىٰ من الأسماء الحسنىٰ وهو في معنىٰ قوله تعالىٰ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذلك من تشاء بيدك الخير الآية وهو في معنىٰ القدير علىٰ كل شيء.

وميزان الأسماء الحسنىٰ يدور علىٰ المدح بالملك والاستقلال وما يعود إلىٰ هذا المعنىٰ وعلىٰ المدح بالحمد والثناء وما يعود إلىٰ ذلك وكل اسم دل هذين الأمرين فهو صالح دخوله فيها والضار النافع يرجع إلىٰ ذلك مع علىٰ الجمع وعدم الفرق ومع القصد فيلزم من أطلقه قصد ذلك مع الجمع. انتهى

فمن كتاب الله تعالى:

١- (الله) وهو الاسم الأعظم وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع وقد ذُكر اسم الله في القرآن (٢٧٢٤) مرة، وهو من الأسماء الخاصة بالله تعالىٰ، وهو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ ومن الأدلة عليه قوله تعالىٰ لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾[طه:١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[الحشر:٢٢] وفي السنة الكثير من ذلك.

٢- (الأحد) قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[الإخلاص:١]، وفي البخاري (٤٩٧٤) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ».

٣- (الأعلىٰ) قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[الأعلىٰ:١].

٤- (الأكرم) قال تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾[العلق:٣].

٥- (الإله) قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾[البقرة: ١٦٣].

٦-٩- (الأول، الآخر، الظاهر، الباطن) قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد:٣]. ومن السنة قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ

الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ». أخرجه مسلم (٢٧١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٠- (البارئ) قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾[الحشر:٢٤].

١١- (البَرّ) قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨﴾[الطور:٢٨].

١٢- (البصير) قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٢٠﴾[غافر:٢٠]. ومن السنة حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا». ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ» أَوْ قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

١٣- (التواب) قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾[البقرة:٣٧]. وعند أبي داود (١٥١٦) عن ابن عمر قال: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

١٤- (الجبار) قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾[الحشر:٢٣].

١٥- (الحافظ) قال تعالىٰ: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[يوسف:٦٤].

١٦- (الحسيب) قال تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾[النساء:٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾[النساء:٨٦].

١٧- (الحفيظ) قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾[هود:٥٧].

١٨- (الحقّ) قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[الأنعام:٦٢]. وفي البخاري(١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

١٩- (المبين) قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾[النور:٢٥].

٢٠- (الحكيم) وأدلته كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[البقرة:٣٢].

٢١- (الحليم) قال تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾[البقرة:٢٢٥].

٤٢- (الحميد) قال تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ①﴾[إبراهيم:١].

٤٣- (الحي) قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨]. وفي صحيح مسلم (٢٧١٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ». وأخرجه البخاري (٧٣٨٣).(١)

٤٤- (الخبير) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأنعام: ١٨].

٤٥- (الخالق) قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ﴾ [الحشر:٢٤]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام:١٠٢].

٤٦- (الخلّاق) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾[الحجر:٨٦].

٤٧- (الخير) قال تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[يوسف:٦٤].

٤٨- (الرءوف) قال تعالىٰ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾[النحل: ٤٧].

٤٩- (الرّحمن) قال تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[النمل:٣٠]، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[الإسراء:١١٠]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه:٥].

---

(١) وليس فيه الشاهد.

٣٠-(الرّحيم) قال تعالىٰ: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[الحجر:٤٩]، ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾[الأنعام:١٣٣].

٣١- (الرزّاق، الرازق) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات:٥٨] ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾﴾[البقرة:٢١٢]

٣٢- (الرّقيب) قال تعالىٰ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[المائدة:١١٧]

٣٣- (السّلام) قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾[الحشر:٢٣]. وفي صحيح مسلم (٥٩١) عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الْإِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ.

٣٤- (السّميع) قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[البقرة: ١٢٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾[غافر:٢٠]، ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾﴾[سبأ:٥٠].

٣٥- (الشاكر) قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾﴾[النساء:١٤٧].

٣٦- (الشّكور) قال تعالىٰ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾﴾[فاطر:٣٠]، ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[التغابن:١٧].

٣٧- (الشهيد) قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾[آل عمران:٩٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[الحج:١٧].

٣٨- (الصّمد) قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾[الإخلاص:٢].

٣٩- (العالم) قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٧٣﴾[الأنعام:٧٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٣٨﴾[فاطر:٣٨]، ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۝٧٧﴾[البقرة:٧٧].

٤٠- (العزيز) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٩]، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾[الصافات:١٨٠].

٤١- (العظيم) ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥]، ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة:٧٤].

٤٣- (العفُوّ) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٤٣﴾[النساء:٤٣]، ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝١٤٩﴾[النساء:١٤٩].

٤٣- (العليم) قال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢﴾[البقرة:٣٢]، ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣﴾[التحريم:٣]، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦﴾[البقرة:٢١٦].

٤٤- (العليّ) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾[الحج:٦٢].

٤٥- (الغفّار) قال تعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾[ص:٦٦] في ثلاثة مواطن من القرآن كلها مقترنة بالعزيز.

٤٦- (الغفور) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤﴾[البروج:١٤].

٤٧- (الغنيّ) قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾[الأنعام:١٣٣]، ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٦٤﴾[الحج:٦٤].

٤٨- (الفتاح) قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾[سبأ:٢٦].

٤٩- (القادر) قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الأنعام:٦٥].

٥٠- (القاهر) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأنعام: ١٨]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[الأنعام:٦١].

٥١- (القدّوس) قال تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[الجمعة:١].

٥٢- (القدير) قال تعالىٰ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾[الروم:٥٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[النحل:٧٠].

٥٣- (القريب) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[هود:٦١]، ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾[سبأ:٥٠].

٥٤- (القويّ) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾[هود:٦٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات:٥٨].

٥٥- (القهّار) قال تعالىٰ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾[يوسف:٣٩]، في ستة مواطن من القرآن كلها مقترنة بالواحد.

٥٦- (القيوم) قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾[آل عمران:٢] في ثلاثة مواطن من القرآن كلها مقترنة بالحي.

٥٧- (الكبير) قال تعالىٰ: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾[غافر:١٢]، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾[الرعد:٩] في خمسة مواطن من القرآن.

٥٨- (الكريم) قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾[الانفطار:٦]، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ۝٤٠﴾[النمل:٤٠] في هذين الموطنين من القرآن.

٥٩- (اللّطيف) قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾[الملك:١٤]، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ۝١٩﴾[الشورىٰ:١٩].

٦٠- (المؤمن) قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾[الحشر:٢٣] في موطن واحد.

٦١- (المبين) قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ۝٢٥﴾[النور:٢٥].

٦٢- (المتعال) قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾[الرعد: ٩]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣﴾[النحل:٣].

٦٣- (المتكبّر) قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾[الحشر: ٢٣] في موطن واحد، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٧﴾[الجاثية:٣٧].

٦٤- (المتين) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾[الذاريات:٥٨] في موطن واحد.

٦٥- (المجيب) قال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ۝٦١﴾[هود:٦١]، في موطن واحد وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[البقرة:١٨٦].

٦٦- (المجيد) قال تعالىٰ: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾[البروج:١٥]، ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ۝٧٣﴾[هود:٧٣] ذكر في هذين الموطنين.

٦٧- (المحيط) قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ۝٥٤﴾[فصلت:٥٤].

٦٨- (المستعان) قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾[يوسف:١٨] في موطن واحد.

٦٩- (المصوّر) قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[الحشر:٢٤] في موطن واحد ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾[التغابن:٣].

٧٠- (المقتدر) قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾[الكهف:٤٥]، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾[القمر:٥٥].

٧١- (المقيت) قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ۝٨٥﴾[النساء:٨٥].

٧٢- (مالك) قال تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[الفاتحة:٤].

٧٣- (الملك) قال تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[طه:١١٤، المؤمنون:١١٦].

٧٤- (المليك) قال تعالىٰ: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾[القمر:٥٥].

٧٥- (المهيمن) قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾[الحشر:٢٣] في موطن واحد.

٧٦- (النّور) قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور:٣٥].

٧٧- (الواحد) قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾[ص:٦٥]، في ستة مواطن كلها مقترنة بالقهار.

٧٨- (الواسع) قال تعالىٰ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝١١٥﴾[البقرة: ١١٥]، ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ۝١٣٠﴾[النساء:١٣٠].

٧٩- (الودود) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾[البروج:١٤]، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾[هود:٩٠].

٨٠- (الوكيل) قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾[آل عمران:١٧٣].

٨١- (الوليُّ) قال تعالىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾[الشورىٰ:٩]، ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٨﴾[الشورىٰ:٢٨].

٨٢- (الوهّاب) قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾[آل عمران:٨]، ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩﴾[ص:٩].

ومن سنة رسول الله ﷺ:

٨٣- الجميل: في صحيح مسلم(٩١) عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ».

٨٤- الحكم: عَنْ شُرَيْحِ بن هاني، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ لَـمَّا وَفَدَ إِلَىٰ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَىٰ المَدِينَةَ فَسَمِعَهُمْ يُكَنُّونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَىٰ أَبَا الحَكَمِ؟» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَيَرْضَىٰ كِلا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قَالَ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُاللهِ قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قَالَ: قُلْتُ شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُوشُرَيْحٍ». أخرجه النسائي(٥٤٠٢).

٨٥- الرب: في صحيح مسلم (٤٧٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

٨٦- الرفيق: في البخاري(٦٩٢٧) ومسلم(٢٥٩٣) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ».

٨٧- السُّبّوح: في صحيح مسلم (٤٨٧) عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَبَّأَتْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ».

٨٨- السيد: عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» أخرجه أبو داود(٤٨٠٦).

٨٩- الشافي: في البخاري(٥٧٥٠) ومسلم(٢١٩١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا».

٩٠- الطبيب: في «مسند أحمد» ط الرسالة (٢٩/ ٣٩): عَنْ أَبِي رِمْثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي، فَرَأَى الَّتِي بِظَهْرِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أُعَالِجُهَا لَكَ فَإِنِّي طَبِيبٌ؟ قَالَ: «أَنْتَ رَفِيقٌ، وَاللهُ الطَّبِيبُ».

وفي «المجالسة وجواهر العلم» (٣٠٥٤) دَخَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى عُبَيْدِ الله بن بَكْرَةَ يَعُودُهُ، وَعِنْدَهُ مُتَطَبِّبٌ يَذُوفُ لَهُ دِرْيَاقًا؛ فَأَنْشَأَ الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ:

يَا طَالِبَ الطِّبِّ مِنْ دَاءٍ تَخَوَّفَهُ ... إِنَّ الطَّبِيبَ الَّذِي أَبْلاكَ بِالدَّاءِ
هُوَ الطَّبِيبُ فَمِنْهُ الْبُرْءُ فَالْتَمِسْ ... لا مَنْ يَذُوفُ لَكَ الدِّرْيَاقَ بِالمَاءِ

فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: وَاللهِ! لا أَشْرَبُهُ أَبَدًا. فَمَا أَمْسَى حَتَّى وَجَدَ الْعَافِيَةَ.

٩١- **الطيب**: في صحيح مسلم(١٠١٥) عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿ير يزيم ين يى ييى ئجئح ئخ ئم ئه بج بح﴾ وَقَالَ: ﴿بن بى بي تر تز تم تن تى﴾». ثُمَّ ذَكَرَ «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».

٩٢-٩٤- **القابض، الباسط، المسعر**: عند أبي داود (٣٤٥١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، غَلاَ السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلاَ مَالٍ».

٩٥- **المقدم**: في مسلم(٧٧١) عن علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ».

٩٦- **المؤخر**: في مسلم(٢٧١٩) عن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ عَنِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِى، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّى وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِى، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِى، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ».

٩٧- **المعطي**: في البخاري(٣١١٦) ومسلم(١٠٣٧) عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

٩٨- المنان: في (مسند أحمد) ط الرسالة (٢١/ ١٩٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ فِي دُعَائِهِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟» قَالَ: فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى».

٩٩- الوتر: في البخاري(٦٤١٠) مسلم (٢٦٧٧) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ».

هذه الأسماء أرجو أن تكون هي المرادة من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»، وإلا فأسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ غير محصورة بعدد معلوم لنا علىٰ ما تقدم، زد علىٰ ذلك أنني لم أذكر الأسماء المركبة كـ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة:٢]، ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران:٩] والحمد لله رب العالمين.

* تنبيه: سرد الأسماء الحسنىٰ لم يثبت مرفوعًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال شيخ الإسلام في «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٣٨٠): إن التسعة والتسعين اسمًا لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة وحفاظ أهل الحديث يقولون هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثان أضعف من هذا رواه ابن ماجه. انتهىٰ

* تنبيه: القاعدة عند أهل البيان أن الزيادة في المباني تد علىٰ الزيادة في المعاني، ومن هذا الباب ما جاء من الأسماء الحسنىٰ الدّال علىٰ معنىٰ واحد فإنها تثبت علىٰ ما جائت فمثلا: الرازق، والرزاق، والعالم، والعليم، والعلام.

قال القرطبي في «الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» (٤٦): لا خلاف في أن الاسم الواحد قد يرد علىٰ مفهومات، ولا ينبغي أن تختلف أنه ليس في الأسماء الحسنىٰ ترادف، وأن كل اسم منها مختص بمفهوم كالواحد، والأحد، والغفور، والغافر، والغفار، والعليم والخبير وشبهها. انتهىٰ

الفصل الثالث

قواعد في صفات الله سبحانه وتعالى

قال البخاري (٧٣٧٥): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمْرٌو، عَنِ ابْنِ أَبِي هِلَالٍ، أَنَّ أَبَا الرِّجَالِ مُحَمَّدَ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَهُ عَنْ أُمِّهِ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَتْ فِي حَجْرِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَىٰ سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ». وأخرجه مسلم (٨١٣).

تنبيه: الفرق بين الإسم والصفة:

أسماء الله كل ما دل علىٰ ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت علىٰ ذات الله، وعلىٰ ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر، أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات كالعلم والحكمة والسمع والبصر فالاسم دل علىٰ أمرين، والصفة دلت علىٰ أمر واحد. انتهىٰ من «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (٣/ ١١٦):

والقواعد في هذا الباب كثيرة لكن نذكر أهمها وبالله تعالىٰ العون:

القاعدة الأولىٰ: صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها:

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والرحمة والعزة والحكمة وغير ذلك، وقد دل علىٰ هذا السمع والعقل، قال الله تعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل:٦٠]، ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ أن الصفات من حيث هي تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالقدرة والعلم والسمع والبصر وما في بابها، فهذه تثبت لله سبحانه.

القسم الثاني: صفات نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه كالعمىٰ والصمم والعجز وما في بابها، فهذه تنفىٰ عن الله سبحانه.

القسم الثالث: صفات كمال من وجه ونقص من وجه كالمكر والكيد والمخادعة وما في بابها، فهذه تثبت لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، حال كمالها، وتنفىٰ عنه حال نقصها وهو ما يسمىٰ بصفات المقابلة، فإنها في مقابلة من يعملها كمال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البدائع» (١/١٦٧): إن الصفات ثلاثة أنواع: صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالًا ولا نقصًا، وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسمًا رابعًا، وهو ما يكون كمالًا ونقصًا باعتبارين، والرب تعالىٰ منزه عن الأقسام الثلاثة، وموصوف بالقسم الأول وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكمله. اهـ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (٦/٧١-٨٧ بتصرف): إن الكمال ثابت لله، بل الثابت له هو أقصىٰ ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يمكن وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت لله تعالىٰ يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه، وأن هذا الكمال ثابت له بمقتضىٰ الأدلة العقلية والبراهين اليقينية مع دلالة السمع علىٰ ذلك... اهـ

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

وذلك لأمور:

الأول: أن كل اسم يتضمن صفة؛ وقد تقدم أن أسماء الله تعالىٰ غير داخلة تحت حصر معلوم لنا.

الثاني: أن من الصفات مشتقة من الأفعال وأفعال الله لا منتهىٰ لها قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[لقمان:٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[البروج:١٦]. قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «مدارج السالكين» (٣/ ٣٨٣): فإن الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله علىٰ نفسه أفعالًا لم يتسم منها بأسماء الفاعل، كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يسم بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمتقن وغير ذلك من الأسماء التي أطلق علىٰ نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء. والإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به، فإنه يخبر عنه بأنه شيء، وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد، ولا يسمىٰ بذلك. اهـ

الثالث: أن من أنواع الصفات الثابتة لله تعالىٰ صفات الأخبار مثل الوجه واليدين، وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالىٰ.

القاعدة الثالثة: الصفات الثبوتية والمنفية:

الصفات الثبوتية: هي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة والعلم والقدرة.

والصفات السلبية: ما نفاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز. فيجب نفيها عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع إثبات ضدها علىٰ الوجه الأكمل؛ وذلك لأن ما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه؛ لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل علىٰ الكمال، وذلك لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء.

مثال ذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[فاطر:٤٤]، فنفي العجز يتضمن كمال علمه وقدرته، كما قال بعده: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾[فاطر:٤٤]؛ لأن العجز سببه الجهل بأسباب الإيجاد أو قصور القدرة، وبهذا يعلم أن الصفة المنفية قد تتضمن أكثر من كمال.

القاعدة الرابعة: صفات الإثبات صفات مدح وتنوعها وتعددها يدل على الكمال:

قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم.

وأما الصفات السلبية فلم تذكر غالبًا إلا في الأحوال التالية:

الأول: بيان عموم كماله، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورى: ١١].

الثاني: دفع ما ادعاه في حقه المبطلون، كقوله تعالىٰ: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣﴾[الإخلاص:٣]، ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾[مريم:٩٢].

الثالث: دفع توهم نقص، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨﴾[الدخان:٣٨]، ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾[ق:٣٨]. اهـ

القاعدة الخامسة: الصفات الذاتية والفعلية:

قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصفات الثبوتية تنقسم إلىٰ قسمين: ذاتية وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل الله ولا يزال متصفًا بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة، ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين.

تنبيه: المراد بالصفات الخبرية أنها متلقاة من الخبر، الكتاب والسنة، لأن عقولنا لا تدلنا عليها.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئة الله إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء علىٰ العرش والنزول إلىٰ السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كالكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذات؛ لأن الله تعالىٰ لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يقع بمشيئته يتكلم متىٰ شاء بما شاء، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[يس:٨٢]. اهـ

القاعدة السادسة: محاذير الإثبات والنفي:

قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يلزم في إثبات الصفات التخلي من **محذورين عظيمين**:

أحدهما: التمثيل: وهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته لله مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل، قال الله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورىٰ:١١]، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[مريم:٦٥]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾[الإخلاص:٤]، ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾[النحل:١٧].

الثاني: التكييف: وهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالىٰ كذا وكذا من غير أن يقرها بمماثل، وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾[طه:١١٠]. اهـ

وإن ألقىٰ الشيطان هذا التكييف في عقلك فقل (**آمَنْتُ بِاللهِ**)، وانتهِ كما دل عليه حديث أبي هريرة في الصحيح وفي رواية: «**فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، ولهذا جاء في الحديث: «**تَفَكَّرُوا فِي الخَلْقِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ**»؛ الحديث مخرج في «الصحيحة» (١٧٨٨)، وقد ساق طرقه وشواهده أبو الشيخ في كتابه «العظمة» (١/ ٢١٠-٢٧٠)، وإنما يكون الفكر في مخلوقات الله، لأَنَّ الْفِكْرَةَ فِي الرَّبِّ تَقْدَحُ الشَّكَّ فِي

الْقَلْبِ، الفكر في الله وفي صفاته من البدع المحدثة في الدين؛ لما يجر إليه من التخيلات والتوهمات والظنون والشكوك، فهو سبحانه لا تتوهمه القلوب بالتصوير: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى:١١].

قال أبوالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العظمة» (٢٧١/١): قال الله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾[الذاريات:٢١]؛ فإذا تفكر العبد في ذلك استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك، وظلمة الريب، وذلك إذا نظر إلىٰ نفسه وجدها مكونة مكنونة مجموعة مؤلفة مجزأة منضدة مصورة متركبة بعضها في بعض، فيعلم أنه لا يوجد مدبر إلا بمدبر، ولا مكون إلا بمكون، وتجد تدبير المدبر فيه شاهدا دالا عليه كما تنظر إلىٰ حيطان البناء، وتقديرها، وإلىٰ السقف المسقف فوقه بجذوعه، وعوارضه، وتطيين ظهره، ونصب بابه، وإحكام غلقه، ومفتاحه للحاجة إليه؛ فكل ذلك يدل علىٰ بانيه، ويشهد له. اهـ

القاعدة السابعة: أنواع الإضافات إلى الله تعالى:

قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «القول المفيد» (٨٨/١)، ط العاصمة: اعلم أن ما أضافه الله إلىٰ نفسه ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: العين القائمة بنفسها وإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق إلىٰ خالقه، وهذه الإضافة قد تكون علىٰ سبيل عموم الخلق كقوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾[الجاثية:١٣]، وقوله: ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾[العنكبوت:٥٦].

وقد تكون علىٰ سبيل الخصوص لشرفه كقوله تعالىٰ: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾[الحجّ:٢٦]، وكقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣﴾[الشمس:١٣]، وهذا القسم مخلوق.

الثاني: أن يكون شيئًا مضافًا إلىٰ عين مخلوقة يقوم بها، مثل قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء:١٧١]، فإضافة هذه الروح إلىٰ الله من إضافة المخلوق إلىٰ خالقه تشريفًا، فهي من الأرواح التي خلقها الله، وهذا القسم مخلوقًا.

الثالث: أن يكون وصفًا غير مضاف إلىٰ عين مخلوقه، مثاله: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾[الأعراف:١٤٤]، فالرسالة والكلام أضيفا إلىٰ الله من باب إضافة الصفة إلىٰ الموصوف، فإذا أضاف إلىٰ نفسه صفة، فهذه الصفة غير مخلوقة. اهـ

وقسمها بعضهم إلىٰ قسمين: قال في «القواعد الكلية» ص(٢١٩-٢٢٠): المضاف إلىٰ الله نوعان: **أعيان وصفات**.

فالأعيان: هي الذوات المستقلة بنفسها عما سواها، والمراد بها هنا ما نسب إلىٰ الله نسبة خلق وإيجاد.

والصفات: هي المعاني القائمة بالذوات، والمراد بها هنا ما نسب إلىٰ الله علىٰ أنه وصف قائم بذاته. اهـ باختصار.

القاعدة الثامنة: قياس الأولى:

اتفق أهل السنة علىٰ أن القياس لا يجري في التوحيد إن أدىٰ إلىٰ البدعة أو الإلحاد أو تشبيه الخالق بالمخلوق وتعطيل أسماء الله وصفاته، قال الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢٩٧): القياس علىٰ ضربين: ضرب منه في التوحيد، وضرب في أحكام الشريعة: فالقياس في التوحيد علىٰ ضربين:

ضرب هو القياس الصحيح وهو: ما استدل به علىٰ معرفة الصانع تعالىٰ وتوحيده، والإيمان بالغيب، والكتب، وتصديق الرسل، فهذا قياس محمود فاعله، مذموم تاركه.

والضرب الثاني من القياس في التوحيد: هو القياس المذموم الذي يؤدي إلىٰ البدع والإلحاد، نحو تشبيه الخالق بالخلق، وتشبيه صفاته بصفات المخلوقين، ودفع قايسه ما أثبت الله تعالىٰ لنفسه، ووصفته به رسله مما ينفيه القياس بفعله. اهـ

وقال ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/٨٦): لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة، وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام إلا داود بن علي بن خلف الأصفهاني ثم البغدادي ومن قال بقولهم، فإنهم نفوا القياس في التوحيد والأحكام جميعا، وأما أهل البدع فعلىٰ قولين في هذا الباب سوىٰ القولين المذكورين، منهم من أثبت القياس في التوحيد والأحكام جميعا، ومنهم من أثبته في التوحيد ونفاه في الأحكام. انتهىٰ

أنواع القياس في باب التوحيد:

والقياس في باب التوحيد ثلاثة أقسام:

١) قياس الأولى: ومضمونة كل كمال ثبت للمخلوق وجاز أن يتصف الله به؛ فالله أولىٰ به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق، فالخالق أحق بالتنزه عنه وهذا يستخدمه بعض السلف في الرد علىٰ أهل البدع والضلال، وهذا القياس وهو وجوب تنزيه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن كل نقص ينزه عنه غيره ويذم به سواه فهو أمر فطري.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «المجموع» (١٢/٣٥٠): ولهذا كانت الطريقة النبوية السلفية أن يستعمل في العلوم الإلهية قياس الأولىٰ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾[النحل:٦٠]، إذ لا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها، ولا يتماثلان في شيء من الأشياء، بل يعلم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أولىٰ به، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولىٰ بنفيه عنه. اهـ

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النبوات» (٢/٨٩٥): فهذه الطريقة - وهو أنّ ما يستحقه المخلوق من الكمال الذي لا نقص فيه، فالخالق أولىٰ به، وما يُنزَّه عنه المخلوق من العيوب المذمومة، فالخالق تعالىٰ أولىٰ بتنزيهه عن كلّ عيبٍ وذمّ، وهو سبحانه القدّوس، السلام، الحميد، المجيد - من أبلغ الطرق البرهانية، وهي مستعملة في القرآن في غير موضع. اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافية الشافية» صـ(٣٧):

وَكَمَالُ مَنْ أَعْطَىٰ الكَمَالَ لِنَفسِهِ ... أَوْلَىٰ وَأَقْدَمُ وَهْوَ أَعْظَمُ شَانِ
أَيَكُونُ مَنْ أعطَىٰ الكَمَالَ بِنَفسِهِ ... ذَاكَ الكَمَالُ أذَاكَ ذُو إِمْكَانِ
أيَكُونُ إِنْسَانٌ سَمِيعًا مُبْصِرًا ... مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَبَيَانِ
وَلَهُ الحَيَاةُ وَقُدْرَةٌ وَإِرَادَةٌ ... وَالعِلْمُ بِالكُلِّيِّ وَالأَعْيَانِ
وَاللهُ قَدْ أَعْطَاهُ ذَاكَ وَلَيْسَ هَـ ... ـذَا وَصْفَهُ فَاعْجَبْ مِنَ البُهْتَانِ
بِخِلَافِ نَوْمِ العَبْدِ ثُمَّ جِمَاعِهِ ... وَالأَكْلِ مِنْهُ وَحَاجَةِ الأَبْدَانِ
إِذْ تِلْكَ مَلْزُومَاتُ كَوْنِ العَبدِ مُحْـ ... ـتَاجًا وَتِلْكَ لَوَازِمُ النُّقْصَانِ
وَكَذَا لَوَازِمُ كَوْنِهِ جَسَدًا نَعَمْ ... وَلَوَازِمُ الإِحْدَاثِ وَالإِمْكَانِ
يَتَقَدَّسُ الرَّحْمَنُ جَلَّجَلَالُهُ ... عَنْهَا وَعَنْ أَعْضَاءِ ذِي جُثْمَانِ

٢) قياس التمثيل: وهو القياس الذي يستوي فيه الأصل والفرع والله منزه عن هذا بل هذا النوع من الأقيسة في حقه كفر وضلال؛ لأن من مثل الله بخلقه كفر.

٣) قياس الشمول: وهو الذي تستوي أفراده وضابطه عندهم الاستدلال بكلي علىٰ جزئي بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلي، وهذا قياس باطل وضلال وكفر؛ لأنه يؤدي إلىٰ مماثلة الخالق بالمخلوق.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «المجموع» (٥/٢٠٠): ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وله المثل الأعلىٰ، فكل كمال حصل للمخلوق فالخالق أحق به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه عنه؛ ولهذا كان لله المثل الأعلىٰ، فإنه لا يقاس بخلقه ولا يمثل بهم، ولا تضرب له الأمثال. فلا يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل بمثل؛ ولا في قياس شمول تستوي أفراده، بل ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الروم: ٢٧]. اهـ

القاعدة التاسعة: القول في الصفات كالقول في الذات:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التدمرية» ص(٤٣): القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات.

فإذا قال السائل: كيف استوىٰ علىٰ العرش؟

قيل له - كما قال ربيعة ومالك وغيرهما -: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة، لأنه سؤال عمّا لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه.

وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلىٰ سماء الدنيا؟

قيل له: كيف هو؟

فإذا قال: أنا لا أعلم كيفيته.

قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له، وتابع له. فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه ونزوله واستوائه، وأنت لا تعلم كيفية ذاته!

وإذا كنت تقرّ بأن له ذاتا حقيقة، ثابتة في نفس الأمر، مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره، وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لايشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم، وكلامهم ونزولهم واستواؤهم. اهـ

هذه القاعدة ردٌّ علىٰ كل من أثبت لله ذاتًا تليق بجلاله، وخالف في الصفات كالمعتزلة، والأشاعرة، والممثلة.

القاعدة العاشرة: القول في بعض الصفات كالقول في البعض:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التدمرية» صـ(٣١): القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

فإن كان المخاطب ممن يقرّ بأن الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة. ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجازا، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.

قيل له: لا فرق بين ما نفيتَه وبين ما أثبتَّه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل، وإن قلت: له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به. قيل لك: وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به. اهـ

وهذه القاعدة ردٌّ علىٰ الأشاعرة الذين يثبتون سبع صفات، وينفون غيرها.

القاعد الحادية عشرة: القول في الصفات كالقول في الأسماء:

بيان ذلك: أن المخالف إذا كان يثبت الأسماء علىٰ ما يليق بالله تعالىٰ فيلزمه إثبات الصفات إذ أن الباب واحد والقوال في الأسماء كالقول في الصفات والعكس، وهذه القاعدة ردّ علىٰ المعتزلة، ومن إليهم.

الفصل الرابع

قواعد في أدلة الأسماء والصفات وكيفية التعامل معها

القاعدة الأولى: الأدلة التي تثبت بها أسماء الله وصفاته هي: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرها؛ لأن الله تعالىٰ أعلم بنفسه، وبغيره، وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا، ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاينطق عن الهوىٰ.

ويدل علىٰ ذلك النقل، والعقل فمن أدلة النقل قوله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾[الأنعام:١٥٥]، وقوله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف:١٥٨]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧]، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾[النساء:٨٠]، وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء:٥٩]، وقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾[المائدة:٤٩].

إلىٰ غير ذلك من النصوص الدالة علىٰ وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.

وكل نص يدل علىٰ وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال علىٰ وجوب الإيمان بما جاء في السنة، لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرد إليه عند التنازع. والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته والىٰ سنته بعد وفاته فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المأمور به في القرآن؟

وأين الإيمان بالقرآن لمن لم يرد النزاع إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أمر الله به في القرآن؟

وأين الإيمان بالرسول الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنته؟!

ولقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل: ٨٩]. ومن المعلوم أن كثيرًا من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة، فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن.

وأما العقل فنقول: إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله تعالىٰ من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل فوجب الرجوع فيه إلىٰ ما جاء في الكتاب والسنة.. أفاده العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف:

لا سيما نصوص الصفات، اتباعًا لطريقة السلف الصالحين، ثم إنه لا مجال للعقل فيها.

وقد انقسم الناس في الظاهر إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنىٰ حقًّا يليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأبقوا دلالتها علىٰ ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا علىٰ ما كان عليه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، والذين لا يَصْدُقُ لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم.

وقد أجمعوا علىٰ ذلك، كما نقله ابن عبد البر فقال: أهل السنة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة. اهـ

القسم الثاني: من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنىٰ باطلًا لا يليق بالله، وهو التشبيه، وأبقوا دلالتها علىٰ ذلك. وهؤلاء هم المشبهة، ومذهبهم باطل، محرم من عدة أوجه:

الأول: أنه جناية علىٰ النصوص، وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورىٰ:١١].

الثاني: أن العقل دل علىٰ مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، فكيف يحكم بدلالة النصوص علىٰ التشابه بينهما؟.

الثالث: أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها، فيكون باطلًا.

القسم الثالث: من جعلوا المعنىٰ المتبادر من نصوص الصفات معنىٰ باطلًا لا يليق بالله، وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنىٰ اللائق بالله. وهم أهل التعطيل، سواء كان تعطيلهم عاما في الأسماء والصفات، أم خاصا فيهما، أو في أحدهما. فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلىٰ معاني عينوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطرابا كثيرًا، وسموا ذلك تأويلًا وهو في الحقيقة تحريف.

ومذهبهم باطل من وجوه:

أحدها: أنه جناية علىٰ النصوص، حيث جعلوها دالة علىٰ معنىٰ باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالىٰ وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره. والله تعالىٰ خاطب الناس بلسان عربيٍ مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه علىٰ ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلام

الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عَزَّ وَجَلَّ.

الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ظاهره إلىٰ معنىٰ يخالفه قول علىٰ الله بلا علم، وهو محرم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف:٣٣]، ولقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦]. اهـ مختصرًا من «القواعد المثلى».

القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار، ومجهولة لنا باعتبار آخر:

فباعتبار المعنىٰ هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وهذه القاعدة ردٌّ علىٰ المفوضة الذين يقولون: نحن نثبت اللفظ ونتوقف في المعنىٰ، فهم أهل التجهيل للصحابة والتابعين لهم بإحسان، بل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه كان يخاطبنا بألفاظ لا يعلم معناها، بل هذا القول يؤدي إلىٰ أنه فرّط فيما أُمر به، وهذا لازم قولهم والمفوضة شر أهل البدع وبسبب مذهبهم انتشر الاعتزال وغيره من البدع.

القاعدة الرابعة: أحاديث وآيات الصفات من المحكم لا المتشابه:

المحكم لغة: -الحاء والكاف والميم- أصل واحد وهو المنع، ومنه قول الشاعر:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا

«معجم مقاييس اللغة» ص(٢٧٧)، و«لسان العرب» (٣/ ٢٧٢).

والمحكم: المتقن، قال الفيومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المصباح المنير» ص(٥٦): وأحكمت الشيء بالألف أتقنته، فاستحكم هو صار كذلك. اهتعريف المتشابه لغة: قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «معجم المقاييس» ص(٥٤٨): الشين والباء والهاء واحد يدل علىٰ تشابه الشيء وتشكله لونًا ووصفًا. اهـ

والمحكم والمتشابه اصطلاحًا: اختلف العلماء فيه إلىٰ أقوال:

أحدها: من قال إن المتشابه هو المنسوخ فمعنىٰ المنسوخ معروف وهذا القول مأثور عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم وابن مسعود وابن عباس وقتادة هم الذين نقل عنهم أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله ومعلوم قطعًا بإتفاق المسلمين أن الراسخين يعلمون معنىٰ المنسوخ وأنه منسوخ، فكان هذا النقل عنهم يناقض ذلك النقل ويدل علىٰ أنه كذب إن كان هذا صدقًا وإلا تعارض النقلان.

ثانيها: أن المحكم ما علم العلماء تأويله، والمتشابه ما لم يكن للعلماء إلىٰ معرفته سبيل، كقيام الساعة وهذا القول مروي عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ثالثها: أن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور، يروىٰ هذا عن ابن عباس، وعلىٰ هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلامًا تامًّا من الجمل الاسمية والفعلية وإنما هي أسماء موقوفة؛ ولهذا لم تعرب، فإن الإعراب إنما يكون بعد العقد والتركيب، وإنما نطق بها موقوفة، كما يقال: (أ ب ت ث)؛ ولهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الاسم الذي ينطق به.

رابعها: أن المتشابه ما إشتبهت معانيه قال مجاهد وهذا يوافق قول أكثر العلماء وكلهم يتكلم في تفسير هذا المتشابه ويبين معناه.

خامسها: أن المتشابه ما تكررت ألفاظه قاله عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال المحكم ما ذكر الله تعالىٰ في كتابه من قصص الأنبياء ففصله وبينه والمتشابه هو ما إختلفت ألفاظه في قصصهم عند التكرير.

سادسها: أنه ما احتاج إلىٰ بيان كما نقل عن أحمد.

سابعها: أنه ما احتمل وجوها كما نقل عن الشافعي وأحمد.

ثامنها: أن المتشابه هو القصص والأمثال وهذا أيضًا يعرف معناه.

تاسعها: أنه ما يؤمن به ولا يعمل به وهذا أيضًا مما يعرف معناه.

العاشر: قول بعض المتأخرين إن المتشابه آيات الصفات وأحاديث الصفات وهذا أيضًا مما يعلم معناه فإن أكثر آيات الصفات اتفق المسلمون علىٰ أنه يعرف معناها. اهـ ملخصًا من «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام (١٧/ ٤١٧-٤٢٤).

وقد ورد التشابه والإحكام في القرآن علىٰ **ثلاثة أنواع**:

الأول: أن القرآن كله محكم كما قال تعالىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾[هود:١].

الثاني: أن القرآن كله متشابه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[الزمر: ٢٣].

الثالث: أن القرآن منه محكم ومتشابه، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾[آل عمران:٧].

ولا تعارض بين هذه الثلاث الآيات، **لما يأتي**:

الأول: من حيث إتقان القرآن وصدقه ووضوحه وبيانه وإحكامه فكله محكم.

والثاني: أن القرآن متشابه في إحكامه وإتقانه وعدله وقصصه، تُمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص علىٰ ما دلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغيرها...

والثالث: أن في القرآن آيات واضحات الدلالة لا التباس فيها علىٰ أحد من الناس ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة علىٰ كثير من الناس أو بعضهم.

فمن رد ما اشتبه إلىٰ الواضح منه وحكم بمحكمه علىٰ متشابهه فقد اهتدىٰ ومن عكس انعكس.(١)

القاعدة الخامسة: دلالة الكتاب والسنة على الصفة بثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة كالعزة والقوة، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾[النساء:١٣٩].

الثاني: تضمن الاسم لها مثل الغفور متضمن للمغفرة، وقد تقدم الكلام علىٰ هذا في القاعدة الرابعة من قواعد الأسماء.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء علىٰ العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:٥]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾[الفجر:٢٢].

القاعدة السادسة: القول في الألفاظ المجملة:

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» ص(١٥):

وطريقتهم في أسماء الله وصفاته كما يأتي:

أولًا: في الإثبات: فهي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

ثانيًا: في النفي: فطريقتهم نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالىٰ.

ثالثًا: فيما لم يرد نفيه، ولا إثباته مما تنازع الناس فيه كالجسم، والحيز والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه، ولا ينفونه لعدم ورود ذلك،

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٧).

وأما معناه فيستفصلون عنه، فإن أُريد به باطل يُنزه الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع علىٰ الله قبلوه.

وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة، وهي القول الوسط بين أهل التعطيل، وأهل التمثيل.

وقد دل على وجوبها العقل، والسمع:

فأما العقل: فوجه دلالته أن تفصيل القول فيما يجب، ويجوز، ويمتنع علىٰ الله تعالىٰ لا يدرك إلا بالسمع، فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

وأما السمع: فمن أدلته قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ:١١]. وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦].

فالآية الأولى: دلت علىٰ وجوب الإثبات من غير تحريف ولا تعطيل؛ لأنهما من الإلحاد.

والآية الثانية: دلت علىٰ وجوب نفي التمثيل.

والآية الثالثة: دلت علىٰ وجوب نفي التكييف، وعلىٰ وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه. اهـ

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التدمرية»(٦٥): وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا فليس علىٰ أحد بل ولا له: أن يوافق أحد علىٰ اثبات لفظه أو نفيه حتىٰ يعرف مراده فإن أراد حقًا قبل وإن أراد باطلًا رد وإن اشتمل كلامه علىٰ حق وباطل لم يقبل مطلقًا ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعنىٰ. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منهاج السنة» (٢/٢١٧): وأما الألفاظ المجملة فالكلام فيها بالنفي والإثبات دون الاستفصال يوقع في الجهل والضلال والفتن والخبال والقيل والقال وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء. اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٣/٩٢٧-٩٢٧): فأصل ضلال بني آدم من الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة ولا سيما إذا صادفت أذهانا مخبطة فكيف إذا انضاف إلىٰ ذلك هوىً وتعصب، فسل مثبت القلوب أن يثبت قلبك علىٰ دينه وأن لا يوقعك في هذه الظلمات. اهـ

فالواجب علىٰ الناس استخدام الألفاظ الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة واستخدمها السلف الكرام وفي هذه المسألة التي هي اللفظ بالقرآن للعلماء فيها مذهبان: الأول: منع القول بها نفيًا وإثباتًا الثاني التفصيل فيها والاستفسار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية» مع شرح ابن عيسى (١/٣٢٥):

فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّمْيِيزِ فَالْـ ... إِطْلَاقُ وَالْإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ
قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الْوُجُودَ وَخَبَّطَا الْـ ... أَذْهَانَ وَالْآرَاءَ كُلَّ زَمَانِ

القاعدة السابعة: تقديم النقل على العقل:

خلافًا لطريقة المعتزلة ومن إليهم الذين يقدمون العقل علىٰ النقل بحجج واهية، وقد ردّ عليهم بتوسع شيخ الإسلام في كتاب سماه «درء تعارض العقل والنقل».

قال ابن القيم في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (١/ ٣١٥): قولهم إن تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل لأنه لا يمكن الجمع بينهما ولا إبطالهما ولا تقديم النقل لأن العقل أصل النقل فلو قدمنا عليه النقل لبطل العقل وهو أصل النقل فلزم بطلان النقل فيلزم من تقديم النقل بطلان العقل والنقل فتعين القسم

الرابع وهو تقديم العقل فهذا الطاغوت آخو ذلك القانون فهو مبني علىٰ **ثلاث مقدمات:**

الأولى: ثبوت التعارض بين العقل والنقل.

الثانية: انحصار التقسيم في الأقسام الأربعة التي ذكرت فيه.

الثالثة: بطلان الأقسام الثلاثة ليتعين ثبوت الرابع.

وقد أشفىٰ شيخ الإسلام في هذا الباب بما مزيد عليه وبين بطلان هذه الشبهة وكسر هذا الطاغوت في كتابه الكبير، ونحن نشير إلىٰ كلمات يسيرة هي قطرة من بحره يتضمن كسره ودحضه وذلك يظهر من وجوه الوجه الأول إن هذا التقسيم باطل من أصله والتقسيم الصحيح أن يقال إذا تعارض دليلان سمعيان أو عقليان أو سمعي وعقلي فإما أن يكونا قطعيين وإما أن يكونا ظنيين وإما أن يكون أحدهما قطعيا والآخر ظنيًا.

فأما القطعيان فلا يمكن تعارضهما في الأقسام الثلاثة لأن الدليل القطعي هو الذي يستلزم مدلوله قطعا فلو تعارضا لزم الجمع بين النقيضين وهذا لا يشك فيه أحد من العقلاء. وإن كان أحدهما قطعيًا والآخر ظنيًا تعين تقديم القطعي سواء كان جميعا ظنين صرنا إلىٰ الترجيح ووجب تقديم الراجح منهما سمعيًا كان أو عقليًا. فهذا تقسيم واضح متفق علىٰ مضمونه بين العقلاء. انتهىٰ

قال شيخ الإسلام في درء «تعارض العقل والنقل» (١/ ٨): وجماع الأمر أن الأدلة نوعان: شرعية وعقليه فالمدعون لمعرفة الإلهيات بعقولهم من المنتسبين إلىٰ الحكمة والكلام والعقليات يقول من يخالف نصوص الأنبياء منهم: إن الأنبياء لم يعرفوا الحق الذي عرفناه أو يقولون: عرفوه ولم يبينوه للخلق كما بيناه بل تكلموا بما يخالفه من غير بيان منهم والمدعون للسنة والشريعة واتباع السلف من الجهال بمعاني نصوص الأنبياء يقولون: إن الأنبياء ـ والسلف الذين اتبعوا الأنبياء ـ لم يعرفوا

معنىٰ هذه النصوص التي قالوها والتي بلغوها عن الله أو إن الأنبياء عرفوا معانيها ولم يبينوا مرادهم للناس فهؤلاء الطوائف قد يقولون: نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا في حمل كلام الأنبياء علىٰ ما يوافق مدلول العقل وفائدة إنزال هذه المتشابهات المشكلات اجتهاد الناس في أن يعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في تأويل كلام الأنبياء الذي لم يبينوا به مرادهم أو أنا عرفنا الحق بعقولنا وهذه النصوص لم تعرف الأنبياء معناها كما لم يعرفوا وقت الساعة ولكن أمرنا بتلاوتها من غير تدبر لها ولا فهم لمعانيها أو يقولون: بل هذه الأمور لا تعرف بعقل ولا نقل بل نحن منهيون عن معرفة العقليات وعن فهم السمعيات وإن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات ولا يفهمون السمعيات. انتهىٰ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» (٨٢٧/٣): إن تقديم العقل علىٰ النقل يبطل كون القرآن آيةً وبرهانًا علىٰ صحة النبوة، والمقصود أن الله سبحانه تمم الدين وأكمله بنبيه وما بعثه به، فلم يحوج أمته إلىٰ سواه، فلو عارضه العقل وكان أولىٰ بالتقديم منه لم يكن كافيًا للأمة ولا كان تامًّا في نفسه، في «مراسيل أبي داود» أن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رأىٰ بيد عمر بن الخطاب ورقة فيها شيء من التوراة فقال: «كَفَى بِقَوْمٍ ضَلَالَةٌ أَنْ يَتَّبِعُوا كِتَابًا غَيْرَ كِتَابِهِمْ، أُنْزِلَ عَلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ»، فأنزل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[العنكبوت ٥١]، وقال سبحانه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء:٦٥] فأقسم سبحانه بنفسه أنا لا نؤمن حتىٰ نحكم رسوله في جميع ما شجر بيننا، وتتسع صدورنا بحكمه، فلا يبقىٰ منها حرج، ونسلم لحكمه تسليمًا فلا نعارضه بعقل ولا رأي ولا هوىٰ ولا غيره. فقد أقسم الرب سبحانه بنفسه علىٰ نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون

العقل علىٰ ما جاء به الرسول وقد شهدوا هم علىٰ أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه وإن آمنوا بلفظه، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الشورىٰ:١٠]، وهذا نص صريح في أن حكم جميع ما تنازعنا فيه مردود إلىٰ الله وحده وهو الحاكم فيه علىٰ لسان رسوله، فلو قدم حكم العقل علىٰ حكمه لم يكن هو الحاكم بوحيه وكتابه، وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾[الأعراف:٣]، فأمر باتباع الوحي المنزل وحده ونهىٰ عن اتباع ما خالفه، وأخبر سبحانه أن كتابه بينة وشفاء وهدىً ورحمة ونور وفضل وبرهان وحجة وبيان، فلو كان في العقل ما يعارضه ويجب تقديمه علىٰ القرآن لم يكن فيه شيء من ذلك، بل كانت هذه الصفات للعقل دونه وكان عنها بمعزل، فكيف يشفي ويهدي ويبين ويفصل ما يعارضه صريح العقل. اهـ

القاعدة الثامنة: القول في المجاز:

اتخذ المبتدعة طاغوت المجاز لصرف دلالة الكتاب، والسنة عن ظواهرهما الدلة علىٰ ما يجب لله تعالىٰ، من وصفه بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.

قال العثيمين في «الأصول من علم الأصول» (ص: ٧):

وينقسم الكلام من حيث الاستعمال إلىٰ حقيقةٍ ومجازٍ.

١- فالحقيقة هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له، مثل: أسد للحيوان المفترس...

وتنقسم **الحقيقة** إلىٰ ثلاثة أقسام: لغوية، وشرعية، وعرفية.

فاللغوية هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له في اللغة.

والحقيقة الشرعية هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له في الشرع.

والحقيقة العرفية هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له في العرف.

وفائدة معرفة تقسيم الحقيقة إلىٰ ثلاثة أقسام: أن نحمل كل لفظ علىٰ معناه الحقيقي في موضع استعماله، فيحمل في استعمال أهل اللغة علىٰ الحقيقة اللغوية، وفي استعمال الشرع علىٰ الحقيقة الشرعية، وفي استعمال أهل العرف علىٰ الحقيقة العرفية.

٢- والمجازهو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، مثل: أسد للرجل الشجاع...

تنبيه: تقسيم الكلام إلىٰ حقيقة ومجاز هو المشهور عند المتأخرين في القرآن وغيره وقال بعض أهل العلم - رحمهم الله - لا مجاز في القرآن ولا في غيره، وبه قال أبو إسحاق الإسفرائيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن المتأخرين العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله أنه اصطلاح حادث بعد القرون الثلاثة المفضلة ونصراه بأدلة قوية كثيرة تبين لمن اطلع عليها أن هذا القول هو الصوابانتهىٰ مختصرًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق» ص(٢٨٧): إذا علم أن تقسيم الألفاظ إلىٰ حقيقة ومجاز ليس تقسيمًا شرعيا ولا عقليا ولا لغويا فهو اصطلاح محض، وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص، وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين.. اهـ

القاعدة التاسعة: معرفة القرائن:

قال في «التعريفات» (ص: ٢٢٣): **القرينة**: أمر يشير إلىٰ المطلوب، وهي إما حالية أو معنوية أو لفظية نحو ضرب موسىٰ عيسىٰ وضرب من في الغار من علىٰ السطح فإن الإعراب منتف فيه بخلاف ضربت موسىٰ حبلىٰ وأكل موسىٰ الكمثرىٰ فإن في الأول قرينة لفظية وفي الثانية قرينة حالية. انتهىٰ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما «مختصر الصواعق» صـ(٣٢٤): اللفظ لا بد أن يقترن به ما يدل علىٰ المراد به، والقرائن ضربان: لفظية ومعنوية، واللفظية نوعان: متصلة ومنفصلة، والمتصلة ضربان: مستقلة وغير مستقلة، والمعنوية إما عقلية وإما عرفية، والعرفية إما عامة وإما خاصة، وتارةً يكون عرف المتكلم وعادته، وتارةً عرف المخاطب وعادته. اهـ

وهذه القاعدة ذكرتها هنا للرد علىٰ من زعم أن أهل السنة يقعون في التأويل ويذكرون علىٰ ذلك أمثلة، فيكون الجواب أن أهل السـنة بعيدون عن التأويل -بمعنىٰ التحريف- وإنما هذا ظاهر القرآن والسنة، وعُلم هذا الظاهر بالقرآئن من سياقة الكلام وغيره.

وإما أن نقول هذا الذي سلكه أهل السنة تأويل -تجوزا- ومع ذلك هذا التأويل دلت عليه القرآئن الموضحة للمراد منه.

مثاله: ما ذكره شيخ الإسلام في «التدمرية» صـ(٦٩):

فالأول: كما قالوا في قوله: «عَبْدِي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي» الحديث، وفي الأثر الآخر: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله وقبّل يمينه)، وقوله: «قُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ إِصْبعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ». فقالوا: قد عُلم أن ليس في قلوبنا أصابع الحق.

فيقال لهم: لو أعطيتم النصوص حقها من الدلالة لعلمتم أنها لا تدل إلا علىٰ حق.

أما الحديث الواحد فقوله: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله وقبّل يمينه) صريح في أن الحجر الأسود ليس هو صفة لله، ولا هو نفس يمينه؛ لأنه قال: (يمين الله في الأرض)، وقال: (فمن قبّله وصافحه فكأنما صافح الله وقبّل يمينه)، ومعلوم أن المشبّه غير المشبَّه به، ففي نص الحديث

بيان أن مستلمه ليس مصافحًا لله، وأنه ليس هو نفس يمينه، فكيف يجعل ظاهره كفرًا، وأنه محتاج إلىٰ التأويل! مع أن هذا الحديث إنما يعرف عن ابن عباس.

وأما الحديث الآخر: فهو في الصحيح مفسَّرًا: «يَقُولُ اللهُ: عَبْدِي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. فَيَقُولُ: رَبِّ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا جَاعَ، فَلَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. عَبْدِي مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. فَيَقُولُ: رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ، فَلَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ».

وهذا صريح في أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يمرض ولم يجع، ولكن مرض عبده وجاع عبده، فجعل جوعه جوعه، ومرضه مرضه، مفسِّرًا ذلك بأنك «لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، وَلَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ». فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج إلىٰ تأويل.

وأما قوله: «قُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»، فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع، ولا مماس لها، ولا أنها في جوفه. ولا في قول القائل: هذا بين يديّ. ما يقتضي مباشرته ليديه. وإذا قيل: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة:١٦٤] لم يقتض أن يكون مماسًا للسماء والأرض. ونظائر هذا كثيرة. اهـ

القاعدة العاشرة: دلالة الإجماع على الصفات:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء:١١٥].

فالإجماع المتيقن حجة؛ لأنه لن يكون علىٰ خلاف نص أبدًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في «إعلام الموقعين» (٣٦٧/١): فالجواب أن نصوص رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كلها حق يصدق بعضها بعضًا. ويجب الأخذ بجميعها، ولا يترك له

نص إلا بنص آخر ناسخ له، لا يترك بقياس ولا رأي ولا عمل أهل بلد ولا إجماع. ومُحال أن تجمع الأمة علىٰ خلاف نص له، إلا أن يكون له نص آخر ينسخه. اهـ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «المجموع» (١٩/٢٦٧): والإجماع نوعان: قطعي، فهذا لا سبيل إلىٰ أن يعلم إجماع قطعي علىٰ خلاف النص، وأما الظني: فهو الاجماع الاقرارىٰ والاستقرائي، بأن يستقرىٰ أقوال العلماء فلا يجد في ذلك خلافًا، أو يشتهر القول في القرآن ولا يعلم أحدًا أنكره، فهذا الإجماع - وإن جاز الاحتجاج به - فلا يجوز أن تدفع النصوص المعلومة به؛ لأن هذا حجة ظنية لا يجزم الإنسان بصحتها؛ فانه لا يجزم بانتفاء المخالف، وحيث قطع بانتفاء المخالف فالإجماع قطعي. وأما إذا كان يظن عدمه ولا يقطع به فهو حجة ظنية، والظني لا يدفع به النص المعلوم، لكن يحتج به، ويقدم علىٰ ما هو دونه بالظن، ويقدم عليه الظن الذي هو أقوىٰ منه، فمتىٰ كان ظنه لدلالة النص أقوىٰ من ظنه بثبوت الإجماع قدم دلالة النص، ومتىٰ كان ظنه للإجماع أقوىٰ قدم هذا، والمصيب في نفس الأمر واحد، وإن كان قد نقل له في المسألة فروع ولم يتعين صحته، فهذا يوجب له أن لا يظن الإجماع إن لم يظن بطلان ذلك النقل، وإلا فمتىٰ جوز أن يكون ناقل النزاع صادقًا وجوز أن يكون كاذبًا يبقىٰ شاكًّا في ثبوت الإجماع، ومع الشك لا يكون معه علم ولا ظن بالإجماع، ولا تدفع الأدلة الشرعية بهذا المشتبه، مع أن هذا لا يكون، فلا يكون قط إجماع يجب اتباعه مع معارضته لنص آخر لا مخالف له، ولا يكون قط نص يجب اتباعه وليس في الأمة قائل به، بل قد يخفىٰ القائل به علىٰ كثير من الناس. قال الترمذي: كل حديث في كتابي قد عمل به بعض أهل العلم إلا حديثين: حديث الجمع، وقتل الشارب. ومع هذا فكلا الحديثين قد عمل به طائفة، وحديث الجمع قد عمل به أحمد وغيره. اهـ

وعلىٰ هذا فما أجمع عليه السلف في هذا الباب وغيره وجب القول به.

القاعدة الحادية عشرة: قبول خبر الآحاد في هذا الباب وغيره:

أهل السنة والإتباع يقبلون كل ما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقسيم الحديث إلىٰ آحاد، ومتواتر، وأن الأحاد لاتؤخذ به العقائد تقسيم مبتدع، لا يوجد مع من ادعاة أثرة من علم، ولا سلف، بل الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل الصحيح كلها دالة علىٰ قبول ما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الباب وغيره.

قال الشنقيطي في «مذكرة أصول الفقه» (ص: ١٢٤): اعلم أن التحقيق الذي لا يجوز العدول عنه أن أخبار الآحاد الصحيحة كما تقبل في الفروع تقبل في الأصول. فما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسانيد صحيحة من صفات الله يجب اثباته واعتقاده علىٰ الوجه اللائق بكمال الله وجلاله علىٰ نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورىٰ:١١].

وبهذا تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم ن أن أخبار الآحاد لا تقبل في العقائد ولا يثبت بها شئ من صفات الله زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين وأن العقائد لا بد فيها من اليقين باطل لا يعول عليه. ويكفي من ظهور بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمجرد تحكيم العقل.

والعقول تتضاءل أمام عظمة صفات الله، وقد جرت عادة المتكلمين أنهم يزعمون أن ما يسمونه الدليل العقلي وهو القياس المنطقي الذي يركبونه من مقدمات اصطلحوا عليها أنه مقدم علىٰ الوحي. وهذا من أعظم الباطل لأن ما يسمونه الدليل العقلي ويزعمون أن إنتاجه للمطلوب قطعي هو جهل وتخبط في الظلمات.

ومن أوضح الأدلة وأصرحها في ذلك أن هذه الطائفة تقول مثلا: ان العقل يمنع كذا من الصفات ويوجب كذا منها وينفون نصوص الوحي بناء علىٰ ذلك فيأتي

خصومهم من طائفة أخرىٰ ويقولون هذا الذي زعمتم أن العقل يمنعه كذبتم فيه بل العقل يوجبه. وما ذكرتم بأنه يجيزه أو يوجبه كذبتم فيه بل هو يمنعه وهاذ معروف في الكلام في مسائل كثيرة معروفة.انتهىٰ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مختصر الصواعق»ص(٥٣٠): فَصْلٌ في الاحتجاج بالأحاديث النبوية علىٰ الصفات المقدسة العلية، وكسر طاغوت أهل التعطيل الذين قالوا: لا يحتج بكلام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ شيء من صفات ذي الجلال والإكرام.

قالوا: الأخبار قسمان: متواتر وآحاد، فالمتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن علىٰ الصفات، والآحاد لا تفيد العلم، فسدوا علىٰ القلوب معرفة الرب تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحالوا الناس علىٰ قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقليةً، وبراهين نقليةً، وهي في التحقيق: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾[النور:٣٩].

ومن العجب أنهم قدموها علىٰ نصوص الوحي وعزلوا لأجلها النصوص، والكلام على ذلك في عشر مقامات:

أحدها: في بيان إفادة النصوص الدلالة القاطعة علىٰ مراد المتكلم، وقد تقدم إشباع الكلام في ذلك.

الثاني: أين هذه الأخبار التي زعموا أنها آحاد موافقة للقرآن مفسرة له مفصلة لما أجمله وموافقة للمتواتر منها.

الثالث: بيان وجوب تلقيها بالقبول.

الرابع: إفادتها للعلم واليقين.

الخامس: بيان أنها لو لم تفد اليقين، فأقل درجاتها أن تفيد الظن الراجح، ولا يمتنع إثبات بعض الصفات والأفعال به.

السادس: إن الظن الحاصل بها أقوىٰ من الجزم المسند إلىٰ تلك القضايا الوهمية الخيالية.

السابع: بيان أن كون الشيء قطعيًّا أو ظنيًّا أمر نسبي إضافي لا يجب الاشتراك فيه، فهذه الأخبار تفيد العلم عند من له عناية بمعرفة ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعرفة أحواله ودعوته علىٰ التفصيل دون غيرهم.

الثامن: بيان الإجماع المعلوم علىٰ قبولها وإثبات الصفات بها.

التاسع: بيان أن قولهم خبر الواحد لا يفيد العلم، قضية كاذبة باتفاق العقلاء إن أخذت عامةً كليةً، وإن أخذت خاصةً جزئيةً لم تقدح في الاستدلال بجملة أخبار الآحاد علىٰ الصفات.

العاشر: جواز الشهادة لله سبحانه بما دلت عليه هذه الأخبار، والشهادة علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أخبر بها عن الله.

أما المقام الأول فقد تقدم تقريره. اهـ

القاعدة الثانية عشرة: الدلالة العقلية على إثبات الصفات:

طريقة الأشاعرة في إثبات ما أثبتوه من الصفات العقل لا النقل فقالوا: إن الفعل الحادث دل علىٰ القدرة، والتخصيص دل علىٰ الإرادة، والإحكام دل علىٰ العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك.

فألزمهم العلماء بإطراد هذه الطريقة في أكثر الصفات.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التدمرية» ص(١٤٩): والمقصود هنا أن من صفات الله تعالىٰ ما قد يعلم بالعقل، كما يعلم أنه عالم، وأنه قادر، وأنه حي، كما أرشد إلىٰ ذلك قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[الملك:١٤].

وقد اتفق النُّظَّار من مثبتة الصفات علىٰ أنه يعلم بالعقل - عند المحققين - أنه حي عليم قدير مريد، وكذلك السمع والبصر والكلام يثبت بالعقل عند المحققين منهم.

بل وكذلك الحب والرضا والغضب يمكن إثباته بالعقل.

وكذلك علوه علىٰ المخلوقات ومباينته لها مما يعلم بالعقل، كما أثبتته بذلك الأئمة مثل أحمد بن حنبل وغيره، ومثل عبدالعزيز المكي وعبدالله بن سعيد بن كُلاَّب.

بل وكذلك إمكان الرؤية يثبت بالعقل، لكن منهم من أثبتها بأن كل موجود تصح رؤيته، ومنهم من أثبتها بأن كل قائم بنفسه تمكن رؤيته، وهذه الطريق أصح من تلك. والمقصود هنا أن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من نُظَّار السنة في هذا الباب - أنه لو لم يكن موصوفًا بإحدىٰ الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرىٰ، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصمم والخرس والبَكَم.

وطرد ذلك أنه لو لم يوصف بأنه مباين للعالم لكان داخلًا فيه، فسلب إحدىٰ الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرىٰ، وتلك صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات فتنزيه الخالق عنها أولىٰ. اهـ

الفصل الخامس

بيان بعض المعاني والمصطلحات

معنى التحريف:

التحريف لغة: التغير والتبديل والإمالة.

وشرعًا: الميل بالنصوص علىٰ ما هي عليه إما بالطعن فيها أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها، أو هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلىٰ غيره وهو طريقة يهودية قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء:٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾[المائدة:١٣].

وينقسم التحريف إلىٰ قسمين:

تحريف اللفظ، وله أربع صور:

بالزيادة في اللفظ.

بالنقصان في اللفظ.

تغير حركة إعرابية.

تغير حركة غير إعرابية.

من أمثلة ذلك:

تحريف إعراب قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[النساء:١٦٤]، من الرفع إلىٰ النصب وقال: (وَكَلَّمَ اللَّهَ) أي: موسىٰ كلّمَ الله، ولم يكلمه اللهُ.

تحريف المعنى: وهو صرف اللفظ من معناه الصحيح إلىٰ غيره مع بقاء صورة اللفظ، ومن أمثلته قول المعطلة في معنىٰ استوىٰ استولىٰ، وفي معنىٰ اليد القدرة والنعمة، في قوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤].[1]

معنى التعطيل:

التعطيل في اللغة: مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾[الحج:٤٥]، أي أهملها أهلها وتركوا وردها.

والتعطيل في حق الله: ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعطيل مصنوع عن صانعه وخالقه، وهو المتمثل فيمن ينكر وجود خالق لهذا الكون، مثل تعطيل الإشتراكيين والطبائعيين ومن إليهم من الملحدين.

القسم الثاني: تعطيل ما يجب له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من حقيقة التوحيد وإفراده بالعبادة، وهو المتمثل في أهل الشرك الذين صرفوا شيئًا من العبادة لغير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

القسم الثالث: تعطيل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله، وهذا القسم هو المراد هنا.

معنى التكييف والتمثيل:

التكييف: هو حكاية كيفية الصفة من غير أن يقيدها بمماثل.

والتمثيل: هو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

والتكييف أعم من التمثيل، فكل تمثيل تكييف؛ لأن من مثل صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كيَّف تلك الصفة.

---

(١) أفاده التميمي في «معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات» (ص ٧٠).

وليس كل تكييف تمثيل؛ لأن من التكييف ما ليس فيه تمثيل مثل قولهم: طوله كعرضه.

ومعنىٰ قول أهل السنة: من غير تكييف: أي من غير تكييف يعقله البشر، وليس المراد أنهم ينفون الكيف مطلقًا، فإن كل موجود له كيفية، لكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته سبحانه إلا هو.

ولا تعلم كيفية الشيء إلا **بثلاثة أمور**:

الأول: النظر إليه.

الثاني: النظر إلىٰ مثيله.

الثالث: إخبار من رآه عنه وكلها منتفية في حق الله تعالىٰ.

تنبيه: التمثيل والتشبيه بمعنىٰ واحد في هذا الباب، وإن كان قد وقع بينهما فروق عند أهل اللغة.

فالمماثلة هي: المساواة من كل وجه.

والمشابهة هي: مساواة الشيء لغيره في أكثر الوجوه، والأولىٰ التعبير بنفي التمثيل لمجيء القرآن به.

كل معطل ممثل والعكس:

أما كون كل ممثل معطل، فتعطيلهم في نفيهم لما يستحقه الله تعالىٰ من الصفات والأسماء اللائقة به.

وأما تمثيل المعطلة فإنهم ما وقعوا في التعطيل حتىٰ مثلوا صفات الله بصفات خلقه، زد علىٰ ذلك أن تعطيلهم فيه تمثيل بالجمادات والممتنعات.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التدمرية» ص(٧٩-٨٠) في بيان المحاذير التي يقع فيها المعطل: **أحدها**: كونه مثّل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول الصفات هو التمثيل.

الثاني: أنهم عطلوا النصوص عما دلت عليه من الصفات اللائقة بالله تعالىٰ.

الثالث: أنه ينفي هذه الصفات عن الله بغير علم، فيكون معطلًا لما يستحقه الرب تعالىٰ.

الرابع: أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات أو صفات المعدومات.

فيكون عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب تعالىٰ، ومثله بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوق. اهـ

وأما تعطيل الممثل فمن وجوه ثلاثة:

أحدها: أنه عطل نفس النص الذي أثبت الصفة، حيث صرفه عن مقتضىٰ ما يدل عليه، فإن النص دال علىٰ إثبات صفة تليق بالله لا علىٰ مشابهة الخلق.

الثاني: أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطله عن كماله الواجب، حيث شبه الرب الكامل بالمخلوق الناقص.

الثالث: أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطل كل نص يدل علىٰ نفي مشابهة الله لخلقه مثل قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورىٰ:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾[الإخلاص:٤].

معاني التأويل:

قال شيخ الإسلام في «التدمرية»: فإن لفظ (التأويل) قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملًا في ثلاثة معان:

أحدها: وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله - أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح ؛ لدليل

يقترن به وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها؛ وهل ذلك محمود أو مذموم أو حق أو باطل؟

الثاني: أن التأويل بمعنىٰ التفسير وهذا هو الغالب علىٰ اصطلاح المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير وأمثاله - من المصنفين في التفسير - واختلف علماء التأويل ومجاهد إمام المفسرين؛ قال الثوري: (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به). وعلىٰ تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهما فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به معرفة تفسيره.

الثالث: من معاني التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف:٥٣]. فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون: من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك كما قال الله تعالىٰ في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾[يوسف:١٠٠]، فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا الثاني: هو تفسير الكلام وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتىٰ يفهم معناه أو تعرف علته أو دليله وهذا (التأويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج ومنه قول عائشة: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يتأول القرآن. يعني قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾[النصر:٣]. وقول سفيان بن عيينة: السنة هي تأويل الأمر والنهي فإن نفس الفعل المأمور به: هو تأويل الأمر به ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر. انتهىٰ

إذن، فالتأويل ينقسم إلىٰ قسمين:

تأويل صحيح: وهو حقيقة المعنىٰ وما يؤول إليه في الخارج أو تفسيره وبيان معناه، وهو التأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها.

قال جابر بن عبدالله في حديث حجة الوداع ورسول الله بين أظهرنا ينزل عليه القرآن وهو يعلم تأويله.

تأويل باطل: هو الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة. اهـ بتصرف من «الصواعق» (١/ ١٨١-١٨٧).

وقد بين العلماء رحمهم الله تعالىٰ: أن التأويل الفاسد أصل كل بدعة ظهرت في الإسلام.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية»:

هَـذَا وَأَصْـلُ بَلِيَّـةِ الإِسْـلَامِ مِـنْ ... تَأْوِيـلِ ذِي التَّحْرِيـفِ وَالـبُطْلَانِ
وَهُوَ الَّـذِي قَـدْ فَـرَّقَ السَّبْعِينَ بَـلْ ... زَادَتْ ثَلَاثًـا قَـوْلَ ذِي البُرْهَـانِ
وَجَمِيعُ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ بِدَعٍ وَأَحْـ ... ـدَاثٍ تُخَـالِفُ مُوجِـبَ القُـرْآنِ
فَأَسَاسُـهَا التَّأْوِيـلُ ذُو الـبُطْلَانِ لَا ... تَأْوِيـلُ أَهْـلِ العِلْـمِ وَالإِيمَـانِ
إِذْ قَـالَ تَفْسِـيرُ المُـرَادِ وَكَشْـفُهُ ... وَبَيَـانُ مَعْنَـاهُ إِلَـىٰ الأَذْهَـانِ

الطواغيت الأربعة التي بنى المتكلمون عليها بدعتهم

وبنىٰ المتكلمون قولهم بالتأويل علىٰ أصول فاسدة تعارض العقل والنقل.

الأصل الأول: تقديم العقل علىٰ النقل، والمعلوم أن العقل تابع للنقل، حتىٰ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح. اهـ

وألف كتابًا ماتعًا سماه «درء تعارض العقل والنقل».

بل ولا يمكن للدليل العقلي أن يخالف الدليل النقلي إلا عند فساد أحد الدليلين، وإلا فإن العقل الصحيح يوافق النقل الصحيح، إذ أن النقل من عند الله تعالىٰ، وما كان من عند الله تعالىٰ فهو الحق الذي لاريب فيه، واليقين الذي لا شك فيه قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾[النساء:٨٢]، وقال في وصف وحيه وتنزيله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[فصلت:٤٢].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح الطحاوية» (١٦٦): فإذا كان النقل صحيحًا فذلك الذي يدعىٰ أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر ذلك. وإن كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبدًا. ويعارض كلام من يقول ذلك بنظيره، فيقال: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل؛ لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع؛ لأن العقل قد دل علىٰ صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضا للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه. وهذا بيِّنٌ واضح، فإن العقل هو الذي دل علىٰ صدق السمع وصحته، وأن

خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلًا صحيحًا، وإذا لم يكن دليلًا صحيحًا لم يجز أن يتبع بحال، فضلًا عن أن يقدم، فصار تقديم العقل علىٰ النقل قدحًا في العقل. اهـ

الأصل الثاني: القول بالمجاز في نصوص الشرع، فعطلوا صفات الباري، وحرفوا الكلم عن مواضعه بهذه الشبهة المريضة، فيد الله تعالىٰ عندهم مجاز علىٰ النعمة، ووجهه مجاز علىٰ الثواب، وهكذا.

والمجاز هو ضد الحقيقة، والحقيقة: ما أقر في الاستعمال علىٰ وصفه في اللغة، والمجاز ما كان بضد ذلك.

وقد نفىٰ كثيرٌ من السلف المجاز من المتقدمين والمتأخرين كابن القيم وشيخه ابن تيمية، وابن عبد البر، والشنقيطي، والسعدي، وابن باز، والألباني، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي، رحمهم الله، وشيخنا الحجوري، وغيرهم كثير، حتىٰ سماه بعضهم حمار المبتدعة -أي عليه يتسلقون إلىٰ بث أقوالهم الباطلة-.

الأصل الثالث: القول بأن نصوص الشرع أدلة لفظية لا تفيد اليقين، وأول من قال بهذا القول الرازي كما أشار إلىٰ ذلك ابن القيم في «الصواعق» (٢/ ٦٤٠).

وهذا قول باطل، بل هي أدلة يقينية تدل علىٰ العلم، سواءً ما كان منها متواترا علىٰ زعمهم، أو آحاد، فكل ما جاء في القرآن وصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجب الإيمان به لفظًا ومعنىٰ سواءً في العقيدة أو غيرها.

الأصل الرابع: تقسيم الأدلة إلىٰ آحاد ومتواتر:

ولم يفرق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين متواتره وآحاده، قال الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[الحشر:٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[المائدة:٩٢،التغابن:١٢]، وهذا التقسيم محدث ليس من عند السلف، بل هو من

عند المعتزلة الضلال، فلنكن علىٰ حذر منه، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله إلىٰ العالم يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، وهو واحد وبعوث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأمراء والدعاة والجباة والعلماء كلهم آحاد لم يبلغوا حد التواتر علىٰ زعمهم، ومع ذلك أُخذ منهم في باب العقيدة وغيره.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى»، وتوحيد الله هو العقيدة، توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

وقد ضمن الإمام البخاري كتابه الصحيح كتاب «قبول خبر الآحاد»، وهذه الشبهة قد تصدىٰ لها علماء المسلمين سلفًا وخلفًا، فلله الحمد والمنة.

الفصل السادس

الرد الإجمالي على أشهر أهل البدع في هذا الباب

إن أهل الزيغ والضلال قد تخبطوا وخلطوا في هذا الباب وغيره غاية التخليط والتخبيط، بل تجد العجب العجاب من تناقضاتهم، فيفرون من شيء فيقعون في شرٍ منه، وسنناقش بإذن الله تعالىٰ هذا التناقض باختصار غير مخل، فالله يوفق ويسدد.

الرد على الجهمية:

تقدم معتقد الجهمية في الأسماء والصفات، وأنهم انقسموا إلىٰ قسمين:

قسمٌ منهم يصفونه بالصفات السلبية علىٰ وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل.

وقسم يصفونه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق.

معنىٰ قولهم: إنهم يصفون الله بالصفات السلبية علىٰ وجه التفصيل، أي يقولون: ليس بمستوي علىٰ عرشه، ولا يغضب، ولا يحب، ولا ينزل... إلىٰ غير ذلك، وهذا خلاف معتقد السلف، فإن طريقة الرسل وأتباعهم هو الإثبات المفصل: تقول سميع بصير حي مريد... إلىٰ غير ذلك، والنفي المجمل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورىٰ:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الإخلاص:٤].

وأما قولهم بإثبات الوجود المطلق، فمعناه أن الوجود المطلق هو المجرد عن جميع الصفات، وهذا الوجود لا حقيقة له إلا في الذهن، وليس له وجود خارجي بتاتًا؛ لأن الذات لا تتحقق بلا صفة أصلًا، كمن يقول: أثبت نخلة لا جذع لها ولا ساق ولا ليف ولا غير ذلك.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التدمرية» بعد ذكر قولهم السابق ص(١٥-١٦):

فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل، فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلًا يستلزم نفي الذات، فغاليتهم يسلبون عنه النقيضين، فيقولون: لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل؛ لأنهم -بزعمهم- إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات، فسلبوا عنه النقيضين، وهذا ممتنع في بدائه العقول، وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب، وما جاء به الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ووقعوا في شر مما فروا منه، فإنهم شبّهوه بالممتنعات.اهـ

ولتعلم أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان في آن واحد، بل يلزم من ثبوت أحدهما عدم الآخر، ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر.

وأما قول أصحاب القسم الثاني، الذين يصفونه بالسلوب والإضافات، فالسلوب جمع سلب، والسلب هو النفي، وذلك مثل قولهم: إن الله ليس بجسم ولا عرض ولا متحيز.

والإضافات: هي الأمور المتضايفة التي لا يعقل الواحد منها إلا بتعقل مقابله، مثل قولهم: إن الله مبدأ الكائنات وعلة الموجودات، أي أنه لا تعقل العلة إلا بمعلولها، ولا المعلول إلا بعلته، ومن أمثلة الأمور المتضايفة الأبوة والبنوة، فلا تعقل الأبوة إلا ببنوة ولا بنوة إلا بأبوة.

وقولهم: دون صفات الإثبات، أي أن الله تعالىٰ مجرد عن الصفات الثبوتية ليس له حياة ولا علم ولا قدرة ولا كلام.

قوله: (وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق)، يعني أن وجود الله مشروط بسلب كل أمر ثبوتي وعدمي، أو بسلب الأمور الثبوتية كما قال بعضهم، أفاده صاحب «التحفة المهدية» (٥٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التدمرية» صـ(١٧): وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من الموجودات، وجعلوا الصفة هي الموصوف، فجعلوا العلم عين العالم مكابرة. اهـ

شبهة الجهمي والرد عليها:

ويقال لهذا الجهمي: لماذا تنفي الأسماء والصفات؟ فسيقول: لأن إثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي العليم القدير.

قيل له: وكذلك إذا قلت: ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير كان ذلك تشبيهًا بالمعدومات، وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات؟

فإن قال: أنا أنفي النفي والإثبات؟ قيل له: فيلزمك التشبيه بالممتنعات، فإنه يمتنع أن يكون الشيء موجودًا معدومًا أو لا موجود ولا معدوم. اهـ «التدمرية» صـ(٣٦).

الرد على المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء دون ما تضمنته من صفات:

فهم انقسموا إلىٰ قسمين كما بين ذلك شيخ الإسلام في «التدمرية»: قسم جعلوا أسماء الله كالأعلام المحضة المترادفات -أي الأعلام الخالصة الخالية من الدلالة علىٰ شيء آخر- والمترادفات علىٰ ذات واحدة.

وقسم قالوا: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنته من الصفات. اهـ بزيادة.

وهؤلاء عطلوا الله مما يختص به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فرارًا من التشبيه فوقعوا في شرٍ منه -أي التشبيه بالمعدومات والممتنعات-، مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التدمرية» صـ(٢٠): وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو واجب قديم بنفسه -أي خالق وهو الله تعالىٰ-، وما هو محدث

ممكن -أي مخلوق- يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما في مسمىٰ الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه... فلا يقول عاقل: (العرش شيء موجود وأن البعوض شيء موجود)، إن هذا هو هذا لاتفاقهما في مسمىٰ الشيء والوجود...

ولهذا سمىٰ الله نفسه بأسماء، وسمىٰ صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به، إذا أضيفت إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من تماثل الاسمين تماثل مسماهما، واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص...

فقد سمىٰ الله نفسه حيًّا، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[البقرة:٢٥٥، آل عمران:٢]، وسمىٰ بعض عباده حيًّا، فقال: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾[الروم:١٩]، وليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ ثم استطرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر بعض ما سمىٰ الله به نفسه وسمىٰ به بعض مخلوقاته والخالق منزه عن مشابهة المخلوق.

شبهة المعتزلي والرد عليها:

ويقال للمعتزلي الذي يثبت الأسماء وينفي الصفات، **ما ذكره شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **«التدمرية» ص(٣٥)**: لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات الصفات، فإنك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهًا وتجسيمًا لأننا لا نجد في الشاهد متصفًا بالصفات إلا ما هو جسم؟

قيل له: ولا تجد في الشاهد مسمىٰ بأنه حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت الصفات لكونه لا يوجد في الشاهد إلا ما هو جسم فانف الأسماء، بل وكل شيء؛ لأنك لا تجد في الشاهد إلا ما هو جسم. اهـ

وإن قال المعتزلة: إثبات العلم والقدرة والإرادة يستلزم تعدد الصفات، وهذا تركيب ممتنع.

قيل: وإذا قلتم أنه موجود واجب وعقل وعاقل ومعقول، أفليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا، فهذه معاني متعددة متغايرة في العقل، وهذا تركيب عندكم؟

فإن قالوا: هذا توحيد في الحقيقة وليس تركيبًا ممتنعًا.

قيل: واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيدًا في الحقيقة، وليس هو تركيبًا ممتنعًا.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «القواعد المثلى»: في القاعدة الثانية من قواعد الأسماء رادًا علىٰ هؤلاء المعتزلة الذين يقولون: يلزم من تعدد الصفات تعدد القدماء، قال: فهذه العلة عليلة، بل ميتة لدلالة السمع والعقل علىٰ بطلانها.

أما السمع، فقال الله تعالىٰ يصف نفسه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾[البروج:١٢-١٦]، فهذه أوصاف كثيرة لموصوف واحد.

وأما العقل فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتىٰ يلزم من ثبتوها التعدد، وإنما هي صفات من اتصف بها، فهي قائمة به وكل موجود لا بد له من تعدد صفاته، ففيه صفة الوجود وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود وكونه عينًا قائمًا بنفسه أو وصفًا في غيره. اهـ

القول في الصفات كالقول في الذات:

وكذلك من الرد عليهم: أن القول في الصفات كالقول في الذات، فإذا أثبت لله ذاتًا حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل صفات سائر الذوات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٢/٧٢٨): ومن ذلك خروجهم عن صريح العقل في قولهم: إن الرب عالم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، قدير بلا قدرة، حيٌّ بلا حياة، فأنكر عليهم ذلك طوائف العقلاء. اهـ

الرد على الأشاعرة ومن وافقهم ممن يثبتون الأسماء وبعض الصفات فقط:

من المعلوم أن الأشاعرة ومن وافقهم يثبتون سبع صفات جمعها أحدهم نظمًا:

حَـــيٌّ مُرِيـــدٌ قَـــادِرٌ عَـــلَّامُ لَـــهُ السَّـــمْعُ وَالبَصَـــرُ وَالكَـــلَامُ

ويقولون هذه الصفات دل عليها العقل، فيجعلونها حقيقة، ثم ينازعون في المحبة والرضا والسخط ويفسرونها إما بالإرادة أو ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.

قيل له: القول في بعض الصفات كالقول في بعض؟

فإن قلت: له إرادة كإرادة المخلوقين، فكذلك محبته وغضبه وهذا هو التمثيل بعينه، وإن قال له: إرادة تليق به، قيل له: وكذلك له محبة تليق به.

فإن قال: الغضب غليان الدم في القلب لطلب الانتقام؟ قيل له: الإرادة ميل النفس إلىٰ جلب منفعة ودفع مضرة.

فإن قال: هذه إرادة المخلوق؟ قيل له: هذا غضب المخلوق.

فإن قال: هذه الصفات السبع إثباتها بالعقل؛ لأن الحادث دل علىٰ قدرة والتخصيص دل علىٰ الإرادة والإحكام دل علىٰ العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو من السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك؟

قيل له: لك جوابان:

الأول: افرض أن العقل لم يدل عليها، فقد دل عليها دليل آخر وهو الكتاب والسنة، وانتفاء الدليل لا يلزم منه انتفاء المدلول.

الثاني: يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك -أي العقل-، فيقال: نفع العباد بالإحسان إليهم يدل علىٰ الرحمة وإكرام الطائعين يدل علىٰ محبتهم وعقاب الكفار يدل علىٰ بغضهم؟ وهكذا دوليك.

الرد على الممثلة:

أقسام الممثلة:

الأول: من شبه ذات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذات المخلوق، ومن أمثلة هذه السبئية والهاشمية.

السبئية: هم الذين قالوا إن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إله، وشبهوه بذات الله.

والهاشمية: هم أتباع هشام بن الحكم لعنه الله الذي قال: إن الله سبعة أشبار بشبر نفسه، تعالىٰ الله عن هذا البهتان علوًّا كبيرًا.

الثاني: من شبه صفات رب العالمين بصفات غيره من المخلوقات، وضلال مذهبهم ظاهر البطلان، فالله تعالىٰ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم:٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص:٤]، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[النحل:١٧]. اهـ من «القواعد الكلية» صـ(٤٣-٤٤).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (٢٦٤/١٢): فليس فيها (أي النصوص والآثار) أن صفة المخلوق هي صفة الخالق، بل ولا مثلها، بل فيها الدلالة علىٰ الفرق بين صفة الخالق وبين صفة المخلوق، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (٥/٣٢٥): فإن التماثل في الصفات والأفعال يتضمن التماثل في الذات، فإن الذاتين المختلفين يمتنع تماثل صفاتهما وأفعالهما؛ إذ تماثل الصفات والأفعال يستلزم تماثل الذوات. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣/٨٧): فإن الحقيقتين إذا تماثلتا جاز علىٰ كل واحدة ما يجوز علىٰ الأخرىٰ، ووجب لها ما وجب للأخرىٰ، فيلزم أن يجوز علىٰ الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز علىٰ المحدث المخلوق من العدم والحاجة، وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة. اهـ بتصرف.

فعُلم من هذا أن الله تعالىٰ مُتصف بالكمال المقدس من كل وجه، وقد تقدم معنا أن المثبت لا بد أن يتخلىٰ من محضوري التكييف والتمثيل، لأن من أثبت المثل لله تعالىٰ فقد وصفه بالنقص وعطله من كماله المقدس، ثم عطل أدلة الأسماء والصفات مما دلت عليه من الكمال، ولهذا قيل كل ممثل معطل.

ثم من المحال أن يكون القيوم الصمد مماثلًا للمخلوق المحتاج الناقص.

الرد على أهل التفويض:

سماهم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل التجهيل لأنهم جهلوا السلف والأنبياء رضوان الله وسلامه عليهم أجمعين، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٢٢): الصنف الثالث أهل التجهيل الذين قالوا نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، ولكن نقرها ألفاظًا لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلًا لا يعلمه إلا الله وهي عندنا بمنزلة ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾[مريم:١]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾[الشورىٰ:١-٢]، ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف:١]... إلىٰ أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبنوا هذا المذهب علىٰ أصلين:

أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه.

الثاني: أن للمتشابه تأويلًا لا يعلمه إلا الله.

فنتج من هذين الأصلين تجهيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنهم كانوا يقرؤون: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:٥]، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، ويروون «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، ولا يعرفون معنىٰ ذلك.

ولازم قولهم: أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه، ثم تناقضوا أقبح تناقض، فقالوا: تجري علىٰ ظواهرها وتأويلها مما يخالف الظواهر باطل، ومع ذلك فلها تأويل لا يعلمه إلا الله، فكيف يثبتون لها تأويلًا ويقولون تجري علىٰ ظواهرها، ويقولون: الظاهر منها غير مراد، والرب منفرد بعلم تأويلها، وهل في التناقض أقبح من هذا.

فهؤلاء غلطوا في المتشابه وفي كون المتشابه لا يعلم معناه إلا الله، وفي جعل هذه النصوص من المتشابه، فأخطئوا في المقدمات الثلاث. اهـ

ومن الأدلة علىٰ بيان فساد منهجهم قول الله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾[آل عمران:١٣٨]، ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥﴾[المائدة:١٥]، وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[النحل:٤٤]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وقال تعالىٰ واصفًا القرآن بأنه عربي، والكلام العربي يُعقل ويعرف المراد منه، قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾[يوسف:٢]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾[الزخرف:٣]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥﴾[الشعراء:١٩٣-١٩٥]، إلىٰ غير ذلك من الآيات في هذا الباب.

وقد دلت النصوص علىٰ تيسير القرآن للناس حتىٰ يفهموه ويعقلوه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧،٢٢،٣٢،٤٠].

وأمر بالتدبر سبحانه، وإنما يكون التدبر لما يعقل ويفهم قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص:٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[محمد:٢٤]، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾[المؤمنون:٦٨]، إلىٰ غير ذلك من النصوص الواردة في الكتاب والسنة.

وكذلك كثرة الآيات الدالة علىٰ إثبات الصفات، ولم يرد في حرف واحد أن الصحابة رضوان الله عليهم سألوا عن معانيها، أو ما المراد بها؛ لأنهم فقهوا قول الله ومراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويستحال عقلًا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي علمنا كل شيء حتىٰ الخرءاة كما قال سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وترك هذا الباب بدون بيان، وهو القائل: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ».

وعلم الأسماء والصفات هو أشرف العلوم، فمن المحال أنهم لا يعرفون معاني الآيات ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرهم لا يسألونه ولا يعلمهم، وقد تقدم النقل عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان تناقض مذهبهم، وما هذا إلا لبطلانه وفساده.[1]

---

(١) نقل بزيادة ونقصان من كتاب «مذهب أهل التفويض».

الخاتمة

يجب علىٰ المسلمين تحقيق واعتقاد ما دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة في باب الأسماء والصفات مع السير علىٰ منهج السلف الصالحين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتوى الحموية» (١٩٤-٢١٥): قولنا فيها ما قاله الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدىٰ بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون علىٰ هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب علىٰ جميع الخلق في هذا الباب وغيره؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعث محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدىٰ ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور بإذن ربهم إلىٰ صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[يوسف:١٠٨].

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلىٰ النور وأنزل معه الكتاب بالحق؛ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلىٰ ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلىٰ الله وإلىٰ سبيله بإذنه علىٰ بصيرة، وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته. محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه. فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادًا وقولًا؟! ومن المحال أيضًا أن يكون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد علم أمته كل

شيء حتى الخراءة، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ».

وقال فيما صح عنه أيضًا: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ».

وقال أبو ذر: لقد توفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا.

وقال عمر بن الخطاب: قام فينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقامًا فذكر بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم. حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. رواه البخاري.

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين - وإن دقت - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب.

بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان، وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام، ثم إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضًا أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بعث فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين؛ لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع.

أما الأول: فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه،

أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته. وليست النفوس الصحيحة إلىٰ شيء أشوق منها إلىٰ معرفة هذا الأمر. وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي - الذي هو من أقوىٰ المقتضيات - أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضًا عن الله وأعظمهم إكبابا علىٰ طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالىٰ؛ فكيف يقع في أولئك؟

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه: فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم. ثم الكلام في هذا الباب عنهم: أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوىٰ وأضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها: من أن (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم)، وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنىٰ صحيحًا. فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم علىٰ طريقة السلف: إنما أتوا من حيث ظنوا: أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[البقرة:٧٨] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات. فهذا الظن الفاسد أوجب (تلك المقالة) التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا علىٰ طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنىٰ بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنىٰ - وهي التي يسمونها طريقة السلف - وبين صرف اللفظ إلىٰ معان بنوع تكلف - وهي التي يسمونها طريقة الخلف - فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه علىٰ أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه. فلما ابتنىٰ أمرهم علىٰ هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين: كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة؛ لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله. ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة؛ بل في غاية الضلالة.

كيف يكون هؤلاء المتأخرون - لا سيما والإشارة بالخلف إلىٰ ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف علىٰ نهاية إقدامهم بما انتهىٰ إليه أمرهم حيث يقول:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَىٰ ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وأقروا علىٰ أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم، كقول بعض رؤسائهم:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذًىٰ وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُـولَ عُمْرِنَـا سِـوَىٰ أَنْ جَمَعْنَـا فِيـهِ قِيـلَ وَقَـالُوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فاطر:١٠]، واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾[طه:١١٠]. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. اهـ

ويقول الآخر منهم: لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت علىٰ عقيدة أمي. اهـ

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام. ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف، إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك علىٰ عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون المنقوصون المسبوقون الحيارىٰ المتهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ، الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة، ما برزوا به علىٰ سائر أتباع الأنبياء فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة. ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟! أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة

وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارىٰ والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان.

وإنما قدمت (هذه المقدمة) لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدىٰ، أين هو في هذا الباب وغيره، وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولىٰ علىٰ كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البينات والهدىٰ، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره علىٰ نفسه وبشهادة الأمة علىٰ ذلك وبدلالات كثيرة. وليس غرضي واحدًا معينًا، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء. اهـ

ولا يظن أحد من أهل السنة أن المبتدعة الذين خالفوا معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وغيره قد انقرضوا وولوا، بل هم متوافرون، لا كثرهم الله.

فأغلب الشافعية والمالكية أشاعرة، والأحناف ماتريدية، والرافضة والشيعة والزيدية والإباضية يسيرون علىٰ طريقة المعتزلة في التعطيل.

والصوفية بفرقها بما فيهم جماعة التبليغ عندهم انحرافات عقدية خطيرة في هذا الباب، فيقولون في الله تعالىٰ: إنه عاشق ومعشوق وعشق، مع أن لفظ العشق فيه من التشبيه واحتمال النقص ما لا يخفىٰ علىٰ عاقل، وليس في الكتب الإلهية تسميته بعقل ولا عاشق ولا معقول ولا معشوق، يسمونه بغير اسمه ويصفونه بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالعودة إلىٰ طريقة السلف الصالحين علمًا وعملًا واعتقادًا، وبهذا أرجو أني قد انتهيت من المهمات في هذا الباب، وإلا فحقه أكثر من ذلك، ومع ذلك فقد وضعت هذا الكتاب كالمرقاة في تعلم هذا الباب، وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

القول الأسنى في شرح الأسماء الحسنى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه:٨]، والقائل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده، ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أما بعد:

فإن معرفة أسماء الله تعالى لها أهمية كبيرة لما يأتي:

الأول: **أن العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق؛** لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فالاشتغال بفهم هذا العلم، والبحث التام عنه، اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب، ولذلك بينه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ غاية البيان، ولاهتمام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ببيانه لم يختلف فيه الصحابة رضي الله عليهم كما اختلفوا في الأحكام.

الثاني: **أن معرفة الله تدعو إلى محبته، وخشيته، وخوفه، ورجائه، وإخلاص العمل له**، وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله، إلا بمعرفة أسمائه الحسنى، والتفقه في فهم معانيها.

الثالث: أن معرفة الله سبحانه، وتعالى بأسمائه الحسنى، مما يزيد الإيمان.

كما قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن الإيمان بأسماء الله الحسنى ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة:

١- توحيد الربوبية. ٢- وتوحيد الإلهية. ٣- وتوحيد الأسماء، والصفات.

وهذه الأنواع هي روح الإيمان ورَوحه الروح: هو الفرح، والاستراحة من غم القلب، وأصله وغايته، فكلما زاد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه وقوي يقينه "[1].

الرابع: **أن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه**، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم، لأنه كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مفتاح دعوة الرسل، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ إذ علىٰ هذه المعرفة تبنىٰ مطالب الرسالة كلها من أولها إلىٰ آخرها "[2] اهـ. هذا بمعناه.

فالاشتغال بمعرفة الله، اشتغال بما خلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له، وليس معنىٰ الإيمان هو التلفظ به فقط دون معرفة الله، لأن حقيقة الإيمان بالله أن يعرف العبد ربه الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة الله بأسمائه وصفاته، وبحسب معرفته بربه يزداد إيمانه.

الخامس: **أن العلم بأسماء الله الحسنىٰ أصل للعلم بكل معلوم.**

كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إحصاء الأسماء الحسنىٰ والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم فإن المعلومات سواء إما أن تكون خلقا له تعالىٰ أو أمرا إما علم بما كونه أو علم بما شرعه ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنىٰ وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضىٰ، وإحصاء الأسماء الحسنىٰ، أصل لإحصاء كل معلوم، لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها"[3].

السادس: **العلم بها علم بمعانيها والعلم بمعانيها يزداد به التوكل والثقة بالله عَزَّوَجَلَّ والخوف منه والرجاء فيه** إذ أن كل اسم من أسماء الله يدل علىٰ معاني بليغة،

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي (ص ٤١).
(٢) الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة لابن القيم (١/ ١٥٠-١٥١).
(٣) بدائع الفوائد - ط عالم الفوائد (١/ ٢٨٦).

وبديعة.

السابع: **معرفة أسماء الله الحسنىٰ سبيل إلىٰ التوسل بها عند دعائه، بل هي من أهم أسباب استجابة الدعاء**، فقد رغب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوسل بها قبل الدعاء في الدنيا، فعن فَضَالَةَ بْن عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ تَعَالَىٰ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «عَجِلَ هَذَا» ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ- أَوْ لِغَيْرِهِ-: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ»[1].

وهو كذلك يتوسل بها يوم القيامة كما في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الشفاعة: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ»[2]، وإنما يحمده، ويثني عليه بأسمائه، وصفاته.

الثامن: **بمعرفتها، والعلم بها يقع التخلق، والعمل بما دلت عليه من المعاني فيما كان غير مختص بالله عَزَّ وَجَلَّ.**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "عدة الصابرين": "ولما كان سبحانه هو الشكور علىٰ الحقيقة كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها واتصف بضدها، وهذا شأن أسمائه الحسنىٰ: أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، ولهذا يبغض الكفور، والظالم، والجاهل، والقاسي القلب، والبخيل، والجبان، والمهين، واللئيم، وهو جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، جواد يحب أهل الجود، ستير يحب

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٤٨١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٣٢٦-(١٩٣).

أهل الستر، قادر يلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته، وموجبها، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها، وينافيها" [١] اهـ.

* تنبيه: حديث: «تخلقوا بأخلاق الله».

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الضعيفة (٢٨٢٢): "لا أصل له أورده السيوطي في "تأييد الحقيقة العلية (١/ ٨٩) "دون عزو، وتأولوه بأن معناه: اتصفوا بالصفات المحمودة، وتنزهوا عن الصفات المذمومة، وليس معناه أن تأخذ من صفات القدم شيئًا، ثم رأيت الحديث في "نقض التأسيس" لابن تيمية ذكره في فصل عقده للكلام على معنى قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله خلق آدم على صورته»" اهـ.

ثم إن هنالك صفات خاصة بالله كالكبر، ونحوه لا يجوز للمخلوق أن يتصف بها، فعلى هذا لا يقال بهذا القول.

التاسع: التعبيد لها في حال التسمية، فعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ» [٢].

وقد قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مراتب الإجماع [٣]: "وَاتَّفَقُوا على تَحْرِيم كل اسْم معبد لغير الله عَزَّوَجَلَّ كعبد الْعُزَّى، وَعبد هُبل، وَعبد عَمْرو، وَعبد الْكَعْبَة، وَمَا أشبه ذَلِك حاشا عبد الْمطلب " اهـ.

قال بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "معجم المناهي اللفظية" [٤]: "لكن هذا لا يفيد جواز التعبيد به؛ لأنه حكاية نسب مضى، فهو من باب الإخبار لا من باب الإنشاء" اهـ.

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - ط عالم الفوائد (١/ ٥٤٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢١٣٢).
(٣) مراتب الإجماع (ص: ١٥٤).
(٤) معجم المناهي اللفظية (ص: ٣٦٨)

العاشر: **بالعلم بالأسماء الحسنىٰ يفرق بين الاسم والصفة والفعل إذ لا يجوز** دعاؤه بغير الاسم بل قد نص بعض أهل العلم كشيخ الإسلام، وغيره أن دعاء الصفة كفر كما بينت ذلك في كتابي: «التبيان لأدعية القرآن».

الحادي عشر: **معرفة الأسماء الحسنىٰ يظهر بها من كمال الله مالم تعلمه إن جهلتها**؛ لأن كل اسم يتضمن صفة أو صفات دالة علىٰ الكمال.

الثاني عشرة: **معرفة أسماء الله الحسنىٰ من تفسير القرآن**، وتفسير القرآن مرغب فيه.

الثالث عشرة: **معرفة أسماء الله الحسنىٰ يفهم به ما يدل عليه من الأحكام** كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [المائدة:٣٨].

ففي قوله عزيز حكيم دليل علىٰ أن لا عفو عن السارق إذا تعين عليه الحد، فالعزيز القوي الذي يأخذ، والحكيم الذي لا يجور في حكمه.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة:٣٤]، دليل علىٰ التجاوز عن هذا الصنف؛ لأن الله ختم الآية بالمغفرة الدالة علىٰ التجاوز، والرحمة الدالة علىٰ عدم المؤاخذة.

الرابع عشرة: **معرفة أسماء الله الحسنىٰ سبب من أسباب دخول الجنة** علىٰ ما يأتي في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أحصاها دخل الجنة».

الخامس عشرة: **معرفة أسماء الله الحسنىٰ يحبه الله ويحب العامل بها**؛ لأنها مدح له عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ» **متفق عليه**.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَىٰ سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: «سَلُوهُ؛ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»

فَسَأَلُوهُ، فقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ؛ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» متفق عليه.

السادس عشرة: **من عرف أسماء الله الحسنىٰ وما دلت عليه من المعاني عرف نفسه ومن جهلها فهو لما سواه أجهل** كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر:١٩].

السابع عشرة: **معرفة أسماء الله الحسنىٰ سبب لخشيته** كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

وعن أبي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا"(١).

الثامن عشرة: **معرفة أسماء الله الحسنىٰ، وصفاته العلا أصلُ كل عبادة:** نعم، معرفة الله تعالىٰ أصلُ امتثال الأوامر واجتناب النواهي، فلا يجتنب ما يُغضب الله، ولا يمتثل ما يحبه الله، إلا مَن عرَف الله؛ ولذلك جاء في الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ

(١) خرجه مسلم (١٦٥٩).

فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» متفق عليه.

التاسع عشرة: معرفة أسماء الله الحسنىٰ من أعظم أسباب زكاة القلوب وإصلاح النفوس: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر:١٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(١).

العشرون: معرفة أسماء الله الحسنىٰ تأسي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتأسي به سبب لكل فلاح: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١] إلىٰ غير ذلك فإن هذا باب واسع لأن العلم به يتعلق بالواسع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أسماء وصفاته وذاته وأفعاله وقد أسميت هذا المؤلف: «القول الأسنى في بيان معاني الأسماء الحسنى».

والله الموفق وأسأله التوفيق والسداد وأن يجعل ما ذكرت خالصا لوجهه نافعا لعباده مؤدٍ إلىٰ مرضاته والحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبو محمد عبدالحميد بن يحيى الزُّعكري
وكتبت هذه المقدمة
في مدينة القاهرة الثامن عشر من رجب لعام
أربعة وأربعين وأربعمئة وألف

(١) خرجه مسلم (٢٥٦٤).

سبب تأليف الكتاب

الأول: التبرك بذكر أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني: الدخول في سلك من نظمها، ولعلها أن تحفظ ويكون منه الدلالة عليها، والدال على الخير كفاعله.

الثالث: الرد على من زعم حصرها في تسعة وتسعين.

ويجب أن تؤخذ الأسماء والصفات من الكتاب والسنة إذ لا مجال للعقل فيه لأنه من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وسميت بالحسنى لأمور منها:

١- أن الله تعالى سمى بها نفسه وسماهُ بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى.

٢- أنها مذكورة في الكتاب، والسنة الصحيحة.

٣- أن الله يدعى بها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

٤- أنها أسماء مدح، وكمال.

٥- أنها متضمنة لصفات مدح، وكمال.

قواعد مهمة في باب الأسماء والصفات

قد تكَلَمتُ علىٰ باب الأسماء والصفات في مؤلفات مستقلة، وفيها بيان ما تضمنه القرآن من الأجمال والتفصيل، ووجوب التعبد لله عَزَّوَجَلَّ بمقتضىٰ أسمائه وصفاته، ونشير هنا إلىٰ بعض هذه القواعد إجمالًا:

١- **أسماء الله كلها حسنىٰ**، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾ [طه:٨]، وقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:٢٤].

ومن **حُسنها**: أنها أسماء مدح وكمال، وتتضمن صفات مدح وكمال، وأنها مذكورة في الكتاب والسنة، وأن الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا أن ندعوه بها، وقد ذكر نحو هذا شيخ الإسلام، والشيخ السعدي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

٢- **أسماء الله أعلام وأوصاف فكل اسم يتضمن صفة**، وهذا من كمالها وحسنها، قَالَ اللهُ تعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الشورىٰ:٥]، وقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣]، فالرحيم هو ذو الرحمة، كما أن الغفور هو ذو المغفرة.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات:١٨٠]. أي: صاحب العزة المتصف بها.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات:٥٨]. أي: صاحب القوة.

وهو السميع يسمع، والبصير يبصر، والعليم يعلم، كما هو معلومٌ عقلًا، وشرعًا، وعرفًا، خلافًا لمن زعم أنه سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، تعالىٰ الله عن قولهم علوًا

كبيرًا.

٣- أن الله عَزَّوَجَلَّ موصف بما وصف به نفسه في كتابه الكريم، وما صح عن نبيه محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الصادق الأمين، وبيان ذلك أن باب أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته توقيفية، يُتوقف في أثبتها علىٰ الكتاب والسنة الصحيحة؛ لأنه لا يعرف كيف الله إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بذلك إلىٰ محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

والدليل علىٰ هذه القاعدة: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

٤- يجب علىٰ جميع المسلمين أن ينقادوا للكتاب وسنة رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لا سيما في هذا الباب الذي بابه النصوص الشرعية، فما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ، ورسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أثبتناه، وما نفاه الله عَزَّوَجَلَّ، ورسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نفيناه، والدليل قوله الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران:١٣٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

فمثال الإثبات: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨]، فنثبت لله عَزَّوَجَلَّ السمع، والبصر.

ومثال النفي: قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فينزه الله عَزَّوَجَلَّ عن النوم، ومقدماته لكمال قيوميته عَزَّوَجَلَّ؛ ولأنه نفىٰ ذلك عن نفسه، وهنا

* تنبيه: وهو أن الصفات المنفية لابد أن تتضمن كمال الضد لأن النفي وحده عدم، وإذا اثبت به كمال الضد صار كمالًا، فنقول: يُنفىٰ عن الله تعالىٰ الظلم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران:١٨٢] ؛لكمال عدله تعالىٰ،

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر:٤٤]؛ لكمال علمه وقدرته، وهكذا.

٥- عند الإثبات والنفي يجب التخلي من محاذير تجر إلىٰ الباطل والضلال وتجر إلىٰ الزيغ والانحراف.

أولًا: عند الإثبات: الحذر كل الحذر من التكييف، والتمثيل.

والتكييف: أن تتخيل لصفة الله عَزَّوَجَلَّ كيفية وهيئة، فإن اقترن هذا التكيف بشيء موجود كان تمثيلاً، وإن لم يقترن كان تكيفًا، والتكييف والتمثيل من أعظم الإلحاد في أسماء الله وصفاته، فالله يقول: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥]، ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

وفي أثر نُعَيْم بْنِ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيِّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ قَالَ: **مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا مَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا**.

ويجب أن نؤمن أن لصفات الله عَزَّوَجَلَّ كيفية وحقيقة لكننا نجهلها؛ لأنها لا تعلم كيفية الشيء إلا بالنظر إليه، أو إلىٰ مثيله، أو يحدثك من رآه عنه، وكل هذه منتفية في حق الله تعالىٰ.

ثانيًا: عند التنزيه عَزَّوَجَلَّ: يجب التخلي من محذورين:

١- التعطيل. ٢- التحريف.

والتعطيل في اللغة: هو التفريغ، وفي الاصطلاح: هو تعطيل الله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه، وصفاته، وأفعاله، أو من بعضها.

والتحريف: هو الميل، وفي الاصطلاح: هو الميل بأدلة الكتاب والسنة عما دلت

عليه، ويكون التحريف إما بتغيير اللفظ بزيادة أو نقصان أو بهما أو تغيير المعنىٰ.

ومن هذه الأمثلة المحذورة، قول القائل: يد الله كيدي، فهذا باطل وكفر، أو قوله: يد الله عَزَّوَجَلَّ كذا وكذا علىٰ كيفية ليست كالمخلوقات، نقول: وهذا باطل، وكفر، وحرام؛ لأنك تقول علىٰ الله ما لا تعلم.

ومن أمثلتها في باب التحريف والتعطيل، أن يقول القائل: يد الله، هي نعمته، نقول: هذا باطل وحرام، وكفر؛ لأنك صرفت اللفظ عن ظاهره الذي أرداه الله عَزَّوَجَلَّ، وهو إثبات اليد لله سبحانه يدًا تليق بجلاله لا تماثل صفات المخلوقين؛ إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ:١١].

٦- **كل اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ يتضمن صفة**؛ كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، فاسم الحي يتضمن صفة الحياة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، وكقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يتضمن اسم السميع صفة السمع، واسم العليم صفة العلم؛ لأن أسماء الله أعلام وأوصاف، وهذا من حسنها فهي تدل علىٰ الذات والوصفية.

٧- **كل فعلٍ أضافه الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ نفسه يشتق منه صفة**، كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ﴾ [آل عمران:٥٥]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:١٦٤]، فنثبت لله صفة الكلام كما يليق بجلاله، وكقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ»، الحديث في الصحيحين[(١)]، فنثبت لله عَزَّوَجَلَّ صفة النزول كما يليق بجلاله.

٨- **ما أضيف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من المعاني التي تقوم بغيرها كالوجه، والعين، والكلام، واليد، وغير ذلك**، فهو إضافة صفة إلىٰ موصوف، وما أضيف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) لبخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

من المعاني التي تقوم بنفسها فإضافتها إلىٰ الله إضافة خلق أو ملكٍ، **كناقة اللهِ** عَزَّوَجَلَّ، **وبيت اللهِ، وعبد اللهِ، وهكذا.**

٩- **كل دليلٍ يدل علىٰ وصف الله** عَزَّوَجَلَّ **فإنه يبقىٰ علىٰ ظاهره المتبادر للسان العربي، والفطرة السليمة المستقيمة ولا يجوز تحريفه؛** لأن هذا من الإلحاد الذي حرمه الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨١].

ومعلوم: أن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٥]، فصرف اللفظ من المعاني الحقة إلىٰ معاني باطلة يعتبر جناية علىٰ القرآن وعلىٰ رب العالمين.

١٠- **لِيُعلم أن المتصف بالصفات أكمل من الذي لا صفات له،** فلا يعقل أن يكون المخلوق المربوب الضعيف المحتاج يسمع، ويبصر، ويعلم، ويقدر، والله عَزَّوَجَلَّ معطل عن ذلك، بل يثبت لله عَزَّوَجَلَّ الكمال اللائق به مما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١١- **لسنا أحرص واتقىٰ من السلف رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، فهم قد أثبتوا لله** عَزَّوَجَلَّ **ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل،** فلا يلبس علينا شياطين الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والقرامطة، والفلاسفة، بشبه أوهىٰ من خيط العنكبوت **"وكل خير في اتباع من سلف".**

١٢- **طريقة السلف أعلم وأحكم،** فالسير عليها في جميع جوانب الحياة فما من خير إلا وسبقونا إليه، وما من شر وضيرٍ إلا وحذرونا منه.

قَالَ الأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ"**[(١)] اهـ.

١٣- **إنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **أنزل القرآن وذكر فيه صفاته وأسماءه، وما يتعلق بذلك، وذكر**

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤٤٥).

فيه الأحكام وما يتعلق بها، وذكر فيه القصص وغير ذلك، وكل هذه الآيات تُتلىٰ علىٰ العالم والجاهل، والذكر والأنثىٰ، فليبلغ دين الله الحق وخصوصًا في هذا الباب.

١٤- **القول في بعض الصفات كالقول في الصفات الأخرىٰ**، وهذه القاعدة رد علىٰ الأشاعرة الذين يثبتون لله عَزَّوَجَلَّ سبع صفات، وهي المجموعة في قول بعضهم:

حَــيٌّ مُرِيــدٌ قــادِرٌ عَــلَّامُ ❁❁ لَــهُ السَّــمعُ والبَصَــرُ والكَــلامُ

زاعمين أن هذه دل عليها العقل، فيلزمهم أن يثبتوا لله عَزَّوَجَلَّ الصفات التي دل عليها الشرع كالغضب، والرضىٰ، والسخط، والكراهة، وغير ذلك مما ثبتت به النصوص، والعقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح، والعقل يعتبر في هذا الباب وفي غيره من أبواب الشرع منقادًا لا قائدًا.

١٥- **العلم بأن الله عَزَّوَجَلَّ موصوف بالنفي والإثبات والأصل الإثبات**، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة:٢٥٥].

والنفي لا بد أن يتضمن كمال الضدِّ، علىٰ ما تقدم ويكون لبيان عموم كماله المقدس كما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ:١١]، ويكون لدفع توهم النقص، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [النجم:٣٨]، ويكون لرد ما ادعاه في حقه المبطلون، كما في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص:٣].

١٦- **أسماء الله تعالىٰ غير محصورة بعدد معلوم لنا**؛ لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»، رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وهو صحيح، وقد خرجته في كتابي: (التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين).

ويدل على عدم الحصر، حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عند الإمام مسلم (٤٨٦): أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول وهو ساجد: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»، والثناء على الله تعالى إنما يكون بالصفات العُلى والأسماء الحسنى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «درء تعارض العقل والنقل» (٣/٣٣٢-٣٣٣) في كلامه على حديث عائشة الآنف الذكر: "فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يحصي ثناءً عليه، ولو أحصى أسماءه تعالى لأحصى صفاته كلها، فكان يحصي الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يعبر بها عن أسمائه" اهـ.

وجاء في حديثي أَبِي هُرَيْرَةَ، وأَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في «الصحيحين»: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أن يأتي إلى ربه يستأذنه في الشفاعة، قَالَ: «فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي»، وفي رواية: «بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ»، وهذا يدل على أن من أسماء الله تعالى وصفاته ما لم يطلع عليه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا.

وأما من ذهب إلى أنها محصورة فقد اضطربوا غاية الاضطراب، فذهب بعضهم إلى أنها ثلاثمائة فقط، وقال بعضهم: ثلاثمائة وواحد، وذهب بعضهم إلى أنها خمسة

ألف، وقال بعضهم: أربعة ألف، ولا دليل علىٰ هذه الأقوال كلها.

وحصرها بعضهم بتسعة وتسعين اسمًا مستدلين بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الشيخين: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، ولا دلالة لهم فيه، وإنما قال بحصرها بتسع وتسعين ابن حزم - ومخالفاته في هذا الباب مشهورة – والقول بالحصر استظهره الحافظ ابن حجر من كلام ابن كجّ، وهو من علماء الشافعية إلا أن عليه ما ينتقد كما أشار إلىٰ ذلك ابن كثير في «البداية» فربما كان هذا منها، ولم أقف علىٰ نص كلامه، ولو وقف عليه لربما استظهر غير ما استظهره الحافظ، والله الموفق.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَدْ صَحَّ أَنَّهَا تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا فَقَطْ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُجِيزَ أَنْ يَكُونَ لَهُ اسْمٌ زَائِدٌ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ» فَلَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَعَالَىٰ اسْمٌ زَائِدٌ لَكَانَتْ مِائَةَ اسْمٍ، وَلَوْ كَانَ هَذَا لَكَانَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ» كَذِبًا وَمَنْ أَجَازَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ" اهـ. «المحلى بالآثار».

ورد عليه شيخ الإسلام وغيره، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «درء تعارض العقل والنقل» (٣/٣٣٢):

"والصواب الذي عليه الجمهور: أن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا»، من أحصاها دخل الجنة؛ معناه: أن من أحصىٰ التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة، وليس المراد أنه ليس له إلا تسعة وتسعين اسمًا" اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإن الذي عليه جماهير المسلمين أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، قالوا، ومنهم الخطابي: قوله: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، التقيد بالعدد عائد إلىٰ الأسماء الموصوفة بأنها هذه الأسماء" اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «شفاء العليل» (٢٧٧): "قوله: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»، لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة أي له أسماء موصوفة بهذه

الصفة، يقال لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدهم للجهاد، وهذا قول الجمهور، وخالفهم ابن حزم، فزعم أن أسماء الله تنحصر "اهـ.

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ حَصْرٌ لِأَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ غَيْرَ هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ وَإِنَّمَا مَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرَادُ الْإِخْبَارُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِإِحْصَائِهَا لَا الْإِخْبَارِ بِحَصْرِ الْأَسْمَاءِ" اهـ.

❋ **فائدة: مراتب الإحصاء:**

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البدائع» (١/١٦٤):

المرتبة الأولىٰ: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها، ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

وهو مرتبتان:

أحدها: دعاء ثناء، وعبادة.

والثاني: دعاء طلب، ومسألة اهـ.

١٧- **يحرم الإلحاد في أسماء الله وصفاته وآياته، والإلحاد**: هو الميل بها عن معانيها الحقة إلىٰ معاني باطلة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

والملحدون في هذا الباب أنواع، كما ذكرت في كتابي: (**القواعد الحسان**).

حيث قلت: وهو أنواع:

الأول: **إلحاد المعطلة**: أن ينكرها، أو ينكر شيئًا منها، أو مما دلت عليه من

الصفات والأحكام كما فعل أهل التعطيل من الجهمية الذين يعطلون الأسماء، والصفات، والمعتزلة الذين يثبتون الأسماء، وينفون الصفات، أو كالأشاعرة الذين يثبتون الأسماء، وسبعًا من الصفات.

الثاني: **إلحاد الممثلة:** وهو أن يجعلها دالة علىٰ صفات تشابه صفات المخلوقين.

الثالث: **إلحاد من سمىٰ الله بغير أسمائه الثابتة له؛** كتسمية النصارىٰ له «الأب»، والفلاسفة «العلة الفاعلة، والعشق، واللذة»، وهذا من القول علىٰ الله تعالىٰ بلا علم مع ما تتضمن من المعاني الباطلة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

الرابع: **إلحاد المشركين، ومن إليهم؛** حيث يشتقون من أسماء الله تعالىٰ أسماء للأصنام، كاشتقاق العزىٰ من العزيز، واللات من الإله ومناة من المنان، في قول لأهل العلم، ومنه أن يُسمىٰ غير الله تعالىٰ بأسمائه المختصة به.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تحفة المودود بأحكام المولود» (١٢٥): "وَمِمَّا يمْنَع تَسْمِيَة الْإِنْسَان بِهِ أَسمَاء الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَلَا يجوز التَّسْمِيَة بالأحد والصمد وَلَا بالخالق وَلَا بالرازق وَكَذَلِكَ سَائِر الْأَسْمَاء المختصة بالرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَلَا تجوز تَسْمِيَة الْمُلُوك بالقاهر وَالظَّاهِر كَمَا لَا يجوز تسميتهم بالجبار والمتكبر وَالْأول وَالْآخر وَالْبَاطِن وعلام الغيوب.

وَقد قَالَ أَبُو دَاوُد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي سنَنه: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ يَزِيدَ يَعْنِي ابْنَ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ هَانِئٍ أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الْمَدِينَة مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يَكْنُونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا

اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلمة، وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»، وَقد تقدم ذكر الحَدِيث الصَّحِيح «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ، رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ».

وَقَالَ أَبُو دَاوُد رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّل، حَدَّثَنَا أَبُو مَسْلَمَةَ سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بِبَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»، وَلَا يُنَافِي هَذَا قَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ» فَإِن هَذَا إِخْبَار مِنْهُ عَمَّا أعطَاهُ الله من سيادة النَّوْع الإنساني وفضله وشرفه عَلَيْهِم وَأما وصف الرب تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ السَّيِّد فَذَلِك وصف لرَبه علىٰ الْإِطْلَاق فَإِن سيد الْخلق هُوَ مَالك أمرهم الَّذِي إِلَيْهِ يرجعُونَ وبأمره يعلمُونَ وَعَن قَوْله يصدرون". اهـ.

وَقَال رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٧): "وَأما الْأَسْمَاء الَّتِي تطلق عَلَيْهِ وعَلى غَيره كالسميع والبصير والرءوف والرحيم فَيجوز أَن يخبر بمعانيها عَن الْمَخْلُوق وَلَا يجوز أَن يتسمىٰ بهَا علىٰ الْإِطْلَاق بِحَيْثُ يُطلق عَلَيْهِ كَمَا يُطلق علىٰ الرب تَعَالَىٰ" اهـ.

الخامس: إلحاد المفوضة:

الذين يثبتون ألفاظًا لا معاني لها، ويرد هذا المذهب الردي كل دليل يدل علىٰ تدبر وتعقل وتفهم للقرآن، إلىٰ غير ذلك مما هو مبين في موطنه.

١٨- **أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها**، بمعنىٰ أنه يثبت لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء:٣٦]، وقَالَ اللهُ

تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف:٣٣]، ولا سبيل لمعرفة ما يجب لله عَزَّوَجَلَّ، وما يجوز له، وما يمتنع إلا من طريق الوحي، وهذا باب مجمع عليه عند أهل السنة قاطبة.

تفاضل الأسماء والصفات وبيان الاسم الأعظم

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٤٧٤): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ شُعْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي خُبَيْبُ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بن عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بن المُعَلَّىٰ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]». ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»؟، قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ».

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٨١٠): حَدَّثَنَا أَبُوبَكْرِ بن أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَىٰ بن عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي السَّلِيلِ، عَنْ عَبْدِاللهِ بن رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أُبَيِّ بن كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا المُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٠١٣): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَىٰ

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (٢١١/١٧): "فتفاضل الأسماء والصفات من الأمور البينات" اهـ.

ومن هذا الباب القول في الاسم الأعظم:

وقد ورد في خصوص (**اسم الله الأعظم**) عدة أحاديث، أشهرها:

حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اسْمُ اللهِ الأَعظَمُ فِي سُوَرٍ مِنَ القُرْآنِ ثَلَاثٍ: فِي (البَقَرَةِ) وَ(آلِ عِمرَانَ) وَ(طَه)»[١].

وحديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا: (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ)، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[٢]،وحديث بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»[٣].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: " وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك".

وحديث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ

---

(١) واه ابن ماجه (٣٨٥٦) وفي سنده غيلان بن أنس مجهول.

(٢) واه الترمذي (٣٥٤٤)، وأبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٥)، وأبو داود (١٤٩٣)، وابن ماجه (٣٨٥٧).

في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾»[1].

وقد اختلف أهل العلم في (اسم الله الأعظم).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري» (١١/ ٢٢٤): "وقد أنكره قوم كأبي جعفر الطبري، وأبي الحسن الأشعري، وجماعة بعدهما، كأبي حاتم بن حبان، والقاضي أبي بكر الباقلاني، فقالوا: لا يجوز تفضيل بعض الأسماء علىٰ بعض، ونسب ذلك بعضهم لمالك لكراهيته أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يظن أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل، وحملوا ما ورد من ذلك علىٰ أن المراد بالأعظم العظيم، وأن أسماء الله كلها عظيمة.

وعبارة أبي جعفر الطبري اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم، والذي عندي أن الأقوال كلها صحيحة إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم، ولا شيء أعظم منه فكأنه يقول كل اسم من أسمائه تعالىٰ يجوز وصفه بكونه أعظم، فيرجع إلىٰ معنىٰ عظيم كما تقدم".

وقال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الأعظمية الواردة في الأخبار إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك كما اطلق ذلك في القرآن والمراد به مزيد ثواب القارئ.

وقيل المراد بـ(**الاسم الأعظم**): كل اسم من أسماء الله تعالىٰ دعا العبد به مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله تعالىٰ، فان من تأتي له ذلك استجيب له ونقل معنىٰ هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيرهما.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٨)، وأبوداود (١٤٩٦)، وابن ماجه (٣٨٥٥). والحديث ضعيف، فيه عبيد الله بن أبي زياد وشهر بن حوشب، وكلاهما ضعيف.

وقال آخرون استأثر الله تعالىٰ بعلم الاسم الأعظم، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه، وأثبته آخرون معينًا، واضطربوا في ذلك".

وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولًا:

الأول: (الاسم الأعظم) هو ما نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف، واحتج له بأن من أراد أن يعبر عن كلام معظم بحضرته لم يقل له أنت قلت كذا وإنما يقول هو يقول تأدبا معه.

الثاني: (الله) لأنه اسم لم يطلق علىٰ غيره ولأنه الأصل في الأسماء الحسنىٰ ومن ثم أضيفت إليه.

الثالث: (الله الرحمن الرحيم) ولعل مستنده ما أخرجه بن ماجه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعلمها الاسم الأعظم، فلم يفعل فصلت ودعت: «اللهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ اللهَ، وَأَدْعُوكَ الرَّحْمَنَ، وَأَدْعُوكَ الْبَرَّ الرَّحِيمَ، وَأَدْعُوكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ...» الحديث. وفيه: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا».

* قلت: وسنده ضعيف، وفي الاستدلال به نظر لا يخفىٰ[1].

الرابع: (الرحمن الرحيم الحي القيوم) لما أخرج الترمذي من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ:

(١) في «الزوائد»: في إسناده مقال، وعبدالله بن عكيم وثقه الخطيب وعده من الصحابة، ولا يصح له سماع، وأبو شيبة لم أر من جرحه ولا من وثقه، وباقي رجال الإسناد ثقات. انتهىٰ
قلت: أبو شيبة كذبه أبو حاتم، وقال البخاري في حديثه عن ابن عكيم نظر.

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾»[(١)].

الخامس: (**الحي القيوم**) أخرج ابن ماجه (٣٨٥٦) من حديث أبي أمامة الاسم الأعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه، قال القاسم الراوي عن أبي أمامة التمسته منها فعرفت أنه الحي القيوم.

وقواه الفخر الرازي واحتج بأنهما يدلان من صفات العظمة بالربوبية مالا يدل علىٰ ذلك غيرهما كدلالتهما.

السادس: (**الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم**) ورد ذلك مجموعًا في حديث أنس عند أحمد والحاكم، وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان.

السابع: (**بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام**) أخرجه أبو يعلىٰ من طريق السري بن يحيىٰ عن رجل من طي واثنىٰ عليه قال كنت أسأل الله أن يريني الاسم الأعظم فأريته مكتوبًا في الكواكب في السماء.

الثامن: (**ذو الجلال والإكرام**) أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل قال: سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يقول: (**يا ذا الجلال والإكرام**) فقال: «**قد استجيب لك فسل**» واحتج له الفخر بأنه يشمل جميع الصفات المعتبرة في الإلهية؛ لأن في (**الجلال**) إشارة إلىٰ جميع السلوب وفي (**الإكرام**) إشارة إلىٰ جميع الإضافات.

التاسع: (**الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**) أخرجه أبوداود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة، وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك.

العاشر: (**رب رب**) أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي وحسنه الترمذي، وفي نسخة صححه. وفيه نظر؛ لأنه من رواية شهر بن حوشب

بلفظ: «اسْمُ اللهِ الْأَكْبَرُ رَبِّ رَبِّ». وأخرج بن أبي الدنيا عن عائشة: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: لَبَّيْكَ عَبْدِي، سَلْ تُعْطَ» رواه مرفوعًا وموقوفًا.

الحادي عشر: (دعوة ذي النون) أخرج النسائي والحاكم عن فضالة بن عبيد رفعه: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿نم نن ىٰ ني ىٰ ير يز يم ين يى﴾ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ».

الثاني عشر: نقل الفخر الرازي عن زين العابدين أنه سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم فرأىٰ في النوم: (**هو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم**).

الثالث عشر: هو مخفي في الأسماء الحسنىٰ، ويؤيده حديث عائشة المتقدم لما دعت ببعض الأسماء وبالأسماء الحسنىٰ فقال لها: إنه لفي الأسماء التي دعوت بها.

الرابع عشر: كلمة التوحيد نقله عياض اهـ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "بعض الناس يظن أن الاسم الأعظم من أسماء الله الحسنىٰ لا يعرفه إلا من خصه الله بكرامة خارقة للعادة، وهذا ظن خطأ، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حثنا علىٰ معرفة أسمائه وصفاته، وأثنىٰ علىٰ من عرفها، وتفقه فيها، ودعاء الله بها دعاء عبادة وتعبد ودعا مسألة، ولا ريب أنّ الاسم الأعظم منها أولاها بهذا الأمر، فإنه تعالىٰ هو الجواد المطلق الذي لا منتهىٰ لجوده وكرمه، وهو يحب الجود علىٰ عباده، ومن أعظم ما جاد به عليهم تعرفه لهم بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا.

فالصواب: أنّ الأسماء الحسنىٰ كلها حسنىٰ، وكل واحد منها عظيم، ولكن الاسم الأعظم منها كل اسم مفرد، أو مقرون مع غيره، إذا دل علىٰ جميع صفاته الذاتية والفعلية، أو دل علىٰ معاني جميع الصفات مثل: الله، فإنه الاسم الجامع لمعاني الألوهية كلها، وهي جميع أوصاف الكمال، ومثل الحميد المجيد، فإن الحميد الاسم الذي دل علىٰ جميع المحامد والكمالات لله تعالىٰ، والمجيد الذي دل علىٰ أوصاف العظمة والجلال، ويقرب من ذلك الجليل الجميل الغني الكريم.

ومثل الحي القيوم، فإن الحي من له الحياة الكاملة العظيمة الجامعة لجميع معاني الذات، والقيوم الذي قام بنفسه، واستغنىٰ عن جميع خلقه، وقام بجميع الموجودات، فهو الاسم الذي تدخل فيه صفات الأفعال كلها.

ومثل اسمه العظيم الكبير الذي له جميع معاني العظمة، والكبرياء في ذاته وأسمائه وصفاته، وله جميع معاني التعظيم من خواص خلقه.

ومثل قولك: يا ذا الجلال والإكرام، فإن الجلال صفات العظمة، والكبرياء، والكمالات المتنوعة، والإكرام استحقاقه علىٰ عباده غاية الحب وغاية الذل وما أشبه ذلك.

فعلم بذلك أن الاسم الأعظم اسم جنس، وهذا هو الذي تدل عليه الأدلة الشرعية والاشتقاق، كما في السنن أنه سمع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً يقول: «اللّٰهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: والذي نفسي بيده، لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى».

وكذلك الحديث الآخر حين دعا الرجل، فقال: «اللّٰهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، ياحي! يا قيوم! فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى».

وكذلك قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾، ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢]، فمتىٰ دعا الله العبد باسم من هذه الأسماء العظيمة بحضور قلب ورقة

وانكسار، لم تكد ترد له دعوة، والله الموفق[1]" اهـ.

ذكر الأسماء التسعة والتسعين التي أرجو أن من أحصاها دخل الجنة:

تقدم القول في أن أسماء الله تعالىٰ غير محصورة بعدد معلوم لنا، وهنا نذكر إن شاء الله تعالىٰ ما أرجو أن تكون المرادة بقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

١- الله: وهو الاسم الأعظم، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع وقد ذُكر اسم الله في القرآن (٢٧٢٤) مرة، وهو من الأسماء الخاصة بالله تعالىٰ، وهو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ ومن الأدلة عليه قوله تعالىٰ لموسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤] وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢]، وفي السنة الكثير من ذلك.

وهو مُشْتَقّ من (وَله يوله) علىٰ الصحيح، وقيل غير مشتق، وقد رجح الاشتقاق ابن القيم وغيره.

وقد أحسن السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ في بيان هذا الاسم فقال: "(الله) هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية علىٰ خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية وأنه هو المألوه المستحق لمعاني الألوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده المحمود وحده المشكور وحده المعظم المقدس ذو الجلال والإكرام.

واسم (الله) هو الجامع لجميع الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ، والله أعلم، فإذا تدبر اسم الله عرف أن الله تعالىٰ له جميع معاني الألوهية، وهي كمال الصفات

(١) فسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ١٦٥: ١٦٧).

والإنفراد بها، وعدم الشريك في الأفعال لأن المألوه إنما يؤله لما قام به من صفات الكمال فيحب ويخضع له لأجلها، والباري جَلَّجَلَالُهُ لا يفوته من صفات الكمال شيء بوجه من الوجوه، أو يؤله أو يعبد لأجل نفعه وتوليه ونصره فيجلب النفع لمن عبده فيدفع عنه الضرر، ومن المعلوم أنَّ الله تعالىٰ هو المالك لذلك كله، وأنَّ أحداً من الخلق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعـًا، ولا ضراً، ولا موتـًا، ولا حياة، ولا نشورا، فإذا تقرر عنده أنَّ الله وحده المألوه أوجب له أن يعلق بربه حبه وخوفه ورجاءه، وأناب إليه في كل أموره، وقطع الإلتفات إلىٰ غيره من المخلوقين ممن ليس له من نفسه كمال، ولا له فعال، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (١/ ٥٦): "فَاسْمُ اللهِ: دَالٌّ عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا، بِالدِّلَالَاتِ الثَّلَاثِ، فَإِنَّهُ دَالٌّ عَلَىٰ إِلَهِيَّتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِثُبُوتِ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ لَهُ مَعَ نَفْيِ أَضْدَادِهَا عَنْهُ.

وَصِفَاتُ الْإِلَهِيَّةِ: هِيَ صِفَاتُ الْكَمَالِ، الْمُنَزَّهَةُ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالْمِثَالِ، وَعَنِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، وَلِهَذَا يُضِيفُ الله تَعَالَىٰ سَائِرَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ إِلَىٰ هَذَا الِاسْمِ الْعَظِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وَيُقَالُ: (الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ، وَالْقُدُّوسُ، وَالسَّلَامُ، وَالْعَزِيزُ، وَالْحَكِيمُ) مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَلَا يُقَالُ: الله مِنْ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ، وَلَا مِنْ أَسْمَاءِ الْعَزِيزِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَعُلِمَ أَنَّ اسْمَهُ الله مُسْتَلْزِمٌ لِجَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، دَالٌّ عَلَيْهَا بِالْإِجْمَالِ، وَالْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ تَفْصِيلٌ وَتَبْيِينٌ لِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي اشْتُقَّ مِنْهَا اسْمُ اللهِ.

وَاسْمُ اللهِ: دَالٌّ عَلَىٰ كَوْنِهِ مَأْلُوهًا مَعْبُودًا، تُؤَلِّهُهُ الْخَلَائِقُ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَخُضُوعًا، وَفَزَعًا إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ وَالنَّوَائِبِ، وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ، الْمُتَضَمِّنَيْنِ لِكَمَالِ الْمُلْكِ وَالْحَمْدِ، وَإِلَهِيَّتُهُ وَرُبُوبِيَّتُهُ وَرَحْمَانِيَّتُهُ وَمُلْكُهُ مُسْتَلْزِمٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ كَمَالِهِ، إِذْ يَسْتَحِيلُ ثُبُوتُ ذَلِكَ لِمَنْ لَيْسَ بِحَيٍّ، وَلَا سَمِيعٍ، وَلَا بَصِيرٍ،

وَلَا قَادِرٍ، وَلَا مُتَكَلِّمٍ، وَلَا فَعَّالٍ لِمَا يُرِيدُ، وَلَا حَكِيمٍ فِي أَفْعَالِهِ.

وَصِفَاتُ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ: أَخَصُّ بِاسْمِ اللهِ.

وَصِفَاتُ الْفِعْلِ وَالْقُدْرَةِ، وَالتَّفَرُّدِ بِالضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَنُفُوذِ الْمَشِيئَةِ وَكَمَالِ الْقُوَّةِ، وَتَدْبِيرِ أَمْرِ الْخَلِيقَةِ: أَخَصُّ بِاسْمِ الرَّبِّ.

وَصِفَاتُ الْإِحْسَانِ، وَالْجُودِ وَالْبِرِّ، وَالْحَنَانِ وَالْمِنَّةِ، وَالرَّأْفَةِ وَاللُّطْفِ: أَخَصُّ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ. اهـ

٢- الأحد: ذكر في موطن واحد من القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. وفي البخاري (٤٩٧٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُئًا أَحَدٌ».

وقد ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الأحد بمعنىٰ الواحد.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الواحد الأحد هو الذي توحّد بجميع الكمالات، وتفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال، وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته" اهـ.

وفرق بعضهم، قال الزجاج: الْوَاحِد يُفِيد وحدة الذَّات فَقَط والأحد يفِيدهُ بِالذَّاتِ والمعاني، وعَلى هَذَا جَاءَ فِي التَّنْزِيل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]. أَرَادَ الْمُنْفَرد بوحدانيته فِي ذَاته، وَصِفَاته تَعَالَىٰ الله علوا كَبِيرا.

٣- الأعلى: في موطنين من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلىٰ: ١]. وقال ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ [الليل:٢٠].

فهو (الأعلىٰ): علىٰ جميع خلقه ذاتًا، وصفاتًا، وأفعالًا، وهذه مسألة مهمة خالف فيها أهل البدع، وزعموا أن الله ليس علىٰ عرشه محرفين لقوله تعالىٰ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩]، والاستواء في هذا لموطن معناه: العلو والارتفاع، والظهور والاستقرار، قال ابن القيم في النونية:

فَلَهُـمْ عِبَـارَاتٌ عَلَيْهَـا أَرْبَـعٌ ... قَـدْ حُصِّـلَتْ لِلْفَـارِسِ الطَّعَّـانِ
وَهِـيَ اسْـتَقَرَّ وَقَـدْ عَـلا وَكَـذلِكَ ارْ ... تَفَـعَ الَّـذِي مَـا فِيـهِ مِـن نُكْـرَانِ
وَكَـذَاكَ قَـدْ صَـعِدَ الَّـذِي هُـوَ رَابِـعٌ ... وَأَبُـو عُبَيْـدَةَ صَـاحِبُ الشَّـيبَانِي
يَخْتَـارُ هَـذَا القَـوْلَ فِـي تَفْسِـيرِهِ ... أَدْرَىٰ مِـنَ الْجَهْمِـيِّ بِـالْقُرآنِ

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وذلك دال علىٰ أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه، فله علو الذات، وهو أنه مستو علىٰ عرشه، فوق جميع خلقه، مباين لهم، وهو مع هذا مطلع علىٰ أحوالهم، مشاهد لهم، مدبر لأمورهم الظاهرة والباطنة متكلم بأحكامه القدرية، وتدبيراته الكونية، وبأحكامه الشرعية.

وأما علو القدر فهو علو صفاته، وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾ [طه:١١٠].

وبذلك يعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته، وله علو القهر فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته، وعلوه الخلق كلّهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن، فلو اجتمع الخلق علىٰ إيجاد ما لم يشاه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا علىٰ منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه.

فهو الذي علىٰ العرش استوىٰ وعلىٰ الملك احتوىٰ[1] اهـ.

وسيأتي مزيد كلام عند قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾ [الشورىٰ:٤].

٤- الأكرم: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق:٣].

وهو صيغة مبالغة في الكرم، وهو كثرة الجود، والإحسان هنا، وربما دل علىٰ كثرة الصفات.

قال الكلبي: هو (الحليم) عن جهل العباد، لا يعجل عليهم العقوبة، وسيأتي مزيد بيان في كلامنا علىٰ اسم الله(الكريم) إن شاء الله تعالىٰ.

٥- الإله: قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [طه:٩٨].

(الإله): هو المعبود محبة وتعظيما، تألهه القلوب، أي تحبه وتعظمه وتتقرب إليه، منه اشتق اسم الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدارج (٣/ ٣٣٧): "وَاسْمُ (اللهِ) سُبْحَانَهُ، (وَالرَّبِّ، وَالْإِلَهِ) اسْمٌ لِذَاتٍ لَهَا جَمِيعُ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتِ الْجَلَالِ، كَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْحَيَاةِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْكَلَامِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْبَقَاءِ، وَالْقِدَمِ، وَسَائِرِ الْكَمَالِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ الله لِذَاتِهِ، فَصِفَاتُهُ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّىٰ اسْمِهِ" اهـ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "و(الإله) هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنىٰ، ولهذا كان القول الصحيح إن الله أصله الإله وأن اسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، والله أعلم" اهـ.

الأول، الآخر، الظاهر، الباطن:

---

(١) ن تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ١٦٨).

في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد:٣]، ومن السنة قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»(١).

٦- **الأول**: يدل علىٰ أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالىٰ.

٧- **الآخر**: يدل علىٰ أنه هو الغاية، والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتأهلها، ورغبتها، ورهبتها، وجميع مطالبها.

٨- **الظاهر**: يدل علىٰ عظمة صفاته، واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات وعلىٰ علوه.

٩- **الباطن**: يدل علىٰ اطلاعه علىٰ السرائر، والضمائر، والخبايا، والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل علىٰ كمال قربه ودنوه، ولا يتنافىٰ الظاهر، والباطن؛ لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت فهو العلي في دنوه القريب في علوه.

وهذه الأسماء الأربعة المقترنة دلت علىٰ الإحاطة الزمانية، والمكانية.

(الأول، والآخر): دلت علىٰ الإحاطة الزمانية.

(الظاهر، والباطن): دلت علىٰ الإحاطة المكانية.

وقد فسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأسماء بقوله: «الأول ليس قَبْلَه شيءٌ، والآخِرُ ليس بَعْدَه شيءٌ، والظَّاهِرُ ليس فَوْقَه شيءٌ، والباطِنُ ليس دونَه شيءٌ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ١٦٩): "ففسر كل اسم بكل معناه، ونفى عنه كل ما يضاده وينافيه فمهما قدر المقدرون وفرض الفارضون من الأوقات السابقة المتسلسلة إلىٰ غير نهاية فالله قبل ذلك، وكل وقت لاحق مهما قدر وفرض الله بعد ذلك.

ولهذا لا يستحق اسم واجب الوجود إلا هو، فمن خصائصه أنه لا يكون إلا موجودًا كاملًا فلا يشاركه في وجوب الوجود أحد، فوجوب وجوده بنعوته الكاملة في جميع الأوقات، وهو الذي أوجد الأوقات، وجميع الموجودات، وكلها مستندة في وجودها وبقائها إلىٰ الله.

١٠- البارئ: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر:٢٤].

(البارئ): الذاري أي: الذي برئ المخلوقات، وأوجدها من العدم قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [سورة البينة:٦-٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأَقِــرَّ أَنَّ اللهَ جــل جلالـه ... هُـوَ وَحـدَهُ البَـادِي لِـذِي الأكـوَانِ

وقال في شفاء العليل (ص: ١٣١): "وأما (البارئ) فلا يصح إطلاقه إلا عليه سبحانه، فإنه الذي برأ الخليقة، وأوجدها بعد عدمها، والعبد لا تتعلق قدرته بذلك، إذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالىٰ وبراه، وتغييرها من حال إلىٰ حال علىٰ وجه مخصوص لا تتعداه قدرته" اهـ.

١١- **البر**: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور:٢٨].

والله تعالىٰ بر بخلقه، بمعنىٰ: أنه يحسن إليهم ويصلح حالهم. أفاده الزجاج

(**البر**): بفتح الباء وتشديد الراء.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو اللطيف الصادق فيما وعد.

وقال الضحاك: و(**البر**) هو اللطيف بعباده، المتولي لهم، الموصل إليهم جميع أنواع البر ووصفه البر وآثار هذا الوصف جميع النعم الظاهرة، والباطنة، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبره طرفة عين.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أسمائه تعالىٰ: (**البر، الوهاب، الكريم**) الذي شمل الكائنات بأسرها ببره، وهباته، وكرمه، فهو مولىٰ الجميل، ودائم الإحسان، وواسع المواهب، وصفه البر وآثار هذا الوصف جميع النعم الظاهرة، والباطنة، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبره طرفة عين، وتدل هذه الأسماء علىٰ سعة رحمته، ومواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته.

وإحسانه عام وخاص:

فالعام المذكور في قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ و ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

وهذا يشترك فيه البر، والفاجر، وأهل السماء، وأهل الأرض، والمكلفون، وغيرهم.

والخاص: رحمته ونعمه علىٰ المتقين

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والبَــرُّ فِــي أَوْصَــافِهِ سُــبْحَانَهُ ... هُــوَ كَثْــرةُ الخَيْــرَاتِ والإِحْسَــان
صَـدَرَتْ عَـنْ البِـرِّ الـذي هُـوَ وَصْـفُهُ ... فَــالبِرُّ حِينَئِــذٍ لَــهُ نَوعَــان

وَصْـــفٌ وفِعْـــلُ فَهُـــوَ بَـــرٌّ مُحْسِـــنٌ ... مُـــوْلِي الجَميـــلِ ودَائِـــمُ الإِحْسَـــانِ

١٢- البصير: في أربعة مواطن، صدر بالألف واللام، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٢٠﴾ [غافر:٢٠].

ومن السنة حديث أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا». ثُمَّ أَتَىٰ عَلَيَّ، وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ»، أَوْ قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

الذي يبصر بعينين ويرىٰ وينظر بهما علىٰ ما يليق بجلاله لا يخفىٰ عليه شيء من المبصرات.

قال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: "البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتىٰ أخفىٰ ما يكون فيها فيرىٰ دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرىٰ سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات علىٰ اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها، ويرىٰ نياط عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك، فسبحان من تحيّرت العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبره بالغيب، والشهادة والحاضر،

---

(١) خرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

والغائب، ويرىٰ خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾ [الشعراء:٢١٨-٢٢٠]، وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾.

وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [المجادلة:٦]، أي: مطلع، ومحيط علمه، وبصره، وسمعه بجميع الكائنات" اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهُوَ البَصِيرُ يَرىٰ دَبيبَ النَّمْلَةِ الـسْـ ... ـوداءِ تَحتَ الصَّخْرِ والصَّوان
ويَرَىٰ مَجارِي القُوتِ في أعضَائِهَا ... ويَرَىٰ بَيَاضَ عُروقِهَا بِعيان
ويَرَىٰ خيانَاتِ العُيُونِ بِلَحظِهَا ... ويَرَىٰ كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأجفَان

١٣- التواب: في ستة مواطن صدرة بالألف واللام مقترن باسم الرحيم في كلها، قال تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة:٣٧]، وقال تعالىٰ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ [الحجرات:١٢]، في موطن واحد، وعند أبي داود (١٥١٦) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، وقال الله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر:٣].

(التَّوَّابُ): الذي يقبل التوبة من عباده، فيتوب علىٰ عباده أي: يوفقهم للتوبة ثم يتقبل منهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التواب الذي لم يزل يتوب علىٰ التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين فكل من تاب إلىٰ الله توبة نصوحًا تاب الله عليه.

وتوبته علىٰ عبده نوعان:

أحدهما: أنه يوقع في قلب عبده التوبة إليه، والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها

من الإقلاع عن المعاصي، والندم علىٰ فعلها، والعزم علىٰ أن لا يعود إليها، واستبدالها بعمل صالح.

والثاني: توبته علىٰ عبده بقبولها، وإجابتها، ومحو الذنوب بها فإن التوبة النصوح تجب ما قبلها".

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

كَــذَلِكَ التـــواب مـــن أَوْصَـــافه ... والتـــوب فِـــي أَوْصَـــافه نَوْعَـــانِ
إِذن بتوبـــــة عَبــــده وقبولهـــا ... بعـــد المتـــاب بمنـــة المنـــان

١٤- الجبار: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

(الجبار): أي صاحب الجبروت والعظمة وله غير ذلك من المعاني.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"وله ثلاثة معان كلها داخلة باسمه الجبار:

فهو الذي يجير الضعيف، وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير ويغني الفقير ويُيّسر علىٰ المعسر كل عسير، ويجبر المصاب بتوفيقه للثبات، والصبر، ويعيضه علىٰ مصابه أعظم الأجر إذا قام بواجبها، ويجبر جبراً خاصًا قلوب الخاضعين لعظمته وجلاله، وقلوب المحبين بما يفيض عليها من أنواع كراماته، وأصناف المعارف والأحوال الإيمانية، فقلوب المنكسرين لأجله جبرها دان قريب وإذا دعا الداعي فقال: (اللهم أجبرني)، فإنه يريد هذا الجبر الذي حقيقته إصلاح العبد، ودفع جميع المكاره عنه.

والمعنىٰ الثاني: أنه القهار لكل شيء، الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء.

والمعنىٰ الثالث: أنه العلي علىٰ كل شيء، فصار الجبار متضمنًا لمعنىٰ الرؤوف القهار العلي، وقد يراد به معنىٰ رابع وهو المتكبر عن كل سوء، ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له كفؤ أو ضد أو سمي أو شريك في خصائصه، وحقوقه" اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كَـذلِكَ الجَبَّـارُ مِـنْ أَوْصَـافِهِ ... والجَبْـرُ فِـي أَوْصَـافِهِ قِسْـمَانِ
جَبْـرُ الضَّـعِيفِ وَكُـلُّ قَلْـبٍ قَـدْ غَـدَا ... ذَا كَسْـرَةٍ فَـالجَبْرُ مِنْـهُ دَانِ
الثَّـانِي جَبْـرُ الْقَهْـرِ بِـالعِزِّ الـذي ... لَا يَنْبَغِـي لِسِـوَاهُ مِـنْ إِنْسـانِ
ولَـهُ مُسَـمًّى ثالـثٌ وهُـوَ العُلُـوْ ... فَلَـيْسَ يَـدْنُو مِنْـهُ مِـن إِنْسَـانِ
مِـنْ قَـوْلِهِمْ جَبَّـارَةٌ لِلنَّخلِـةِ الـ ... ـعُلْيَا التـي فاتَـتْ لِكُـلِّ بَنَـانِ

١٥- **الجميل**: في صحيح مسلم(٩١) عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ» (**الجميل**) أي: ذو الجمال وهو الجميلُ ذاتًا، وصفاتًا، وأفعالًا.

وجاء عند أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(**الجميل**): من له نعوت الحسن والإحسان، فإنه جميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يمكن مخلوقًا أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتىٰ أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذات، والسرور، والأفراح التي لا يقدر قدرها إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشىٰ ما هم فيه من الأفراح، وودّوا أن لو تدوم هذه الحال، ليكتسبوا من جماله، ونوره جمالًا إلىٰ جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلىٰ رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحًا تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو جميل في أسمائه، فإنها كلها حسنىٰ بل أحسن الأسماء علىٰ الإطلاق وأجملها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥]، فكلها دالة علىٰ غاية الحمد، والمجد، والكمال، لا يسمىٰ باسم منقسم إلىٰ كمال وغيره.

وكذلك هو الجميل في أوصافه، فإن أوصافه كلها أوصاف كمال، ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات، وأعمّها، وأكثرها تعلقًا، خصوصًا أوصاف الرحمة، والبر، والكرم، والجود.

وكذلك أفعاله كلها جميله، فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها، ويثني عليه ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث ولا سفه، ولا سدىٰ ولا ظلم، كلها خير وهدىٰ، ورحمة، ورشد، وعدل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٦]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في روضة المحبين (ص: ٤١٩): "ومن أسمائه الحسنىٰ الجميل ومن أحق بالجمال ممن كل جمال في الوجود فهو من آثار صنعه فله جمال الذات وجمال الأوصاف وجمال الأفعال وجمال الأسماء فأسماؤه كلها حسنىٰ وصفاته كلها كمال وأفعاله كلها جميلة فلا يستطيع بشر النظر إلىٰ جلاله وجماله في هذه الدار، فإذا رأوه سبحانه في جنات عدن أنستهم رؤيته ما هم فيه من النعيم فلا يلتفتون حينئذ إلىٰ شيء غيره، ولولا حجاب النور علىٰ وجهه لأحرقت سبحات وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه كما في صحيح البخاري من حديث أبو موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قام فينا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس كلمات فقال: **(إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه)**".

١٦- الحافظ: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾ [يوسف: ٦٤] (الحافظ) أي: الحافظ لعباده المؤمنين فيحفظ حركاتهم وسكناتهم ويحفظ أعمالهم ويحفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم، فلا يغيب عنه شيء، وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله في الحفيظ.

١٧- الحسيب: كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ۝٦﴾ [النساء: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]. (الحسيب): الذي يحفظ عباده، ويعلم أفعالهم، وما هم إليه، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [النساء:٦].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحسيب) هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها، و(الحسيب): بمعنىٰ الرقيب المحاسب لعباده المتولي جزاءهم بالعدل، وبالفضل، وبمعنىٰ الكافي عبده همومه، وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق:٣]. أي: كافيه أمور دينه ودنياه، و(الحسيب) أيضًا: هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير، وشر، ويحاسبهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

١٨- الحفيظ: كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ۝٥٧﴾ [هود: ٥٧].

(الحفيظ): هو الحافظ، وإن كان المعنىٰ متقاربًا لكن لصيغة المبالغة أثر في المعاني كالحافظ علىٰ وزن فاعل والحفيظ علىٰ وزن فعيل فهو حافظٌ وحفيظٌ حافظٌ لعباده وحفيظٌ لأعمالهم، قال تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾ [يوسف:٦٤]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ۝٥٧﴾ [هود:٥٧]. أي: لا يعزب عنه شيء، كل شيء محفوظٌ عنده.

وَهُوَ الحَفِيظُ عَلَيهِمُ وَهُوَ الكَفِيـ ـلُ بِحِفظِهِمْ مِنْ كُلِّ أمرٍ عَانِ

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "والحفيظ له معنيان:

أحدهما: أنه قد حفظ علىٰ عباده ما عملوه من خير، وشر، وطاعة، ومعصية.

والمعني الثاني: أنه تعالىٰ الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون وحفظه لخلقه نوعان عام وخاص: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلىٰ هدايته، وإلىٰ مصالحها بإرشاده.

والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوىٰ ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه، والفتن، والشهوات فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم"[1] اهـ.

١٩- **الحق**: في عشرة مواطن من القرآن، فمنها قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور:٢٥].

وفي البخاري(١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». و(**الحق**) هو: الواضح الثابت.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "(**الحق**): في ذاته، وصفاته، فهو واجب الوجود كامل

---

(١) من تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ١٨٣).

الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل، ولا يزال بالجلال، والجمال، والكمال، موصوفًا.

ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفًا، فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسوله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء إليه فهو حق: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج:٦٢]"[1] اهـ.

٢٠- **الحكم**: قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾ [الأنعام:١١٤]. وعَنْ شُرَيْح بن هانئ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَـمَّا وَفَدَ إِلَىٰ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَىٰ الْمَدِينَةَ فَسَمِعَهُمْ يُكَنُّونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الحَكَمِ؟» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَيَرْضَىٰ كِلا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قَالَ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُاللهِ قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قَالَ: قُلْتُ شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[2].

(**الحكم**): الذي يحكم بين العباد، وهو الحاكم، الذي يحكم بالعدل قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [غافر:٢٠].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن أسمائه (**الحكم**) العدل الذي يحكم بين عباده في الدنيا، والآخرة بعدله، وقسطه فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلىٰ أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه، و(**الحكم**) العدل الذي إليه الحكم في كل شيء فيحكم تعالىٰ بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ١٨٤).

(٢) أخرجه النسائي (٥٤٠٢).

المتنازعين، من الطرق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ويحكم فيها بأحكام القضاء، والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء، والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق علىٰ حكمه حتىٰ من قضىٰ عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة.

أقول: لا دليل علىٰ تسمية الله بالعدل مع أنه موصوف بها تعالىٰ.

٢١- الحكيم: ذكر في واحد وتسعين مرة، منها ثمانية وثلاثون مرة محلىٰ بالألف واللام، اقترن بالعزيز في تسعة وعشرين مرة، واقترن بالعليم في أربعة مواطن، وأدلته كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَاۤ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَاۤۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِیمُ ٱلۡحَكِیمُ ۝٣٢﴾ [البقرة: ٣٢].

(الحكيم) أي: ذو الحكمة وهو الحاكم بين عباده، والمحكم لمخلوقاته، قال الزجاج: فحكيم بِمَعْنىٰ مُحكم وَالله تَعَالَىٰ مُحكم للأشياء متقن لَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِیۤ أَتۡقَنَ كُلَّ شَیۡءٍ﴾، فتصريف هذا العام خلقا، وأمرًا دال علىٰ حكمته.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الحكيم هو الذي له الحكمة العليا في خلقه، وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمࣰا لِّقَوۡمࣲ یُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة:٥٠].

فلا يخلق شيئًا عبثا، ولا يشرع شيئًا سدىٰ، الذي له الحكم في الأولىٰ، والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه.

وحكمته نوعان:

أحدهما: الحكمة في خلقه فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتملًا علىٰ الحق، وكان غايته والمقصود به الحق.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالىٰ شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد، ويعبدوه، فأي حكمة أجل من هذا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكافية الشافية (ص: ٢٠٥):

وهُــوَ الحَكِـيمُ وذَاكَ مِــن أوصَـافِهِ	نَوعَــانِ أيضًــا مَــا هُمَــا عَــدَمَان
حُكــمٌ وإِحكَــامٌ فَكُــلُّ مِنهُمَــا	نَوعَــانِ أيضًــا ثَابِتَــا البُرهَــان
والحُكْــمُ شَــرعِيٌّ وَكَــونِيٌّ وَلَا	يَتلازَمَــانِ وَمَــا هُمَــا سِــيَّان
بَــل ذَاكَ يُوجَــد دون هَــذَا مُفـردا	وَالْعَكْــس أَيْضـا ثــمَّ يَجْتَمِعَـانِ
لَـن يَخْلُـو المربـوب مـن إِحْـدَاهمَا	أَو مِنْهُمَــا بــل لَــيْسَ ينتفيــان
لكنمــا الشَّــرْعِيّ مَحْبُــوب لَــهُ	أبــدا وَلــنْ يَخْلُــو مــن الأكــوان
هُــوَ أمــره الــديني جَــاءَت رسـله	بقيامــه فِــي سَــائِر الْأَزْمَــان
لكنمــا الكــوني فَهُــوَ قَضَــاؤُهُ	فِــي خلقــه بِالْعَــدْلِ وَالْإِحْسَــان

٢٢- **الحليم**: في أحد عشر موطنًا، ولم يحل بالألف واللام في شيء منها، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥﴾ [البقرة: ٢٢٥]، و(**الحليم**) هو: الذي لا يعاجل بالعقوبة، قال الزجاج: وَلَيْسَ قَول من قَالَ إِن (**الحليم**): هُوَ من لَا يُعَاقب بصواب أما سمع قَول الشَّاعِر الفصيح وَأَظنهُ كثيرا:

حَلِيمًـا إِذا مَـا نَـالَ عَاقـب مُجمـلا ... أَشـد الْعقَـاب أَو عَفَـا لَـمْ يُثَـرِّبِ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(**الحليم**): الذي له الحلم الكامل، والذي وسع حلمه

أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلًا، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولا

يهملهم إذا أصروا، واستمروا في طغيانهم، ولم ينيبوا.

و(الحليم): الذي يدر علىٰ خلقه النعم الظاهرة، والباطنة مع معاصيهم، وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا"[1] اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هُوَ الحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ   بِعُقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِنْ عِصيان

٢٣- الحميد: ورد في القرآن محلىٰ بالألف واللام في عشرة مواطن، وذكر مجردًا عنها في سبعة مواطن، قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١].

(الحميد): ذو المحامد سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ له حمدٌ من ذاته وله حمدٌ من صفاته وله حمدٌ في أفعاله فهو محمودٌ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في جميع شأنه علىٰ عدله وفضله، وجميل ذاته وفعله.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(الحميد) في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها، وأحسنها، فإن أفعاله تعالىٰ دائرة بين الفضل، والعدل.

فالحمد كثرة الصفات والخيرات، فهو (الحميد) لكثرة صفاته الحميدة.

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ١٨٩).

وهو سبحانه حميد من وجهين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده.

الثاني: أنه يحمد على ماله من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا" اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهُوَ الحَميدُ فكُلُّ حَمدٍ وَاقِعٍ ... أو كانَ مَفروضًا مَدَى الأزمَانِ
مَلأَ الوجُودَ جَميعَهُ ونَظيرَهُ ... مِن غيرِ مَا عَدٍّ ولا حُسْبَانِ
هُوَ أهْلُهُ سُبْحَانَهُ وبِحَمْدِهِ ... كُلُّ المحَامِدِ وَصْفُ ذي الإحسَانِ

٢٤- الحي: ورد في القرآن في أربعة مواطن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨].

وفي صحيح مسلم (٢٧١٧): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»(١).

(الْحَيُّ): المتصف بصفة الحياة الأزلية الأبدية التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء والحي هو كامل الحياة، وذلك يتضمن إثبات جميع الصفات الذاتية كما أن القيوم دل على جميع الصفات الفعلية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدارج (١/ ٤١٩): "وَاسْمُهُ (الْحَيُّ) يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مُعَطَّلًا مِنَ الْفِعْلِ، بَلْ حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ الْفِعْلُ، فَكُلُّ حَيٍّ فَعَّالٌ" اهـ.

٢٥- الخالق: في موطن واحد معرفًا بالألف واللام، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ

---

(١) وأخرجه البخاري (٧٣٨٣). وليس فيه الشاهد.

ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

(الخَالِقُ): هو المقدر الموجد من العدم.

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصل الْخلق فِي الْكَلَام التَّقْدِير يُقَال: خلقت الشَّيْء خلقا إِذا قدرته، وَقَالَ زُهَيْر يمدح رجلاً:

ولأنت تفري مَا خلقت ... وَبَعض الْقَوْم يخلق ثمَّ لَا يفري

يَقُول: أَنْت إِذا قدرت أمرك قطعته أَي: تتمّ علىٰ عزمك فِيهِ، وتمضيه، وَلست مِمَّن يشرع فِي الْأَمر، ثمَّ يَبْدُو لَهُ فيتركه.

وَقَالَ الْحجَّاج: وَإِنَّمَا احتججنا بِكَلَامِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بَقِيَّة الفصاحة إِنِّي لَا أخلق إِلَّا فريت تمدح بِهَذَا الْمَعْنىٰ الَّذِي ذَكرْنَاهُ.

وَقَالَ الله تَعَالَىٰ ذكره: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أَي: تقدرونه، وتهيئونه، وَمِنْه قَوْلهم حَدِيث مختلق يُرَاد أَنه قدر تَقْدِير الصدْق وَهُوَ كذب.

فـ(الخلق) فِي اسْم الله تَعَالَىٰ هُوَ ابْتِدَاء تَقْدِير النشء فَالله تَعَالَىٰ خَالِقهَا ومنشئها وَهُوَ متممها ومدبرها ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾، وأما معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٤]، أي: المقدرين وخلق غيره، وتقديره عائد إلىٰ خلق عَزَّوَجَلَّ وتقديره.

٢٦- الخبير: ذكر محلىٰ باللام في ستة مواطن، وفي تسعة وثلاثين موطنًا بدونها، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨]، معنىٰ (الخبير) العالم.

إذا قرن بالعلم فالمراد بـ(الخبير) المطلع علىٰ البواطن، وبـ(العليم) المطلع علىٰ الظواهر.

وإذا أفرد، فالمراد بـ(الخبير): العليم بكل شيء ظاهرها، وباطنها.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤]، وهذا علىٰ التهديد والوعد والوعيد وعدٌ للمؤمنين من أنه علم بأفعالهم، ويجازيهم عليه، وفيه وعيد علىٰ المجرمين من أنه لا تخفىٰ عليه خافية.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ١٩٤): (**الخبير، العليم**): هو الذي أحاط علمه بالظواهر، والبواطن، والإسرار، والإعلان، والواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء اهـ.

٢٧- **الخلاق**: في موطنين من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]. وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس:٨١].

(**الخَلَّاقُ**): صيغة مبالغة من الخلق، فهو الخالق الذي يكثر الخلق فسمي بالخلاق، فقد خلق العباد وأفعالهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

ومن عقيدة أهل السنة أن الله خالق الخير والشر خلقها، وأوجدها لحكمة فهو يحب الخير ويأمر به، ويبغض الشر وينهىٰ عنه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أَتَـرَىٰ أَبَـا جَهْـلٍ وشِـيْعَته رَؤوه … مِـنْ خَـالقٍ ثَـانٍ لِـذي الأَكْـوَانِ
أَمْ كُلُّهُـم جَمِعًـا أقَـرُّوا أَنَّـه … هُـوَ وَحْـدَه الخَـلاقُ للإِنْسَـانِ

وقال أيضًا:

هُمْ شَبَّهُوا المَخْلُوقَ بِالخَلَّاقِ عَكْـ … ـسِ مُشَبِهِ الخَـلَّاقَ بِالإنْسَـانِ

٢٨- الخير: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

(الْخَيْرُ): ذو الخير، وخيره تعالىٰ في قوله، وفعله وفي كل ما يصدر عنه، وما من شيء في هذا العالم من خير وشر، فهو بالنسبة إلىٰ الله تعالىٰ خير، إذ أنه أوجده وخلقه لحكمة علمها، وأرادها، وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يحب الخير، وأهله.

قال ابن القيم في شفاء العليل (ص: ١٣٦): "فإن فعله سبحانه كله خير وتعالىٰ أن يفعل شرا بوجه من الوجوه فالشر ليس إليه والخير هو الذي إليه ولا يفعل إلا خيرا ولا يريد إلا خيرا ولو شاء لفعل غير ذلك ولكنه تعالىٰ تنزه عن فعل مالا ينبغي وإرادته ومشيئته كما هو منزه عن الوصف به والتسمية به". اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص: ١٦٩): "وأما السيئة فهو سبحانه إنما قدرها وقضاها لحكمته وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه فإن الرب سبحانه لا يفعل سوأ قط كما لا يوصف به ولا يسمىٰ باسمه بل فعله كله حسن وخير وحكمة كما قال تعالىٰ بيده الخير، وقال أعرف الخلق به: (**والشر ليس إليك**)، فهو لا يخلق شرا محضًا من كل وجه؛ بل كل ما خلقه ففي خلقه مصلحة، وحكمة، وإن كان في بعضه شر جزئي إضافي، وأما الشر الكلي المطلق من كل وجه فهو تعالىٰ منزه عنه، وليس إليه" اهـ.

٢٩- الرءوف: في عشرة مواطن من القرآن ولم يحلَّ بالألف واللام في شيء منها، قال تعالىٰ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾.

(الرءوف): من الرأفة والرحمة.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور:٢٠]. يرأف بعباده فييسر لهم سبل الهداية ويجنبهم طرق الغواية.

وقد ذكر الطبري في تفسيره: أن الرأفة أعلىٰ معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة، وأما(الرحيم) فهو ذو الحرمة للمؤمنين في

الدنيا والآخرة اهـ.

قال ابن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"(الرءوف) أي: شديد الرأفة بعباده، فمن رأفته، ورحمته بهم أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها" اهـ.

٣٠- الرحمن: ذكر اسم (الرحمن) في سبعة وخمسين موطنًا بدون مواطن البسملة، وهي مئة وثلاثة عشر موطنا، وجاء اسم الرحيم مئة وخمسة عشر مرة منها ثلاثة وثلاثين مرة محلىٰ بالألف واللام، وهذا بغير موطن البسملة وهي مئة وثلاثة عشر موطنًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النمل: ٣٠].

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥].

٣١- الرحيم: قال تعالىٰ: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]، ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

و(الرَّحْمَنُ، و الرَّحِيمُ): أسمان دالان علىٰ صفة الرحمة لله عَزَّوَجَلَّ.

و(الرَّحْمَنُ): أبلغ من (الرَّحِيمِ)، وهو اسم مختص بالله عَزَّوَجَلَّ، ورحمته عامة وخاصة.

وفي مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٦٠): "لِأَنَّ وُرُودَ الرَّحْمَنِ فِي أَسْمَائِهِ أَكْثَرُ مِنْ وُرُودِ الرَّحِيمِ: وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [مريم: ٤٥]، ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [النبأ: ٣٧]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢﴾ [الرحمن: ١-٢].

وَإِنَّمَا جَاءَ (الرَّحِيمُ) مُقَيَّدًا كقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وَقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ [التوبة:١١٧].

وَمَقْرُونًا بِاسْمِ الرَّحْمَنِ كَمَا فِي الْفَاتِحَةِ، أَوْ بِاسْمٍ آخَرَ، نَحْوِ: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وَأَيْضًا فَـ(الرَّحْمَنُ) جَاءَ عَلَىٰ بِنَاءِ فَعْلَانَ الدَّالِّ عَلَى الصِّفَةِ الثَّابِتَةِ اللَّازِمَةِ الْكَامِلَةِ، كَمَا يُشْعِرُ بِهِ هَذَا الْبِنَاءُ نَحْوَ غَضْبَانَ، وَنَدْمَانَ، وَحَيْرَانَ، فَـ(الرَّحْمَنُ) مِنْ صِفَتِهِ الرَّحْمَةُ، وَ(الرَّحِيمُ) مَنْ يَرْحَمُ بِالْفِعْلِ". اهـ.

٣٢- الرب: قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة:٢].

وفي صحيح مسلم (٤٧٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

و(الرَّبُ): هو المربي لجميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، ويجوز أن يطلق علىٰ غير الله عَزَّوَجَلَّ كرب الدار، ورب البيت لكن بشرط التجرد عن الألف واللام، أما الرب بالألف واللام فلا يطلق إلا علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وله معنيان:

الأول: **المعنىٰ العام**: وهو الدال علىٰ تفرد الله عَزَّوَجَلَّ بالخلق والملك والتدبير.

الثاني: **المعنىٰ الخاص**: وهو الدال علىٰ الحفظ، والكلاءة، والنصر، والتمكين، ولذلك كان أغلب دعاء الأنبياء به، كما هو معلوم، والله المستعان.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في بدائع الفوائد (٤/ ١٣٢): و(الرَّبُ) هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح، والله تعالىٰ هو (الرَّبُ) بهذه الاعتبارات كلها، فلا شيء أوجب في العقول، والفطر من عبادة من هذا شأنه وحده لا شريك له اهـ.

وهذا الاسم لا يوجد في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي أخرجه الترمذي في سرد الأسماء الحسنىٰ من رواية الوليد بن مسلم، مما يدل علىٰ أن هذه الرواية لم

تثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "و(الرَّبُ) هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم، وبهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

وهو الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يؤله لأجلها، وهي صفات الكمال كلها، والمحامد كلها له والفضل كله، والإحسان كله، وأنه لا يشارك الله أحد في معنىٰ من معاني الربوبية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ لا بشر ولا ملك، بل هم جميعـًا عبيد مربوبون لربهم بكل أنواع الربوبية مقهورون خاضعون لجلاله وعظمته، فلا ينبغي أن يكون أحد منهم نداً، ولا شريكـًا لله في عبادته وألوهيته، فربوبيته سبحانه يربي الجميع من ملائكة، وأنبياء، وغيرهم خلقـًا، ورزقـًا، وتدبيراً، وإحياءً، وإماتةً.

وهم يشكرونه علىٰ ذلك بإخلاص العبادة كلها له وحده، فيؤلهونه ولا يتخذون من دونه وليـًا ولا شفيعـًا، فالإلهية حق له سبحانه علىٰ عباده بصفة ربوبيته"(١) اهـ.

٣٣- الرزاق: في موطن واحد من القرآن.

٣٤- الرازق: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة:٢١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة:١١]، في خمسة مواطن من القرآن.

(الرَّزْاقُ، والرَّازِقُ) أي: المعطي، لأن الرزق هو العطاء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وَكَــذَلِكَ الــرَّزَّاق مــن أســمائه   والــرزق مــن أفعالــه نَوْعَــانِ

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ١٩٩).

رزق علــىٰ يَــد عَبــده وَرَسُــوله ... نَوْعَــانِ أَيْضــا ذان معروفــان
رزق الْقُلُــوب الْعلــم والإيمــان ... والــرزق الْمُعَــدُّ لِهَــذِهِ الأبــدان
هَــذَا هُــوَ الــرزق الْحَــلَال وربنــا ... رزاقــه وَالْفضــل للمنَــان
وَالثَّــانِي سَــوْقُ الْقُــوت للأعضــاء فِــي ... تِلْــكَ المجــاري ســوقه بــوِزَان
ذَا يكــون مــن الْحَــلَال كَمَــا يكــون ... مــن الْحَــرَام كِلَاهُمَــا رزقــان
وَالله رازقــه بِهَــذَا الاعتبــار ... وَلَــيْسَ بــالإطلاق دون بَيَــان

(الرَّازِقُ): الرزق العطاء، فهو الذي يرزق عباده، ويعطيهم، فيرزق مؤمنهم، وكافرهم، وبرهم، وفاجرهم.

والرزق رزقان:

١- رزق حسي: وهو ما يقتتاه الناس، ويتمولون من الألبسة، والمسكن والأطعمة، والأشربة، وهذا عام في حق المؤمنين، والكفار.

٢.رزق معنوي: وهو الإيمان، والإسلام، وهذا أعظم أنواع الرزق.

٣٥- الرفيق: في البخاري(٦٩٢٧) ومسلم(٢٥٩٣) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ».

(الرَّفِيْقُ): رفيق يحب الرفق، يرفق بعباده ما أمرهم إلا بما يستطيعون.

قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق:٧].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"ومن أسمائه (الرَّفِيْقُ) في أفعاله وشرعه، وهذا قد أخذ من قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا

يعطي على العنف»[1].

فالله تعالىٰ (رَفِيْقٌ) في أفعاله خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر علىٰ خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

ومن تدبر المخلوقات، وتدبر الشرائع كيف يأتي بها شيئًا بعد شيء شاهد من ذلك العجب العجيب، فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق، وسكينة، ووقار؛ إتباعًا لسنن الله في الكون، وإتباعًا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اهـ.

٣٦- الرقيب: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة: ١١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء:١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ رَّقِيبًا ٥٢﴾ [الأحزاب:٥٢]. (الرَّقِيْبُ) أي: المراقب لهم، العليم بأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم.

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٥١): "(الرَّقِيْبُ): هُوَ الْحَافِظ الَّذِي لَا يغيب عَمَّا يحفظه يُقَال: رقبت الشَّيْء أرقبه رَقبَة، وَقَالَ الله تَعَالَىٰ ذكره: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ [ق:١٨].

والمراقبة: الاستحياء، وَالْحيَاء ضرب من التحفظ أَيْضا، وَهُوَ تَعَالَىٰ الْحَافِظ الَّذِي لَا يغيب عَنهُ شَيْء".اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

هوَ الرَّقِيبُ عَلَىٰ الخَواطِرِ واللَّوَا واللوا ... حِظِ كَيفَ بالأفعَالِ بِالأَرْكَانِ

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يدل علىٰ إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليّة والخفية، وهو الرقيب علىٰ ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولىٰ الأفعال الظاهرة بالأركان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٩٢٧)، ومسلم في صحيحه (٢٥٩٣)، من حديث عائشة.

و(**الرقيب**) المطلع علىٰ ما أكنته الصدور، القائم علىٰ كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها علىٰ أحسن نظام وأكمل تدبير[1] اهـ.

٣٧- **السبوح**: في صحيح مسلم (٤٨٧) عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَالَّلهُعَنهَا نَبَّأَتْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

(**السبوح**) أي: المنزه، والمقدس عن النقص، والعيب.

٣٨- **السّلام**: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وفي صحيح مسلم (٥٩١): عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَالَّلهُعَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الْإِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ.

ومن أسمائه (القُدُّوسُ، السَّلَامُ) أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾.

فـ(**القُدُّوسِ**) كـ(**السَّلَام**)، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفىٰ ثبت الكمال كله فهو المقدس المعظم المنزه عن كل سوء، السالم من مماثلة أحد من خلقه ومن النقصان ومن كل ما ينافي كماله.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ٢٠٧).

فهذا ضابط ما ينزه عنه، ينزه عن كل نقص بوجه من الوجوه، وينزه ويعظم أن يكون له مثيل، أو شبيه، أو كفو، أو سمي، أو ند، أو مضاد، وينزه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات، وأعظمها، وأوسعها.

ومن تمام تنزيهه عن ذلك إثبات صفات الكبرياء والعظمة له، فإن التنزيه مراد لغيره ومقصود به حفظ كماله عن الظنون السيئة، كظن الجاهلية الذين يظنون به ظن السوء، ظن غير ما يليق بجلاله وإذا قال العبد مثنيًا علىٰ ربه :(سبحان الله) أو (تقدس الله)، أو (تعالىٰ الله)، ونحوها كان مثنيًا عليه بالسلامة من كل نقص وإثبات كل كمال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقُدُّوسِ ذُو التَّـ ... نْزِيْهِ بِالتَّعْظِيْمِ لِلرَّحْمَنِ
وَهُوَ السَّلَامِ عَلَىٰ الْحَقِيْقَةِ سَالِمٌ ... مِنْ كُلِّ تَمْثِيْلٍ وَمِنْ نُقْصَانِ

٣٩- السميع: في تسعة عشر موطنًا، منها خمسة عشر مقرونًا بالعليم المحلىٰ بالألف واللام، وخمسة عشر موطنًا بلفظ ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وأربعة مواطن مقرونا بالبصير، وهكذا أربعة مواطن مجرد عن الألف واللام بلفظ ﴿سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾.

قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ٢٠﴾ [غافر: ٢٠]، ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ٥٠﴾ [سبأ: ٥٠].

(السَّمِيْعُ): الذي يسمع، بسمعٍ يليق بجلاله، فلا يعزب عنه شيء من المسموعات.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكثيرًا ما يقرن الله بين (السَّمِيْعِ، البَصِيْرِ) مثل قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ١٣٤﴾ [النساء:١٣٤]، فكل من السمع، والبصر محيط

بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فـ(السَّمِيْعُ) الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات.

فكل ما في العالم العلوي، والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلف عليه الأصوات، ولا تخفىٰ عليه جميع اللغات، والقريب منها، والبعيد، والسر، والعلانية عنده سواء: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾، ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشتكي إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في جانب الحجرة، وإنه ليخفي عليَّ بعض كلامها فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ الآية".

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُـوَ السَّـمِيْعُ يَسْـمَعُ وَيَـرَىٰ كُـلَّ مَـا ... فِـيْ الْكَـوْنِ مِـنْ سَـرٍ وَمِـنْ إِعْـلَانِ
ولِكُـلِ صَـوتٍ مِنـهُ سَـمعٌ حاضـرٌ ... فالسِّـرُّ والإعـلانُ مُسْـتويان
والسـمعُ منـه واسـعُ الأصـواتِ لا ... يَخْفَـىٰ عليـه بعيـدُها والـدَّاني

٤٠- السيد: عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» أخرجه أبو داود (٤٨٠٦).

(السَّيِّدُ): هو ذو السيادة المطلقة، والخلق عبيده، ويطلق علىٰ غير الله فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أنا سيد الناس»[(١)]، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قوموا إلى سيدكم»[(٢)]

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٤).
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٤٣)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٦٨).

لكن السيادة المطلقة لا تكون إلا لله، سيد الدنيا والآخرة، وله السيادة من كل وجه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهـوَ الإلـهُ السَّـيِّدُ الصَّـمدُ الـذي ... صَـمَدَتْ إليـهِ الخلـقُ بالإذْعَـانِ

٤١- الشافي: في البخاري(٥٧٥٠) ومسلم(٢١٩١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا».

(الشَّافِي): أي المعافي من المرض، الذاهب به.

٤٢- الشاكر: في موطن واحد من القرآن قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾ [النساء: ١٤٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨].

و(الشَّاكِرُ): بمعنى الشكور، ويأتي الكلام عليه في الشكور.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر، كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور، بل هو الشكور على الحقيقة؛ فإنه يعطي العبد، ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والطاعة، فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشرة أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثنى عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقى له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله، فإذا ترك له شيئا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئا رده عليه أضعافًا مضاعفة، وهو الذى وفقه للترك، والبذل، وشكره على هذا وذاك.

ولما عقر نبيه سليمان الخيل غضبًا له إذ شغلته عن ذكره، فاراد ألا تشغله مرة أخرى، أعاضه عنها متن الريح، ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته، أعاضهم عنها أن ملكهم الدنيا وفتحها عليهم.

ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك، بأن مكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتىٰ مزقها أعداؤه شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيرًا خضرا أقر أرواحهم فيها، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلىٰ يوم البعث، فيردها عليهم أكمل ما تكون، وأجمله وأبهاه ولما بذل رسله أعراضهم فيه لأعدائهم، فنالوا منهم وسبوهم أعاضهم من ذلك بأن صلىٰ عليهم هو وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء في سمواته، وبين خلقه فأخلصهم بخالصة ذكرىٰ الدار.

ومن شكره سبحانه أنه يجازىٰ عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا، ويخفف به عنه يوم القيامة، فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان، وهو من أبغض خلقه إليه، ومن شكره أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلبًا كان قد جهده العطش حتىٰ أكل الثرىٰ، وغفر لآخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين.

فهو سبحانه يشكر العبد علىٰ إحسانه لنفسه، والمخلوق أنما يشكر من أحسن إليه، وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذىٰ أعطىٰ العبد ما يحسن به إلىٰ نفسه، وشكره علىٰ قليله بالأضعاف المضاعفة، التي لا نسبة لإحسان العبد إليها، فهو المحسن بإعطاء الإحسان وإعطاء الشكر، فمن أحق باسم الشكور منه سبحانه؟ وتأمل قوله سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء:١٤٧] كيف تجد في ضمن هذا الخطاب أن شكره تعالىٰ يأبىٰ تعذيب عباده سدىٰ بغير جرم كما يأبىٰ إضاعة سعيهم باطلا فـ(الشكور) لا يضيع أجر محسن ولا يعذب غير مسيء.

وفىٰ هذا رد لقول من زعم أنه سبحانه يكلفه مالا يطيقه ثم يعذبه علىٰ مالا يدخل تحت قدرته تعالىٰ الله عن هذا الظن الكاذب، والحسبان الباطل علوًا كبيرًا، فشكره سبحانه اقتضىٰ أن لا يعذب المؤمن الشكور، ولا يضيع عمله، وذلك من لوازم هذه

الصفة، فهو منزه عن خلاف ذلك، كما ينزه عن سائر العيوب، والنقائص التي تنافي كماله وغناه وحمده.

ومن شكره سبحانه أنه يخرج العبد من النار بأدنىٰ مثقال ذرة من خير، ولا يضيع عليه هذا القدر، ومن شكره سبحانه أن العبد من عباده يقوم له مقامًا يرضيه بين الناس، فيشكره له، وينوه بذكره، ويخبر به ملائكته، وعباده المؤمنين كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام، وأثنىٰ به عليه، ونوه بذكره بين عباده، وكذلك شكره لصاحب (يس) مقامه ودعوته إليه فلا يهلك عليه بين شكره، ومغفرته إلا هالك، فإنه سبحانه غفور شكور يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل.

ولما كان سبحانه هو (**الشَّكُوْرُ**) علىٰ الحقيقة كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها، واتصف بضدها، وهذا شأن أسمائه الحسنىٰ أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، ولهذا يبغض الكفور الظالم، والجاهل، والقاسي القلب، والبخيل والجبان، والمهين، واللئيم.

وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، جواد يحب أهل الجود، ستار يحب أهل الستر، قادر يلوم علىٰ العجز، والمؤمن القوىٰ أحب إليه من المؤمن الضعيف عفو يحب العفو وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته، وموجبها وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها"[(١)] اهـ.

٤٣- **الشكور**: في أربعة مواطن من القرآن مجرد عن الألف واللام مقترن باسم الغفور، وفي موطن مقرون بالحليم، قال تعالىٰ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن

(١) عدة الصابرين - العلمية (ص: ٢٤١).

فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ۝٣٠﴾ [فاطر: ٣٠]، ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧﴾ [التغابن: ١٧].

(الشَّكُوْرُ، والشَّاكِرُ): هو الذي يجازي علىٰ القليل بالكثير، ويغفر، ويستر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ [فاطر: ٣٤].

فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وفي الحديث القدسي: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ»[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٨/ ١٤١): "﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ أَيْ: يَجْزِي عَلَىٰ الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ، ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: يعفو، ويصفح وَيَغْفِرُ وَيَسْتُرُ، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الذُّنُوبِ وَالزَّلَّاتِ وَالْخَطَايَا وَالسَّيِّئَاتِ اهـ.

وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عدٍ ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، وقد يجزئ الله العبد علىٰ العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، وليس عليه حق واجب بمقتضىٰ أعمال العباد، وإنما هو الذي أوجب الحق علىٰ نفسه كرمًا منه وجودًا، والله لا يضيع أجر العاملين به إذا أحسنوا في أعمالهم، وأخلصوها لله تعالىٰ. أفاده السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص: ٢٠٨):

وَهُوَ الشَّكُورُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعيَهُم ... لِكِنْ يُضَاعِفُهُ بِلَا حُسبَانِ

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٧).

مـــا لِلعِبَـــادِ عليـــه حَـــقٌ وَاجِـــبٌ ... هُـوَ أوجَـبَ الأَجـرَ العَظِـيمَ الشَّـانِ
كَـــلَّا وَلَا عَمَـــلٌ لَدَيـــهِ ضَـــائعٌ ... إِن كَـــانَ بِـــالإِخلَاصِ والإِحسَـــانِ
إِن عُـــذِّبُوا فَبِعَدلِـــهِ أو نُعِّمُـــوا ... فَبِفَضـــلِهِ وَالحَمـــدُ للمَنَّـــانِ

٤٤- الشهيد: في تسعة عشر موطنًا من القرآن، كلها غير محلاة بالألف واللام، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [آل عمران: ٩٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٧].

(الشَّهِيْدُ): المطلع فقوله: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة:١١٧]، أي: مطلع لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والشهيد بما عمل العباد يوم القيامة.

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٥٣): (الشَّهِيْدُ): الْحَاضِر يُقَال: شهِدت الشَّيْء، وَشهِدت بِهِ، وأصل قَوْلهم شهِدت بِهِ من الشَّهَادَة الَّتِي هِيَ الْحُضُور.

وَالْيَوْم الْمَشْهُود: يَوْم الْقِيَامَة؛ لِأَنَّهُ مَعْلُوم كَونه لَا محَالة، فَكَانَ معنىٰ الشَّهِيد الْعَالم اهـ.

٤٥- الصمد: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص:٢].

و(الصَّمَدُ): هو الذي تصمد إليه الخلائق.

وقيل: السيد الذي كمل في سؤدده.

وقيل: هو الذي لم يلد ولم يولد.

وقيل: الذي لا جوف له وكلها معاني صحيحة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصَّمَدُ) أي: الرب الكامل، والسيد، العظيم، الذي لم

يبق صفة كمال إلا اتصف بها، ووصف بغايتها، وكمالها بحيث لا تحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تعبر عنها ألسنتهم وهو المصمود إليه، المقصود في جميع الحوائج والنوائب: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩].

فهو الغني بذاته، وجميع الكائنات فقيرة إليه بذاتهم، في إيجادهم، وأعدادهم، وإمدادهم بكل ما هم محتاجون إليه من جميع الوجوه ليس لأحد منها غنىٰ مثقال ذرة، في كل حالة من أحوالها.

و(الصَّمَدُ): هو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها، وأحوالها، وضروراتها؛ لما له من الكمال المطلق في ذاته وصفاته، وأسمائه وأفعاله.

و(الصَّمَدُ) المغني الجامع الذي يدخل فيه كل ما فسر به هذا الاسم الكريم، فهو (الصَّمَدُ) الذي تصمد إليه المخلوقات أي: تقصده جميع المخلوقات بالذل، والحاجة، والافتقار.

ويفزع إليه العالم بأسره، وهو الذي قد كمل بعلمه، وحكمته، وحلمه، وقدرته، وعظمته، ورحمته، وسائر أوصافه. اهـ

ذهب شيخ الإسلام أنه ليس من الأسماء المختصة.

وأما (الأحد): فهو من الأسماء المختصة قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص:١-٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «قال الله عَزَّوَجَلَّ:... وَأَنَا الله الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»[(١)].

فالله عَزَّوَجَلَّ تعرف علىٰ عباده بأنه الأحد: أي الواحد.

(الصَّمَدُ): الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٩٧٤).

«لم ألد»: لم يكن له والدٌ.

«ولم أولد»: أي لم يكن له ولدٌ ففيه ردٌ علىٰ النصارىٰ وعلىٰ غيرهم.

قال أبو بكر ابن أبي داود:

وليس بمولود وليس بوالد | وليس له شبه تعالىٰ المسبح

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾: لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وذلك لكماله المقدس من كل وجه، وهذا قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة:٢٢].

٤٦- الطبيب: في مسند أحمد (٧١٠٩): عَنْ أَبِي رِمْثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي، فَرَأَىٰ الَّتِي بِظَهْرِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أُعَالِجُهَا لَكَ فَإِنِّي طَبِيبٌ؟ قَالَ: «أَنْتَ رَفِيقٌ، وَاللهُ الطَّبِيبُ».

وفي «المجالسة وجواهر العلم» (٣٠٥٤): دَخَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَىٰ عُبَيْدِ الله بن بَكْرَةَ يَعُودُهُ، وَعِنْدَهُ مُتَطَبِّبٌ يَذُوفُ لَهُ دِرْيَاقًا؛ فَأَنْشَأَ الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ:

يَا طَالِبَ الطِّبِّ مِنْ دَاءٍ تَخَوَّفَهُ | إِنَّ الطَّبِيبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالدَّاءِ
هُوَ الطَّبِيبُ فَمِنْهُ الْبُرْءُ فَالْتَمِسْ | لا مَنْ يَذُوفُ لَكَ الدِّرْيَاقَ بِالمَاءِ

فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: وَاللهِ! لا أَشْرَبُهُ أَبَدًا. فَمَا أَمْسَىٰ حَتَّىٰ وَجَدَ الْعَافِيَةَ.

لما جاء رجل إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أطبها لك قال: «طبيبها الذي خلقها»[1] أي: المداوي، والشافي للأمراض.

وقد أثبت اسم الطبيب أيضا الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٧- الطيب: في صحيح مسلم(١٠١٥): عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٢٠٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح أبي داود، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٢٢٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ». (الطَّيِّبُ) أي: في ذاته وصفاته، وأفعاله، ولا يقبل إلا طيبًا.

٤٨- **العالم**: في ثلاثة عشر موطنًا من القرآن، كلها غير محلاة بالألف واللام، قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾ [فاطر: ٣٨]، ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

(**العَالِمُ**): بكل شيء فلا يعزب عنه شيء من المعلومات أزلًا وأبدًا، لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان.

٤٩- **العزيز**: ورد في اثنين وثمانين مرة، منها ثلاثة وسبعون مرة محلىٰ بالألف واللام، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة:١٢٩]، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات: ١٨٠].

قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٣٣): أصل (ع ز ز) في الكلام: الْغَلَبَة والشدة وَيُقَال عزني فلَان علىٰ الْأَمر إِذا غلبني عليه، وَقَالَ الله تَعَالَىٰ ذكره: ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ [يس:١٤]، أَرَادَ وَالله أعلم قوينا أمره وشددناه، وَقَالَ تعالَىٰ ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾ أَرَادَ غلبني.

وَقَالَ جرير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعــز علــىٰ الطَّرِيــق بمنكبيــه ... كَمَـا ابتـرك الخليـع علـىٰ القـداح

وَيُقَال عزه يعزه، وَالله تَعَالَىٰ هُوَ الْغَالِب كل شَيْء، فَهُوَ الْعَزِيز الَّذِي ذل لعزته كل عَزِيز.

و(**العَزِيْزُ**): ذو العزة له عزة من قهره، وعزة من حُكمه، وعزة من سُلطانه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "العزيز الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته.

فمعاني العزة الثلاث كلها كاملة لله العظيم عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات، وإن عظمت، وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلىٰ أحد، ولا يبلغ العباد ضرة فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطي المانع، وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات فهي كلها مقصورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به، فمن قوته واقتداره أنه خلق السماوات، والأرض، وما بينهما في ستة أيام، وأنه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم ثم إليه يرجعون ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان:٢٨]. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧].

ومن آثار قدرته أنك ترىٰ الأرض هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ومن آثار قدرته ما أوقعه بالأمم المكذبين، والكفار الظالمين من أنواع العقوبات وحلول المثلات، وأنه لم يغن عنهم كيدهم، ومكرهم، ولا أموالهم، ولا جنودهم، ولا حصونهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تتبيب، وخصوصاً في هذه الأوقات فإن هذه القوة الهائلة، والمخترعات الباهرة التي وصلت إليها مقدرة هذه الأمم هي من أقدار الله لهم

وتعليمه لهم، ما لم يكونوا يعلمونه، فمن آيات الله أن قواهم، وقدرهم ومخترعاتهم لم تغن عنهم شيئاً في صد ما أصابهم من النكبات، والعقوبات المهلكة مع بذل جدهم واجتهادهم في توقي ذلك، ولكن أمر الله غالب، وقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي، والسفلي.

ومن تمام عزته وقدرته، وشمولهما أنه كما أنه هو الخالق للعباد، فهو خالق أعمالهم، وطاعتهم، ومعاصيهم، وهي أيضاً أفعالهم، فهي تضاف إلىٰ الله خلقاً وتقديراً وتضاف إليهم فعلاً، ومباشرة علىٰ الحقيقة، ولا منافاة بين الأمرين، فإن الله خالق قدرتهم وإرادتهم، وخالق السبب التام خالق للمسبب قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦].

ومن آثار قدرته ما ذكره في كتابه من نصرة أوليائه علىٰ قلة عددهم وعُددهم علىٰ أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العدد، والعُدة، قال تعالىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

ومن آثار قدرته ورحمته ما يحدثه لأهل النار، وأهل الجنة من أنواع العقاب، وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع، ولا يتناهىٰ"[(١)] هـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكافية الشافية (ص: ٢٠٥):

وهُوَ العَزِيزُ فَلَن يُرامَ جَنابُهُ ... أنَّىٰ يُرامُ جَنابُ ذي السُّلطَانِ
وهُوَ العَزِيزُ القَاهِرُ الغَلَّابُ لَمْ ... يَغلِبْهُ شَيءٌ هَذِهِ صِفتَانِ
وهُوَ العَزِيزُ بقُوَّةٍ هِيَ وَصفُهُ ... فَالعِزُّ حِينَئِذٍ ثَلاثُ مَعَانِ

٥٠- العظيم: في تسع موطن من القرآن، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة:٧٤].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ٢١٦).

(العَظِيمُ): أيضا ذو العظمة، و(العَظِيمُ) هو الذي يتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال، وفي الحديث: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»[1]، وعظمته في أفعاله وفي سعته وفي كِبرِهِ وكِبَرِه إلىٰ غير ذلك.

وفي تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ص: ٢١٧): واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره وقال تعالىٰ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾.

وقال تعالىٰ وهو العلي العظيم: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ﴾ الآية.

وفي الصحيح عنه: أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله يقول الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته»[2].

فلله تعالىٰ الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما.

النوع الثاني: من معاني عظمته تعالىٰ أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله فيستحق جَلَّ جَلَالُهُ من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له اهـ.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٨٧٣)، واحمد(٢٣٩٨٠) عن عوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: برقم (١٠٣١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهُوَ العَظِيمُ بِكُلِ مَعنًىٰ يُوجِبُ التَّ الـت عظِيمَ لَا يُحصِيهِ مِن إنسَان

٥١- العفُوّ: في خمسة مواطن في القرآن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩].

(العَفُوُّ): هو الذي يعفو عن عباده، ويتجاوز ويصفح عنهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير أسماء الله الحسنى(ص: ١٨٩): "وعفوه يقتضي مغفرة ما صدر منهم من الذنوب خصوصًا إذا أتوا بأسباب المغفرة من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، وحلمه وسع السماوات، والأرض، فلولا عفوه ما ترك علىٰ ظهرها من دابة، وهو تعالىٰ عفو يحب العفو عن عباده، ويحب منهم أن يسعوا بالأسباب التي ينالون بها عفوه من السعي في مرضاته، والإحسان إلىٰ خلقه.

ومن كمال عفوه أن المسرفين علىٰ أنفسهم إذا تابوا إليه غفر لهم كل جرم صغير، وكبير، وأنه جعل الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها" اهـ.

قال أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير أسماء الله الحسنى(ص: ٦٢): "يُقَال عَفَوْت عَن الشَّيْء أعفو عَنهُ إِذا تركته، وَعَفا عَن ذَنبه إِذا ترك الْعقُوبَة عَلَيْهِ، وَالله تَعَالَىٰ عَفْو عَن الذُّنُوب وتارك الْعقُوبَة عَلَيْهَا" اهـ للزجاج

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ العَفُوُّ فَعَفوُهُ وَسِعَ الوَرَىٰ لَولَاهُ غَارَ الأَرض بالسُّكَان

٥٢- العليم: ورد في ستة وخمسين موطنا، منها المحلىٰ باللام في اثنين وثلاثين موطنا، قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

[البقرة: ٣٢]، ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ٣]، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النور:١٩]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

دال هذا الاسم علىٰ إحاطة الله بكل معلوم أزلاً وأبداً، علم لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد:٣]، وأدلته كثيرة.

ولا يلزم من كونه باطن أن يكون متحدًا، أو مختلطًا، فهو باطن وهو في علوه علىٰ عرشه بائن من خلقه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

ويزعم أهل الباطل أن الله لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها ويرد عليه مثل هذه الآية: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾، و(كل) من ألفاظ العموم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾، إلىٰ غير ذلك.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ١٩٨): "فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي، والسفلي لا يخلو عن علمه مكان، ولا زمان ويعلم الغيب، والشهادة، والظواهر، والبواطن، والجلي، والخفي، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٧٥﴾.

والنصوص في ذكر إحاطة علم الله، وتفصيل دقائق معلوماته كثيرة جداً لا يمكن حصرها، وإحصاؤها، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر، وإنه لا يغفل، ولا ينسىٰ ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾ [الأنعام:٥٩]، ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧﴾ [طه:٧].

وإن علوم الخلائق علىٰ سعتها، وتنوعها إذا نسبت إلىٰ علم الله اضمحلت، وتلاشت، كما أن قدرتهم إذا نسبت إلىٰ قدرة الله لم يكن لها نسبة إليها بوجه من الوجوه، فهو الذي علمهم ما لم يكونوا يعلمون وأقدرهم علىٰ ما لم يكونوا عليه قادرين.

وكما أن علمه محيط بجميع العالم العلوي، والسفلي، وما فيه من المخلوقات ذواتها، وأوصافها، وأفعالها، وجميع أمورها.

فهو يعلم ما كان، وما يكون في المستقبلات التي لا نهاية لها، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم، وبعد ما يميتهم، وبعد ما يحييهم، قد أحاط علمه بأعمالهم كلها خيرها، وشرها، وجزاء تلك الأعمال وتفاصيل ذلك في دار القرار.

فينبغي للمؤمن الناصح لنفسه أن يبذل ما استطاع من مقدوره في معرفة أسماء الله، وصفاته، وتقديسه، ويجعل هذه المسألة أهم المسائل عنده، وأولاها بالإيثار، وأحقها بالتحقيق ليفوز من الخير بأوفر نصيب.

فيتدبر مثلاً اسم (**العليم**): فيعلم إن العلم كله بجميع وجوهه، واعتباراته لله تعالىٰ فيعلم تعالىٰ الأمور المتأخرة أزلاً وأبداً ويعلم جليل الأمور، وحقيرها، وصغيرها، وكبيرها، ويعلم تعالىٰ ظواهر الأشياء، وبواطنها غيبها، وشهادتها ما يعلم الخلق منها، وما لا يعلمون، ويعلم تعالىٰ الواجبات أو المستحيلات، والجائزات، ويعلم تعالىٰ ما تحت الأرض السفلىٰ كما يعلم ما فوق السماوات العلىٰ، ويعلم تعالىٰ جزئيات الأمور وخبايا الصدور، وخفايا ما وقع، ويقع في أرجاء العالم، وأنحاء المملكة، فهو الذي أحاط علمه جميع الأشياء في كل الأوقات، ولا يعرض تعالىٰ لعلمه خفاء، ولا نسيان، ويتلو علىٰ هذه الآيات المقررة له كقوله في غير موضع:

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن:٤]، ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧]. ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠]، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٥-٦]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤]. ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةًۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج:٦٣].

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾ [سبأ:٢]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧]. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧]، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧].

وغير ذلك من النصوص الكثيرة علىٰ هذا المعنىٰ، فإن تدبر بعض ذلك يكفي

المؤمن البصير معرفته بإحاطة علم الله تعالىٰ، وكمال عظمته، وجليل قدره إنه الرب العظيم المالك".

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وَهُوَ الْعَلِيم بِمَا يوسوس عَبده ... فِي نَفسه من غير نطق لِسَان
بل يَسْتَوِي فِي علمه الداني مَعَ ... القاصي وَذُو الإسرار والإعلان
وَهُوَ الْعَلِيم بِمَا يكون غدا وَمَا ... قد كَانَ والمعلوم فِي ذَا الْآن
وَبِكُل شَيْء لم يكن لَو كَانَ كَيفَ ... يكون مَوْجُودا لذِي الْأَعْيَان

٥٣- العلي: في ستة مواطن من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢]

(العَلِيُّ): أي علىٰ عرشه، والعلي في صفاته، والعلي في ذاته، والعلي في قهره وقد تقدم الكلام علىٰ صفة العلو في اسم الله (الأعلىٰ).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهُوَ العَلِيُ فَكُلُّ أنواعِ العُلُـ ... ـوِّ لَهُ فثابِتَةٌ بلا نُكران

٥٤- الغفار: في خمسة مواطن من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾ [ص: ٦٦] في ثلاثة مواطن من القرآن كلها مقترنة بالعزيز.(الغَفَّارُ): صيغة مبالغة من المغفرة، يغفر ذنوبهم ويستر عيوبهم.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾ مع عزته يغفر للمؤمنين.

قال ابن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(الغَفَّارُ): الذي لم يزل يغفر الذنوب، ويتوب عل كل من يتوب[1]" اهـ.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ٢١٩).

وهذا من رحمته بعباده، أنه يتجاوز عنهم سوء فعالهم، ويوفقهم لخيرها.

٥٥- **الغفور**: في إحدىٰ وتسعين موطنا من القرآن، محلىٰ بالألف واللام في إحدىٰ عشر موطنًا، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج: ١٤].

(**الغَفُوْرُ**): الذي يغفر الذنب ويستره ويعفو عنه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٢١٨): (العفو، الغفور، الغفار): الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران، والصفح عن عباده موصوفًا.

كل أحد مضطر إلىٰ عفوه، ومغفرته كما هو مضطر إلىٰ رحمته، وكرمه وقد وعد بالمغفرة، والعفو لمن أتىٰ بأسبابها قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه:٨٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكافية الشافية (ص: ٢٠٩):

وهُـوَ الغَفُـورُ فَلَـو أُتِـي بقُرَابِهَـا ... مِـن غيـرَ شِـركٍ بَـل مـنَ العِصَـيان
لاقَـاهُ بـالغُفرانِ مِـلءَ قُرَابِهـا ... سُـبحَانَهُ هُـوَ وَاسِـعُ الغُفـران

٥٦- **الغني**: ورد في سبعة عشر موطنا من القرآن، عرف بالألف واللام في ثمانية مواطن، قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦٤﴾ [الحج: ٦٤].

(**الغَنِيُّ**): أي ذو الغنىٰ الذاتي سواءً عُبد أو كُفر، أُطيع أم عُصي قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣]، أي: صاحب الغنىٰ المطلق، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألم ترى كم أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء»[(١)].

(١) متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَىٰ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[1].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَهُوَ الْغَنِيّ والمستغني عَن الْخلق بقدرته وَعز سُلْطَانه والخلق فُقَرَاء إِلَىٰ تطوله وإحسانه كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨] "اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

هُوَ الغَنِيُّ بذاتِهِ فغِناهُ ذا ... تِيٌّ لَهُ كَالجُودِ والإِحسَانِ

٥٧- الفتاح: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦].

(الفَتَّاحُ): هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة، وأيضا يفتح علىٰ عباده

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧).

بالخير.

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٣٩): "وَالله تَعَالَىٰ ذكره فتح بَين الْحق وَالْبَاطِل فأوضح الْحق وَبَينه وأدحض الْبَاطِل وأبطله فَهُوَ الفتاح" اهـ.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (ص: ٩٤٧): "(الْفَتَّاحُ): الذي يحكم بين عباده، بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء، الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته، ومحبته، والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة".

وفتحه تعالى قسمان:

أحدهما: فتحه بحكمه الديني، وحكمه الجزائي.

والثاني: الفتاح بحكمه القدري.

ففتحه بحكمه الديني هو شرعه علىٰ ألّسنة رسله جميع ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به علىٰ الصراط المستقيم.

وأما فتحه بجزائه فهو: فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم وبين أوليائه وأعدائه بإكرام الأنبياء واتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم، وكذلك فتحه يوم القيامة، وحكمه بين الخلائق حين يوفي كل عامل ما عمله.

وأما فتحه القدري فهو: ما يقدره علىٰ عباده من خير، وشر، ونفع، وضر، وعطاء، ومنع، قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر:٢].

فـ(الرب تعالىٰ) هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح علىٰ أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

وَكَـذلِكَ الفَتَّـاحُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ ... والفَـتْحُ فِـي أَوْصَـافِهِ أَمْـرَان
فَـتْحٌ بِحُكْـمٍ وَهْـوَ شَـرْعُ إلهنَـا ... وَالْفَـتْحُ بِالأَقْـدَارِ فَـتْحٌ ثَـان

٥٨- القابض: عند أبي داود (٣٤٥١): عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، غَلَا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ».

٥٩- الباسط: يقبض عمن شاء، ويعطي من شاء.

(البَاسِطُ): يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط لعباده الأرزاق، وفي الحديث: «اللَّهمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» متفق عليه[1]، ويبسط يده بالرزق والعطاء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (٢/ ١٤١): "شُهُودُ انْفِرَادِ الْحَقِّ بِمِلْكِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِتَصْرِيفِ التَّفْرِقَةِ وَالْجَمْعِ، هَذِهِ الدَّرَجَةُ تَتَعَلَّقُ بِشُهُودِ وَصْفِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَشَأْنِهِ. وَالَّتِي قَبْلَهَا تَتَعَلَّقُ بِشُهُودِ حَالِ الْعَبْدِ وَوَصْفِهِ. أَيْ يَشْهَدُ حَرَكَاتِ الْعَالَمِ وَسُكُونَهُ صَادِرَةً عَنِ الْحَقِّ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ مُتَحَرِّكٍ وَسَاكِنٍ، فَيَشْهَدُ تَعَلُّقَ الْحَرَكَةِ بِاسْمِهِ الْبَاسِطِ وَتَعَلُّقَ السُّكُونِ بِاسْمِهِ الْقَابِضِ فَيَشْهَدُ تَفَرُّدَهُ سُبْحَانَهُ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ.

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْقَابِض، الباسط) الْأَدَب فِي هذَيْن الاسمين أَن يذكرَا مَعًا لِأَن تَمام الْقُدْرَة بذكرهما مَعًا أَلا ترى أَنَّك إِذا قلت إِلَىٰ فلَان قبض أَمْرِي وَبسطه دلا بمجموعها أَنَّك تُرِيدُ أَن جَمِيع أَمرك إِلَيْهِ، وَتقول لَيْسَ إِلَيْك من أَمْرِي بسط وَلَا قبض وَلَا حل وَلَا عقد أَرَادَ لَيْسَ إِلَيْك مِنْهُ شَيْء وَقَالَ الشَّاعِر

(١) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مَتـى لَا مَتـى أدركـتم لَا أبـالكم بِأَيْـدِيكُمْ اللَّـذَّات بسـطي أَو قبضـي

٦٠- القادر: في موطن واحد من القرآن محلى بالألف واللام، وذكر في عشرة مواطن على تصريفات أخرى، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٧﴾ [الأنعام:٣٧]، وقال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾ [المرسلات:٢٣].

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٥٩): (الْقَادِرُ) علىٰ مَا يَشَاء لَا يعجزه شَيْء وَلَا يفوتهُ مَطْلُوب والقادر منا وَإِن اسْتحق هَذَا الْوَصْف فَإِن قدرته مستعارة وَهِي عِنْده وَدِيعَة من الله تَعَالَىٰ وَيجوز عَلَيْهِ الْعَجز فِي حَال وَالْقُدْرَة فِي أُخْرَىٰ وَالله تَعَالَىٰ هُوَ الْقَادِر فَلَا يتطَرّق عَلَيْهِ الْعَجز وَلَا يفوتهُ شَيْء اهـ.

ومما يدل علىٰ هذا المعنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أحكام أهل الذمة (١/ ٤١٤): "(الْقَادِرُ) الَّذِي سَلِمَتْ قُدْرَتُهُ مِنَ اللُّغُوبِ وَالتَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ وَالْعَجْزِ عَمَّا يُرِيدُ" اهـ.

٦١- القاهر: ذكر في موطنين من سورة الأنعام، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

(الْقَاهِرُ): القوي المتسلط.

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الأسماء الحسنى (ص: ٣٨): "وَالله تَعَالَىٰ قهر المعاندين بِمَا أَقَامَ من الْآيَات والدلالات علىٰ وحدانيته، وقهر جبابرة خلقه بعز

سُلْطَانه، وقهر الْخلق كلهم بِالْمَوْتِ" اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هُوَ العَزِيزُ القَاهِرُ الغَلَّابُ لَمْ ... يَغلِبْهُ شَيءٌ هَذِهِ صِفتَان

٦٢- القدوس: في موطنين من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]، وقد تقدم الكلام عليه عند اسم الله (السَّلَامُ).

٦٣- القدير: ورد في خمسة وأربعين موطنًا، حلي بالألف واللام في موطن واحد، قال تعالىٰ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم:٥٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [النحل: ٧٠]، (القَدِيْرُ): القادر علىٰ كل شيء فلا يعجزه شيء، ولا يكرثه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(القَدِيْرُ) كامل القدرة بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، بقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها علىٰ ما يشاء ويريد[(١)]" اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ القَدِيْرُ فَكُلُّ شِيْءٍ فَهُوَ مَقْ ... دُوْرٌ لَهُ طَوْعًا بِلَا عِصْيَانِ
وَعُمُوْمُ قُدْرَتِهِ تَدُلُّ بِأَنَّهُ ... هُوَ خَالِقُ الأَفْعَالِ لِلْحَيَوَانِ

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهُوَ القَدِيرُ ولَيْسَ يُعجِزُهُ إذا ... مَا رَامَ شَيئًا قَطُّ ذُو سُلطَان

٦٤- القريب: قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة:١٨٦]،

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ٢٢٣).

وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١﴾ [هود: ٦١]، ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ [سبأ: ٥٠].

(**القَرِيْبُ**): من عباده فيستجيب دعاءهم، ويعلم أحوالهم، وينظرهم ويراهم ويسمعهم، وهو في علوه كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم تدعون سميعا قريبا»(١).

وفي تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص: ٢٢٢): "هو (القريب) من كل أحد، وقربه نوعان:

قرب عام: من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته، وهو أقرب إلىٰ الإنسان من حبل الوريد.

وقرب خاص: من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة، وهو المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق:١٩].

وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾، وفي قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾، وهذا النوع قرب يقتضي الطافه تعالىٰ، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم.

ولهذا يقرن باسمه (**القَرِيْبُ**) اسمه (**المجيب**)، وهذا القرب قربه لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطف بعبده، وعنايته به وتوفيقه، وتسديده، ومن آثاره الإجابة للداعين، والإثابة للعابدين(٢)" اهـ.

وهو في علوه علىٰ عرشه ولا يلزم من إثبات القرب أن يكون متحدًا أو مختلطًا بمخلوقاته تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٢٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٤) عن أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ٢٢٢/ ٢٢٣).

٦٥- القوي: ورد في ثمانية مواطن، عرف بالألف واللام في موطنين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ۝٦٦﴾ [هود: ٦٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

(القَوِيُّ) أي: ذو القوة الذي لا يعجزه شيء، فهو كامل القدرة، تقول: هو قادر، فإذا زدته وصفًا قلت قوي.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر:٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٨]. أي: صاحب القوة وهذا مما يدل علىٰ أن الأسماء متضمنة لصفاتٍ جليلات، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ [الصافات:١٨٠] أي: صاحب العزة، ومثله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف:٥٨]

أي: صاحب الرحمة، وهذا الوجه مما يرد به علىٰ أهل البدع؛ لأن الله قد فسر بعض الأسماء بما تضمنته من الصفات.

ومن قوته أنه يمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض، ويأخذ الأرض يوم القيامة بيده، ويطوي السماء بيمينه، ثم يهزهن، إلىٰ غير ذلك.

٦٦- القهّار: قال تعالىٰ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف: ٣٩] في ستة مواطن من القرآن كلها مقترنة بالواحد.

(القَهَّارُ): القاهر لغيره، والمتسلط عليهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

قال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: (القَهَّارُ): لجميع العالم العلوي، والسفلي، القهار لكل شيء الذي خضعت له المخلوقات وذلك لعزته وقوته، وكمال اقتداره.

وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات أو دانت لقدرته، ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلىٰ، فلا يحدث حادث، ولا يسكن ساكن

إلا بإذنه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلىٰ الله عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضراً، ولا خيراً، ولا شراً ثم إن قهره مستلزم لحياته وعزته وقدرته، فلا يتم قهره للخليقة إلا بإتمام حياته، وقوة عزته، واقتداره".

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كَــذلِكَ القَهَّــارُ مِــنْ أَوْصَــافِهِ ... فَــالخَلْقُ مَقْهُــورُونَ بالسُّــلْطَان
لَــوْ لَــمْ يَكُــنْ حَيًّــا عَزِيـزًا قَـادِرًا ... مَــا كَــانَ مِــنْ قَهْــرٍ وَلا سُــلطان

٦٧- القيوم: قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران:٢].

في ثلاثة مواطن من القرآن كلها مقترنة بالحي.

(القَيُّومُ): القائم بنفسه والمقيم لغيره.

وفي حديث ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ» متفق عليه.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحي، القيوم) كامل الحياة والقائم بنفسه والقيوم لأهل السماوات والأرض القائم بتدبيرهم وأرزاقهم وجميع أحوالهم.

فـ(الحي): الجامع لصفات الذات.

و(القيوم): الجامع لصفات الأفعال وجمعهما في غاية المناسبة كما جمعهما الله في عدة مواضع من كتابه كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وذلك أنهما محتويان علىٰ جميع صفات الكمال.

فـ(الحي): هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله كالعلم والعزة والقدرة، والإرادة، والعظمة، والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة.

و(القيوم): هو كامل القيومية الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنىٰ عن جميع مخلوقاته، وقامت به الأرض، والسماوات، وما فيهما من المخلوقات.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَـذَا وَمِـنْ أَوْصَـافِهِ القَيُّـومُ والـ ـــقَيُّومُ فِـي أَوْصَـافِهِ أمْـرَان
إِحْـدَاهُمَا القَيُّـومُ قَـامَ بِنَفْسِـهِ وَالْكُـونُ قَـامَ بِـهِ هُمَـا الأمْـرَان
فَـالأَوَّلُ اسْـتِغْنَاؤُهُ عَـنْ غَيْـرِهِ وَالْفَقْـرُ مِـنْ كُـلٍّ إليـهِ الثَـانِي
وَالوَصْـفُ بِـالقَيُّومِ ذُوْ شَـأنٍ كَـذَا مَوْصُـوْفُهُ أَيْضًـا عظيـمُ الشَّـان
وَالحَـيُّ يَتْلُـوهُ فَأَوْصَـافُ الكَمَـا لِ هُمَـا لأُفْـقِ سَـمَائِها قُطبَـان
فَـالحَيُّ وَالقَيُّـومُ لَـنْ تَتَخَلَّـفَ الـ أوْصَـافُ أَصَـلًا عَنهُمَـا بِبَيَـان

٦٨- الكبير: في خمسة مواطن من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ⑫﴾ [غافر: ١٢]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ⑨﴾ [الرعد: ٩].

(الكَبِيْرُ): الواسع العظيم الذي ليس كمثله شيء، كبيرٌ في ذاته، وكبيرٌ في صفاته، وكبيرٌ في أفعاله.

٦٩- الكريم: قال تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] في هذين الموطنين من القرآن.

(الكَرِيْمُ): من حيث اتصافه بصفات الجمال والكمال والعظمة والكريم من حيث العطاء، فهو معنىٰ عظيم كريم في علوه كريم في جماله، كريم في فعاله، كريم في عفوه، كريم في انتقامه، إلىٰ غير ذلك من معاني الكرم.

و(الكَرِيْمُ): كثير الخير يعم به الشاكر، والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها" أفاده السعدي.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٢٥): "هو البهي الكثير الخير العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه، وأفضله والله سبحانه وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به

ما كثر خيره، وحسن منظره من النبات وغيره" اهـ.

وقوله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾: هذا على التهديد.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٨/ ٣٣٩): "هَذَا تَهْدِيدٌ لَا كَمَا يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّهُ إِرْشَادٌ إِلَى الْجَوَابِ حَيْثُ قَالَ الْكَرِيمِ حَتَّىٰ يَقُولَ قَائِلُهُمْ غَرَّهُ كَرَمُهُ، بَلِ الْمَعْنَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَا غَرَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ أَيِ: الْعَظِيمِ حَتَّىٰ أَقْدَمْتَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «يَقُولُ الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابْنَ آدَمَ مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ؟»[(١)] " اهـ.

٧٠- اللطيف: ورد في سبعة مواطن من القرآن، حلي بالألف واللام في موطنين، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٤]، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ۝١٩﴾ [الشورىٰ: ١٩].

(اللَّطِيْفُ): العليم ببواطن الأمور، وظواهرها، وبصغائر الأمور، وكبارها.

وقيل: (اللَّطِيْفُ) هو الذي يلطف بعباده، وكلا المعنيين ثابت لله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص: ٢٠٧):

وَهُوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ وَلِعَبْدِهِ ... واللُّطفُ فِي أوصَافِهِ نَوعَان
إدرَاكُ أسرارِ الأُمُورِ بِخِبرَةٍ ... واللُّطفُ عِندَ مَوَاقِعِ الإحسَان
فيُرِيكَ عِزَّتَهُ ويُبدِي لُطفَهُ ... وَالعَبدُ فِي الغَفَلَاتِ عَن ذَا الشَّان

٧١- المؤمن: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

(المُؤْمِنُ): وله معنيان: الأول: أنه الصادق في قوله، والمصدق من المؤمنين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾، ويُقال إِنَّمَا سمىٰ الله نفسه مُؤمنًا، لِأَنَّهُ

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (١١٨٤٣).

شهد بوحدانيته، فَقَالَ تَعَالَىٰ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كَمَا شَهِدنَا.

والثاني: أنه الذي يؤمن خلقه من ظلمه قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [سورة الكهف:٤٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (٣/ ٤٣٢): "وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ الْمُؤْمِنُ وَهُوَ - فِي أَحَدِ التَّفْسِيرَيْنِ - الْمُصَدِّقُ الَّذِي يُصَدِّقُ الصَّادِقِينَ بِمَا يُقِيمُ لَهُمْ مِنْ شَوَاهِدِ صِدْقِهِمْ، فَهُوَ الَّذِي صَدَّقَ رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ فِيمَا بَلَّغُوا عَنْهُ، وَشَهِدَ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ صَادِقُونَ بِالدَّلَائِلِ الَّتِي دَلَّ بِهَا عَلَىٰ صِدْقِهِمْ قَضَاءً وَخَلْقًا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ - وَخَبَرُهُ الصِّدْقُ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - أَنَّهُ لَابُدَّ أَنْ يَرَىٰ الْعِبَادُ مِنَ الْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ مَا يُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ الْوَحْيَ الَّذِي بَلَّغَتْهُ رُسُلُهُ حَقٌّ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣]. أَيِ الْقُرْآنُ، فَإِنَّهُ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت:٥٢] ثُمَّ قَالَ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣]، فَشَهِدَ سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ بِقَوْلِهِ: أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ" اهـ.

٧٢- **المبين**: قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾ [النور: ٢٥].

(**المؤمن**): البين الذي دلت الدلائل علىٰ وجوده وعلىٰ اتصافه بكل كمال قال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾.

وكون الله حق يعلمه كل عاقل، وإنما منعهم الكبر والشبه التي تتوارد عليهم.

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾

[الحج:٦٢].

٧٣- **المتعال**: ورد في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ٣]. (**المُتَعَالُ**): العالي علىٰ عباده، وعلىٰ عرشه، والمتعالي في صفاته.

فنثبت لله جميع أنواع العلو: علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر.

٧٤- **المتكبّر**: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٧].

(**المُتَكَبِّرُ**) أي: صاحب الكبرياء، وفي دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»[١]، والكبر في حق الله عَزَّوَجَلَّ كمال، وفي حق المخلوق نقص لذلك قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه: «الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ»[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شفاء العليل (ص: ١٨٠): "وكذلك الكبير من أسمائه والمتكبر، قال قتادة: وغيره هو الذي تكبر عن السوء، وقال أيضا: الذي تكبر عن السيئات. وقال مقاتل: المتعظم عن كل سوء. وقال أبو إسحاق: الذي يكبر عن ظلم عباده" اهـ.

٧٥- **المتين**: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨] في موطن واحد.

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٨٧٣)، والإمام النسائي في سننه (١٠٤٩)، من حديث عوف بن مالك الأشجعي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ-، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ برقم (١٠٣١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٠)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٢).

(المتين): قريب من معنىٰ القوي أي ذو المتانة الذي لا يعجزه شيء.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ۝١٩﴾ [الشورىٰ:١٩] أي: قوي لا يعجزه شيء، وعزيز منيع لا يصل إليه شيء.

٧٦- المجيب: قال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ۝٦١﴾ [هود: ٦١]، في موطن واحد وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(المجيب): الذي يجيب الدعاء، ويحقق الرجاء، ولولا أمل العباد في إجابة دعائهم، وتفريج همهم، للحقهم اليأس والقنوط، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكافية الشافية (ص: ٢٠٨):

وهُوَ القَرِيبُ وقُربُهُ المُختَصُّ بالـدْ	داعِي وعَابِدِهِ عَلَىٰ الإِيمَان
وَهُوَ المُجِيبُ يقولُ مَنْ يَدعُو أُجِبْ أجب	ـهُ أَنَا المُجِيبُ لِكُلِّ مَن نَادَانِي
وهُوَ المُجِيبُ لِدَعوَةِ المضطَرِّ إِذْ	يَدْعُوهُ فِي سِرٍ وفي إعلان

٧٧- المجيد: قال تعالىٰ: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج: ١٥]، ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ۝٧٣﴾ [هود: ٧٣] ذكر في موطنين من القرآن، أحدهما محلىٰ بالألف واللام.

(المجيد): الواسع، وفي قراءة: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ بالكسر تكون صفة للعرش الواسع، فما الكرسي فيه إلا كحلقة في فلاة، وأما علىٰ قراءة الرفع فـ(المجيد) اسم لله عَزَّوَجَلَّ، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في مسلم: «إذا قال العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٤] يقول الله: «مجدني عبدي»؛ لأن الميم والجيم والدال تدل

علىٰ السعة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هُوَ المَجِيدُ صِفَاتُهُ أوصَافِ تع ... ظِيمٍ فَشَأنُ الوَصفِ أعظَمُ شَان

٧٨- المحيط: قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ [فصلت: ٥٤].

(المُحِيْطُ) أي: المحيط بعباده علمًا، وقهرًا، وقدرةً، ورحمة، وهو علىٰ عرشه استوىٰ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

وهُوَ العَلِيمُ أَحَاطَ عِلمًا بالذِي ... في الكَونِ مِن سِرٍّ ومِنْ إعلان

وبكُلِّ شيءٍ عِلمُهُ سُبحَانَهُ ... فَهْوَ المُحِيطُ ولَيسَ ذَا نِسيَان

٧٩- المستعان: في موطنين من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف: ١٨]، وقوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء:١١٢].

(المُسْتَعَانُ) أي: الذي يُستعان، ويُعين.

وكان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كثيرًا: «رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ»[1] أخرجه أحمد عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا.

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أن رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «أُوصيكَ يا معاذ لا تَدَعن في دُبُر كُل صلاةٍ تقول: اللهُمَّ أعني على ذِكْرِك وشُكْرِك وحُسْنِ عِبادَتك»، وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ [الأعراف:١٢٨].

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥١٠)، والإمام الترمذي في سننه (٣٥٥١)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٣٠)، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ برقم (٦٠٦).

٨٠- **المسعر**: هو الذي يسعر بين العباد كيف شاء، وقد تقدم دليله عند اسم الله (**الباسط**).

قال ابن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يعني: أن الله هو الذي يُغَلِّي الأشياء ويرخِّصها، فليس من الأسماء، هذا الذي يظهر لي، والله أعلم"(١) اهـ.

٨١- **المصوّر**: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

(**المُصَوِرُ**): الذي يصور المخلوقات علىٰ ما يريد من الصفات، والهيئات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شفاء العليل (ص: ١٣١): "وأما الخالق والمصور، فإن استعملا مطلقين غير مقيدين لم يطلقا إلا علىٰ الرب، كقوله: الخالق البارئ المصور، وإن استعملا مقيدين أطلقا علىٰ العبد كما يقال لمن قدر شيئا في نفيه أنه خلقه قال:

ولأنت تفري ما خلقت ... وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي: لك قدرة تمضي وتنفذ بها ما قدرته في نفسك وغيرك يقدر أشياء وهو عاجز عن إنفاذها وإمضائها، وبهذا الاعتبار صح إطلاق خالق علىٰ العبد في قوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي: أحسن المصورين، والمقدرين، والعرب تقول: قدرت الأديم، وخلقته إذا قسته لتقطع منه مزادة، أو قربة ونحوها قال مجاهد: يصنعون، ويصنع الله والله خير الصانعين.

وقال الليث: رجل خالق أي صانع وهن الخالقات للنساء.

وقال مقاتل: يقول تعالىٰ هو أحسن خلقا من الذين يخلقون التماثيل، وغيرها التي لا يتحرك منها شيء" اهـ.

(١) لقاءات الباب المفتوح (م ٣/ ق ٦٩/ ص ٥٧٣).

٨٢- المالك: قال تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٤].

(المَالِكُ):صاحب الملك، قال تعالىٰ:﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾وتقرأ:﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وقال تعالىٰ:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

٨٣- المقتدر: ذكر في ثلاثة مواطن من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٥٥].

(المُقْتَدِرُ): الذي لا يعجزه شيء، و(المقتدر) مُبَالغَة فِي الْوَصْف بِالْقُدْرَةِ وَالْأَصْل فِي الْعَرَبيَّة أَن زِيَادَة اللَّفْظ زِيَادَة الْمَعْنىٰ فَلَمَّا قلت اقتدر أَفَادَ زِيَادَة اللَّفْظ زِيَادَة الْمَعْنىٰ، وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة:٢٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

٨٤- المقدم: في مسلم(٧٧١) عن علي ابن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

(المُقَدِمُ) أي: من شاء إلىٰ كل خير، وصلاح.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(المقدم) هُوَ: الَّذِي يقدم مَا يجب تَقْدِيمه من شَيْء حكما، وفعلا علىٰ مَا أحب، وَكَيف أحب وَمَا قدمه، فَهُوَ مقدم، وَمَا أَخّرهُ فَهُوَ مُؤخر تَعَالَىٰ الله علوا كَبِيرًا" اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُــوَ الْمُقَـدَّمُ فِـيْ مَحبَّتِنَـا عَلَـىٰ الْـ ... أَهْلِــيْنَ وَالْأَزْوَاجِ وَالْوِلْــدَانِ
وَعَلَىٰ الْعِبَادِ جَمِيْعِهِمْ حَتَّـىٰ عَلَىٰ الـ ... ـنَّفْسِ التِـيْ قَـدْ ضَمَّهَا الْجَنْبَـانِ

٨٥- المؤخر: في مسلم(٢٧١٩) عن أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

(المؤخر): يؤخر من شاء وهو القدير الذي لا يعجز شيء.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "(الْمُؤخر): وَهُوَ الَّذِي يُؤَخر مَا يجب تَأْخِيره وَالْحكمَة وَالصَّلَاح فِيمَا يَفْعَله الله تَعَالَىٰ وَإِن خَفِي علينا وَجه الْحِكْمَة وَالصَّلَاح فِيهِ[1]". اهـ

أي: في الدعاء يتوسل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بكونه(المقدم، والمؤخر)، وأنه علىٰ كل شيءٍ قدير.

٨٦- المعطي: في البخاري(٣١١٦) ومسلم(١٠٣٧) عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ»، (المعطي): الذي يهب للعباد ما شاء، ولا راد لعطائه ولا معطي لمنعه. لحديث: « اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»[2].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "(المعطي، المانع[3]): هذه من الأسماء المتقابلة التي لا ينبغي أن يثنىٰ علىٰ الله بها إلا كل واحد منها مع الآخر لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو المعطي المانع، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن شاء

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للزجاج (ص: ٥٩).
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩٣).
(٣) لا يثبت اسم (المانع) والصحيح أنه من الصفات.

ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته" اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَــذَا وَمِــنْ أَسْـمَائِهِ مَــا لَــيْسَ يُـفْ ... رَدُ بَــلْ يُقَــالُ إِذَا أَتَــىٰ بِقِــرَانِ
وَهِــيَ التِــي تُــدْعَىٰ بِمُزْدَوِجَاتِهَــا ... إفرادُهَـــا خَطَــرٌ عَلَــىٰ الإنْسَـــانِ
إِذْ ذَاكَ مُــوْهِمْ نَــوْعِ نَقْــصٍ جــلَّ رَبُّ ... العَـرْشِ عَـنْ عَيْـبٍ وَعَـنْ نُقْصَـانِ
كَالمــانِعِ المعْطِــي وكَالضَّــارِ الَّــذِي ... هُــوَ نَــافِعٌ وكَمَالُـــهُ الأمْــرَانِ

٨٧- المقيت: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾ [النساء: ٨٥].

(المُقِيْتُ) أي: الحفيظ، والمطلع إلىٰ غير ذلك من المعاني، قَالَ أهل اللُّغَة إِن (المقيت) المقتدر علىٰ الشَّيْء، وَقَالَ الله عز ذكره: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء: ٨٥]، يُرِيد وَالله أعلم: مقتدرًا.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المقيت): "الذي أوصل إلىٰ كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها، وصرفها كيف يشاء بحكمه وحمده"[1] اهـ.

٨٨- الملك: ذكر في خمس مواطن من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ ١١٤﴾ [طه:١١٤].

(المَلِكُ): هو المتصرف في كل شيء وله الملك المطلق وهو من خصائص الربوبية، الذي له الملك فهو الموصوف بصفات الملك كالعظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير، الذي له التصرف المطلق، في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد، ومماليك، ومضطرون إليه وهو الآمر الناهي المعز المذل الذي يصرف أمور عباده كما يحب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٤٧).

٨٩- **المليك**: ذكر في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]. (**المليك**): قَالَ أَصْحَاب الْمعَانِي: (**الْملك**) النَّافِذ الْأَمر فِي ملكه، إِذْ لَيْسَ كل مَالك ينفذ أمره وتصرفه فِيمَا يملكهُ، فالملك أَعم من الْمَالِك، وَالله تَعَالَىٰ مَالك المالكين كلهم، والملاك إِنَّمَا استفادوا التَّصَرُّف فِي أملاكهم من جِهَته تَعَالَىٰ، و(**المليك**) هو: المالك المتصرف.

٩٠- **المنان**: في مسند أحمد (١٢٦١١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ فِي دُعَائِهِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟» قَالَ: فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى».

(**الْمَنَّانِ**): بمعنىٰ (المعطي)، وبمعنىٰ أنه يستحق أن يَمُنَّ علىٰ عباده، ويذكرهم بآلائه، ونعمه، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»[1]، وهذا دليل علىٰ أن أسماء الله تتفاضل فمنها عظيم وأعظم، والصحيح أن الاسم الأعظم لفظ الجلالة: (الله).

٩١- **المهيمن**: ذكر في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "المطلع علىٰ خفايا الأمور، وخبايا الصدور الذي أحاط بكل شيء علمًا".

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٥٨) وهو حديثٌ حسنٌ، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهو الأمين المسيطر، الرقيب علىٰ كل شيء، وهو بمعنىٰ الشهيد، والرقيب.

٩٢- النور: في موطن واحد من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥].

(النُّورُ): من أسماء الله الحسنىٰ، وقد ذهب بعض العلماء إلىٰ عدم إثبات هذا الاسم؛ إلا أن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ دافع عنه واثبته كما في مختصر الصواعق المرسلة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن أسمائه الحسنىٰ (النور) فالنور: وصفه العظيم، وأسماؤه حسنىٰ، وصفاته أكمل الصفات له تعالىٰ رحمة، وحمد، وحكمة، وهو نور السماوات والأرض الذي نور قلوب العارفين بمعرفته، والإيمان به ونور أفئدتهم بهدايته، وهو الذي أنار السماوات والأرض بالأنوار التي وضعها، وحجابه النور: (**لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه**)، وبنوره استنارت جنات النعيم، والنور الذي هو وصفه من جملة نعوته العظيمة" اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مختصر الصواعق (ص: ٤١٩): "أَنَّ النُّورَ جَاءَ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ، وَهَذَا الِاسْمُ مِمَّا تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ وَأَثْبَتُوهُ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَهُوَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالَّذِي رَوَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَمِنْ طَرِيقِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمُحَالٌ أَنْ يُسَمِّيَ نَفْسَهُ نُورًا، وَلَيْسَ لَهُ نُورٌ، وَلَا صِفَةُ النُّورِ ثَابِتَةٌ لَهُ، كَمَا أَنَّ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ عَلِيمًا قَدِيرًا سَمِيعًا بَصِيرًا، وَلَا عِلْمَ لَهُ وَلَا قُدْرَةَ، بَلْ صِحَّةُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهِ مُسْتَلْزِمَةٌ لِثُبُوتِ مَعَانِيهَا لَهُ، وَانْتِفَاءُ حَقَائِقِهَا عَنْهُ مُسْتَلْزِمٌ لِنَفْيِهَا عَنْهُ، وَالثَّانِي بَاطِلٌ قَطْعًا فَتَعَيَّنَ الْأَوَّلُ".

٩٣- الواحد: في ستة مواطن كلها مقترنة بالقهار، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥﴾ [ص: ٦٥].

(الوَاحِدُ): ويثبت له صفة الأحدية، فهو الواحد الأحد هو الذي توحّد بجميع

الكمالات، وتفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال، وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال، ونهايته من كل صفة من هذه الصفات فيجب على العبيد توحيده، عقدًا، وقولًا، وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة.

٩٤- الواسع: ورد في ثمانية مواطن، قال تعالىٰ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]. (الوَاسِعُ): واسعٌ في أسمائه، وواسعٌ في صفاته، وواسعٌ في ذاته، وواسع في عطائه، وإنما استوىٰ علىٰ العرش لحكمة أرادها، وإلا فإن الله أعظم وأعظم وأعظم، فمن زعم أن العرش يظله ويقله فقد كفر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مَــن ذاكَ يَسْــأَلُني فَيُعْطَــىٰ سُــؤْلَهُ ... مَــنْ ذَا يَتُــوبُ إِلَــيَّ مِــنْ عِصْــيَانِ
مَــن ذاكَ يَسْــأَلُني فَــأَغْفِر ذَنْبَــهُ ... فَأَنَــا الــوَدُودُ الوَاسِــعُ الغُفْــرَانِ

٩٥- الودود: ورد في موطنين من القرآن، أحدهما محلىٰ بالألف واللام، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج: ١٤]، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هود: ٩٠]. (الوَدُودُ): المُحِبُ لأوليائه، والمُحَبُ من أوليائه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(الوَدُوْدُ) هو: المحب المحبوب بمعنىٰ واد ومودود، فهو الذي يحب أنبياءه، ورسله، وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه وداً، وإخلاصًا، وإنابة من جميع الوجوه، ولا تعادل محبة الله من أصفيائه محبة أخرىٰ، لا

في أصلها، ولا في كيفيتها، ولا في متعلقاتها، وهذا هو الفرض، والواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة، غالبة كل محبة، ويتعين أن تكون بقية المحاب تبعـًا لها، ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة، والباطنة ناشئة عن محبة الله، ومحبة العبد لربه فضل من الله وإحسان، ليست بحول العبد، ولا قوته فهو تعالىٰ الذي أحب عبده فجعل المحبة في قلبه ثم لما أحبه العبد بتوفيقه جازاه الله بحب آخر، فهذا هو الإحسان المحض علىٰ الحقيقة، إذ منه السبب ومنه المسبب ليس المقصود منها المعارضة، وإنما ذلك محبة منه تعالىٰ للشاكرين من عباده ولشكرهم، فالمصلحة كلها عائدة إلىٰ العبد، فتبارك الذي جعل وأودع المحبة في قلوب المؤمنين، ثم لم يزل ينميها ويقويها حتىٰ وصلت في قلوب الأصفياء إلىٰ حالة تتضاءل عندها جميع المحاب، وتسليهم عن الأحباب وتهون عليهم المصائب وتلذذ لهم مشقة الطاعة، وتثمر لهم ما يشاءون من أصناف الكرامات التي أعلاها محبة الله والفوز برضاه والأنس بقربه.

فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه: فمحبة قبلها صار بها محب لربه، ومحبة بعدها شكراً من الله علىٰ محبة صار بها من أصفيائه المخلصين، وأعظم سبب يكتسب به العبد محبة ربه التي هي أعظم المطالب، الإكثار من ذكره والثناء عليه وكثرة الإنابة إليه، وقوة التوكيل عليه، والتقرب إليه بالفرائض والنوافل، وتحقيق الإخلاص له في الأقوال والأفعال، ومتابعة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهراً وباطنـًا قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١](١)"اهـ.

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ للسعدي (ص: ٢٤٢/ ٢٤٣).

قال ابن القيم في نونيته:

وَهُوَ الوَدُودُ يُحِبُّهُم ويُحبُّهُ أحبَابُهُ وَالفَضلُ للمَنَّان

٩٦- الوكيل: ورد في أربعة عشر موطنا، قال تعالىٰ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(الوَكِيْلُ): (الحافظ، والكفيل)، المتولي لتدبير خلقه بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، والذي تولىٰ أولياءه فيسرهم لليسرىٰ، وجنبهم العسرىٰ وكفاهم الأمور.

فمن اتخذه وكيلًا كفاه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]. أفاده السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩٧- الوليُّ: ورد في ثلاثين موطنًا من القرآن، حلي بالألف واللام في موطنين، قال تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الشورىٰ:٩]، ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

(الْوَلِيُّ): الذي يتولىٰ عباده ويكرمهم ويدافع عنهم وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «من عادَىٰ لي وليًّا فقد آذنتُه بالحربِ»[1].

قال الزجاج رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٥٥): "(الْوَلِيّ): هُوَ فعيل من الْمُوَالَاة، وَالْوَلِيّ النَّاصِر، وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وَهُوَ تَعَالَىٰ وليهم بِأَن يتَوَلَّىٰ نَصرهم، وإرشادهم كَمَا يتَوَلَّىٰ ذَلِك من الصَّبِي وليه وَهُوَ يتَوَلَّىٰ يَوْم الْحساب ثوابهم، وجزاءهم" اهـ.

٩٨- الوهاب: ورد في موطنين من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ [ص: ٩].

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(الوَهَابُ): الذي يعطي لعباده، ما شاء من الأرزاق، والذرية، والعلم.

قال الزجاجي في اشتقاق أسماء الله (ص: ١٢٦): (الوهاب): الكثير الهبة والعطية، وفعال في كلام العرب للمبالغة، فالله عَزَّوَجَلَّ وهاب يهب لعباده واحدًا بعد واحد ويعطيهم، فجاءت الصفة علىٰ فعال لكثرة ذلك وتردده. والهبة: الإعطاء تفضلاً وابتداء من غير استحقاق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

وكَــذلِكَ الوَهَّــابُ مِــن أَسْــمَائِهِ ... فَــانْظُرْ مَوَاهِبَــهُ مَــدَىٰ الأزَمَــان
أهْـلُ السَّـمَواتِ العُلَـىٰ والأرْضِ عَـنْ ... تِلْــكَ المَواهِــبِ لَــيْسَ يَنْفَكَّــان

٩٩- الوتر: في البخاري(٦٤١٠) مسلم (٢٦٧٧) عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ». (الوِتْرُ) أي: أن الله فرد أحد لا ثاني له، ولا يثبت من أسماء الله الفرد، بدليل صحيح، مع أنه يثبته بعض أهل العلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٢٠/ ٤١): وَ(الوِتْرُ): انْفِرَادُ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: عِزٌّ بِلَا ذُلٍّ، وَقُدْرَةٌ بِلَا عَجْزٍ، وَقُوَّةٌ بِلَا ضَعْفٍ، وَعِلْمٌ بِلَا جَهْلٍ، وَحَيَاةٌ بِلَا مَوْتٍ، وَبَصَرٌ بِلَا عَمًىٰ، وَكَلَامٌ بِلَا خَرَسٍ، وَسَمْعٌ بِلَا صَمَمٍ، وَمَا وَازَاهَا. اهـ.

هذه الأسماء أرجو أن تكون هي المرادة من حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»، وإلا فأسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ غير محصورة بعدد معلوم لنا علىٰ ما تقدم، زد علىٰ ذلك أنني لم أذكر الأسماء المركبة كـ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢]. ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩]، والحمد لله رب العالمين.

فصل

واذكر هنا زيادة للفائدة، وبيانًا لعدم حصر أسماء الله في تسعة وتسعين بعض الأسماء الحسنىٰ الثابتة في القرآن، والسنة زيادة عن التسعة والتسعين المذكورة قبل، والله الموفق.

١٠٠- الحيي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ [البقرة:٢٦].

فهو (حييٌ كريم)، ولذلك أمر بالطاعات، وحذر من المعاصي، والذنوب، والسيئات، ولذلك يحبُ الطاعات، ويكره الكفر، والفسوق، والعصيان.

فـ(الحيي) في المخلوق هو الذي ميله إلىٰ الطاعة محبةً وفعلا والله عَزَّوَجَلَّ حييٌ يأمر بالطاعة وينهىٰ عن المعصية، وحييٌ يستحي من عبده أن يدعوه ولا يكرمه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحيي، الستير): يحب أهل الحياء، والستر، ومن ستر مسلمًا ستر الله عليه في الدنيا، والآخرة، ولهذا يكره من عبده إذا فعل معصية أن يذيعها، بل يتوب إليه فيما بينه وبينه ولا يظهرها للناس، وإن من أمقت الناس إليه من بات عاصيًا، والله يستره فيصبح يكشف ستر الله عليه اهـ.

١٠١- السَتِير: بفتح السين، الذي يستر علىٰ عبده، وَعَنْ يَعْلَىٰ بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّير»، أخرجه أبو داود (٤٠١٢) وأحمد (٤/ ٢٢٤) والنسائي(٤٠٦)، وهو حديثٌ صحيحٌ، والعامة يقولون ستار [يا ساتر]، ولا يصح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهُوَ الحَيِيُّ فَلَيسَ يَفضَحُ عَبدَهُ ... عِندَ التَّجَاهُرِ مِنهُ بِالعِصيَان
لَكِنَّهُ يُلقِي عَلَيهِ سِترَهُ ... فَهُوَ السِّتِيرُ وَصَاحبُ الغُفرَان

١٠٢- الكفيل: الضامن. قال تعالىٰ: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾

[النحل:٩١]. أي: ضامنًا عليكم.

وعلق الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الحوالات، بعد حديث رقم (٢٢٩١) ووصله أحمد (٢/ ٣٤٨).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ. فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ. فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ. قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا.

قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟. قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهُـو الكفيـلُ بكُـلِّ مـا يَدعُونَـهُ ... لا يَعتَـري جـدوَاهُ مــن نُقصـانِ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٩١).

١٠٣- **الهادي**: أي: الذي يهدي، ويوفق، ويدل، ويرشد.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾ [الحج:٥٤].

* وقد أثبت هذا الاسم أيضًا الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في الجامع الصحيح.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " هُوَ الَّذِي هدىٰ خلقه إِلَىٰ مَعْرفَته وربوبيته، وَهُوَ الَّذِي هدىٰ عباده إِلَىٰ صراطه الْمُسْتَقيم كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البقرة:١٤٢]. " اهـ

١٠٤- **العلام**: صفة مبالغة من العلم علام الغيوب وغيرها، الذي يعلم السر وأخفىٰ، ولا يخفىٰ عليه شيء، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾.

١٠٥- **الوارِث**: من الأسماء المختلف فيها، ومعناه الذي يرث عباده يقبضهم فلا يبقىٰ إلا هو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل بَاقٍ بعد ذَاهِب فَهُوَ وراث، أَو لم يكن علىٰ هَذَا يدل وضع الْكَلِمَة، وَفِي الحَدِيث أَن رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُول فِي دُعَائِهِ: «متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، واجعله الْوَارِث منا»[1].

١٠٦- **المولى**: و(**المولىٰ**) في كلام العرب علىٰ وجوه: المولىٰ: الناصر، والمولىٰ: المنعم، والمولىٰ: المنعم عليه، والمراد به في الآية يجوز أن يكون الناصر فقيل: «يا نعم المولى ويا نعم النصير».

١٠٧- **النصير**: الذي يتولىٰ عباده، وينصرهم قال تعالىٰ: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٠٢)، من حديث ابن عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا- وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في صحيح الترمذي.

قال الزجاجي في اشتقاق أسماء الله (ص: ١٤٥): و(النصير، والناصر، والمولىٰ) سواء، فجاز الجمع بينهما لاختلاف الألفاظ.

وقد تجعل هذه الأسماء من الأسماء المركبة، وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع علىٰ جواز دعاء الله بالأسماء المركبة.

وباب الأسماء والصفات باب واسع، أُلفت فيه المختصرات والمطولات، لكن ما قل وكفىٰ فيه خير، والله المستعان.

تنبيهات

* تنبيه: سرد الأسماء الحسنىٰ لم يثبت مرفوعًا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال شيخ الإسلام في «الفتاوى الكبرى» (٢/٣٨٠): "إن التسعة والتسعين اسمًا لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثان أضعف من هذا رواه ابن ماجه" اهـ.

* تنبيه: القاعدة عند أهل البيان، أن الزيادة في المباني تدل علىٰ الزيادة في المعاني، ومن هذا الباب ما جاء من الأسماء الحسنىٰ الدالة علىٰ معنىٰ واحد فإنها تثبت علىٰ ما جاءت فمثلا: (الرازق، والرزاق، والعالم، والعليم، والعلام).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» (٤٦): "لا خلاف في أن الاسم الواحد قد يرد علىٰ مفهومات، ولا ينبغي أن تختلف أنه ليس في الأسماء الحسنىٰ ترادف، وأن كل اسم منها مختص بمفهوم كالواحد، والأحد، والغفور، والغافر، والغفار، والعليم والخبير وشبهها" اهـ.

الثاني: الأسماء المقترنة لا يصح فيها إطلاق اسم منها دون الآخر.

قال ابن الوزير في «إيثار الحق على الخلق» (ص: ١٧٤): "علىٰ تقدير صحة أن اسم الضار لا يجوز إفراده عن النافع، فحين لم يجز إفراده لم يكن مفردًا من أسماء الله تعالىٰ، وإذا وجب ضمه إلىٰ النافع كانا معًا كالاسم الواحد المركب من كلمتين، مثل: عبدالله وبعلبك، فلو نطقت بالضار وحده لم يكن اسمًا لذلك المسمىٰ به، ومتىٰ كان الاسم هو الضار النافع معًا كان في معنىٰ مالك الضر والنفع؛ وذلك في معنىٰ مالك الأمر كله، ومالك الملك، وهذا المعنىٰ من الأسماء الحسنىٰ، وهو في

معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية. وهو في معنىٰ القدير علىٰ كل شيء.

وميزان الأسماء الحسنىٰ يدور علىٰ المدح بالملك والاستقلال وما يعود إلىٰ هذا المعنىٰ، وعلىٰ المدح بالحمد والثناء وما يعود إلىٰ ذلك" اهـ.

فصل: وجوب احترام أسماء الله عز وجل

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج:٣٢].

* وقد قلت في كتابي: «فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد» تحت قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ «باب احترام أسماء الله تعالى»: **الاحترام**: هو التقدير، والإجلال، واحترام أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وصفاته تكون بأمور:

الأول: إثبات ما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه، وأثبته رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: إثبات ما تضمنته من الصفات، إذ أن كل اسم يتضمن صفة، فالسميع يسمع، والبصير يبصر، والقوي ذو القوة، وهكذا.

الثالث: دعاء الله عَزَّوَجَلَّ بها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:١٨٠].

الرابع: عدم التسمي بها إن كانت مختصة بالله عَزَّوَجَلَّ، وإن كانت غير مختصة منع الجمع بين التسمية، والصفة.

الخامس: اعتقاد عدم حصرها بعدد معلوم لنا علىٰ ما بينته في كتابي: «التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين».

السادس: التعبد لله عَزَّوَجَلَّ بمقتضاها بمعنىٰ: أن المؤمن يرحم ويحسن وغير ذلك.

السابع: البعد عن الإلحاد فيها بجميع أنواع الإلحاد، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقد ذكرت أنواع الإلحاد في كتابي: «القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن».

الثامن: احترام أدلتها وصيانتها من التحريف والتعطيل، والتكييف والتمثيل،

والتأويل الفاسد، والتفويض وغير ذلك مما يسلكه المبتدعة.

التاسع: احترامها من الامتهان، أو الدوس عليها، ونحو ذلك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج:٣٢].

العاشر: عدم الحلف إلا بها لقوله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»[1].

الحادي عشر: التعبيد بها، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ: عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»[2]، من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا.

الثاني عشر: اعتقاد ما تضمنته من المدح، وما دلت عليه من الكمال، فإنها أسماء مدح وكمال.

الثالث عشر: ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

الرابع عشر: إحصاؤها، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، **متفق عليه**[3]، والإحصاء: هو الحفظ لها والعمل بمقتضاها.

الخامس عشر: اعتقاد أنها غير مخلوقة، بل هي أسماء وصفات لله عَزَّوَجَلَّ على الوجه اللائق به.

وكل ما ذكرت من القواعد في كتابي: «القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن».

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.
(٢) أخرجه أحمد (١٩٠٣٢)، والترمذي (٢٨٣٣)، وغيرهما.
(٣) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

فهو دلالة إلىٰ كيفية احترام هذه الأسماء وما دلت عليه من الصفات، بعيدًا عن سبيل المبتدعين والضالين، وبالله التوفيق.

مختصر أصول أهل السُنة والجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَهْلَ اَلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ زَمَنِ رَسُولِ اَللهِ ﷺ وَإِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا، وَإِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اَللهُ اَلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، حَرِيصُونَ كُلَّ اَلْحِرْصِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ مَا أَنْزَلَهُ اَللهُ تَعَالَىٰ، وَبَيَّنَهُ رَسُولُهُ ﷺ، وَهَذَا هُوَ اَلْأَمْرُ اَلَّذِي بِسَبَبِهِ اِسْتَحَقُّوا هَذَا اَلِاسْمَ: (أَهْلُ اَلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ).

فَـ(السُّنَّةُ): هِيَ طَرِيقَةُ اَلنَّبِيِّ ﷺ اَلْقَوْلِيَّةُ، وَالْفِعْلِيَّةُ، وَالِاعْتِقَادِيَّةُ.

وَ(الْجَمَاعَةُ): هُمُ اَلصَّحَابَةُ اَلَّذِينَ اِجْتَمَعُوا عَلَىٰ اَلْحَقِّ، وَالْهُدَىٰ، وَالْخَيْرِ اَلَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اَللهِ ﷺ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ.

۞ وَمِنْ أَسْمَائِهِمْ (أَهْلُ الْحَدِيثِ)؛ لِأَنَّهُمْ قَدَّمُوا اَلْحَدِيثَ فِي جَمِيعِ شُؤُونِهِمْ، فَإِذَا تَكَلَّمُوا بِالتَّوْحِيدِ جَاءُوا بِالْحَدِيثِ، وَإِذَا حَذَّرُوا مِنَ الْبِدْعَةِ جَاءُوا بِالْحَدِيثِ، وَإِذَا دَعَوْا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ جَاءُوا بِالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

۞ وَمِنْ أَسْمَائِهِمْ (أَهْلُ اَلْأَثَرِ)؛ وَذَلِكَ لِاتِّبَاعِهِمْ آثَارَ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ اَلسَّلَفِ اَلصَّالِحِ، فَتَجِدُ أَنَّهُمْ يَتَعَلَّقُونَ جِدًّا بِمَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اَللهِ ﷺ، وَعَنْ اَلصَّحَابَةِ بِمَا لَا يُخَالِفُونَ فِيهِ دَلِيلاً.

وَهَكَذَا يَهْتَمُّونَ بِأَقْوَالِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ لِأَنَّهُمْ مِنَ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْمُفَضَّلَةِ الَّذِينَ أَثْنَى عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[(١)].

وَمِنْ أَسْمَائِهِمْ (السَّلَفِيُّونَ)؛ سُمُّوا بِهِ لِأَخْذِهِمْ طَرِيقَةَ السَّلَفِ، وَ(السَّلَفُ): هُوَ الْمُتَقَدِّمُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة:٢٧٥].

وَمُتَقَدِّمُهُمْ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِمْ (الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ) أَيْ: مَنْصُورَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَهَا، وَإِنْ كَانُوا مَنْ كَانُوا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ نَصَرَ رُسُلَهُ، وَكَانُوا أَفْرَادًا عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ، وَهَكَذَا يَنْصُرُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ عَلَى مَنْ خَالَفَهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»[(٢)].

وَ(الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ) أَيْ: مِنْ عَذَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمِنَ الْبِدَعِ وَالِاخْتِلَافِ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَنِ الطَّائِفَةِ -لِأَنَّ مَنْهَجَهُمْ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى فَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ- لَا عَنِ الْأَفْرَادِ، فَإِنَّ الْأَفْرَادَ مُعَرَّضُونَ لِمَا يَتَعَرَّضُ لَهُ غَيْرُهُمْ، وَهُمْ فِي فِعْلِ مَعَاصِيهِمْ دُونَ الشِّرْكِ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨].

(١) متفق عليه عن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه عن المغيرة شعبة، ومعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ(١):

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنَ الْخَطَا ... فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِذِي الْعَطَا
فَإِنْ يَشَأْ يَعْفُ وَإِنْ شَاءَ انْتَقَمْ ... وَإِنْ يَشَأْ أَعْطَى وَأَجْزَلَ النِّعَمْ

وَقَدْ حَصَلَتِ الْفُرْقَةُ فِي ٱلْأُمَّةِ مِصْدَاقًا؛ لِحَدِيثِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى، أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»(٣).

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: "أُصُولُ الْبِدَعِ أَرْبَعٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ طَائِفَةً، فَتِلْكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً، وَالثَّالِثَةُ وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا النَّاجِيَةُ»"(٤). اهـ

وَإِذْ نَقُولُ أَهْلُ ٱلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَلَيْسَ ٱلْمُرَادُ بِهِمْ طُلَّابَ ٱلْعِلْمِ، وَخُطَبَاءَ ٱلْمَسَاجِدِ فَقَطْ؛ بَلْ يَدْخُلُ فِيهِمْ كُلُّ مِنْ سَارَ عَلَىٰ سَيْرِهِمْ مِنْ عَوَامِّ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَتُجَّارِهِمْ، وَأَوْلِيَاءِ أُمُورِهِمْ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يَتَلَوَّثْ بِبِدْعَةٍ.

وَكَمْ كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ شَيْخِنَا مُقْبِلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: "أَهْلُ ٱلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْهُمُ ٱلْعَالِمُ، وَالْمُهَنْدِسُ، وَالْمَسْؤُولُ، وَالطَّبِيبُ، وَالْعَسْكَرِيُّ، فَكُلُّ مِنْ أَخَذَ بِطَرِيقِهِمْ، وَأَحَبَّهُ، وَاعْتَقَدَهُ، وَسَارَ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنْهُمْ عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ كَانَ، وَفِي أَيِّ جَبَلٍ، أَوْ سَهْلٍ، أَوْ بَحْرٍ أَوْ بَرٍّ" انْتَهَـىٰ بِمَعْنَاهُ.

---

(١) وهو السفاريني في "العقيدة السفارينية" ت: (٨٥-٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والحديث في الصحيح المسند (١٣١٧) لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال: هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢) عن عوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) الشريعة للآجري (١/ ٣٠٣/ ث٢٠).

وَهُنَا أُصُولٌ يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَهَا الْمُسْلِمُ، وَيَسِيرَ عَلَيْهَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذِهِ اَلطَّائِفَةِ وَهَذِهِ اَلْفِرْقَةِ، اَلَّتِي أَثْنَىٰ عَلَيْهَا رَسُولُ اَللهِ ﷺ، وَاَلَّتِي هِيَ اِمْتِدَادٌ لِدَعْوَةِ رَسُولِ اَللهِ ﷺ.

فَإِنَّ مِنْ حِفْظِ اَللهِ لِلدِّينِ أَنْ جَعَلَ هَذِهِ الدَّعْوَةَ اِمْتِدَادًا لِدَعْوَةِ رَسُولِ اَللهِ ﷺ، تَقَعُ الْبِدَعُ وَيُثْبِتُ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَتَأْتِي الْمُنْكَرَاتُ وَيُنْكِرُهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، وَتُضْعُفُ الْعِبَادَةُ وَيَقُومُ بِهَا أَهْلُ السُّنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

حَيْثُ حَفِظَهُ اَللهُ بِأَهْلِ اَلسُّنَّةِ لَفْظًا وَمَعْنًا، وَقَدْ يَحْفَظُ بَعْضُ أَهْلِ اَلْبِدَعِ شَيْئًا مِنْ الْعَلَمِ؛ لَكِنْ مَعَ تَحْرِيفِهِ وَتَغْيِيرِهِ، لَا سِيَّمَا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الِاعْتِقَادِ.

وَأَعْظَمُ الْأُصُولِ الَّتِي يَسِيرُ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُوَ مَا تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[١] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ (الْإِسْلَامِ)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ (الْإِيمَانِ). قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ (الْإِحْسَانِ). قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ

---

(١) برقم (٨).

فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ (السَّاعَةِ). قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ (أَمَارَتِهَا) قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟». قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

وَلْنَشْرَعْ فِي ذِكْرِ هَذِهِ الْأُصُولِ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

الْإِيمَانُ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ

وَهُوَ: أَنْ يُفْرَدَ بِرُبُوبِيَّتِهِ ٱلْمُتَضَمِّنَةُ لِلْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥].

وَأَنْ يُفْرَدَ بِالْأُلُوهِيَّةِ فَلَا يُعْبَدُ غَيْرُهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فَلَا يَعْبُدُ مَعَ اللهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ بَلْ يُعْبَدُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

* وَيَدْخُلُ فِي ٱلْإِيمَانِ بِٱللهِ عَزَّوَجَلَّ، ٱلْإِيمَانُ بِأَسْمَاءِ ٱللهِ تَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ.

فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتُ الْعُلَىٰ، وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِكُلِّ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ فِي صَحِيحِ سُنَّتِهِ مِنْ غَيْرِ: (تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ).

بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كَمَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

* فَطَرِيقَةُ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ: (إِثْبَاتٌ بِلَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهٌ بِلَا تَعْطِيلٍ).

وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ أَنْ نَعْتَقِدَ مَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

وَقَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وَقَالَ جَلَّجَلَالُهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [سورة الحشر:٢٢-٢٤].

* فَنُؤْمِنُ أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِالْكَمَالِ الْمُقَدَّسِ.

- فَهُوَ الْعَلِيمُ.
- السَّمِيعُ.
- الْبَصِيرُ.
- الْقَوِيُّ.

* وَنُؤْمِنُ أَنَّهُ:

- يَغْضَبُ.
- وَيَرْضَى.
- وَيَسْخَطُ.
- وَيُحِبُّ.

* وَيَنْزِلُ إِلَىٰ اَلسَّمَاءِ اَلدُّنْيَا فِي اَلثُّلُثِ اَلْأَخِيرِ مِنَ اَللَّيْلِ.

* وَيَجِيءُ، وَيَأْتِي يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ اَلْعِبَادِ.

وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَثْبُتُ بِهِ اَلْأَدِلَّةُ، مِنْ صِفَاتِ اَلْأَفْعَالِ، فَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦].

* وَنُؤْمِنُ أَنَّهُ يَمْكُرُ بِالْمَاكِرِينَ، وَيَكِيدُ بِالْكَائِدِينَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال:٣٠].

وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق:١٥-١٦].

* وَنُثْبِتُ لِلَّهِ صِفَةَ اَلْوَجْهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ اَلْأَدِلَّةُ مِنَ اَلصِّفَاتِ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، عَلَىٰ مَا هُوَ مُفَصَّلٌ فِي اَلْمُطَوَّلَاتِ وَالْمُخْتَصَرَاتِ.

* وَمِنْ طَرِيقَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُحَذِّرُونَ مِنَ اَلْغُلُوِّ اَلْمُفْضِي إِلَىٰ اَلشِّرْكِ، وَالْبِدْعَةِ.

فَمَا عُبِدَتِ اَلْقُبُورُ، وَالْأَوْلِيَاءُ إِلَّا بِسَبَبِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١﴾ [النساء:١٧١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

* وَمِنْ طَرِيقَتِهِمْ أَنَّهُمْ يَحْذَرُونَ، وَيُحَذِّرُونَ مِنَ اَلسِّحْرِ، وَالشَّعْوَذَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ اَلرِّدَّةِ.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[1].

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٣٠٤٥) وسنده حسن والحديث صحيح بمجموع طرقه.

وَمِنْ أُصُولِهِمُ الْإِيمَانُ بِمَلَائِكَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

* وَأَنَّهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ خَلَقَهُمْ مِنْ نُورٍ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ»[1].

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم:٦].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧].

وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء:٢٠].

* خَلَقَهُمْ وَوَكَّلَ إِلَيْهِمُ التَّصَرُّفَ فِي شُئُونِ الْعَالَمِ:

- فَمِنْهُمْ: الصَّافُّونَ.
- وَمِنْهُمْ: الْمُسَبِّحُونَ.
- وَمِنْهُمْ: الْمُرْسَلَاتِ.
- وَمِنْهُمْ: الْمُقَسِّمَاتِ.
- وَمِنْهُمْ: النَّازِعَاتِ.
- وَمِنْهُمْ: النَّاشِطَاتِ.
- وَمِنْهُمْ: الْفَارِقَاتِ.

وَمِنْهُمْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْصَافِ.

* أَعْظَمُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ بِالْوَحْيِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء:١٩٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

وَمِنْ أُصُولِهِمْ الْإِيمَانُ بِمَلَائِكَةِ اللهِ

ثُمَّ مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَلَكُ الْقَطْرِ، كَمَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ»(١).

ثُمَّ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّوَرِ.

* وَنُؤْمِنُ بِبَقِيَّتِهِمْ:

- كَمَلَكِ الْمَوْتِ.
- وَمَالِكٍ خَازِنِ النَّارِ.
- وَخَازِنِ الْجَنَّةِ.

* وَبِمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَرَسُولُهُ ﷺ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[الأنفطار:١٠-١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

* وَهُمْ مَخْلُوقَاتٌ كَثِيرَةٌ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١].

* وَعَظِيمَةٌ كَبِيرَةٌ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، والحديث في الصحيح المسند (٢٤٨) لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمِنْ أُصُولِهِمْ: الْإِيمَانُ بِرُسُلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

* وَأَنَّهُ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَرْسَلَ رُسُلاً إِلَىٰ أُمَمِهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [غافر:٧٨].

فَمَنْ كَفَرَ بِرَسُولٍ مِنْهُمْ؛ فَهُوَ كَافِرٌ بِدِينِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَافِرٌ بِجَمِيعِهِمْ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، وَهُمْ إِنَّمَا كَذَّبُوا نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥].

* وَنُؤْمِنُ بِمَنْ قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْهُمْ، وَمِنْ لَمْ يَقْصُصْ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٤].

* وَأَعْلَاهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ: (مُحَمَّدٌ ﷺ) الَّذِي يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَالْأَخْذُ بِطَرِيقِهِ.

وَيَتَضَمَّنُ قَوْلُ: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ):

- تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ.
- وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ.
- وَالِانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ.
- وَأَنْ لَا يَعْبُدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

* وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ:٢٨].

وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الاعراف:١٥٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب:٤٠].

* فَمَنْ ادَّعَىٰ اَلنُّبُوَّةَ، أَوْ الرِّسَالَةَ بَعْدَهُ، أَوْ جَوَّزَ النُّبوَّةَ، أَوْ الرِّسَالَةَ بَعْدَهُ فِي غَيْرِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا أَكْبَرَ مَخرِجٌ مِنْ اَلْمِلَّةِ.

وَمِنْ ادَّعَىٰ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولٌ إِلَىٰ اَلْعَرَبِ فَقَطْ؛ فَهُوَ خَارِجٌ مِنْ اَلْمِلَّةِ لَا يَنْفَعُهُ إِقْرَارُهُ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّىٰ يَضُمَّ إِلَيْهَا مَا سَبَقَ.

قَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[(١)].

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَمِنْ أُصُولِهِمْ: الْإِيمَانُ بِكُتُبِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَنَّهَا كَلَامُ اللهِ، وَوَحْيُهُ، وَتَنْزِيلُهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد:٢٥].

* وَهِيَ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ، أَعْلَمَنَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْهَا:

- بِالتَّورَاةِ.
- وَالْإِنْجِيلِ.
- وَالْقُرْآنِ.
- وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ.
- وَصُحُفِ مُوسَىٰ.
- وَالزَّبُورِ.

* فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ تَكَلَّمَ بِهَا حَقِيقَةً، وَأَنْزَلَهَا عَلَىٰ رُسُلِهِ، وَفِيهَا مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ.

إِلَّا أَنَّهَا قَدْ غُيِّرَتْ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣].

وَحُفِظَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ؛ الَّذِي هُوَ وَحْيُ اللهِ وَتَنْزِيلُهُ، وَنُورُهُ، وَرَحْمَتُهُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩].

* فَنُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ تَكَلَّمَ بِهِ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح:١٥].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»(١).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "... وَلَكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَىٰ، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

* فَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ مُتَكَلِّمٌ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، وَقَالَ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥﴾ [القصص:٦٥].

* وَمَنْ زَعَمَ: أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَّرَهُ الْعُلَمَاءُ قَاطِبَةً.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢):

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي ... عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
واللَّالَكَائِيُّ الإِمامُ حَكاهُ عَنْ ... هُمْ بَلْ حَكاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرانِيُّ

* فَنَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ فِي "رَدِّهِ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ" (٨٨) عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ: "أَدْرَكْتُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَنْ دُونَهُمْ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: اللهُ خَالِقٌ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ مِنْهُ خَرَجَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ".

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) في «النونية» (٤٢ص / ت٦٣٣-٦٣٤) ط عالم الفوائد.

قَالَ إِسْحَاقُ بِنْ رَاهَوَيْهِ بَعْدَ ذِكْرِ قَوْلِ عَمْرِو بِنْ دِينَارٍ كَمَا عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي الْأَسَمَاءِ وَالصِّفَاتِ: "وَقَدْ أَدْرَكَ عَمْرُو بِنْ دِينَارٍ أَجِلَّةَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْبَدْرِيِّنَ وَالْمُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصارِ.

مِثْلَ: جَابِرِ بِنْ عَبْدِ اللهِ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بِنْ عُمَرَ، وَعَبْدِ اللهِ بِنْ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللهِ بِنْ الزُّبَيرِ، وَأَجِلَّةِ التَّابِعِيْنَ، وَعَلَىٰ هَذَا مَضَىٰ صَدْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ".

(مِنْهُ بَدَأَ) أَيْ: قَوْلاً تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَسَمِعَهُ مِنْهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَ(إِلَيْهِ يَعُودُ) أَيْ: فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

فَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا»[1].

حَيْثُ يُرْفَعُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، وَالصُّحُفِ، وَقَدْ حَصَلَ نَحْوَ هَذَا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:

أَنَّ أَبَا مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَ إِلَىٰ قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ.

فَقَالَ: "أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ، فَاتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ، كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.

وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: (لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَىٰ وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحديث في الصحيح المسند.

وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ، فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1]. اهـ

---

(١) رواه مسلم (١٠٥٠).

وَمِنْ أُصُولِهِمْ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَمَا فِيهِ مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:٣-٥].

* وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِالْقَبْرِ، وَمَا فِيهِ مِنْ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ، وَالرَّافِضَةِ، وَالْخَوَارِجِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى سَيْرِهِمْ.

وَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ.

فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟.

فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»(١).

* وَفِي الْقَبْرِ ضَمَّةٌ وَفِتْنَةٌ، فَعَنْ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ فِي مَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ جَهَنَّمَ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(٣).

* فَنُؤْمِنُ بِـ(الْقَبْرِ)، وَمَا فِيهِ مِنْ النَّعِيمِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَمَا فِيهِ مِنْ الْعَذَابِ لِلْكَافِرِينَ، وَمَنْ أَرَادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَذَابَهُ مِنْ عُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر:٤٦]، وَغَيْرِهَا مِنْ الْآيَاتِ.

---

(١) رواه أحمد (٤٥٤).

(٢) رواه النسائي (٢٠٧٣).

(٣) رواه مسلم (٥٨٨).

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِ الْكُفَّارِ: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس:٥٢].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: بِأَنَّهَا رَقْدَةٌ قَبْلَ الْبَعْثِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ رَقْدَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَهْوَالِ الشَّدِيدَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَحَادِيثُ عَذَابِ الْقَبْرِ مُتَوَاتِرَةٌ.

* وَنُؤْمِنُ بِـ(الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ)، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ [يس:٥١-٥٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ، كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة:١١٧-١١٨].

قَالَ: فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ - وَفِي رِوَايَةٍ - فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

* وَنُؤْمِنُ بِمَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ:

- مِنْ (تَطَايُرِ الصُّحُفِ).
- وَمِنْ (وَزْنِ الْأَعْمَالِ).

- وَمِنْ (اَلنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اَللهِ عَزَّوَجَلَّ).

قَالَ اَللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَالَ: «﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة:٢٥-٢٧].

* وَنُؤْمِنُ بِـ(الشَّفَاعَةِ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ)، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[(١)].

وَعَنْهُ قَالَ رَسُولُ اَللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ»[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٣٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٣١١).

وَشَفَاعَةُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَنْوَاعٍ:

- الْأُولَى: الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَىٰ، وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِهِ، وَتَكُونُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِيْ وَعَدَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:٧٩].
- الثَّانِيَةُ: شَفَاعَةُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ مِنْ النَّارِ.
- الثَّالِثَةُ: شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي فَتحِ بَابِ ٱلْجَنَّةِ وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِهِ.
- الرَّابِعَةُ: شَفَاعَةُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْمٍ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةُ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.
- الْخَامِسَةُ: شَفَاعَةُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلْجَنَّةِ.
- السَّادِسَةُ: شَفَاعَةُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ الْمُقَيَّدَةُ بِتَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ خُرُوجِهِ مِنْ ٱلنَّارِ، وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِهِ.

* وَنُؤْمِنُ بِـ(الصِّرَاطِ) وَهُوَ: ٱلْجِسْرُ الْمَمْدُودُ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، قَالَ ٱللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾ [مريم:٧٢].

فَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ هَذَا الصِّرَاطِ الَّذِي نَصَبَهُ ٱللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجُوْزُهُ غَيْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَجُوْزُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

* وَنُؤْمِنُ بِـ(حَوْضِ) النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي أَكْرَمَهُ ٱللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر:١].

وَهُوَ: ٱلْحَوْضُ ٱلْعَظِيمُ ٱلْكَبِيرُ، زَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَسِيرَتُهُ شَهْرٌ، وَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، كَمَا صَحَّتْ بِذَلِكَ ٱلْآثَارُ.

فَعَنْ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاَنًا؟ قَالَ: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَأَحَادِيثُ الْحَوْضِ مُتَوَاتِرَةٌ حَتَّىٰ قِيلَ:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبْ ... وَمَنْ بَنَىٰ للهِ بيتًا واحْتَسَبْ
وَرُؤْيَةٌ شَفَاعَةٌ والْحَوضُ ... وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهٰذِىٰ بَعْضُ

* وَنُؤْمِنُ بِـ(الْمِيزَانِ) الَّذِي تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء:٤٧].

- فَيُوزَنُ الْمُؤمِنُ فَيُثْقِلُ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَمَا ضَحِكُوا مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»(١).

- وَتُوزَنُ أَعْمَالُهُ أَيْضًا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---
(١) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمِنْ أُصُولِهِمْ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

- **وَتُوزَنُ صُحُفُ الْأَعْمَالِ**، فَعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ. ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟. فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟. فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ. فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ.قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

* وَيُوزَنُ الْكَافِرُ، وَلَا وَزْنَ لَهُ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

* وَنُؤْمِنُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ (خُلُودِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾ [الكهف:١٠٨].

* وَنُؤْمِنُ بِـ(خُلُودِ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ. فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟.

---

(١) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ. فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

* وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانِ بِـ(أَنَّ اَلْجَنَّةَ، وَالنَّارَ مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، وَأَنَّهُمَا لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، وَلَا تَبِيدَانِ)، وَمِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ وُجُودِهِمَا:

قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنِ الْجَنَّةِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وَقَوله عَنِ النَّارِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤].

وَمِنْ السُّنَّةِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَحَادِيث كَثِيرَةٍ: «رَأَيْتُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ»[(١)].

* وَالْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ فِي أَعْلَىٰ عِلِّيِّين.

---

(١) أخرجه مسلم(٤٢٦)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ يُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»[1].

* وَالنَّارُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ.

كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى»[2].

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤).

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ

* وَأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ خَلَقَهُمَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِحِكْمَةٍ، وَأَمَا حَدِيثُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»[1].

فَمَعْنَاهُ:

- الشَّرُّ لَا يُرْفَعُ إِلَى اللهِ.
- أَوْ: الشَّرُّ لَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ.
- أَوْ: الشَّرُّ لَا يُضَافُ إِلَيْهِ.
- أَوْ: أَنَّ الشَّرَ بِالنِّسْبَةِ لَنَا شَرٌّ، وَبِالنِّسْبَةِ للهِ عَزَّوَجَلَّ لَيْسَ بِشَرٍّ.

* فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى مُقْتَضَى:

- عِلْمِهِ.
- وَحِكْمَتِهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢].

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟. فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ». فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ:

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل:٥-١٠] » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

* وَمَرَاتِبُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ أَرْبَعَةٌ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُحَقِّقَهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:

• الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: (الْعِلْمُ)، وَأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أُمُورِ الْعِبَادِ قَدِيمِهَا، وَحَدِيثِهَا، وَمُسْتَقْبَلِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٨٢﴾ [سورة البقرة:٢٨٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام:٥٩].

• الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: (الْكِتَابَةُ) وَأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾ [الرعد:٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحديد:٢٢].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟، قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(٢).

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

• اَلْمَرْتَبَةُ اَلثَّالِثَةُ: (الْمَشِيئَةُ) وَأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي هَذَا اَلْعَالَمِ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ إِلَّا وَقَدْ شَاءَهُ اَللهُ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ اَللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

* وَمِنْ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: (مَا شَاءَ اَللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ).

* إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَشِيئَةِ.

فَلَيْسَ كُلُّ مَا شَاءَهُ اَللهُ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّهُ، فَقَدْ خَلَقَ الْكُفَّارَ وَلَا يُحِبُّهُمْ، وَخَلَقَ اَلْكُفْرَ وَلَا يُحِبُّهُ، وَخَلَقَ اَلْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ يُحِبُّهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك:٢].

• الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: (الْخَلْقُ) وَأَنَّ اَللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ الْعِبَادَ، وَخَلَقَ أَفْعَالَهُمْ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد:١٦].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ صَانِعَ الْخَزَمِ وَصَنْعَتَهُ»(١).

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١٢٥)، وهو في سلسلة الصحيحة (١٦٣٧).

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْإِيمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٨].

وَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى قِسْمَيْنِ:

١- صُغْرَى: كَمَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَفُشُوِّ الزِّنَا، وَالْخَمْرِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعَهُ مِنْهُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ. وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ. وَيَفْشُوَ الزِّنَا. وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ. وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ. وَتَبْقَى النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٢- كُبْرَى: وَبَعْضُهَا الْمَذْكُورِ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غُرْفَةٍ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَالدَّابَّةَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ تَسُوقُ النَّاسَ أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ، فَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا»"(١).

* فَنُؤْمِنُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ، مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢١٨٣) وهذ لفظه، وجاء في مسلم أيضًا (٢٨٦١).

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَدَاءُ حَقِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

* وَالِاحْتِرَامُ لَهُمْ، وَالتَّبْجِيلُ لَهُمْ، وَالتَّرَضِّي عَنْهُمْ، وَالدُّعَاءُ لَهُمْ، فَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٨-٩]، فَهَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ، وَالْأَنْصَارُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

فَمَنْ سَبَّهُمْ، أَوْ كَفَّرَهُمْ، كَانَ مِنَ الْمَارِقِينَ الْخَارِجِينَ مِنْ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩].

* وَأَعْلَى الصَّحَابَةِ مَنْزِلَةً أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرَ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانَ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كَمَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"(١). وَفِي رِوَايَةٍ: "فَيَبْلُغُ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ"(٢).

وَفِي حَدِيثِ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي - وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟. قَالَ: "أَبُو بَكْرٍ"، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟. قَالَ: "ثُمَّ عُمَرُ"، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: "مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥).

(٢) أخرجه أحمد في «الفضائل» (٨٥٧)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧١).

* ثُمَّ بَقِيَّةُ اَلْعَشَرَةِ عَلَيْهِمْ رِضْوَانُ اَللهِ أَجْمَعِين.

فَقَدْ جَاءَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»[1].

* فَنُقِرُّ لَهُمْ بِالْفَضْلِ، وَنُقِرُّ لَهُمْ بِالشُّكْرِ، وَنَدْعُوا لَهُمْ، وَنتَرَضَّى عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ اَللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

* وَحُبُّهُمْ إِيمَانٌ، وَبُغْضُهُمْ نِفَاقٌ، وَكُفْرٌ، وَطُغْيَانٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

* وَكُلُّهُمْ عِنْدَ اَلنُّصْرَةِ أَنْصَارٌ، فَالْمُهَاجِرُونَ نَاصَرُوا اَلنَّبِيَّ ﷺ كَمَا فِي اَلْآيَةِ، وَالْأَنْصَارُ نَاصَرُوا اَلنَّبِيَّ ﷺ، إِلَّا أَنَّنَا نَعْتَقِدُ أَنَّ اَلْمُهَاجِرِينَ فِي اَلْجُمْلَةِ أَفْضَلُ مِنَ اَلْأَنْصَارِ، وَمِنْ أَفْرَادِ اَلْأَنْصَارِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَفْرَادِ اَلْمُهَاجِرِينَ، وَاَللهُ اَلْمُسْتَعَانُ.

* وَمِنْ هَذَا اَلْبَابِ أَلَّا نَخُوضَ فِي مَا جَرَى بَيْنَ اَلصَّحَابَةِ مِنْ حُرُوبِهِمْ، وَفِيمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ، فَهُمْ بَشَرٌ يُخْطِئُونَ وَيُصِيبُونَ؛ وَلَكِنَّ اَللهَ عَزَّوَجَلَّ غَفَرَ لَهُمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ، وَعِنْدَهُمْ مِنَ اَلْحَسَنَاتِ اَلْمَاحِيَةِ مَا يَرْبُوا عَلَى مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ اَلْخَطَإِ، وَرُبَّمَا وَقَعَ أَحَدُهُمْ فِي اَلْخَطَإِ عَنْ اِجْتِهَادٍ، وَالْمُجْتَهِدُ إِذَا أَخْطَأَ لَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَإِذَا أَصَابَ لَهُ أَجْرَانِ، كَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»[2].

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وله شاهد من حديث سعيد بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) متفق عليه عن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

هَذَا اَلَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نَعْتَقِدَهُ فِيهِمْ، وَقَدْ قَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ فِي أَهْلِ بَدْرٍ: «لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[1].

---

(١) متفق عليه عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ أَوْ نَارٍ عَلَى التَّعْيِينِ

* إِلَّا مَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَكِنَّنَا نُرْجُوا لِلْمُحْسِنِينَ، وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيئِينَ.

فَعَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَاشْتَكَى عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ عِنْدَنَا فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى إِذَا تُوُفِّيَ أَدْرَجْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ شَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟»، قَالَتْ: فَقُلْتُ لَا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللهِ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي»، قَالَتْ: فَقُلْتُ وَاللهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا، فَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ، فَنِمْتُ فَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكَ عَمَلُهُ»[1].

(١) رواه أحمد (٢٧٤٥٧).

وَمِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[(١)].

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ: "كَتَبْتُ عَنْ أَلْفِ نَفَرٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ، وَزِيَادَةٍ وَلَمْ أَكْتُبْ إِلَّا عَمَّنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَلَمْ أَكْتُبْ عَمَّنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ حَجَرِ الشَّيْبَانِيِّ: "أَدْرَكْتُ أَلْفَ أُسْتَاذٍ وَأَكْثَرَ، كُلُّهُمْ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ، وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ"[(٢)].

* **وَالْعَقِيدَةُ فِي الْإِيمَانِ مَا قَالَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ".**

قَوْلُهُ: "فَرَائِضَ أَيْ أَعْمَالًا مَفْرُوضَةً وَشَرَائِعَ أَيْ عَقَائِدَ دِينِيَّةً وَحُدُودًا أَيْ مَنْهِيَّاتٍ مَمْنُوعَةً وَسُنَنًا أَيْ مَنْدُوبَاتٍ"[(٣)].

* **وَيَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ** قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: "﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [سورة المائدة:٣] فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الْكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ".

---

(١) رواه مسلم (٣٥) وأخرجه البخاري (٩) مختصرا.
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠٢٨).
(٣) أفاده الحافظ في الفتح.

* وَنُؤْمِنُ أَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ مِنْ صَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَحَجٍّ، وَقِيَامٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ دَخِلَةٌ تَحْتَ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ.

وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة:٨٢] فَقَوْلُهُ: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَىٰ نَفْسِهِ، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنَ الْإِيمَانِ.

* وَنَرَى الِاسْتِثْنَاءَ فِي الْإِيمَانِ لَا عَلَىٰ الشَّكِ، وَأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ.

وَهِيَ: قَوْلُ الرَّجُلِ إِذَا سُئِلَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ، فَيَقُولُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧]. وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ.

وَيَكُونُ الِاسْتِثْنَاءُ عَلَى:

- التَّبَرُّكِ بِذِكْرِ اللهِ.
- أَوْ عَلَىٰ مَا يَكُونُ فِي الْعَاقِبَةِ.
- أَوْ عَلَىٰ عَدَمِ التَّزْكِيَةِ وَالْجَزْمِ. أَمَّا إِذَا كَانَ عَلَىٰ الشَّكِّ فَهُوَ كُفْرٌ.

* وَمِنْ مَسَائِلِهِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، أَنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا، وَإِذَا افْتَرَقَا اجْتَمَعَا.

بَيَانُهُ: حَالَ الاجْتِمَاعِ الإِيمَانُ يَدُلُّ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ، وَالإِسْلَامُ يَدُلُّ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَفِي حَالِ الْافْتِرَاقِ الإِيمَانِ يَدُلَّ عَلَىٰ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَالْإِسْلَامُ كَذَلِكَ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْأُلْفَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيُحَذِّرُونَ مِنَ الْفُرْقَةِ

* وَيُحَذِّرُونَ مِنَ الْبِدَعِ وَالْمُحْدَثَاتِ، وَيُحَذِّرُونَ مِنَ الْحَزَبِيَاتِ، وَيُحَذِّرُونَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ مِنَ الدِّيمُقْرَاطِيَّاتِ، وَالِانْتِخَابَاتِ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ دِينِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَأَدِلَّتـهُمْ عَلَى ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣].

وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ هَذِهِ الْأُمَّةَ - عَلَى الضَّلَالَةِ أَبَدًا وَيَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ»(١).

وقَولُهُ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ المُؤْمِنُ»(٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

وقَولِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»(٣).

---

(١) رواه الحاكم (٣٩٨)، وجاء في السنة لابن عاصم (٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٥).

(٣) متفق عليه عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وَالْأَحَادِيثُ اَلدَّالَّةُ عَلَىٰ وُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْبُعْدِ عَنْ الْحَزبِيَاتِ، وَالْبِدَعِ، وَالْخُرَافَاتُ كَثِيرَةٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهَا، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَدْعُونَ إِلَىٰ التَّمَسُّكِ بِطَرِيقِ اَلنَّبِيِّ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فِي عَقَائِدِهِمْ، وَعِبَادَاتِهِم، وَمُعَامَلَاتِهِمْ، وَفِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَطَرِيقِهِمْ؛ السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ لِكُلِّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَرًّا كَانَ، أَوْ فَاجِرًا

لِقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].وَقَدْ أَطَاعَ اَلصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اَللهِ عَلَيْهِمْ اَلْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ، وَكَانَ ظَالِمًا، غَاشِمًا، وَصَلَّى خَلْفَهُ ابْنُ عُمَرَ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وَصَلُّوا خَلْفَ اَلْخَوَارِجِ اَلَّذِينَ قَتَلُوا عُثْمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَالطَّاعَةُ تَكُونُ بِالْمَعْرُوفِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»(١).

* وَإِذَا أَمَرُوا بِمُخَالَفَةِ اَلْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ فَلَا سَمْعَ، وَلَا طَاعَةَ، مَعَ عَدَمِ الْخُرُوجِ وَالثَّوْرَةِ عَلَيْهِمْ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ، كَالِانْتِخَابَاتِ وَالِاعْتِصَامَاتِ.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالنَّاسُ فِي أَوْلِيَاءِ اَلْأُمُورِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

- **الْأَوَّلُ**: مِنْهُمْ مِنْ لَا يَرَى لَهُمْ حَقًّا، وَيَرَى اَلْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ، وَيَتَمَثَّلُونَ فِي هَذَا اَلزَّمَنِ بِأَصْحَابِ اَلْقَاعِدَةِ، وَدَاعِشٍ، وَالرَّافِضَةِ، وَأَصْحَابِ جَمَاعَةِ اَلْفَسَادِ، وَمِنْ سَارَ عَلَى سَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْحِزْبِيَاتِ كَالْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَصْحَابِ اَلْجَمْعِيَّاتِ.
- **الثَّانِي**: أُنَاسٌ يَرَوْنَ اَلسَّمْعُ لَهُمْ، وَالطَّاعَةَ فِي كُلِّ مَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ خَيْرٍ، وَشَرٍ، وَمِنْ حَقٍّ، وَبَاطِلٍ، وَهَذَا تَجَاوُزٌ وَاعْتِدَاءٌ عَلَى دِينِ اَللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ اَلطَّاعَةَ فِي الْمَعْرُوفِ.

---

(١) متفق عليه عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

● **الثَّالِثُ**: أَهْلُ ٱلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَرَوْنَ لَهُمْ ٱلسَّمْعَ، وَالطَّاعَةَ فِي ٱلْمَعْرُوفِ، فَإِنْ أَمَرُوا بِطَاعَةِ ٱللهِ عَزَّوَجَلَّ أَطَاعُوهُمْ، وَإِنْ أَمَرُوا بِمَعْصِيَةِ ٱللهِ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يُطِيعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُنَازِعُونَهُمْ ٱلْأَمْرَ، وَلَا يَخْرُجُونَ عَلَيْهِمْ بِمُظَاهَرَاتٍ، وَلَا بَاعْتِصَامَاتٍ، وَلَابِدَعَوَاتٍ إِلَىٰ ٱلْخُرُوجِ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ ٱلسُّنَّةِ لَا يَسْتَبِيحُونَ ٱلدِّمَاءَ إِلَّا بِمَا أَبَاحَهُ ٱللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَأَمْرُ ٱلدِّمَاءِ إِلَىٰ وَلِيِّ ٱلْأَمْرِ هُوَ ٱلَّذِي يَأْمُرُ بِالْحُدُودِ، وَيَقُومَ بِهَا.

* وَنَرَىٰ ٱلْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، وَالْجِهَادَ، وَالْجُمْعَةَ، وَالْجَمَاعَةَ، وَالْعِيدَ مَعَ كُلِّ إِمَامٍ بَرٍّ كَانَ، أَوْ فَاجِرٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي تَحْتَاجُ إِلَىٰ سِفْرٍ مُسْتَقِلٍّ.

وَمِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَقْدِيمُ الْعِلْمِ، وَالْعَمَل

فَاهْتِمَامُهُمْ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ الْمَأْخُوذِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمِنْ سَنَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَبِهَذَا سَلِمَتْ لَهُمْ طَرِيقَتُهُمْ، وَعَقِيدَتُهُمْ.

* بَيْنَمَا تَجِدُ أَهْلَ الْبِدَعِ كُلًّا يَأْخُذُ بِرَأْيِ شَيْخٍ، أَوْ عَالِمٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ، وَكُلًّا يَمْشِي عَلَىٰ طَرِيقٍ وَهَوَىٰ، فَتَرَكُوا الِاتِّبَاعَ، وَوَقَعُوا فِي الِابْتِدَاعِ، وَقَدْ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَجَدْنَا الْأَمْرَ كُلَّهُ فِي الِاتِّبَاعِ".

* أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانُوا يُقَدِّرُونَ الْعُلَمَاءَ، وَيَعْرِفُونَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَمَنْزِلَتَهُمْ؛ لَكِنْ لَا يُوَافِقُ الْعَالِمُ إِذَا خَالَفَ الدَّلِيلَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَجْتَهِدُ وَيُخْطِئُ.

فَكَمْ نُوَافِقُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ، وَكَمْ نُخَالِفُهُ، وَكَمْ نُوَافِقُ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ وَكَمْ نُخَالِفُهُ، وَكَمْ نُوَافِقُ أَبَا حَنِيفَةَ وَكَمْ نُخَالِفُهُ، وَكَمْ نُوَافِقُ مَالِكًا وَكَمْ نُخَالِفُهُ.

* فَالْأَخْذُ بِالدَّلِيلِ هُوَ الْمُتَعَيِّنُ عَلَىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَمَا سُمُّوا بِذَلِكَ إِلَّا لِتَعْظِيمِهِمْ لِمَا جَاءَ عَنْ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَمِنْ طَرِيقَتِهِمُ التَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ

فِي أَخْلَاقِهِ وَطَرِيقَتِهِ، وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَىٰ التَّأَسِّي بِهِ؛ امْتِثَالًا لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

* فَيَأْمُرُونَ بِصِدْقِ ٱلْحَدِيثِ، وَصِلَةِ ٱلْأَرْحَامِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَىٰ ٱلْجِيرَانِ، وَيَدْعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ، وَيُحَذِّرُونَ مِنْ سَفَاسِفِهَا:

- كَالْكَذِبِ.
- وَالْغِيبَةِ.
- وَالنَّمِيمَةِ.
- وَيُحَذِّرُونَ مِنَ ٱلسِّحْرِ.
- وَالسَّحَرَةِ.
- وَالْكِهَانَةِ.
- وَالْعَرَّافَةِ.
- وَكُلِّ مَا يُذْهِبُ ٱلْإِيمَانَ، أَوْ يُنْقِصُهُ.

* وَمِنْ وَقَعَ فِي خَطَأٍ مِنْهُمْ فَخَطَؤُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَمَّا دِينُ ٱللهِ فَهُوَ مَعْصُومٌ، وَيَدْعُونَ إِلَىٰ ٱلتَّوْبَةِ وَالْمُبَادَرَةِ بِهَا؛ لِقَوْلِ ٱللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨]، فَهِيَ وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَتَصِحُ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ مِنَ ٱلشِّرْكِ، وَالْكُفْرُ فَمَا دُونَهُ.

* وَلَسْنَا مُفَوَّضِينَ فِي دِينِ اَللهِ نَتَكَلَّمُ عَنْهُ بِمَا نُرِيدُ، وَإِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا تَكَلَّمَ اَللهُ بِهِ، وَبِمَا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَنَدْعُوَا إِلَىٰ ذَلِكَ وَالتَّقْصِيرُ مِنَّا حَاصِلٌ، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ أَنَّ نَدْعُوَا غَيْرَنَا إِلَىٰ اِمْتِثَالِ كِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَحَالُ أَهْلِ السُّنَّةِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: "قُبُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ رَوْضَةٌ، وَقُبُورُ أَهْلِ الْبِدَعِ مِنَ الزُّهَّادِ حُفْرَةٌ، فُسَّاقُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَوْلِيَاءُ اللهِ، وَزُهَّادُ أَهْلِ الْبِدَعِ أَعْدَاءُ اللهِ"(١). اهـ.

لِأَنَّ عُبَّادَ أَهْلِ الْبِدْعَةِ تَرَكُوْا السُّنَّةَ، وَهَجَرُوْا طَرِيْقَ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مِنْ الْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا، وَالْمَعْصِيَةُ يُتَابُ مِنْهَا كَمَا قَالَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ كَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ(٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ»(٣).

وَجَاءَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «أَبَى اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ»(٤).

أَيْ: لَا يُوَفَّقُ لِلتَّوْبَةِ، وَمِنْ تَابَ مِنْهُمْ وَصَدَقَ فِي تَوْبَتِهِ بِالْإِصْلَاحِ وَالْبَيَانِ؛ تَابَ اَللهُ عَلَيْهِ.

* وَمِنْ عَلَامَةِ أَهْلِ اَلْبِدْعَةِ اَلْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ اَلسُّنَّةِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُمْ، وَالْمُبَايَنَةُ لَهُمْ، وَتَسْمِيَتُهُمْ بِمَا يُنَفِّرُ عَنْهُمْ.

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ١٨٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٩).

(٣) شعب الإيمان (٩٠١١) والأوسط (٤٢٠٢) والسنة لابن عاصم (٣٧).

(٤) رواه ابن ماجه (٥٠).

قَالَ اَلْإِمَامُ اَلصَّابُونِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَعَلَامَاتُ اَلْبِدَعِ عَلَىٰ أَهْلِهَا بَادِيَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَأَظْهَرُ آيَاتِهِمْ وَعَلَامَاتِهِمْ شِدَّةُ مُعَادَاتِهِمْ لِحَمْلَةِ أَخْبَارِ اَلنَّبِيِّ ﷺ، وَاحْتِقَارِهِمْ لَهُمْ، وَتَسْمِيَتُهُمْ إِيَّاهُمْ حَشَوِيَّةً، وَجَهَلَةً، وَظَاهِرِيَّةً، وَمُشَبِّهَةً"(١). اهـ

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٣٥).

وَمِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هجرُ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمُبَايَنَتِهِمْ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ

كَمَا سَلَكَ ذَلِكَ ٱلسَّلَفِ ٱلْكِرَامُ، وَٱلْأَئِمَّةُ ٱلْأَعْلَامُ، كَمَا هُوَ مُفَصَّلٌ، وَمُبِينٌ فِي كُتُبِ ٱلسُّنَّةِ، وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ.

فَعَلَيْنَا ٱلْأَخْذُ بِهَذَا ٱلطَّرِيقِ مِنْ جَمِيعِ أَبْوَابِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة:٢٠٨]. وَالتَّفَقُّهُ عَلَىٰ أَهْلِهِ حَتَّىٰ يَسْلَمَ لَنَا دِينُنَا، وَتَسْلَمَ لَنَا عَقِيدَتُنَا.

وَبِٱللهِ ٱلتَّوْفِيقِ.

معنى معية الله تعالى لخلقه وبيان أنواعها

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

الحمد لله الذي جمعني وإياكم في هذا اليوم وفي هذا الوقت المبارك نتذاكر شيئًا من كلام ربنا، ومن كلام نبينا ونحن في صبيحة يوم الثلاثا: (٢٨ - ١٢- ١٤٣٨هـ) بمركز السُّنة بالقرن.

وأعظم ما نتواصىٰ به: تقوىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ إذ هي وصية الله عَزَّوَجَلَّ للأولين والآخرين، وما كان من وصايا الله عَزَّوَجَلَّ ومن وصايا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشأنها عظيم وَأيُّ عظيم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ولولا الغفلة التي تسيطر علىٰ الناس لكان في هذه الوصية زجر عن كل باطل، ودعوة إلىٰ كل خير فتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ دعوة إلىٰ كل فضيلة وزجر عن كل رذيلة.

بل هي دين الله فقد قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعظم المجامع، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، ويقول الله لنبيه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ويقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ويقول :﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾فهي وصية عامه وشاملة علىٰ التخصيص والإطلاق.

وكان الكريم كل الكريم في الدنيا والآخرة هو المتقي لله عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

ولما سُئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَن أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله». متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وكلما كان الإنسان متقيًا لله عَزَّوَجَلَّ كان كريمًا عظيمًا عزيزًا.

وقد جاء عند البخاري من حديث سهل بن سعد قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»، وسبب هذه الخيرية: (**تقوىٰ الله**)، وإلا فذلك في الشارة وفي اللباس وفي الهيئة أحسن من هذا، لكن كانت الفضيلة بينهم بالتقوىٰ.

وأعظم ما ينمي هذا الأمر هو: موافقة مراد الله عَزَّوَجَلَّ، وتتحقق بمعرفة أسماء الله وصفاته.

وسنتكلم في هذا المجلس عن مسألةٍ مهمة من مسائل الاعتقاد ألا وهي مسألة: (**معية الله عَزَّوَجَلَّ لعباده**)؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، وقد إستفاد أهل الإسلام من مثل هذه الآية العظيمة واستشعروا المعاني الجليلة التي تدل عليها فإن كلمة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ مع عباد، وقوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي: في أي مكان، وفي أي زمان فالمعية تدل علىٰ معاني عظيمة، يزداد بها الإيمان ويحصل بها الخير العظيم.

إلا أن أهل البدع فهموا من هذه الآية ومن غيرها من الآيات فهمًا سقيمًا، فهمًا سيئًا حيث ظنوا أن معنىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾: أن الله عَزَّوَجَلَّ بذاته مع عباده في كل مكان وهذا اعتقاد باطل، واعتقادٌ فرعوني؛ **حتىٰ قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللهُ **تعالىٰ:** من إعتقد أن الله في السماء علىٰ عرشه فهو مُوسَوِي `نسبة إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن

ظن أن الله في كل مكان بذاته فهو فرعوني؛ لأن موسىٰ حين دعا فرعون إلىٰ الإسلام قال فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾، ففي هذا: دلالة علىٰ أن موسىٰ أخبرهم أن الله في السماء فأراد أن يبني بناءً ليطّلع ويُشرف علىٰ إله موسىٰ وكان فرعون مكذبًا: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾.

فدين الرسل جميعًا أن الله في السماء علىٰ العرش ودين فرعون ومن إليه من زنادقة الحلولية، والإتحادية، أن الله في كل مكان، بذاته نعوذ بالله من هذا الظلال.

والسبب في إعتقاد المبطلين لهذا الإعتقاد السيئ سوء القصد أو قصور الفهم، أو قلة العلم، وتقليد المبطلين، واتباع المتشابه من كلام رب العالمين، وإلا فإن الآية واضحة في أن المعية معية علم وإحاطة قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة: ٧]

وقد ذكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وغيره: أن الله تعالىٰ افتتح الآية بالعلم، وختمها بالعلم، وهذا يدل علىٰ أن المعية معية علم وإحاطة، وإطلاع، وقهر، وسلطان، وغير ذلك من خصائص ربوبيته. سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ [الحديد: ٤] فختمها بالبصرة.

فدل علىٰ أن المعية معية علم، وبصر، وإطلاع، ثم هذه الآية تُضم إلىٰ غيرها من الآيات مثل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ

﴿ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ في آيات كثيرة تدل علىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ في علوه علىٰ عرشه بائن من خلقه.

ثم إن الله تعالىٰ جمع في هذه الآية بين استواءه علىٰ عرشه وبين المعية فكل علىٰ حقيقته ولا تناقض فهو علىٰ عرشه وهو معنا تعالىٰ.

لكن ما معنىٰ كلمة مع معناها أنها تدل علىٰ مطلق مصاحبة وفي كل موطن بحسبها وفي حق الله تعالىٰ لا تقتضي اتحادا ولا اختلاطًا.

والعرب حين تقول: فلان معي، لا يقصدون بها الإختلاط أو الإتحاد فكم من إنسان تسأله يا فلان كيف أنت هل مازالت زوجتك معك؟ يقول: نعم زوجتي معي وربما يكون هو في السعودية وزوجته في اليمن، ماذا يريد من كلمة "معي " هل يريد أنه متحد أو مختلِط أو مماس لها؟ لا يريد ذلك وإنما تدل علىٰ مطلق مصاحبة.

ويقول **أحدهم**: إذهب يا بني أنا معك والأب في البيت والإبن يذهب إلىٰ السوق.

وهكذا يقول أحدهم مازلت أسير والقمر معي والقمر في السماء وهو في الأرض، فالذي يظن أن كلمة وهو معكم أن الله متحد أو مختلط أو مماس لمخلوقاته فهد إعتقاد باطل لأن شيخ الإسلام يقول: "ولَم يلزم منها إتحادًا ولا إختلاطًا بل هو معنا وهو علىٰ عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ".

ولو سلمنا أن ما ذكروه يكون في حق المخلوق فأنه ينتفي في حق الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأن الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

و معية الله عَزَّوَجَلَّ لعباده قسمين:

النوع الأول: (**معية عامة**): وهي التي تُفَسر بالعلم، والإحاطة، والقهر، والسلطان، وغير ذلك من خصائص الربوبية وهذه فيها تهديد عظيم حين يقول الله عَزَّوَجَلَّ لعباده [وَهُوَ مَعَكُمْ] إذ أن الله مطلع عليك أيها الإنسان، لا تخفىٰ عليه منك خافية، ففيها الحث

على مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، والخوف منه، واللجوء إليه، تراقبه في السراء، والضراء وترجوه في الشدة، والرخاء.

ولو استشعر المسلم هذا المعنىٰ العظيم، وأن الله معه حيثما كان لَمَا بالىٰ بِشَيْءٍ مما يعترضه في هذه الدنيا، لكن قد يضعف الإيمان، ويغفل الإنسان، وإلا فإن ركن الإحسان كما تعلمون: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وكما جاء في بعض الآثار: (أن تعلم أن الله معك)، وفي الحديث: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»؛ لأن الله معك مطّلع عليك مراقب لك، قاهرٌ لك وهذه المعية، المعية العامة يشترك فيها الجميع معية الله علىٰ عباده المؤمن، والكافر، والبر والفاجر، وجميع السماوات والأراضين فهو مطلع علىٰ خلقه، قال تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾

النوع الثاني: المعية الخاصة:

وامتن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عباده بمعية أخرىٰ فيهامزيد علىٰ الإطلاع، والعلم، والبصر، والقهر، والسلطان، ألا وهي المعية التي تدل علىٰ النصر، والتأييد، والحفظ، والكلاءة، والإعانة، والتسديد، وهي ما تُسمىٰ بالمعية الخاصة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾[الأنفال] إلىٰ غير ذلك من الأدلة.

فكل من وُصِفَ بهذا الوصف وتحقق فيه يُرجىٰ أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ معه مسددًا، ومعينًا، وحافظًا، وظهيرًا، إلىٰ غير ذلك.

ولذلك جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «..كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به،

ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، وإن إستعاذني لأعيذنه»؛ وذلك لأن الله معه، ويقول الله: عَزَّوَجَلَّ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

فيخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنه مع عباده المخلصين له المنيبين إليه، التائبين، المسارعين في مرضاته ، ولهذا إذا تأملت الواقع تجد معنىٰ هذه المعية الظاهرة الجلية فكم من الخطوب التي تنزل وكم من البلاء الذي يحل وتجد أن العبد محفوظ بحفظ الله، فمن الذي حفظه ودافع عنه، ومن الذي أعانه، وسدده، ووفقه؟

هو الله لأنه معه معية خاصة، فاستحضار مثل هذا المعنىٰ يزيد في الإيمان كما أن استحضار معنىٰ المعية العامة يدل علىٰ المراقبة، وما تقدم من الخشية، والخوف، وغير ذلك لكن إستحضار المعية الخاصة يزداد بها الإيمان، وتشعر أن الله يدافع عنك كما في الحديث: «إحْفَظ اللهَ يحفظكَ»، فتشعر أنك محفوظ من الله، وتشعر أن الله هو الذي ينصرك، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾.

وهذه المعيه عامة لجميع المؤمنين والمسلمين وآثارها ملموسة مشهودة فكم من الخطوب التي تحل بالأمة الإسلامية ومع ذلك يدافع الله عن الذين آمنوا.

وكم يمكر الماكرون، ويبذل الكافرون من الأموال للصد عن سبيل الله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ﴾ هذا في الدنيا، وفي الآخرة: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦﴾.

فيحفظ الله دينه ونسأله المزيد من فضله، نسأله الحفظ لعباده انتشرت السنة وعُمرت المساجد بالعلم والدعاة والخطباء والوُعَّاظ وهذا يُشعِر والله أن الله عَزَّوَجَلَّ محبٌّ لهذا الطريق، ومعين لأصحاب هذا الطريق ، وحافظ لأصحاب هذا الطريق، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ، المزيد من فضله فحين تشعر أن الله معك لا تبالي وإن مكر من

مكر، وإن عاداك من عاداك، فإن النصر بيد الله، قال تعالىٰ: ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾، وهو خير الناصرين، ونعم المولىٰ ونعم النصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والنوع الثاني من المعية الخاصة: **المعية المقيدة بشخص.**

وهذه فيها مزيد فضل وشرف. ووصف الله عَزَّوَجَلَّ بها موسىٰ وهارون عليهما السلام حيث قال الله عَزَّوَجَلَّ لهما حين بعثهما إلىٰ فرعون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أرسل موسىٰ إلىٰ فرعون الجِّبّير، المجرم، الظالم، حتىٰ قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ۝٤٥﴾؛ لأنه موصوف بالطغيان.

ومن طغيانه: أنه لما أسلمت ماشطةُ بنت فرعون ألقاها في طست كبير قد ذوَّبَ فيه النحاس والرصاص وجعل يلقي أبنائها أمامها الواحد تلو الآخر، وفي آخر المطاف ألقىٰ بها".

والقصة مذكورة في المستدرك وغيره عن ابن عباس، وقال الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: لا ننكر علىٰ من حسنها.

والشاهد: أن فرعون صاحب طغيان وإجرام، لكن بشر الله عَزَّوَجَلَّ موسىٰ وهارون عليهما السلام بمعيته لهم: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾، أسمع كلامه وكلامكما وأرىٰ فعله وبشرهم بالحفظ والكلاءَة والنصر؛ لأن هذه المعية تدل علىٰ هذا المعنىٰ العظيم، وفعلًا ذهبا إلىٰ فرعون عليه لعنة الله وكانت دعوته إلىٰ الإسلام الحق فما استطاع أن يصنع بهما شيئًا، وصرف الله عنهم كيد فرعون.

وهكذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، في أشد المواقف، والله إنه موقف تنخلع فيه القلوب، وترجف فيه الأفئدة، ويضيق فيه الحال

حين تشعر أن عدوك بجانبك ما بينك وبينه إلا أن يرفع سلاحه فإذا بك من الهالكين لكن إن حفظ الله تعالىٰ حفظ.

فهذه الآية لها سبب وهي ما جاء عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الصحيح: أن أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نظر إلىٰ المشركين وكان النبي وأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الغار فقال أبو بكر: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، سبحان الله! يعني لو نكَّس رأسه قليلًا لرأىٰ رسول وأبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهم يبحثون عنهم ثلاثة أيام من أجل أن يفتكوا بهم ويقتلوهم، ومع ذلك صرف الله الأبصار وكانت الإجابة العظيمة إجابة المتوكل علىٰ الله، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، يعني: لا تخف، إذا كان الله عَزَّوَجَلَّ هو الحافظ، والناصر، والمؤيد، والسامع لدعائك، والمبصر لحالك، فارجو من الله الخير.

فأهل السنة والجماعة حين يحققون هذا المعتقد العظيم من أن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه وأن الله عَزَّوَجَلَّ معنا علىٰ المعنىٰ الموافق للكتاب والسنة يزداد إيمانهم وتزداد معرفتهم بالله عَزَّوَجَلَّ إذ أنه علىٰ عرشه بائن من خلقه ومع ذلك يعلم ما عليه العباد.

وجاء في الأثر عن ابن مسعود والعباس وأبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأصحها عن إبن مسعود موقوفا وله حكم الرفع: «ما بين الأرض والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، ومابين السماء الدنيا والسماء الثانية مسيرة خمسمائة عام، وهكذا وسُمْك كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والعرش مسيرة خمسمائة عام».

والله عَزَّوَجَلَّ فوق ذلك ويعلم ماعليه العباد لا تخفىٰ عليه خافية ، وينصر عباده، ويؤيدهم بأنواع النصر والتمكين، والعز، ويَشعر المؤمن بالراحة والطمأنينة ويشعر أن الله عَزَّوَجَلَّ قريب منه مع أنه في علوه قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفسرًا لهذه الآية: «الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء، والظاهر ليس فوقه شيء، والباطن ليس دونه شيء». أخرجه مسلم في صحيحه.

فالله عَزَّوَجَلَّ محيط بالزمان والمكان لا تخفىٰ عليه خافية ".

فيزداد إيمان العباد وتضرعه، وخضوعه ويشعر أحدنا من نفسه هذا لاسيما إذا وفقه الله عَزَّوَجَلَّ في وقت الحاجة تشعر أنك تقول يارب وتناجيه وتجد قربه مع أنه في علوه قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ٨٥﴾.

وفي حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا مجيبًا».

فعلينا عباد الله استحضار مثل هذه المعاني العظيمة والإهتمام بنشر هذه العقيدة السلفية، الصحيحة، بين الناس لأنه كثير من الناس تلوثت فطَرُهم إذا قلت: الله معنا يقول: الله في كل مكان بذاته نعوذ بالله.

وقد حصلت مرة من المرات وقد كررتها في محاضرات كثيرة: أن الذي يقول: أن الله في كل مكان ربما لا يستشعر لازم القول الذي يقوله، وقد كنا في مدينة زنجبار في بلاد تنزانيا وركبنا مع بعض المسلمين فقلت للمترجم: قول له أين الله؟ فقال: "الله في كل مكان".

فذكرت له شيئًا من الأدلة علىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ في علوه فأبىٰ أن يقتنع وذلك لأنهم يسمعون الصوفية، والرافضة، ومن إليهم من أهل الباطل يزعمون أن الله في كل مكان بذاته، فسبحان الله، مررنا بحفرة فيها مياة وقاذورات فقلت له: الله هاهنا؟ فارتاع وكادت أن تميل بنا السيارة، لأنه موقف عظيم أن تلزمه أن ربه في هذا المكان القذر فقال: لا، وغضب، **قلت**: أنت تقول: إن الله في كل مكان، ومعنىٰ هذا القول: أن الله

هنا، وهنا، وهنا، وعند ذلك أخذ بالأدلة، وأن الله علىٰ العرش استوىٰ؛ **لأن هذا الدليل دليل سمعي وعقلي وفِطري وحِسي**، كلها تدل علىٰ أن الله علىٰ عرشه.

ويذكر شيخ الإسلام قصة حصلت له قال: كنت في يوم من الأيام في مجلس من المجالس فجائني رجل من هؤلاء النظار الذين يزعمون "أن الله في كل مكان" قال: فأعرضتُ عنه قال: فتكلم معي فأعرضتُ عنه، فلما طال عليه المجلس قال الرجل: يا الله وأشار إلىٰ السماء، فقال له شيخ الإسلام: أنت تعتقد أن الله في السماء، فجعل الرجل يستغفر كأنه أخطأ، فقال له شيخ الإسلام: ما أخطأت بل هذا هو الصواب.

إنظر لمَّا تجردت نفسك عن العوامل الخارجية كانت فطرتك الإشارة إلىٰ السماء، وهكذا تتعلق القلوب، قلوب العباد وتشعر أن الفرج يأتيها من السماء.

فقد قال أبو جعفر الهَمَذاني لما ناظر الإسفرائيني وجعل الإسفرائتي يذكر الشُبَه علىٰ أن الله في كل مكان" فقال: يا أستاذ دعنا من هذا القول وأخبرني بالضرورة التي يجدها الإنسان في نفسه إذا اشتد عليه الحال، يجد أن قلبه يتعلق بالسماء، فجعل الإسفرائيني يضرب في رأسه ويقول: حيرتني يا همَذَاني، حيرتني ياهمَذَاني.

نعم ضرورة، كل مسلم، بل كل إنسان، يجد أن قلبه في حال الشدة يتعلق بالسماء وأن الفرج يأتي من السماء، وقد ذكر ذلك بعضهم عن بعض أهل العصر ، قال: كنت في طائرة فاضطربت الطائرة قال: فشعرت أن لا فرج وضاق بِنَا الحال فقال له: هل كنت تظن في ذلك الوقت أن هناك فرج يأتي؟ قال: كنت أشعر أن هناك فرج يأتي من قِبَل السماء، فقال: ذاك الله علىٰ العرش.

فسبحان الله فَطَر الله العباد علىٰ هذا المعتقد الصحيح، ولا يخالف فيه إلا من تلوثت فِطَرُهم من الرافضة، والجهمية، والصوفية، والحرورية، والإتحادية، نعوذ بالله من الخذلان فلنصحح عقائدنا ولنعتقد مادل عليه القرآن والسنة في جميع

الأسماء والصفات ومن ذلك أن الله هو العلي الأعلىٰ والأعلىٰ في لغة العرب تدل علىٰ العلو.

فجاء المبتدعة قالوا المراد بالعلي، والأعلىٰ، علو القهر وأن الله قاهر لعباده، وعلو القدر أن الله فوق عباده، وهذا تفسيرٌ ببعض المعاني بل الآية دالة علىٰ علو القدرِ والقهرِ والذات؛ ولهذا كان بِشْر المِريّسي إذا صلىٰ يقول في سجوده: "سبحان ربي الأسفل"، نعوذ بالله من الضلال، ما يريد أن "يقول سبحان ربي الأعلىٰ" كما قال رسول الله؛ لأن "سبحان ربي الأعلىٰ" وفي هذا الموطن بالذات افترضها الله موطن السجود حين ينحني الإنسان، ويضع جبهته في الأرض، يستحضر أن الله هو العلي، الأعلىٰ ، فإنه علىٰ عرشه فيُنَزّه الله عن السُفُل ويُثبِت لله عَزَّوَجَلَّ العلو المطلق.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٢) وهو من الواسطية: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله صلىٰ الله عليه و سلم وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته علىٰ عرشه علي علىٰ خلقه وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

وليس معنىٰ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: أنه مختلط بالخلق× فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر اينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب علىٰ خلقه مهيمن عليهم مطلع اليهم الىٰ غير ذلك من معانىٰ ربوبيته.

وكل هذا الكلام الذىٰ ذكره الله سبحانه من انه فوق العرش وأنه معنا حق علىٰ حقيقته لا يحتاج الىٰ تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله: (في السماء): أن السماء تقله أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان؛ فإن الله قد وسع كرسيه السموات والأرض وهو الذىٰ يمسك السموات والارض أن تزولا ويمسك السماء أن تقع علىٰ الارض إلا بإذنه ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره، وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب من خلقه مجيب كما جمع بين ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] الآية.

وقوله صلىٰ الله عليه و سلم للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالذكر أيها الناس: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو علىٰ دنوه قريب في علوه. انتهىٰ

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ بمنه وكرمه، وجوده، وإحسانه، أن يوفقنا وإياكم، وأن يسددنا وإياكم، وأن يعيننا وإياكم علىٰ طاعته، والحمدلله رب العالمين.

الإيمان بالقدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان بالقدر

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، واشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبد ورسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليمـًا كثيراً.

أما بعد:

فإننا نحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي يسر لنا هذا المسير المبارك لزيارة إخواننا أهل السنة والجماعه في هذه المحافظة المباركة محافظة حضرموت ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يمنّ علينا برؤية غيرهم من إخواننا في بقية المناطق.

وقد سمعنا من الشيخ حسن كلمة طيبة في بيان منزلة أهل الحديث وكيف لايكون أهل الحديث هم أفضل الأمة وهم الآخذون بطريقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهم حظ من التسمية فماسموا بأهل الحديث إلا لتعظيمهم للحديث وإعتقادهم له والعمل به، كما أنهم سموا: أهل السنة والجماعة؛ لأخذهم بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطريقته، وسموا بأهل الأثار؛ لتحكيم الأثار في عقائدهم ووأقوالهم وأفعالهم؛ حتىٰ يؤثر عن الإمام أحمد أنه قال: (إن استطعت أن لا تحك ظهرك إلا بأثر ففعل) أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وسموا بالجماعة؛ لاجتماعهم علىٰ ما كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورأس الجماعة هم الصحابة رضوان الله عليهم والجماعة هي الحق، وإن كان المتمسك بها واحداً فما بالك إذا كانت طائفة كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين»، الحديث جاء عن مجموعة من صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ذكره مسلم في آخر كتاب الإمارة من صحيحه، وأخرج البخاري بعضه.

فشاهدنا: ما ذكره الشيخ أبي حمزة حفظه الله وذكّرنا بمنزلة هذه الفِرْقة وهذه الطائفة الذين حفظ الله بهم الدين، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾، فحفظ الدين بأهل الحديث سواء في ذلك حفظ القران لفظاً ومعنىٰ أوحفظ سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ثم إنّ أهل البدع وإن كان بعضهم ربما يحفظ القران ويحفظ رسمه وربما علىٰ أوجه القراءات إلا أنه حفظ معناه فما حفظه كما أمره الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وبينما أهل السنة والجماعة حفظوا لفظه وحفظوا معناه، وهذه من النعم العظيمة والمزايا الشريفة فإن حفظ القران رسماً بغير معنىٰ ضرر في الدين لاسيما مع فساد العقائد فيقرأ أحدهم: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ ويفسر بقوله: استولىٰ!.

ويقرأ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ويزعم: أن الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان بذاته، نعوذ بالله من هذا الاعتقاد الذي هو اعتقاد الحلولية والاتحادية.

ونقل شيخ الإسلام الإجماع: علىٰ أنهم أكفر من اليهود والنصارىٰ.

ويقرأ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ويقول: المراد بيد الله: النعمة، هذا من التحريف الذي يخالف طريقة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإنما امتدح الله عَزَّوَجَلَّ أهل القران الذين هم أهله، وأهله هم الذين يعملون به ويعتقدونه ويسيرون فيه علىٰ ما كان عليه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سواء كان في قراءته لفظه أو في تفسير ما يدل عليه ويتضمن من المعاني، وهكذا علىٰ مر العصور وتقلبات الدهور لا تجد أحدًا علىٰ هذا الطريق إلا أهل الحديث، أهل السنة والجماعة الذين يفسرون القرآن بالقرآن، أو يفسرون القرآن بسنة النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، أو يفسرون القرآن بأفعال الصحابة رضوان الله عليهم، أو يفسرونه بدلالة اللغة، بينما أهل البدع حرفوا القران، بل إن حجتهم علىٰ كثير من العقائد الفاسدة القرآن؛ ولهذا جاء في الأثر: "أصحاب الرأي

أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا: لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم".

فإذا جاءك المبتدع يحتج عليك بالقران فأته بما يفسر القرآن علىٰ طريقة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ينفون الرؤية بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: "حادي الأرواح" عن شيخه ابن تيمية، قال: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح علىٰ باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل علىٰ نقيض قوله، ثم ذكر الاية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، التي استدل بها المبتدعة علىٰ أن المؤمنين لايرون ربهم يوم القيامة.

بينما الآية دليل علىٰ رؤية المؤمنين لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بغير إحاطة، فالله عَزَّوَجَلَّ نفىٰ الإدارك ولم ينفِ الرؤية، ووما يدل علىٰ هذا المعنىٰ: قول موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾، فمالذي نفاه موسىٰ هل نفىٰ الرؤيا أم نفىٰ الإحاطة؟ نفىٰ الإحاطة؛ لأن بعضهم قد أدرك بعضاً فكيف يفي شيئاً محققاً وإنما نفىٰ الاحاطة التي هي الإدراك، فالإدراك رؤية وزيادة من الذي حفظ للأمة هذا المعنىٰ؟

هم أهل الحديث، وإلا فإن المبتدعة يحرفون الآيات والأحاديث تحريفاً تشمئز منه قلوب الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ولا يتورعون عن تحريف الادلة فيفسرون الوجه بالثواب.

فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، يفسرون الوجه بالثواب هل الثواب المخلوق ذو الجلال والاكرام؟

إن الوجه الذي يتصف بالجلال والاكرام وجه الله الذي هو صفته، قال عنه النبي صَلَّالَّلَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، أخرجه مسلم.

وهكذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾، استدل بها أهل السنة والجماعة علىٰ إثبات علو الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عرشه.

واستدل بها أهل البدعة والشناعة علىٰ أن العلو هنا: هو علو القدر، وعلو القهر وليس بعلو الذات، وهذا لفساد معتقداتهم.

فالقرآن حفظه الله عَزَّوَجَلَّ والسنة حفظها الله عَزَّوَجَلَّ بأهل الحديث فميزوا صحيحها من ضعيفها وميزوا سليمها من سقيمها وميزوا مقبولها من معلولها فما بقي لذي بصيرة إلا أن يسلك هذا السبيل ويحمد الله عَزَّوَجَلَّ عليه :﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾.

الحديث لا يزهد إلا من لم يقدر هذا الذين حق تقديره؛ فإن الحديث والسنة وحي من الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾.

فعظموا الحديث في قلوبكم واعتنقوا ما كان عليه رسول الله صَلَّالَّلَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه، واعملوا بما دل عليه الكتاب والسنة، ولا يفرق بين دلالة الكتاب والسنة إلا مخذول، بمعنىٰ: أنه يقول: نأخذ بالقرآن ولا نقبل السنة، فهذا قول القرآنيين الذين كفرهم العلماء فهم حين يقولون: نحن نقبل القرآن ونرد السنة، هم يردون القرآن؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾.

ومن أخذ بالحديث سلمت له عقيدته، وسلمت له عبادته وطريقته، سلمت له الدنيا والآخرة، قال النبي صَلَّالَّلَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، أخرجه ابن ماجه.

فسبب البدع والضلال: ترك حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها المسلمون في هذه الليلة: الثالث عشر من شعبان لعام ألف وأربعمائة وثمانية وثلاثين في هذا المسجد من منطقة الديس نكون مع إخواننا مع أمرٍ ومع مسألةٍ ركز عليها أهل الحديث جداً فبينوها في الجوامع والسنن والمسانيد، وألفوا فيها المؤلفات المفردة ألا وهي مسألة: (الإيمان بالقدر) الذي تضمن الدلالة عليه حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه قصة عن يحيىٰ بن يعمر قال: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: "فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي"، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ "لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ" ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ،

وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾.

ومن المعلوم: أن الآية الأولىٰ أنزلت في شأن المشركين حين خاصموا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القدر؛ كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الإيمان بالقدر تحقيقه من المهمات، فإن المخالفين فيه كُثر فلو تأملت الساحة لرأيت أن الرافضة يخالفون في هذا الباب والمعتزلة والجهمية والأشاعرة ومن تأثر بهذه الطوائف.

وانقسموا بهذا الباب إلىٰ قسمين: (مثبته، ونفاة)، **فالمثبتة** الذي هم الجمهمية الجبرية غلو في إثبات القدرحتىٰ عطلوا العبد من فعله فزعموا أن العبد كالريشة في مهب الريح لايعمل شيء، وما يعمل بهذا الكون إنما فاعله حقيقة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجعلوا أعمالهم طاعات حتىٰ ما يتعاطونه من الكفر والبدع والمعاصي، وهؤلاء ضلال منحرفون عن صراط الله القويم.

والطائفة الأخرىٰ غلت في إثبات فعل العبد حتىٰ زعمت أن الله لم يخلق الخير ولم يخلق الشر، وأن العبد هو الذي يهدي نفسه وهو الذي يضر نفسه مهملين قول الله عَزَّوَجَلَّ:﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾.

وحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله خالق كل صانع وصنعته». أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو حديث ثابت ذكره الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في كتابه "الجامع الصحيح في القدر".

ومما يدل علىٰ هذه المرتبة العظيمة في الدين ووجوب تحقيق الإيمان بها: ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «..ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا». متفق عليه.

وفي حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزيادة: «وإنما الأعمال بالخواتيم».

فهذا الحديث العظيم فيه دلالة لما عليه هذا المخلوق منذ وقوع النطفة في الرحم وحتىٰ يلقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وان الله قد فرق بين العباد فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير كما أخرج أحمد والترمذي: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ

اليُمْنَىٰ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ».

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»، قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل].

أخرجاه

ومما يدل على هذا المعنى أيضاً: ماجاء عند أبي داود وغيره: فعن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي».

وحديث أنس بن مالك الذي في الصحيح أيضًا بمعنىٰ حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مرفوع قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ؟ أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ؟ أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ؟ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا، قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

ولهذا قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه.

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يدل علىٰ ذلك، وهو الحديث المشهور الذي أخرجه الترمذي وغيره، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»، فالله عَزَّ وَجَلَّ قد كتب مقادير الخلائق ومقادير العباد قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه علىٰ الماء؛ كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

فالأدلة علىٰ ما تضمنت هذه الأحاديث كثيرة سواء كانت في الكتاب وفي السنة الصحيحة، أو ما جاء عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.

ومما يدل علىٰ أن الإنسان يسير علىٰ ما قدره الله في الأجل: ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة، وجاء بنحوه عن سهل بن سعد الساعدي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التَقَىٰ هُوَ وَالمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَىٰ عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

ومع ذلك ينبغي أن نعلم يقينًا أن الله عَزَّوَجَلَّ ليس بظلام للعبيد فمن أدخله الجنة فبفضله سبحانة وتعالىٰ وبما يسره له من العمل الصالح، وفي حديث عائشة وابن مسعود، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ».فالباء هنا (باء العوض)، أما الباء في قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ فالباء هنا هي (باء السببية)، فالعمل سبب

لدخول الجنة ودخول الجنة هو فضل من الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العبد فلا يعتقد بأن الله عَزَّوَجَلَّ يدخل أحد النار إلا وهو مستحق لها.

قال الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: «..إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرمًا بينكم فلاتظالموا ﴾»، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾، والله عَزَّوَجَلَّ هو القائل: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾، وهوالقائل: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾.

فاقتضت حكمته وعلمه: أن يكتب مقادير الخلائق خيرها وشرها ثم غيب هذه المقادير عن المكلفين وتفطن لهذا الأمر فكثير من الناس ربما لا يصلي أو ربما يسرق أو ربما يعصي الله، فإذا ما أنكر عليه، قال في المعصية: قدر الله عليَّ، وقال في عدم الطاعه: لو قدر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لصليت أو لصمت أو لزكيت إلىٰ غير ذلك، فالقدر مغيب عنك لا تدري ما في الكتاب الذي كتبت فيه أفعال العباد، بينما الأوامر والنواهي واضحة لك أنزل الله القرآن وأوحىٰ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ السنة كما أوحىٰ إليه القرآن، فهذه أمور ظاهرة تعلم أن الله تعالىٰ قد أنزل القرآن فاتله وفرض الصلاة فصلِّ، والحج فحج، والصيام فصم، والزكاة أمر، وأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر، افعل الطاعة واجتنب المعصية، هذا هو الفعل والإعتقاد الصحيح؛ أن تؤمن بالقدر وتؤمن بالشرع الذي أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ أنبيائه ورسله، فإذا وقعت منك المخالفة لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إما لسهوٍ أو لعمد لك أن تتوب منه، ثم تقول بقضاء وقدر، أما أن يستمر الإنسان بالمعاصي محتجًا بالقدر فلا عذر له بذلك.

ثم اعلموا أيها المسلمون: أن مراتب الايمان بالقدر أربع مراتب، إذا أردت حقًا أن تعتقد الاعتقاد الصحيح في هذا الركن العظيم، فعليك: أن تومن بأربع مراتب فإذا حققتها فأنت مؤمن بالقدر:

المرتبة الأولى: علم الله عَزَّوَجَلَّ بما كان وما يكون، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لا تخفىٰ عليه خافية، وأدلة ذلك كثيرة في كتاب ربنا وفي سنة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أجمع ذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥﴾، وقوله: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾، فهذا الآية عامة في علم الله عَزَّوَجَلَّ بجميع المعلومات، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، فالشهادة هي: ما ظهر، والغيب هو: ماغاب عن الأعين، فالله عَزَّوَجَلَّ هو عالم الغيب كما هو عالم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالشهادة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٢٠﴾، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾، فلا تخفىٰ عليه خافية.

فتحقيق هذه المرتبة من الأهمية بمكان، واعتقاد هذا الأمر حتمٌ وجزمٌ، ومن اعتقد أو ظن أن الله لا يعلم بكل شيء فهو كافر، وهو من الصنف الذين كفرهم ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما تقدم معنا.

فقولهم: (إن الأمر أُنُف) أي: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يعلم بالأمر إلا بعد وقوعه، مثلًا: هذا الاجتماع عند المعتزلة أو غلاة المعتزلة لم يعلمه الله إلا بعد أن وقع، وهذا

هو كفر والعياذ بالله، فالله بكل شئ عليم، قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾، يعلم ما خفىٰ ويعلم كل شيء، (وكل) من ألفاظ العموم.

والمرتبة الثانية: أن الله عَزَّوَجَلَّ قد كتب مقادير الخلائق، كتب الخير وكتب الشر، وكتب الأرزاق، والآجال والأعمار، وكتب السعادة والشقاوة، وكل شيء يقع في هذا الكون العلوي والسفلي فهو في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾، فأم الكتاب هو: اللوح المحفوظ الذي كتب الله عَزَّوَجَلَّ فيه مقادير الخلائق.

وقد دل عليه حديث ابن عمر المتقدم.

وحديث عبادة بن الصامت: عن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «وإن أول ما خلق الله القلم فقال له: أكتب فكتب ما كان وهو كائن إلى الأبد».

والمرتبة الثالثة: أن ما من شيء يقع بهذا العالم العلوي والسفلي إلا وشرعه الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، فمن زعم أن شيء يقع في هذا العالم لم يرده الله كونـًا ولم يشأه فقد زعم أن الله يخرج في ملكه مالم يأذن به، والله عَزَّوَجَلَّ يشأ الإيمان والطاعة؛ لمحبته لها، وشاء الكفر والمعصية لحكمة أرادها وهو اختبار النفس.

ومن الذي يستطيع أن يفعل في ملك الله ما لا يشاء الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؟!.

قال الشاعر:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ ❁❁ وما شِئتُ إن لم تشأ لم يكن

فما شاء الله عَزَّوَجَلَّ كان، وما لم يشأ لم يكن.

وهي عقيدة المسلمين التي يكررها الصغار والكبار.

فلو قلت لأحدهم: لماذا تأخرت عني اليوم؟ قال: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِۚ﴾.

والإرادة تنقسم الىٰ قسمين حتىٰ لا يشكل علىٰ أحدكم لماذا أرد الله عَزَّوَجَلَّ منا بعض الأشياء ولم تقع، مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾؛ فإن كثيرًا من الناس ما عندهم اليسر؟

الجواب: يقال أن الإرادة تنقسم إلىٰ: إرادة كونية، وشرعية.

فالإرادة الكونية: لا بد أن تقع، **والإرادة الشرعية** قد تقع وقد لا تقع.

الإرادة الكونية، تكون في المحبوب وفي غير المحبوب، يريد الله الكفر كونـًا؛ لحكمة، ويريد الإيمان لمحبته له، بينما الإرادة الشرعية لا تكون إلا في المحبوب.

الإرادة الكونية تكون في حق الطائع والعاصي، والإرادة الشرعية لا تكون إلا في حق الطائع، فلا بد من الإيمان بمشيئة الله النافذة.

المرتبة الرابعة: أن الله خالق كل شيء من حركات وسكنات، وطول وقصر، وما تفعل من خير أو من شر فالله خالق كل شيء، ومن الذي خلق إبليس؟ هؤلاء الذين يقولون بأن الله لم يخلق الشر يقال لهم: من الذي خلق إبليس؟ أليس الله عَزَّوَجَلَّ، فقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنه فقال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ١٢﴾، فالله عَزَّوَجَلَّ خلق إبليس وهو رأس الشر لحكمه، قال تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾، فتحقيق هذه المراتب الأربع من حققها خرج من معتقد الجبرية الذين يزعمون ان الانسان كريشة في مهب الريح أومن معتقد النفاة المعتزلة الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال العباد

وقد ألف الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ كتاب خلق أفعال العباد في الرد علىٰ هذين الطائفتين.

والكلام عن الإيمان بالقدر ينبغي أن يُعلم أن القدر سر الله لم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، وأن الذي يتعمىٰ ويخوض فيه هو أجهل الناس فيه.

ومن استسلم لأمر الله وشرعه فهو أعلم الناس ومؤمن به، كما أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

ثم أيضًا ليس من الإيمان بالقدر ترك العمل وتقول أنا ما سأُصلي ولا سأصوم ولاسأحج، وما قدر الله علي في اللوح المحفوظ سأناله، هذا لا يستقيم فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد قال: «اعملوا»، لما قال الصحابة رضوان الله عليهم: يا رسول الله أرأيت ما يعمل العباد أفيما قُدِرَ أم فيما يستأنف؟ فقال: «بل قدر»، قالوا: يارسول الله ألا نترك العمل؟ قال: «اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له».

اعمل بالطاعة واعمل بالبر والإحسان واحمد الله عَزَّوَجَلَّ الذي يسرك للطاعة، والذي يسرك للبر والإحسان، واحمد الله عَزَّوَجَلَّ الذي قدر عليك المعصية أو قدر عليك شيء من الشرور والآثام، أن وفقك للتوبة وشرع لك العودة إليه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾.

والقدرية ولا سيما الرافضة في بلاد اليمن وغيرهم في كثير من البلدان يجادلون في هذا الباب ويتكلمون علىٰ أهل السنة لماذا يقولون الخير والشر بقدر الله عَزَّوَجَلَّ، ويزعمون أن المقتول خلق أجله ولم يمت، وهذا من أفسد الأقوال، فإن الإنسان إذا قبضت روحه انتهىٰ اجله، قال تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾.

والإيمان بالقدر يجعل الإنسان خائفًا وجلاً من الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذه عبادة جليلة؛ فإن الانسان إذا اتكل علىٰ نفسه هلك، وإذا ظن أنه وصل إلىٰ نهاية الطريق ومازال فيها لربما هلك، فيما إذا كان يعلم أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء فإن هذا يجعله دائمًا خائفًا وجلاً أن يقع منه الانحراف.

وربما يقع من بعضهم الانحراف وهو في آخر الطريق، كما قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»، متفق عليه.

مصيبة وكارثة تحل بهذا الشخص إذ كان مصليًا صائمًا موحداً مستقيمًا علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفجأة ينسلخ من دين الله، نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

وأيضًا بالإيمان بالقدر: عدم القنوط من رحمة الله، وعدم اليأس من روح الله، فلا يقول أحدهم: أنا قد زنيت وسرقت وذهبت إلىٰ السحر والمشعوذين والكهان والعرافين فأنا انتهيت؛ لا، ما دمت في حياتك فتب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ واعلم أن الأعمال بالخواتيم.

فان تبت الىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بشروط التوبة النصوح قبل الغرغرة وفي زمن تقبل فيه التوبة وكنت مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ واقلعت عن الذنب وندمت علىٰ فعلك وعزمت علىٰ عدم العودة إليه فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقبل تلك الطاعة بل ويبدل تلك السيئات حسنات.

والإيمان بالقدر فيه: تخويف من الله عَزَّوَجَلَّ، وفيه رجاء بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي الإيمان بالقدر: العلم أن الإنسان مراقب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن أفعاله لايمكن أن يغيب منها شيء، فإذا كان مُراقباً لله فإنه يحرص كل الحرص علىٰ الخير والابتعاد عن الشر والضير.

وفي الإيمان بالقدر: حسن التوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ يعلم أنما أصابه لم يكن ليُخطئه، ويعلم أن ذلك الرزق الذي حصل له قد كتبه الله له، وإذا لم يحصل علىٰ ذلك الرزق إنما صرفعه عنه الله عَزَّوَجَلَّ، ولعل في صرفه عنه خيراً لا يدريه.

وبالإيمان بالقضاء والقدر: دلالة عظيمة علىٰ قدرة الله النافدة، كيف يصرّف قلوب العباد جميعًا في المشرق والمغرب علىٰ ما شاء، ولهذا كان النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك**»، ويقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»، يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الدعاء العظيم، والله عَزَّوَجَلَّ يقول مخبراً عن دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾، فيتعبد المؤمنون بعبادات كثيرات بسبب إيمانهم بالقدر.

والإيمان بالمشيئة تجعل الإنسان يعلم يقينـًا أن مشيئة الله نافذة في البر والفاجر، والمؤمن والكافر، والجني والإنسي، في جميع الكون، ويعلم أن الله لا يتخلف عن مشيئته شيء فيدعو الله بالخير وتيسيره، ويكون خائفـًا وجلاً من أعماله وتصريف الله عَزَّوَجَلَّ لقلبه، فإن الزيغ والضلال يقع للإنسان بقدر بعده عن الكتاب والسنة، قال الله عَزَّوَجَلَّ:﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾.

ثم أيضـًا: اعلم أن هداية الله عَزَّوَجَلَّ لك هي بتوفيقه وتسديده:

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ❁❁ كَلاَّ وَلاَ سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا ❁❁ فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الكَرِيْمُ الوَاسِعُ

فإذا هداك الله عَزَّوَجَلَّ فهي منته وفضله، وإذا أضلك الله عَزَّوَجَلَّ فهو عدله.

وقد وضع المعتزلة هنا سؤالاً قبيحًا وهو قولهم: لماذا هدىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فلان وأضل فلان؟، وهذا لجلهم بربهم سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ فإنه الفعال لما يريد، وهو العالم بالناس، والعالم بأحوالهم، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن الكافرين: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾، لو ردوا بعد دخول النار الىٰ الدنيا لعادوا الىٰ الكفر وإلىٰ ما كانوا فيه من الكفر والضلال؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ علم أن قلوبهم مطبوعة علىٰ هذا الأمر.

فهذا باب عظيم ينبغي لنا أن نتكلم فيه في خطبنا ودروسنا وكتبنا، وبين العامة وبين الخاصة؛ لأهميته.

مسألة: وهل يجوز الاحتجاج بالقدر علىٰ فعل المعصية؟ **مثلًا**: رجل زنىٰ أو سرق، أو شرب الخمر، أو ترك الصلاة، أو ذهب يطوف بالقبر ثم يقول: قدر الله عليّ هل يجوز له ذلك؟

الجواب: لا يجوز الاحتجاج بالقدر علىٰ فعل المعاصي، وإنما إذا تاب الإنسان من المعصية لا يعير بما قدر الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عليه، وفي حديث أبي هريرة وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وجابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الصحيح: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فحج آدم موسى فحج آدم موسى**»، ثلاثًا.

فالتائب من الذنب لا يجوز أن يعير بذنبه وعدم التائب من الذنب لا يجوز أن يحتج بالقدر، ولو احتج محتج بالقدر علىٰ فعله القبيح يقال له: وتقام عليك الحدود بقدر الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الذي قدّر عليك المعصية قضىٰ وشرع أن يجلد الزاني البكر، ويجلد شارب الخمر، وتقطع يد السارق، هكذا قدر الله عَزَّوَجَلَّ كما رُوي عن عمر

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه قطع يد سارق فقيل: قدر الله عليه قال: قدر عليك السرقة وقدرعلينا قطع اليد..

نعم أيها المسلمون فهذا باب عظيم يجب فيه الاستسلام لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والإيمان به والتحقيق له والسير علىٰ سير السلف رضوان الله عليهم فيه، ولنعلم أن الخير والشر من الله.

وأما حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قيام الليل: «والشر ليس اليك»، فليس معناه: أن الله لم يأمر بالشر وإنما معناه: أن الشر لا يتقرب به الىٰ الله، أو أن الشر لا يرفع الىٰ الله، أو أن الشر لا ينسب الىٰ الله، فلايقال: يا خالق الشر، أو أن الشر بالنسبة لنا شر وبالنسبة لله عَزَّوَجَلَّ ليس بشر؛ لأن أفعال الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ مقتضىٰ علمه وحكمته، فما خلق شيء وأوجد شيء في هذا العالم إلا علىٰ وفق العلم والحكمة، فبهذا نعلم معنىٰ هذا الحديث: «والشر ليس إليك».

والإيمان بالقضاء والقدر من الأمور المتحتمة، والأمور الثابتة في كتاب ربنا وسنة نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويجب علينا أن نحققهم علىٰ وجه ما شرع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بعيداً عن الغلاة وبعيداً عن الجفاة.

ومن أحسن ما أُلِف في هذا الباب كتاب القدر لابن القيم الذي اسمه: (شفاء العليل)، وأحسن منه وأجمع "الجامع الصحيح في القدر" للشيخ مقبل رَحِمَهُٱللَّهُ، وذكر أن من أسباب تأليفه معرفة هذا الباب يزيد بالإيمان معرفة.

وتعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ قد قدر أحوال العالم العلوية والسفلية، ومع ذلك تسير الأمور علىٰ وفق ما قدر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا يخرج شيء عن علمه ومشيئته وخلقه ومع ذلك هو جار علىٰ حكمته.

بهذا نكون قد عرجنا علىٰ مسائل هذا الباب، وبقي أن نقول: هل يجب عليك الرضىٰ بالمقدور أو لايجب؟

قال السفاريني:

وليس واجب على العبد الرضا ❁❁ بكل مقضي ولكن بالقضا

فالواجب عليك: أن ترضى بفعل الله وبما هو الى الله؛ لأنه على مقتضى حكمته، أما فعلك فمنه ما يجب أن ترضى به كالصلاة، والصيام، والبر، ومنه ما يستحب أن ترضى به وهي: المستحبات، ومنه ما يجوز أن ترضى به وهو الجائزات، ومنه ما يكره أن ترضى به وهو المكروهات، ومنه ما يحرم أن ترضى به وهو المحرمات بل ربما أن بعض الأمور الرضى بها كفر، كمن رضيَّ بالكفر، أو رضي بالشرك، فيحكم عليه بالكفر أو رضي بدين غير دين الإسلام، فليس واجب على العبد الرضى بكل ما قضاه الله، ولكن بالقضاء أفعاله منها ما يرضى به ومنها ما لا يرضى به.

وأما ما كان الى الله عَزَّوَجَلَّ فيرضى به، ونسال الله عَزَّوَجَلَّ أن يكرمنا بالثبات على دينه حتى نلقاه، ونسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو كثيرًا بالأدعية التي تدل على الثبات، والحمد لله رب العالمين.

التَّعْلِيقُ المُخْتَصَرُ عَلَى القَوَاعِدِ الأَرْبَعِ

لمؤلفها الإمام المجدد

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيِّ النَّجْدِيِّ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فهذا تعليق مختصر علىٰ القواعد الأربع في ليلة الثامن عشر من شهر صفر في مدينة القاهرة من عام ١٤٣١ هجري؛ نسأل الله أن ينفع به من يسمعه ومن يقرؤه، وكان اللقاء مع مجموعة من الأخوة السلفيين من بلاد ليبيا -عمرها الله بالتوحيد والسنة- ثم قام بكتابتها علىٰ الحاسوب الأخ المبارك -إن شاء الله تعالىٰ- أحمد بن فتحي القليوبي فأضفت إليها إضافات أرجوا نفعها وخيرها، أسأل الله تعالىٰ الإخلاص والقبول، والحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيىٰ بن زيد الحجوري الزعكري

دار الحديث السلفية بدماج

١٤/ جمادىٰ الأولىٰ / ١٤٣١ هـ

مضمون هذه الرسالة

هذه الرسالة المختصرة سماها صاحبها: (القواعد الأربع)، وهي مع اختصارها اشتملت علىٰ قواعد عظام مهمة جدًا. ويعرف أهميتها بمعرفة حقيقتها، فهي قواعد تتعلق بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وما يضاده وهو الشرك بالله أعاذنا الله وإياكم منه، وشرف العلم بشرف المعلوم ،وبمعرفة هذه القواعد تدمغ كثير من شبه المشركين العصريين وغيرهم ممن لا يفرق بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية.

فشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب نظر في حال مشركي زمانه فرأىٰ أن كثيرًا منهم وقع في ما وقع فيه مشركوا العرب فألف هذه الرسالة المهمة وبيّن فيها علىٰ وجه الإختصار حال الموحدين من حال المشركين كما هو دأب أهل الحق المنافحين عن التوحيد والسنة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الأنعام:٥٥]. وهذه القواعد مأخوذة من القرآن والسنة.

فدراسة التوحيد من الأمر المهمة لتعلق حق الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عباده بها ولأن مناط السعادة الدنيوية والأخروية مبنية علىٰ الإحسان في هذا الباب والتفريط في هذا الباب سبب لكل شر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[النساء:٤٨]. ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة:٧٢].

متن القواعد الأربع

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

[٢] أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مبارَكًا أينما كنت،

[٣] وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

[٤] اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفيّة ملّة إبراهيم:

[٥] أن تعبد الله مخلصًا له الدين كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات:٥٦].

[٦] فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته فاعلم: أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلا مع التوحيد،

[٧] كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاة إلى مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة.

[٨] فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفتَ أنّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك،

[٩] لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشَّبَكة، وهي الشرك بالله،

[١٠] الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:١١٦]،

[١١] وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

[١٢] القاعدة الأولى: أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يُقِرُّون بأنَّ الله تعالى هو الخالِق المدبِّر، وأنَّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾[يونس:٣١].

[١٣] القاعدة الثانية: أنَّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجَّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة،

فدليل القُربة [في نسخة: نريد مِنَ الله لا منهم، لكنْ بشفاعتهم والتقرب إليهم] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[الزمر:٣]. وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الأحقاف:٢٨].

[١٤] ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[يونس:١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيّة وشفاعة مثبتَة:

[١٥] فالشفاعة المنفيّة ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، والدليل: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[البقرة:٢٥٤].

والشفاعة المثبَتة هي: التي تُطلب من الله، والشّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضيَ اللهُ قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥].

[١٦] القاعدة الثالثة: أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهر على أُناسٍ متفرّقين في عباداتهم[1] غير الله]

[١٧] منهم مَن يعبُد الملائكة،

[١٨] ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين،

[١٩] ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار،

[٢٠] ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر،

[٢١] وقاتلهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يفرِّق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾[البقرة:١٩٣].

[٢٢] ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ [فصلت:٣٧].

[٢٣] ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ﴾[آل عمران:٨٠].

[٢٤] ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾[المائدة:١١٦].

[٢٥] ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾[الإسراء:٥٧].

[٢٦] ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩﴾[النجم:١٩-٢٠].

---

(١) في نسخة: (..متفرّقين في عباداتهم غير الله..).

[٢٧] ودليل عبادتهم الأشجار والأحجار حديث أبي واقدٍ الليثي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرجنا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط... الحديث.

[٢٨] القاعدة الرابعة: أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين، لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركوا زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[العنكبوت:٦٥].

[٢٩] تمت، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التعليق على المتن

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، مجدد الدعوة السلفية، وصاحب المناقب المرضية، وسالك الطريقة السوية، وهي طريقة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطريقة أصحابه رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان من أئمة الأنام، جدد الله تعالىٰ به الدين وأعلىٰ مناره، وهتك به الباطل ومزق شعاره ودثاره، فجزاه الله تعالىٰ عن الإسلام والمسلمين خيرا، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرحمه وأن يسكنه فسيح جناته:

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ المألف -رَحِمَهُ اللَّهُ- الكُتاب بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) علىٰ عادة المصنفين في فعل ذلك، اقتداءً بالكتاب العزيز، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ افتتح كتابه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم).

وكذا متابعة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه كان يفتتح رسائله ومكتباته بها ففي البخاري ومسلم عن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: فدفعه إلىٰ هرقل فقرأه فإذا فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران:٦٤]».

وفي مسلم: عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما أحصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند البيت صالحه أهل مكة علىٰ أن يدخلها فيقيم بها ثلاثًا ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح

السيف وقرابه، ولا يخرج بأحد معه من أهلها ولا يمنع أحدًا يمكث بها ممن كان معه، قال لعلي: «اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال له المشركون: «لو نعلم أنك رسول الله تابعناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله»، فأمر عليًا أن يمحاها فقال علي: «لا والله لا أمحاها». فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أرني مكانها»، فأراه مكانها فمحاها وكتب: «ابن عبد الله». فأقام بها ثلاثة أيام فلما أن كان يوم الثالث قالوا لعلي: "هذا آخر يوم من شرط صاحبك فأمره فليخرج". فأخبره بذلك فقال: «نعم». فخرج.

و(الباء) هنا للاستعانة، أي: بسم الله الرحمن الرحيم أُؤَلِّفُ، أو أَكْتُبُ حال كوني مستعينًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بينما ذهب المعتزلة إلىٰ أن الباء للمصاحبة، وهذا مبنيٌّ علىٰ معتقدهم الفاسد أن أفعال العباد خلق لهم، فالصحيح أن الباء للاستعانة.

(الله): لفظ الجلالة وهو أعرف المعارف، علمٌ علىٰ الذات العلية، وهو مشتق، قال الكسائي والفراء: «أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة».

قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (الصحيح أنه مشتق، وأن أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ. والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال علىٰ صفة له تعالىٰ. وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنىٰ، كالعليم والقدير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنىٰ، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه: أصلا وفرعا، ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر. وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة) اهـ.

قال أبو جعفر بن جرير: ("الله" أصله "الإله" أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم. فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأخرىٰ، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة. وأما تأويل "الله" فإنه علىٰ معنىٰ ما روي لنا عن عبد الله بن عباس قال: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق" وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: "الله ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين "فإن قال لنا قائل: وما دل علىٰ أن الألوهية هي العبادة؟ وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلا في فَعِلَ وَيَفْعَلُ؟... وذكر بيت رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المُدَّهِ ❁❁ سبحن واسترجعن من تألهي

يعني: من تعبدي وطلبي الله بعملي). انتهىٰ من فتح المجيد.

(الرحمن): اسم من أسمائه الحسنىٰ، و(الرحيم): اسم من أسمائه الحسنىٰ، و(الرحمن): يدل علىٰ الرحمة المتعلقة بالذات. و(الرحيم): يدل علىٰ الرحمة المتعدية إلىٰ المخلوق. واسم الرحمن أبلغ من اسم الرحيم؛ لأنه علىٰ وزن فعلان.

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ("الرحمن" دال علىٰ الصفة القائمة به سبحانه، "والرحيم" دال علىٰ تعلقها بالمرحوم. وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾[الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١١٧﴾[التوبة:١١٧] ولم يجئ قط رحمن بهم). انتهىٰ من فتح المجيد.

[٢] أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت،

هذا من دعاء المؤلف لطالب العلم، كما عاهدناه من هذا المعلم الإمام في كثير من رسائله حيث يبكثر فيه من الدعاء للطلاب والقراء المستبصرين. ومن آداب الدعاء أن يفتتح دعائه بالثناء علىٰ الله بذكر أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا.

(أسأل الله الكريم): فأنت إذا سألت الله سألت كريما، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ غني كريم وهو الأكرم يعطي بلا حساب.

(رب العرش العظيم): وهذا دل علىٰ عظمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإن كان العرش الذي هو من مخلوقاته عظيم فالله عَزَّوَجَلَّ أعظم، وفيه التوسل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بربوبيته للعرش العظيم.

(أن يتولاك في الدنيا والآخرة): فإن تولاك الله في الدنيا والآخرة فأنت علىٰ سعادة عظيمة، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾[البقرة:٢٥٧]، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس:٦٢-٦٤]، فهو يتولاك في الدنيا بالهداية والتوفيق والرشاد، ويتولاك في الآخرة بما وعد به أولياءه وهو الجنة. والآخرة: يطلق علىٰ الحياة البرزخية وما بعدها.

(وأن يجعلك مباركًا أينما كنت): هذا دعاءه آخر لطالب العلم ومعناه: أن يجعلك نافعا أينما كنت، والركة هي وضع الخير الإلهي في الشيء، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن نبيِّهِ ورسوله عيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ حين تكلم في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾[مريم:٣١،٣٠]. والبركة في غير الأنبياء تكون بلانتفاع بهم في الخير.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في "جلاء الأفهام"(١٦٨/١) في تفسيره لكلمة "مباركً": (قال غير واحد من السلف معلما للخير أينما كنت وهذا جزء المسمىٰ، فالمبارك كثير الخير في نفسه الذي يحصله لغيره تعليمًا وإقدارًا ونصحًا وإرادةً واجتهادًا، ولهذا يكون العبد مباركًا لأن الله بارك فيه، وجعله كذلك، والله تعالىٰ متبارك لأن البركة

كلها منه فعبده مبارك، وهو المتبارك، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ①﴾[الفرقان:١]، وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ①﴾[الملك:١]). انتهىٰ من "جلاء الأفهام".

[٣] وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر؛ فإن هؤلاء الثلاثة عنوان السعادة.

هذا دعاء آخر من المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لطالب العلم أن يجعله (**ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر**).

فالإنسان في أحواله بين ثلاث:

١- طائعٍ مبتلىٰ.

٢- وطائع غير مبتلىٰ.

٣- ومذنبٍ مفرط.

(**إذا أعطي شكر**): هذا حال الطائع غير المبتلىٰ، المنعم، فعليه أن يقابل تلك النعمة بشكر الله عَزَّوَجَلَّ والحمد.

(**وإذا ابتلي صبر**): وهذا حال الطائع المبتلىٰ، ويجب عليه أمران:

الأمر الأول: أن يشكر الله عَزَّوَجَلَّ الذي يسر له أمر الطاعة، ووفقه لها، وأعانه عليها؛ فليس بحوله ولا بقوته استطاع أن يطيع ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ㉑﴾[النور:٢١].

فالإنسان لا يستطيع أن يقدم أو يؤخر إلا بمشيئة الله وإرادته الكونية القدرية، فلذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤﴾[الفاتحة:٥] نعبدك يا الله

حال كوننا مستعينين بك، لهذا كان "لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة"[1] فمن أعطي يشكر ربه، هذه مِنَّة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم:٧].

وأعظم ما أعطي العبد: الطاعة والتوفيق والهداية، فلئن شكرت الله عَزَّوَجَلَّ على الطاعة والتوفيق والهداية؛ أبشر من الله عَزَّوَجَلَّ بالمزيد ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[إبراهيم:٧].

وَمَــن يشــكر الله يلقــى المزيــد ❁❁ ومــن يكفــر الله يلقــى الغيــر

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

الأمر الثاني: أن يكون طائعا مبتلى بالأمراض، بالأسقام، بالأعداء، بالمضايقات، ونحو ذلك فهذا يجب عليه أن يصبر ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل:١٢٨،١٢٧].

ما أنت بأكرم من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي شج رأسه وكسرة رباعيته وصبر من أجل تبليغ دين الله تعالى ففي الصحيحين عن عائشة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثته: أنها قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم

---

(١) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما غزا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر أو قال لما توجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: "الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله" فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم**»، وأنا خلف دابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمعني وأنا أقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله" فقال لي: «**يا عبد الله بن قيس**» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله». أخرجه البخاري (٤٢٠٢)؛ ومسلم (٢٧٠٤).

أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟» فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»[1].

وعن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كأني أنظر إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللّٰهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». أخرجاه في الصحيحين[2].

وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كم صبر على بني إسرائيل ففي البخاري ومسلم عن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم حنين آثر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أناسًا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة. قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتيته فأخبرته فقال: «فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[3].

ولا من عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)؛ ومسلم (١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)؛ ومسلم (١٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٥٠)؛ ومسلم (١٠٦٢).

طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾[آل عمران:٤٩-٥٢].

ولا يحيىٰ بن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا من إبراهيم، ولا من نوح، ولا غيرهم من الأنبياء والصالحين الذين ابتُلوا في ذات الله، وجاهدوا في ذات الله، وصبروا من أجل تبليغ دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر:١٠]، وقال تعالىٰ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[البقرة:٢١٤].

(وإذا أذنب استغفر): هذا حال المذنبِ المؤمن. ودأب الصالحين التوبة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مما وقعوا فيه من الزلل، ويلجؤون إليه ويتوبون إليه ويتوكلون عليه.

ومدار الرسالة علىٰ العبادة والاستغفار، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾[هود:١-٣]، وإن توليتم عن العبادة وتوليتم عن الاستغفار ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾.

ونوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾[نوح:١٠،١١].

وهود يقول لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾[هود:٥٢].

وهكذا صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يقول الله تعالىٰ عنه ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾[هود:٦١] وهكذا شعيب قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾[هود:٨٩،٩٠]، وهكذا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول الله تعالىٰ له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر:١-٣] ويقول تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد:١٩]

ويقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن نفسه كما في حديث أبي هريرة عند البخاري قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرةً»[(١)].

وعن الأغر بن يسار المزني عند مسلم قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرةٍ»[(٢)].

وعن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عند مسلم، قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: «اللَّهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

الجلال والإكرام» قيل للأوزاعي، وهو أحد رواة الحديث: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: «أستغفر الله، أستغفر الله»(١).

وجميع الأنبياء كلهم صلىٰ الله عليهم أجمعين يدعون قومهم إلىٰ الاستغفار مما سلف من الذنوب، وفي الحديث «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا»(٢)، والله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الأخير فيقول: «من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» أخرجاه في الصحيحين(٣).

والاستغفار عبادة جليلة ترجع فيها إلىٰ ربك خاضعًا ذليلا تائبًا من الذنوب والمعاصي، فعن أبي هريرة: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ: " أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ »، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ»(٤).

والله عَزَّوَجَلَّ يحب المستغفرين ودأب المؤمنين الاستغفار ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[الذاريات:١٦-١٨] بعد قيام الليل يستغفرون الله، ما كانوا علىٰ الدشوش ولا علىٰ التلافز ولا شيء من ذلك قالوها بعد قيام الليل!.

(١) أخرجه مسلم (٥٩١).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨١٨) عن عبد الله بن بسر. وصححه الالباني.
(٣) في البخاري (١١٤٥)؛ ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٥٨).

بل قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (ما من ركن من أركان الصلاة إلا وفيه استغفار).

وقال رحمه في "التدمرية"(٢٢٣-٢٢٩): (والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على المقدور كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾. وقال في قصة يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ فالتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ فأمره مع الاستغفار بالصبر؛ فإن العباد لا بد لهم من الاستغفار أولهم وآخرهم قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» وقال: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة». وكان يقول: «اللّٰهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ؛ اللّٰهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي وكل ذلك عندي؛ اللّٰهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر».

وقد ذكر عن آدم أبي البشر أنه استغفر ربه وتاب إليه فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه؛ وعن إبليس أبي الجن -لعنه الله- أنه أصر متعلقًا بالقدر فلعنه وأقصاه، فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه ومن أشبه أباه فما ظلم قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب:٧٢،٧٣] ولهذا قرن الله سبحانه بين التوحيد والاستغفار في غير آية كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ﴾ وقال

تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢﴾ ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره: «يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار؛ فلما رأيت ذلك بثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا»، وقد ذكر سبحانه عن ذي النون أنه نادىٰ في الظلمات: أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه» وجماع ذلك أنه لا بد له في الأمر من أصلين ولا بد له في القدر من أصلين. ففي "الأمر" عليه الاجتهاد في الامتثال علما وعملا فلا تزال تجتهد في العلم بما أمر الله به والعمل بذلك. ثم عليه أن يستغفر ويتوب من تفريطه في المأمور وتعديه الحدود ولهذا كان من المشروع أن يختم جميع الأعمال بالاستغفار فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ فقاموا بالليل وختموه بالاستغفار، وآخر سورة نزلت قول الله تعالىٰ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢﴾، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾، وفي الصحيح: أنه كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللّٰهم ربنا وبحمدك اللّٰهم اغفر لي»، يتأول القرآن وأما في "القدر" فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به ويتوكل عليه ويدعوه؛ ويرغب إليه ويستعيذ به ويكون مفتقرًا إليه في طلب الخير وترك الشر وعليه أن يصبر علىٰ

المقدور ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه). انتهىٰ من التدمورية.

(فإن هذه الثلاثة عنوان السعادة): وهل السعادة إلا في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

أفدتكم النعماء مني ثلاثة ❁❁ يدي ولساني والضمير المحجبا
وخير ما يدخر الإنسان في ❁❁ دنياه كي يستقيم دينه
قلبًا شكورًا ولسانًا صادقًا ❁❁ وزوجة صالحة تعينه

فلما كان الإنسان لا ينفك عن هذه الأحوال الثلاثة كانت سعادته فيها مع ما ذكرنا من الواجب عليه من الشكر والصبر والتوبة والاستغفار.

[٤] اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم:

نعم، عن أبي بن كعب رضي الله عنه: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إن ذات الدِّين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾»[١].

فـ **(الحنيفية)**: ملة إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

فالحنيف: المائل عن الشرك؛ وإبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ هو أبو الأنبياء، وإمام الأتقياء، ابتلي في الله فصبر، وأعطي فشكر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن
قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾
قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ
وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٨)، وحسنه الألباني.

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ
إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ
عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾
قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ
فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ
يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ
﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟
ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ
كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء:٥١-٧٢].

فالحنيفية التي أُمر بها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأُمر بها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾[الزمر:٢] وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[الزمر:٣] وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[1].

[٥] أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدِّين كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

هذا أسها وأساسها، إفراد الله بالعبادة حال كونك مخلصًا له الدين، وهذا هو الشرط الأول من شروط قبول العبادة: **الإخلاص**، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

[٦] فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد.

التوحيد لغة: مصدر وحد، أي: جعله شيئًا واحدًا، **فالتوحيد**: "إفراد الشي عن غيره".

وشرعًا: "هو إفراد الله تعالىٰ بالعبادة"، وعرفه آخرون بأنه "إفراد الله بما يجب له في ربوبيته وأُلوهيته وأسمائه وصفاته".

والتوحيد ثلاثة أنواع بدليل التتبع والاستقراء:

الأول: توحيد الربوبية: وهو "إفراد الله بما يختص به" أو "إفراد الله بأفعاله"، كالخلق والملك والتدبير، وبيده الضر والنفع وبيده الحياة والإماتة وغير ذلك من خصائص الربوبية.

الثاني: **توحيد الألوهية**: **وهو**: "إفراد الله بالعبادة" أو "إفراد الله بأفعال العباد"، أي لا تصرف شيئا من العبادات إلا لله، من صلاة أو ذبح أو دعاء أو نذر أو غير ذلك مما يحبه الله ويرضاه.

الثالث: **توحيد الأسماء والصفات**: وهو إفراد الله في أسمائه وصفاته، فنثبت له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

والعبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والافعال الظاهرة والباطنة".

وللعبادة شرطان باعتبارها عبادة شرعية مقبولة عند الله: وهما الإخلاص والمتابعة.

فالعبادة إذا لم تُبن علىٰ الإخلاص لا تُسمىٰ عبادة، وكون الإنسان يفعل بعض المحبوبات لله تعالىٰ لكنه يسمع بها ويريد بها غيره لا ينتفع بها بل هي وزر عليه؛ كون الإنسان يشرك بالله مع فعل بعض القربات كأن يصوم ويدعو الحسين، ويدعو الست زينب، والبدوي، ويدعو العيدروس، ويدعو الهادي من دون الله، وينذر للهادي، وينذر للعيدروس، وينذر للبدوي، وينذر لابن عربي ورابعة وغيرهم هذا وإن صلىٰ وإن صام ما هو بموحد، لأنه واقع في الشرك، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ وهذا ليس بمتقٍ، هذا قد ناقض الأصل الأصيل الذي من أجله خُلِقت السموات والأرض، وخُلقت الجن والشياطين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وهذا عَبَدَ غير الله ووقع في منكر عظيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾.

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه قال: «**قال لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[1].

قال النووي في شرح الحديث: (أي لم يكن مصدقًا بالبعث، ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل. **قال القاضي عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالىٰ:** وقد انعقد الإجماع علىٰ أن

(١) أخرجه مسلم (٢١٤).

الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، لكن بعضهم أشد عذابًا من بعض بحسب جرائمهم).

إننا بحاجة إلىٰ الدعوة إلىٰ التوحيد ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، في جميع اللحظات والأوقات، التوحيد هو الأساس العظيم، هو السبب العظيم لدخول الجنة، لا يمكن أن يخلد في النار موحد ففي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «قال الله وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي لأخرجن منكي من قال: لا إله إلا الله»[1]، ولا يمكن أن يدخل الجنة مشرك شركًا أكبر.

والمخالفون للتوحيد في هذا الزمان كثير، الصوفية عندهم مخالفات كثيرة، والشيعة عندهم مخالفات كثيرة في هذا الباب حيث اتخذوا قبور ما يسمونهم بالأولياء أربابًا من دون الله تعالىٰ يذبحون وينذرون لها، ويطوفون بها ويتبركون بأتربتها، ويحلفون بها، فكم سكبوا عندها من عبرات، وكم طلبوا منها الحاجات وإذا أنكرت عليهم قالوا هؤلاء أولياء لهم جاه عند الله وإنما اتخذناهم وسائط لا أرباب وهذا هو عذر أبي جهل ومن صار علىٰ سيره، قال تعالىٰ:﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣].

[٧] كما أن الصلاة لا تُسمّى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدَث إذا دخل في الطهارة،

سواءً بسواء؛ هذا مثال طيب وقياس طيب، يفهم به العوام إذا كنت ترىٰ أن الصلاة باطلة بمجرد فساء أو ضراط أو خروج قطرة من البول، فمن باب أولىٰ أن عبادتك باطلة بسبب دعاء غير الله تعالىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وتعتمد علىٰ

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)؛ ومسلم (١٩٣).

غيره، وتتوكل علىٰ غيره، وتستعين بغيره فيما لا يقدر عليه إلا الله، وتنذر لغيره، وتذبح لغير الله، إلىٰ غير ذلك من الأمر المخالفة للتوحيد والمناقضة له.

إذا كان الفساء والضراط يفسد الصلاة فالعبادات الشركية تفسد التوحيد وتفسد الإسلام، ومن وقع في الشرك الأكبر كفر بعد إسلامه والعياذ بالله، وبطل عمله جميعه قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣]، وخُلِّد في النار، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢]، وأبيح دمه وماله، يدل علىٰ ذلك حديث عبد الله بن مسعود عند الشيخين: «لا يحل دم إمرء مسلم إلا بإحدى ثلاث» ومنها: «التارك لدينه المفارق للجماعة»[(١)] وفي حديث ابن عباس عند البخاري: «من بدل دينه فاقتلوه»[(٢)].

[٨] فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من المخلدين في النار، عرفت أن أهم مايجب عليك معرفته.

فإذا عرفت حق الله وحق غيره وعملت خلصك الله من شبكة الشرك بالله الذي قال تعالىٰ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:١١٦،٤٨]. **قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "اقتضاء الصراط المستقيم"(٢/ ٣٦٤-٣٦٩):** (والله سبحانه له حقوق لا يشركه فيها غيره، وللرسل حقوق لا يشركهم فيها غيرهم، وللمؤمنين بعضهم علىٰ بعض حقوق مشتركة؛ ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنت ردف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حقه عليهم: أن يعبدوه لا يشركوا به

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)؛ ومسلم (١٦٧٦). ولفظ البخاري: «والمارق من الدين التارك للجماعة».

(٢) (٣٠١٧).

شيئا يا أن معاذ، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟». قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حقهم عليه ألا يعذبهم»[(١)].

فالله تعالىٰ مستحق أن نعبده لا نشرك به شيئًا، وهذا هو أصل التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت به الكتب، قال الله تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

ويدخل في ذلك أن لا نخاف إلا إياه، ولا نتقي إلا إياه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾. فجعل الطاعة لله وللرسول، وجعل الخشية والتقوىٰ لله وحده.

وكذلك قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾. فجعل الإيتاء لله وللرسول. كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، فالحلال ما حلّله الرسول، والحرام: ما حرّمه الرسول، والدين: ما شرعه الرسول.

وجعل التحسب بالله وحده، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، ولم يقل ورسوله. كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤﴾: أي: حسبك وحسب من اتبعك: الله، فهو وحده كافيكم، ومن ظن أن معناها: حسبك الله والمؤمنون، فقد غلط غلطًا عظيمًا من وجوه كثيرة مبسوطة في غير هذا الموضع.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)؛ ومسلم (٣٠).

ثم قال: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، فجعل الفضل لله، وذكر الرسول في الإيتاء؛ لأنه لا يباح إلا ما أباحه الرسول، فليس لأحد أن يأخذ ما تيسر له إن لم يكن مباحا في الشريعة. ثم قال: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾، فجعل الرغبة إلىٰ الله وحده، دون ما سواه؛ كما قال: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾، فأمر بالرغبة إليه. ولم يأمر الله قط مخلوقا أن يسأل مخلوقا، وإن كان قد أباح في موضع من المواضع ذلك، لكنه لم يأمر به، بل الأفضل للعبد أن لا يسأل قط إلا الله. كما ثبت في الصحيح في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»(١)، فجعل من صفاتهم أنهم لا يسترقون: أي لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم، ولم يقل: لا يرقون. وإن كان ذلك قد روي في بعض طرق مسلم فهو غلط، فإن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقىٰ نفسه وغيره، لكنه لم يسترق، فالمسترقي طالب للدعاء من غيره؛ بخلاف الراقي غيره، فإنه داع له.

وقد قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»(٢) فهو الذي يتوكل عليه، ويُستعان به، ويُستغاث به ويُخاف ويُرجىٰ، ويُعبد وتنيب القلوب إليه، لا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ منه إلا إليه، والقرآن كله يحقق هذا الأصل» انتهىٰ من الاقتضاء.

وكون الرجل يزني – نسأل الله أن يتجاوز عن المسلمين- ويمكن أن يتوب، وإن لم يتب وأراد الله عذابه، عذّبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الله الجنة، وقد تكون له حسنات ماحية، مع أن الصحيح: أن الكبائر لا تكفر إلا بالتوبة، وقد يتجاوز الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذنوبك ومعاصيك ويدخلك الجنة بغير حساب فضل منه تعالىٰ، بينما لو وقعت في الأمر الآخر وهو الشرك حرم الله عليك الجنة، خبر من الله، وخبر الله لا يمكن أن

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)؛ ومسلم (٢١٨) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

يُخلف، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾، فالله عَزَّوَجَلَّ أخبر أنه من أشرك به شركًا أكبر ومات علىٰ ذلك، قال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾.

وأخبر أن من أشرك به أنه: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾، هذا خبر، وخبر الله لا يمكن أن يتغير أو يتبدل، والشرك شر فأعرفه حتىٰ تتخلص منه وكما قيل:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ❁❁ ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

يجب عليك معرفة خطر الشرك، كما يجب عليك معرفة فضل التوحيد، فإنك إذا عرفت فضل التوحيد، وأهمية التوحيد سلكته، وإذا عرفت خطر الشرك وعظم الجريمة التي يقع فيها المشرك ابتعدت عنه، وقد خافه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾.

والمسألة جنة ونار! المسألة ليست مسألة أسبوع وليله ويوم، المسألة: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ في النار أو ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي الجنة؛ فينبغي أن نتعلم التوحيد، جملة وتفصيلا، والدعوة إلىٰ التوحيد جملة وتفصيلا مع بيان معنىٰ التوحيد الحق لأن أهل البدع حرفوا معنىٰ لا إله إلا الله، فقال بعضهم معناها: لا خالق إلا الله، وعلىٰ هذا التعريف يكون أهل الإشراك مقرين بمعناها وهذا بعيد، فإنهم لما قال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»(١) قالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

(١) أخرجه البيهقي في الكبرىٰ وفي الدلائل النبوة، وابن حبان وابن خزيمة وغيرهم.

وفسر بعضهم (لا إله إلا الله): بأنه لا موجود إلا الله، وهذا قول أصحاب وحدة الوجود الذين هم أكفر من اليهود والنصارىٰ حتىٰ قال بعضهم لعنة الله عليه:

الرب عبد والعبد ربا ❁❁ يا ليت شعري من المكلف

تعالىٰ الله عن قولهم علوًا كبيرًا، إذًا فمعناها الحق: لا معبود بحق إلا الله، قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾.

وكان رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملازما للدعوة إلىٰ التوحيد قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[1] وقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2] يحذر ما صنعوا، قال هذا وهو في سياقة الموت بأبي هو وأمي.

[٩] لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله،

الشرك لغة: هو المخالطة، أن تجعل شيئًا أكثر من واحد، ويعرف بضده: التوحيد.

وشرعًا: هو "عبادة غير الله معه أو دونه" أو قل: "أن تجعل لله ندًا وهو خلقك".

فهكذا عرفه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود في الصحيحين قال: «سألت النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»[3]. والشرك بالله ظلم بين العبد وبين ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٦) عن معاذ بن جبل وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٠)؛ ومسلم (٥٢٩) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)؛ ومسلم (٨٦).

لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة:٢١،٢٢]. فللقيام بالتوحيد خلقك الله عَزَّوَجَلَّ ومن لم يقم بذلك فقد وقع في هذا الظلم العظيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

والشرك بالله ينقسم إلىٰ قسمين:

١- **شرك أكبر** مخرج من الملة وضابطه كل ما يناقض أصل التوحيد؛ كاعتقاد بعض الناس أن بعض الأموات ينفعون ويضرون.

٢- **شرك أصغر** غير مخرج من الملة، وضابطه: أن يتخذ ما ليس سبب سببًا.

[١٠] الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وهذه الآية يستدل بها من يرىٰ أن الشرك الأصغر ليس بداخل تحت المشيئة.

والمسألة خلافية بين أهل السنة، هل الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة أو ليس بداخل؟ **والصحيح عندي**: أنه ليس بداخل، فمن مات علىٰ شرك أصغر ولم يتب منه فإنه مستحق لدخول النار وداخل لها، وقد يتجاوز الله عَزَّوَجَلَّ عنه بعد ذلك، أقصد يخرجه الله عَزَّوَجَلَّ بعد أن يُعذَّب بقدر شركه الأصغر الذي وقع فيه؛ الآية علىٰ عمومها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، يدخل فيها الشرك الأكبر والأصغر، والله أعلم.

قال الشيخ العثيمين في "القول المفيد"(١٤١/١) قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، ﴿لَا﴾: نافية، ﴿أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾: فعل مضارع مقرون بأن المصدرية، فيحول إلىٰ مصدر تقديره: أن الله لا يغفر الإشراك به، أو لا يغفر إشراكًا به، فالشرك لا يغفره الله أبداً، لأنه جناية علىٰ حق الله الخاص، وهو التوحيد.

أما المعاصي، كالزنىٰ والسرقة، فقد يكون للإنسان فيها حظ نفس بما نال من شهوة، أما الشرك، فهو اعتداء علىٰ حق الله تعالىٰ، وليس للإنسان فيه حظ نفس، وليس شهوة يريد الإنسان أن ينال مراده، ولكنه ظلم، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[لقمان:١٣].

وهل المراد بالشرك هنا الأكبر، أم مطلق الشرك؟

قال بعض العلماء: إنه مطلق يشمل كل شرك ولو أصغر، كالحلف بغير الله، فإن الله لا يغفره، أما بالنسبة لكبائر الذنوب، كالسرقة والخمر، فإنها تحت المشيئة، فقد يغفرها الله، وشيخ الإسلام ابن تيمية المحقق في هذه المسائل اختلف كلامه في هذه المسألة، فمرة قال: الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، ومرة قال: الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر، وعلىٰ كل حال فيجب الحذر من الشرك مطلقًا، لأن العموم يحتمل أن يكون داخلاً فيه الأصغر، لأن قوله: ﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أن وما بعدها في تأويل مصدر، تقديره: إشراكًا به، فهو نكرة في سياق النفي، فتفيد العموم.

قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، **المراد بالـ**: "دون" هنا: ما هو أقل من الشرك، وليس ما سوىٰ الشرك». انتهىٰ من "القول المفيد".

وقال شيخ الإسلام في "الرد على البكري"(١٤٦): (والشرك له شعب تكبره وتنميه كما أن الإيمان له شعب تكبره وتنميه وإذا كان كذلك فإذا تقابلت الدعوتان فمن قيل إنه مشرك أولىٰ بالوعيد ممن قيل فيه إنه ينتقص الرسول فإن هذا إن كان مشركا الشرك الأكبر كان مخلّدا في النار وكان شرا من اليهود والنصارىٰ، وإن كان مشركا الشرك الأصغر فهو أيضا مذموم ممقوت مستحق للذم و العقاب.

وقد يقال الشرك لا يغفر منه شيء لا أكبر و لا أصغر علىٰ مقتضىٰ عموم القرآن، وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلمًا لكن شركه لا يغفر له بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة). انتهىٰ من "الرد علىٰ البكري".

وقال ابن القيم في "إغاثة اللهفان"(١/٩٨): (وقد وسم الله سبحانه الشرك والزنا واللواطة بالنجاسة والخبث في كتابه دون سائر الذنوب وإن كانت مشتملة على ذلك، لكن الذي وقع في القرآن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ﴾[التوبه:٢٨]، وقوله تعالى في حق اللوطية: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾[الأنبياء:٧٤]، وقالت اللوطية: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[النمل:٥٦]، فأقروا مع شركهم وكفرهم أنهم هم الأخابث الأنجاس وأن لوطا وآله مطهرون من ذلك باجتنابهم له وقال تعالى في حق الزناة: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾[النور:٢٦].

فأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة:

فالمغلظة: **الشرك الأكبر** الذي لا يغفره الله عَزَّوَجَلَّ فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

والمخففة: الشرك الأصغر كيسير الرياء والتصنع للمخلوق والحلف به وخوفه ورجائه.

ونجاسة الشرك عينية؛ ولهذا جعل سبحانه الشرك نَـجَسًا بفتح الجيم ولم يقل: إنما المشركون نَـجِسٌ بالكسر، فإن النَّجَس عين النجاسة، والنَّجِس بالكسر هو المتنجس فالثوب إذا أصابه بول أو خمر نَـجِس، والبول والخمر نـجَس. فأنجس النجاسة الشرك كما أنه أظلم الظلم فإن النجس في اللغة والشرع هو: المستقذر الذي يطلب مباعدته والبعد منه بحيث لا يلمس ولا يشم ولا يرى، فضلًا أن يخالط ويلابس لقذارته ونفرة الطباع السليمة عنه، وكلما كان الحق أكمل حياة وأصح حياء، كان إبعاده لذلك أعظم ونفرته منه أقوى). انتهى من "الإغاثة".

[١١] وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

والقاعدة: هي التي تندرج تحتها مسائل كثيرة، وهي الأساس الذي ينبني عليه غيره؛ فقاعدة الشيء: أساسه. والقواعد المنضبطة هي التي يدل عليها الكتاب والسنة فالقواعد يستدل لها لا بها؛ لهذا قال المؤلف: (**قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه**)، فليست قواعد مخترعة من قبل هذا الإمام بل هي قواعد مستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[١٢] القاعدة الأولى: أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِرُّون بأنّ الله تعالى هو الخالِق المدبِّر، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١].

هذه هي القاعدة الأولىٰ المستنبطة من كتاب الله تعالىٰ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[فصلت:٤٢].

اعلم وفقك الله: أن أبا جهل، وأبا لهب، وأمية بن خلف وغيرهم من المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق المالك الرازق المدبر، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، وقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[المؤمنون:٨٤:٨٩].

فهم مقرّون بتوحيد الربوبية، وكانوا يعبدون الأصنام وهم معترفون أن ليس لها من الأمر شيء، لم تخلق، ولم ترزق، ولم تدبر، وإنما جعلوها وسائط، قال الله تعالىٰ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[الزمر:٣]، ومع اعترافهم بهذا التوحيد لم ينفعهم ولم يشفع لهم، بل أهدر الله دماءهم وأموالهم، وأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنهم مخلّدون في نار جهنم، ولم يخالف في إثبات هذا التوحيد إلا شواذ من البشرية بعضهم من باب المكابرة، والرسل صلوات الله وسلامه عليهم كلهم دعوا إلىٰ هذا التوحيد: توحيد الألوهية، وعودوا من أجل دعوتهم إلىٰ التوحيد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾[النحل:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنبياء:٢٥].

ولأن الفطرة البشرية مقرة بتوحيد الربوبية، حتىٰ المجوسية الذين يزعمون أن للكون خالقين، خالق الشر، وخالق الخير، يقرون أن خالق الخير هو صاحب التصرف، وهو القوي القاهر.

إذن عندهم الإله المتصرف واحد، فتوحيد الربوبية وإثباته لله وحده لا ينفع المرء، بل لابد من إثبات جميع أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء والصفات حتىٰ يكون المرء موحدًا كما أراد الله عَزَّوَجَلَّ، وإثبات توحيد الربوبية يلزم صاحبه الإقرار بتوحيد الألوهية؛ لأن الخالق الرازق المالك المدبر هو المستحق للعبادة وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية إذ لا تصرف العبادات إلا للرب الخالق المالك المدبر.

وإبليس مقر بأن الله خلقه قال تعالىٰ: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ لكن لم يطع الله عَزَّوَجَلَّ، لم يطع؛ فكان من الكافرين، عصىٰ الله؛ فمعصيته معصية كفر، حسد واستكبار وبغي قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[البقرة:٣٤]، وهو مقر بالله، وأنه الخالق الرازق المالك المدبر، والله عَزَّوَجَلَّ أخبر عن فرعون فقال: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[النمل:١٤]، مع ذلك فرعون كافر بالله العظيم مع إقراره إقرارًا نفسيًّا بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾[يونس:٣١]، هذا جواب المشركين حين سُؤالهم من خلقكم؟ من رزقكم؟ من أعطاكم؟ من منعكم؟ من أنزل المطر؟ من أجرىٰ السحاب؟ من نصب الجبال؟ من رفع السماء؟ فيقولون الله، إقرارًا بذلك.

فعلىٰ المسلم أن يعلم: أن التوحيد ليس هو الإقرار بالربوبية فقط، وأن الشرك ليس هو إنكار الربوبية فقط.

[١٣] القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة، فدليل القُربة[(١)] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[الزمر:٣]. **وقوله تعالى:** ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الأحقاف:٢٨].

وهذه قاعدة ثانية من قواعد الأربع مستنبطة كما ترىٰ من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(١) وفي نسخة: (نريد مِنَ الله لا منهم، لكنْ بشفاعتهم والتقرب إليهم).

ومعناها: أن مشركي قريش الذين سماهم الله عَزَّوَجَلَّ مشركين وأباح دمائهم وأعراضهم وحكم عليهم بالخلود في النار، كانوا مقرِّين بتوحيد الربوبية في الجملة، فيا صاحب ابن علوان ويا صاحب العيدروس، ويا صاحب ابن العجيل، و يا صاحب الحسين، والبدوي، وعلي، ومن يدعون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عذرك نفس العذر الأول، أولئك قالوا: ليس لهم من الأمر شيء. ما خلقوا ولا رزقوا ولا شيء من ذلك، لكنها صور لقوم صالحين ثم صرفوا لها العبادات، بزعم أن لهم كرامة عند الله، ومنزلة عند الله ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ ومع ذلك مازالوا على الشرك باعتقادهم هذا.

إذن ما عبدوهم على أن أنهم أربابا من دون الله تعالىٰ ترزق وتخلق وتدبر، وإنما صرفوا لهم العبادات لأن لهم كرامات، ومنازل عند الله تعالىٰ ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ أخبر الله أن هذا صنيع الكفار، ولم يهدهم ربهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لأنهم ليسوا أهلًا للهداية، عَلم منهم الضلال والبعد والغي، قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣﴾[الأنفال:٢٣،٢٢].

[١٤] **ودليل الشفاعة قوله تعالى:** ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١٨﴾[يونس:١٨].

أي: والـدليل علىٰ أنهم اتخذوه آلـهة من دون الله بدعوىٰ الشفاعة لهم مع أنهم لا يَجلبون لهم نفعًا ولا يدفعون ضرًّا.

ولذلك لما جاء رجل إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إن حمدي زين وإن ذمي شين فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ذاك الله»[1].

[١٥] والشفاعة شفاعتان، شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة:

فالشفاعة المنفيّة ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، والدليل: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾[البقرة:٢٥٤].

والشفاعة المثبَتة هي: التي تُطلب من الله، والشّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضيَ اللهُ قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥].

وهذه المسألة مهمة قد أُلفت فيها المؤلفات، وممن ألف في الباب الشيخ مقبل رَحِمَهُٱللَّهُ تعالىٰ كتابا سماه "الشفاعة"، قال رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى(١٧-٢٥): (قال ابن الأثير في "النهاية": قد تكرر ذكر الشّفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، يقال: شفع يشفع شفاعةً فهو شافع وشفيع، والمشفّع: الّذي يقبل الشّفاعة، والمشفَّع: الّذي تقبل شفاعته). اهـ

وفي "القاموس" و"تاج العروس": والشّفيع: صاحب الشّفاعة، والجمع: شفعاء، وهو: الطالب لغيره يتشفّع به إلىٰ المطلوب.

وفيهما أيضًا: وشفّعته فيه تشفيعًا حين شفع -كمنع- شفاعةً، أي قبلت شفاعته كما في "العباب"، قال حاتم يخاطب النعمان:

فككت عديًّا كلّها من إسارها ✽✽ فأفضلْ وشفّعني بقيس بن جحْدر

[1] أخرجه الترمذي (٣٢٦٧) عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

وفي حديث **الحدود**: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا بلغ الحدّ السلطان فلعن الله الشافع والمشفّع».

وفي حديث ابن مسعود: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «القرآن شافع مشفّع، وماحل مصدّق»: أي: من اتبعه وعمل بما فيه فهو شافع مقبول الشّفاعة من العفو عن فرطاته، ومن ترك العمل به تمّ علىٰ إساءته، وصدّق عليه فيما يرفع من مساويه، فالمشفّع: الذي يقبل الشّفاعة، والمشفّع: الذي تقبل شفاعته، ومنه حديث: «اشْفع تشفّع»، واستشفعه إلىٰ فلان: أي سأله أن يشفع له إليه، وأنشد الصغاني للأعشىٰ:

تقول بنتي وقدْ قرّبت مرتحلاً ❁❁ يا ربّ جنّبْ أبي الأوصاب والوجعا

واستشفعتْ من سراة الحيّ ذا شرف ❁❁ فقدْ عصاها أبوها والّذي شفعا

يريد: والذي أعان وطلب الشّفاعة فيها، وأنشد أبو ليلىٰ:

زعمتْ معاشر أنّني مستشفع ❁❁ لمّا خرجت أزوره أقلامها

قال: زعموا أني أستشفع أقلامهم في الممدوح أي بكتبهم». اهـ مختصرًا.

والمعاني الشرعية موافقة للمعاني اللغوية. فمن الشّفعاء من يشفع ابتداءً، ومنهم من يشفع بعد الطلب، كما سيأتي إن شاء الله بيانه في الأحاديث.

فصل الآيات الواردة في الشّفاعة والجمع بينها وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: وبما أنّها قد وردت آيات تنفي الشّفاعة والشفيع، وآيات تثبتهما رأيت أن أذكر الآيات التي تنفي الشّفاعة والشّفيع، والآيات التي تثبتهما ثم أذكر الجمع بين هذه الآيات حسبما جمع بينها أهل العلم رحمهم الله.

الآيات الواردة في نفي الشّفاعة والشفيع: قال الله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾، وقال

تعالىٰ:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾.

وقال تعالىٰ حاكيًا عن بعض الصالحين:﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣﴾.

في هذه الآيات: نفي الشّفاعة.

وقال تعالىٰ:﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١﴾.

وقال تعالىٰ:﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾.

وقال تعالىٰ حاكيًا عن أهل النار:﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢﴾.

ومعنى حميم: قريب، وكرّة: رجعة إلىٰ الدنيا.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤﴾، وقال تعالىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ

﴿٤٤﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾. في هذه الآيات نفي الشفيع.

الآيات في إثبات الشّفاعة والشفيع:

قال الله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ﴾. وقال تعالىٰ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

فهي هذه الآيات إثبات الشفيع بشروط وستأتي إن شاء الله.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي: من الأصنام والأوثان ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ أي: لا يقدرون علىٰ الشّفاعة لهم ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ هذا استثناء منقطع، أي: لكن من شهد بالحقّ علىٰ بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له. اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾.

هذه الآيات تدل علىٰ الشّفاعة المثبتة بشروط ستأتي إن شاء الله.

الجمع بين الآيات المثبتة والآيات النافية:

يتحصل من هذا أن النفي مقصود به الشّفاعة التي تطلب من غير الله، كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾.

والشّفاعة المثبتة لا تقبل إلا بشروط:

١- قدرة الشافع علىٰ الشّفاعة؛ كما قال تعالىٰ في حق الشافع الذي يطلب منه وهو غير قادر علىٰ الشّفاعة: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾، فعلم من هذا أن طلب الشّفاعة من الأموات طلب ممن لا يملكها، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾.

٢- إسلام المشفوع له، قال الله تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾، والمراد بالظالمين هنا: الكافرون، بدليل الأحاديث المتواترة في الشّفاعة لأهل الكبائر، وستأتي إن شاء الله في موضعها.

قال الحافظ البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الشعب"(٢٠٥/١): (فالظالمون هاهنا هم الكافرون، ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هي في ذكر الكافرين). اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير. اهـ

ويستثنىٰ من المشركين أبو طالب، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع له حتىٰ يصير في ضحضاح من نار كما سيأتي في الأحاديث في مواضعها إن شاء الله.

٣- الإذن للشافع، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

٤- الرّضا عن المشفوع له كما قال تعالىٰ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ وقال تعالىٰ:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

والناس في الشفاعة طرفان ووسط؛ فالمعتزلة والخوارج ينفونها مطلقًا، والصوفية والشيعة القبورية يثبتونها مطلقًا حتىٰ أنهم أدخلوا فيها شفاعة أرباب القبور الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا كما فعل المشركون مع أوثانهم وأصنامهم وأنصابهم، بينما أهل السنة يثبتون الشفاعة بشروطها، وأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع في المقام المحمود، الشفاعة العظمىٰ.

وهذه الشفاعة اتفق عليها أهل الملة علىٰ إثباتها، قال الله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾. لكن خالفوا في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر.

والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وهم قلبوا الحديث، وقالوا ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.

فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في الشفاعة، «أترونها للمتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين»، لكن هذه الشفاعة بإذن الله يقوم ويسجد ويحمد ربه بمحامد حتىٰ يأذن الله له في الشفاعة.

إذن يشترط في الشفاعة المثبتة ثلاثة أمور:

١- رضا الله عَزَّوَجَلَّ عن الشافع.

٢- رضا الله عَزَّوَجَلَّ عن المشفوع فيه.

٣- وإذن الله عَزَّوَجَلَّ بالشفاعة. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ فلا شفاعة لكافر ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ١٨﴾.

ولا يشفع كافر، لأنه ليس من أهل الشفاعة، ولم يرض الله عنه، وإنما يشفع ويُشفع من رضي الله عَزَّوَجَلَّ عمله، وأذن الله عَزَّوَجَلَّ له ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾». انتهى من "الشفاعة" لشيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[١٦] القاعدة الثالثة: أنّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهر على أُناسٍ متفرّقين في عباداتهم[(١)]

قاتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جميع المشركين ولم يفرق بينهم.

[١٧] منهم مَن يعبُد الملائكة،

فقاتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عباد الملائكة كالصابئة.

[١٨] ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين،

وقاتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عباد الأنبياء كاليهود والنصارىٰ. النصارىٰ يعبدون عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، واليهود يعبدون عزيرًا.

[١٩] ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار،

(١) وفي نسخة: «متفرّقين في عباداتهم غير الله منهم من...».

وقاتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عباد الأصنام والأحجار والأشجار كبعض مشركي العرب. كانوا يعبدون الأشجار والأحجار، ينذرون لها النذور ويذبحون لها الذبائح، ويطوفون حولها، ويتمسحون بها، ويدعونها من دون الله وكانوا يستغيثون بها ويرجونها في جلب المنافع ودفع المضار وغير ذلك.

[٢٠] ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر،

وهذا نوع آخر من أنواع المعبودات: الشمس والقمر. فهذه الأنواع التي عبدت من دون الله في زمن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووجد أيضا عبدت الجن، وعبدت النيران. فجعلهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ حد سواء.

[٢١] وقاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يفرِّق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾[البقرة:١٩٣].

والدليل علىٰ وجوب قتالهم قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾.

والفتنة: هي الشرك.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ الدين الخالص، والعبادة الحقة الصحيحة ليس له سبحانه شريك لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا.

[٢٢] ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾[فصلت:٣٧].

أي: الدليل علىٰ أن هنالك من عبد الشمس والقمر قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي

خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾، أي: توحدونه، وتفردونه بما يستحق من العبادة.

[٢٣] ودليل الملائكة قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ﴾[آل عمران:٨٠].

أي: الدليل علىٰ أن هنالك من عبد الملائكة والنبيين قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠﴾ أيأمركم بالكفر، أي: اتخاذ الملائكة، واتخاذ النبيين أربابًا؛ هذا كفر. والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزه عن الكفر، ومنزه عن الأمر به والرضىٰ به، والشاهد من الآية أن بعض الناس اتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[٢٤] ودليل الأنبياء قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾[المائدة:١١٦].

والدليل علىٰ أن هنالك من عبد الأنبياء قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ أي: أنزهك عن ذلك، وأيضًا سبحانك هذا أمر عظيم لا أقترفه.

و(سبحان الله) يُؤتَىٰ بها للتعجب، مثل "سبحان الله" و"الله أكبر". ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾.

أثبت النفس لله، وأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته تثبت بالكتاب والسنة، وإنما يخالف في ذلك أهل الأهواء؛ وكل اسم من أسماء الله تعالىٰ يتضمن صفة فيجب علينا أن نثبت ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ

﴿١١﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

وبعض المعتزلة الضُّلال كفر عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال: هو كافر لأنه أثبت لله نفسًا.

انظر البدعة إلىٰ أين تجر! كفر عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأنه أثبت لله نفسًا، لأنه أثبت لله ما أثبته لنفسه، ونفس الله هي ذاته.

أهل السنة يثبتون النفس لله عَزَّوَجَلَّ كلهم، لكن اختلفوا هل النفس هي الذات أم النفس صفة من صفات الذات المتصفة ببقية الصفات؟

والذي رجحه شيخ الإسلام وهو الراجح: أن نفسه ذاته، قال النبي صلىٰ اله عليه وسلم: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**».

[٢٥] ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[الإسراء:٥٧].

والدليل علىٰ أن هنالك من عبد الصالحين قوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ يعني: هؤلاء الذين أنتم تعبدونهم يبتغون القرب من الله تعالىٰ وهم علىٰ خلاف ما أنتم عليه يا أهل الإشراك.

وهذه الآية نزلت في قوم كانوا يعبدون الجن ويعبدون بعض الصالحين، كانوا إذا نزلوا واديًا يقولون: يا رب هذا الوادي، يا صاحب هذا الوادي أغثنا، احفظنا. إلىٰ غير ذلك؛ فأخبر الله أن هؤلاء الذين تدعونهم هم أنفسهم يبتغون عند الله الوسيلة، ويطلبون من الله الرحمة والرضىٰ، وهم عباد له، وأنتم اتخذتموهم واسطة

واتخذتموهم أربابا هم يتبرءون من طريقتكم ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.

إذن هؤلاء كلهم اتخذوا هذه الأصنام آلهة مع أن هذه الأصنام ليست بآلهة ففي هذا رد علىٰ عباد القبور الذين يزعمون أن الشرك عبادة الأصنام فقط مع أن الله تعالىٰ سمىٰ الذين صرفوا العبادات للصالحين مشركين، وكلٌّ مقر بأن الله الإله الخالق الرازق المدبر. ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ عبودية مطلقة، عبودية قهر وملك ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ إما بلسان الحال أو بلسان المقال، يسبح بوحدانية الله.

تنبيه: الاستعانة والدعاء للحي الحاضر القادر جائزة، يا فلان أعني علىٰ حمل هذا الكرتون، حي قادر حاضر؛ هذه جائزة، أو دعاء حي حاضر قادر، يا فلان خذ بيدي لكن الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ وفي الحديث: «الدعاء هو العبادة وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر:٦٠]»[1].

[٢٦] ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم:١٩،٢٠].

والدليل علىٰ أن هنالك من عبد الأشجار والأحجار، فقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[النجم:٢٠] هي: أشجارًا وأحجارًا اتخذوها من دون الله.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)؛ الترمذي (٢٩٦٩)؛ وابن ماجه وغيرهم عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني.

وهذه أكبر ثلاثة أصنام كان يعبدها أهل الجاهلية قبل مبعث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ذكر المفسرون أن اللات كان قبر رجل يلت السويق رجل من الصالحين، والعزىٰ اشتُق لها اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

قال العثيمين في "القول المفيد"(١/١٩٧): (وقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١﴾الآيات [النجم:١٩]. لما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ المعراج بقوله: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾[النجم:١،٢]، قال: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾[النجم:١٨]، أي رأىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آيات الله الكبرىٰ. وقد اختلف العلماء في قوله: ﴿ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾: هل هي مفعول لـ﴿رَأَىٰ﴾، أو صفة لـ﴿ءَايَٰتِ﴾؟

وقوله: ﴿ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ قيل: أنها مفعول: لـ﴿ رَأَىٰ ﴾، **والتقدير**: لقد رأىٰ من آيات الله الكبرىٰ.

فعلى الأول: **يكون المعنىٰ**: أنه رأىٰ الكبرىٰ من الآيات.

وعلى الثاني: يكون المعنىٰ أنه رأىٰ بعض الآيات الكبرىٰ، وهذا هو الصحيح، أن الكبرىٰ صفة لـ﴿ءَايَٰتِ﴾، وليست مفعولاً لـ﴿رَأَىٰ﴾، إذا إن ما رآه ليس أكبر آيات الله.

وبعد أن ذكر الله ما رأىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الآيات، قال: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾، أي: أخبروني ما شأنها، وما حالها بالنسبة إلىٰ هذه الآيات العظيمة، إنها ليست بشيء.

والاستفهام: للاستخفاف والاستهجان بهذه الأصنام. قوله: ﴿ٱللَّٰتَ﴾، تقرأ بتشديد التاء وتخفيفها، والتشديد قراءة ابن عباس، فعلىٰ قراءة التشديد تكون اسم فاعل من اللت، وكان هذا الصنم أصله رجل يلت السويق للحجاج، أي: يجعل فيه السمن، ويطعمه الحجاج، فلما مات عكفوا علىٰ قبره وجعلوه صنماً.

وأما على قراءة التخفيف، فإن اللات مشتقة من الله، أو من الإله، فهم اشتقوا من أسماء الله اسمًا لهذا الصنم، وسموه اللاّت، وهي لأهل الطائف ومن حولهم من العرب.

وقوله: ﴿وَٱلۡعُزَّىٰ﴾، مؤنث أعز، وهو صنم يعبده قريش وبنو كنانة مشتق من اسم الله العزيز كان بنخلة بين مكة والطائف.

قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ﴾، قيل: مشتقة من المنان، وقيل: من منى، لكثرة ما يمنى عنده من الدماء بمعنى يراق، ومنه سميت منى، لكثرة ما يراق فيها من الدماء.

وكان هذا الصنم بين مكة والمدينة لهذيل وخزاعة، وكان الأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج.

قوله: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾، إشارة إلى أن التي تعظمونها، وتذبحون عندها، وتكثر إراقة الدماء حولها: أنها أخرى بمعنى متأخرة، أي: ذميمة حقيرة، مأخوذة من قولهم: فلا أخر، أي: ذميم، حقير، متأخر.

فهذه الأصنام الثلاثة المعبودة عند العرب ما حلها بالنسبة لما رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لا شيء، وإنما ذكر هذه الأصنام الثلاثة لأنها اشهر الأصنام وأعظمها عند العرب. انتهى.

وعن أبي الطفيل، قال: (لما فتح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى، فأتاها خالد بن الوليد وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فقال: «**ارجع، فإنك لم تصنع شيئًا**». فرجع خالد، فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عزى خبليه، يا عزى عوريه، وإلا فموتي برغم، قال: فأتاها خالد، فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها، فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره فقال: «**تلك العزى**»).

[٢٧] ودليل عبادتهم الأشجار والأحجار حديث أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين ونحن حُدَثاء عهد بكفر، وللمشركين سِدْرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نَفْسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾[الأعراف:١٣٩]».

الشاهد: أن المشركين كانوا يتخذون لهم أشجارًا وأحجارًا وغير ذلك يتبركون بها ويتمسحون بها ويدعونها ويروجونها من دون الله ويطلبون نفعها، وكذلك يطلبون دفع ضرها؛ فكفرهم الله علىٰ ذلك وحاربهم رسول الله علىٰ ذلك.

ومن فوائد الحديث: فيه ما كان عليه أهل الجاهلية من الضلال البعيد.

وفيه: أن التبرك بالأحجار والأشجار والأبنية شرك وإن سُمي بغير اسمه لأنه طلب البركة من غير الله تعالىٰ.

وفيه: الدعوة إلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ.

وفيه: أهمية تعلم التوحيد؛ لأن من جهل التوحيد، لأن من جهل التوحيد حري به أن يقع فيما يناقضه من الشرك.

وفيه: خطر التشبه بالكافرين.

وفيه: إنكار المنكر ممن صدر.

قال الشيخ العثيمين في "القول المفيد"(١/٢٠٠): (قوله: "خرجنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، أي: بعد غزوة الفتح، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فتح مكة تجمعت له ثقيف وهوازن بجمع عظيم كثير جداً.

فقصدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه اثنا عشر ألفًا: ألفان من أهل مكة، وعشرة آلاف جاء بهم من المدينة، فلما توجهوا بهذه الكثرة العظيمة، قالوا: لن نغلب اليوم من قلة. فأعجبوا بكثرتهم، ولكن بين الله أن النصر من عنده سبحانه وليس بالكثرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ الآيتين [التوبة: ٢٥-٢٦]، ثم لما انحدروا من وادي حنين وجدوا أن المشركين قد كمنوا في الوادي، فحصل ما حصل، وتفرق المسلمون عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يبق معه إلا نحو مئة رجل، وفي آخر الأمر كان النصر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحمد لله.

قوله: "حدثاء"، جمع حديث، أي: أننا قريبو عهد بكفر، وإنما ذكر ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للاعتذار لطلبهم وسؤالهم، ولو وقر الإيمان في قلوبهم لم يسألوا هذا السؤال.

قوله: "يعكفون عندها"، أي: يقيمون عليها، والعكوف: ملازمة الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ﴾[البقرة:١٨٧].

قوله: "ينوطون"، أي: يعلقون بها أسلحتهم تبركًا.

قوله: "يقال: لها ذات أنواط"، أي: أنها تلقب بهذا اللقب لأنه تناط فيها الأسلحة، وتعلق عليها رجاء بركتها، فالصحابة رضي الله عنهم قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"، أي: سدرة نعلق أسلحتنا عليها تبركًا بها، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أكبر» كبر تعظيمًا لهذا الطلب، أي: استعظامًا له، وتعجبًا لا فرحًا به، كيف يقولون هذا القول وهم آمنوا بأنه لا إله إلا الله؟!، لكن: «إنها السنن»، أي: الطرق التي يسلكها العباد.

قوله: «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة»"، أي: إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاس ما قاله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ ما قاله بنو إسرائيل لموسىٰ حين قالوا: اجعل لنا إلهـًا كما لهم آلهة، فأنتم طلبتم ذات أنواط كما أن لهؤلاء المشركين ذات أنواط.

وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «والذي نفسي بيده»: **المراد**: أن نفسه بيد الله، لا من جهة إماتتها وإحيائها فحسب، بل من جهة تدبيرها وتصريفها أيضـًا، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم»، أي: لتفعلن مثل فعلهم، ولتقولن مثل قولهم، وهذه الجملة لا يراد بها الإقرار، وإنما يراد بها التحذير، لأنه من المعلوم أن سنن من كان قبلنا مما جرىٰ تشبيهه سنن ضالة، حيث طلبوا آلهة مع الله، فأراد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يحذر أمته أن تركب سنن من كان قبلها من الضلال والغي. انتهىٰ

[٢٨] القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أعظم شركاً من الأولين؛ لأن الأولين كانوا يخلصون لله في الشدة ويشركون في الرخاء، أما مشركو زماننا فشركُهم دائم في الرخاء والشدة.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت:٦٥].

المشركون الأولون قالوا: «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى». الأولون كانوا إذا مسهم الضر في البر أو البحر دعوا الله عَزَّ وَجَلَّ قال تعالىٰ. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ

وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾[يونس:٢٢].

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[يونس:٢٣].

بينما المشركون في هذا الزمان يعتقدون أن الأقطاب والأوتاد والغوث وغير ذلك من معبوداتهم لهم تصرفات في الكون حتىٰ قال بعض الحضارمة: «وعيسى ابن مريم رفعته أنا» وهذا كلام كفر وزندقة نسأل الله تعالىٰ السلامة. وقال بعضهم: ما في الجبة إلا الله. يقصد نفسه.

أولئك ما كانوا يقولون أن الحجر هو الله، إنما يقولون إن الحجر يقربنا إلىٰ الله، وأيضًا إذا مسهم الضر في البحر، هؤلاء يقولون يا الخمسة يا حسيناه يا محمداه يا علياه يا عيدروس يا ابن عربي يا بدوي يا جيلاني يا رابعة يا نفيسة يا دسوقي... وهكذا، يعبدونهم في وقت الشدائد، وأولئك كانوا عند الشدائد يلجئون إلىٰ الله.

وهؤلاء يعتقدون أن لأقطابهم تصرف في الكون وأولئك إنما اتخذوهم وسائط ووسائل تقربهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

[٢٩] تمت، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الواجب عدم ذكر لفظة (سيدنا) في الصلاة علىٰ رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لأن النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علمنا الصلاة، الإبراهيمية: «اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد». جاء من حديث أبي مسعود وغيره عند مسلم وغيره، وليس في شيء من الطرق لفظة سيدنا.

والصحابة رضوان الله عليهم لازموا الصلاة الإبراهيمية مع حبهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

ولا شك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو سيد الناس كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» وساق الحديث.

خلاصة القواعد الأربع

الأولى: أن تعلم أن الكفار مقرين بتوحيد الربوبية، ولم ينفعهم هذا الإقرار إذ لم يضموا إليه توحيد الألوهية.

الثانية: أن الكفار إنما اتخذوا معبوداتهم وسائط وشفعاء وهو نفس عذر مشركي زماننا ولم يقبل منهم هذا العذر.

الثالثة: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفرق بين عُباد الأصنام والأحجار والأوثان والجن والشياطين، وبين عباد الصالحين، عاملهم معاملة سواء، وحكم عليهم بالكفر والضلال، وقاتلهم جميعا.

الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركًا وكفرًا، لأنهم يرغبون إلىٰ آلهتهم وأربابهم -التي يسمونها أولياء ووسائط- في السراء والضراء والشدة والرخاء، بخلاف أولئك المتقدمين.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت سبحانك، أستغفرك و أتوب إليك.

الخاتمة

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في "إغاثة اللهفان"(٦٢/١):

(والمقصود: أن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلىٰ الله تعالىٰ وأكرها له وأشدها مقتا لديه، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه علىٰ ذنب سواه. وأخبر أنه لا يغفره وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حرمه، وحرم ذبائحهم ومناكحتهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه، ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يتخذوهم عبيدا، وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الألهية، وسوء ظن برب العالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾[الفتح:٦].

فلم يجمع علىٰ أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع علىٰ أهل الشرك فإنهم ظنوا به ظن السوء، حتىٰ أشركوا به ولو أحسنوا به الظن لوحّدوه حق توحيده، ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابه، وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلا وندا يحبه ويخافه ويرجوه ويذل له ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته؟ قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾[البقرة:١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾[الأنعام:١]، أي يجعلون له عدلا في العبادة والمحبة والتعظيم وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبني آلهتهم، وعرفوا وهم في النار أنها كانت ضلالا وباطلا فيقولون لآلهتهم وهم في النار معهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم

بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[الشعراء:٩٧-٩٨]. ومعلوم أنهم ما سووهم به في الذات والصفات والأفعال ولا قالوا: إن آلهتهم خلقت السموات والأرض وأنها تحيي وتميت وإنما سووها به في محبتهم لها، وتعظيمهم لها، وعبادتهم إياها، كما ترىٰ عليه أهل الإشراك ممن ينتسب إلىٰ الإسلام. ومن العجب أنهم ينسبون أهل التوحيد إلىٰ التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين، وما ذنبهم إلا أن قالوا إنهم عبيد لا ﴿يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾﴾، وأنهم لا يشفعون لعابديهم أبدًا، بل قد حرم الله شفاعتهم لهم، ولا يشفعون لأهل التوحيد إلا بعد إذن الله لهم في الشفاعة، فليس لهم من الأمر شيء بل الأمر كله لله، والشفاعة كلها له سبحانه والولاية له فليس لخلقه من دونه ولي ولا شفيع. انتهىٰ من الإغاثة.

وَصَايَا مُهِمَّةٌ للشارح

ونتواصىٰ بطلب العلم النافع علم الكتاب والسنة، وبتقوى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وبالعمل بالعلم، والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ والصبر علىٰ ذلك.

ونتواصىٰ بمراقبة الله تعالىٰ في السر والعلن، في السراء والضراء، في الشدة والرخاء، في الليل والنهار، فإن الله عَزَّوَجَلَّ مطلع علىٰ سرائرنا وظواهرنا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾[الطارق:٩،١٠] وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾[غافر:١٩،٢٠] وقال تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾[المجادلة:٧].

نحن بحاجة إلىٰ مراقبة الله، وبحاجة إلىٰ محبة الله، وبحاجة إلىٰ رضوان الله، فإن الله عَزَّوَجَلَّ إذا قلىٰ العبد من للعبد، من يجيبه، ومن يعينه، من ينصره، ولذا قال الله: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الذاريات:٥٠] قد تفر إلىٰ غيره فتهلك من ذا الذي يجيرك من الله تعالىٰ، لكن الله هو الذي يجير ولا يجار عليه﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾[المؤمنون:٨٨-٨٩]

ينبغي لنا: أن نفر إليه، ونقبل إليه، ونطلب العلم النافع ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول لنبيه قل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾[طه:١١٤] والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»(١) والإمام أحمد يقول: من المحبرة إلىٰ المقبرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)؛ ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والعلم النافع هو ميراث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1].

والعلم النافع رفعة في الدنيا والآخرة ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة:١١]. والعلم النافع نافع في المحيى وبعد الممات ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾[الروم:٥٦].

صاحب العلم مقدم في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة، أما في الدنيا قول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة»[2].

وأما في القبر ففي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كان النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجمع بين الرجُلين من قتلىٰ أحد في ثوب واحد ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن»، فإذا أشير له إلىٰ أحدهما قدمه في اللحد. أخرجه البخاري"[3].

وأما في القيامة: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»[4].

والشاهد: أن العالم مرفوع، والعالم يستغفر له من في السماوات والأرض حتىٰ الحيتان في جوف البحر إلىٰ غير ذلك من الفضائل.

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وغيرهم عن أبي الدرداء، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٦٧٣) عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) (١٣٤٣).

(٤) أخرجه الترمذي (١٤٦٤) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

اللمعة في تقسيم البدعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الأمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما بعد:

فقد وقفت علىٰ كتاب بعنوان: (**كل بدعة كفر ليس فيها التفاوت**)؛ لأبي عبدالرحمن لقمان بن عبد الغني الكسوي النيجيري هداه الله، فرأيته أتي بقول الحق علىٰ خلافه، وقد ذكر بعض الأدلة التي لا تدل علىٰ مقصودة وبعض الأقوال التي لم تُفهم عن قائلها.

وسترىٰ إن شاء الله تعالىٰ ما فيه بيان لضعف هذا القول.

وأسميت هذا المبحث: (**اللمعة في تقسيم البدعة إلى مخرجة من الملة وغير مخرجة منها وبيان ما في اللفظ من السعة**).

فالله أسأل أن يوفقنا للهدىٰ والصواب والتمسك بالكتاب والسنة علىٰ فهم سلف الأمة.

وكتبه:

أبو محمد عبدالحميد بن يحيىٰ الزُعكري

مكة حرسها الله ٢٩ شوال ١٤٣٨

الفصل الأول

وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم والأخذ بسنته وطريقته

الأدلة على وجوب الإتباع للكتاب والسنة وطاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر:

فمنها: قول الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال جل في علاه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

في آيات كثيرة تحث علىٰ متابعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما دق وجل وفي جميع ما هو من الدين.

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (٢٣٥٩):

حَدَّثَنا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ، الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ المَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَىٰ عَلَيْهِ؟ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ: «أَسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ»، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: " وَاللهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء: ٦٥] "

وقال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤/١٢٦): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ صَالِحٍ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: "قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ

بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ».

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦٤٨٢):

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ العَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَا النَّجَاءَ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ».

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٥٨٥):

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: خَاصَمَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ فِي شَرِيجٍ مِنَ الحَرَّةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ»، وَاسْتَوْعَى النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الحُكْمِ حِينَ أَحْفَظَهُ الأَنْصَارِيُّ، كَانَ أَشَارَ عَلَيْهِمَا بِأَمْرٍ لَهُمَا فِيهِ سَعَةٌ، قَالَ الزُّبَيْرُ: فَمَا أَحْسِبُ هَذِهِ الآيَاتِ إِلَّا نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال ابن ماجة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥):

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَىٰ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ سُمَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَفْطَسُ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُرَشِيِّ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: "آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي

بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّىٰ لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ"، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: صَدَقَ وَاللهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَرَكَنَا وَاللهِ عَلَىٰ مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ".

هذا حديث حسن.

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٨٤٥):

حَدَّثَنا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ القَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ، انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَأَتَىٰ النَّاسُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلَا تَرَىٰ مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ، أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالنَّاسِ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ؟ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَىٰ فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، وَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ فَخِذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ أَصْبَحَ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ «فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا» فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا العِقْدُ تَحْتَهُ.

وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (١٤٠١):

وحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا بَهْزٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَىٰ فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ. فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ

قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

وقال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة سننه:

أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ أَخْبَرَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْفَجْرِ ثُمَّ وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ»، وقَالَ أَبُو عَاصِمٍ مَرَّةً: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». وأخرجه الترمذي وابن ماجة وأبو داوود وغيرهم.

أو قال: خْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: كَانَ مَنْ مَضَىٰ مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وقال: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَوَّلَ الدِّينِ تَرْكًا السُّنَّةُ يَذْهَبُ الدِّينُ سُنَّةً سُنَّةً كَمَا يَذْهَبُ الْحَبْلُ قُوَّةً قُوَّةً.

وقال: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ قَالَ: مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا ثُمَّ لَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

حرص السلف رضوان الله عليهم على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم سنته والقول بها

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢٢٦):

حَدَّثَنا حَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبَكْرَاوِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، قَالَ: قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: "نَزَلَتْ آيَةُ الْمُتْعَةِ، فِي كِتَابِ اللهِ - يَعْنِي مُتْعَةَ الْحَجِّ - وَأَمَرَنَا بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لَمْ تَنْزِلْ آيَةٌ تَنْسَخُ آيَةَ مُتْعَةِ الْحَجِّ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى مَاتَ" قَالَ رَجُلٌ بِرَأْيِهِ: بَعْدُ، مَا شَاء.

وقال (١٢٧٠): وحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، وَعَمْرٌو، ح وحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرٌو، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمٍ، أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ قَالَ: قَبَّلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْحَجَرَ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَ وَاللهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ حَجَرٌ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ".

وفي الصحيحين: عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، يَقُولُ بِصِفِّينَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ، وَاللهِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَرَدَدْتُهُ، وَاللهِ، مَا وَضَعْنَا سُيُوفَنَا عَلَىٰ عَوَاتِقِنَا إِلَىٰ أَمْرٍ قَطُّ، إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَىٰ أَمْرٍ نَعْرِفُهُ إِلَّا أَمْرَكُمْ هَذَا"، لَمْ يَذْكُرِ ابْنُ نُمَيْرٍ إِلَىٰ أَمْرٍ قَطُّ.

وكم في ذلك من النصوص المتواترة لفظًا ومعنىً، فيجب علينا سلوك هذا السبيل فإنه الطريق الذي ارتضاه الله تعالىٰ وقبض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في الفقيه والمتفقه (١/ ٣٧٤):

بَابُ تَعْظِيمِ السُّنَنِ وَالْحَثِّ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِهَا وَالتَّسْلِيمِ لَهَا وَالِانْقِيَادِ إِلَيْهَا وَتَرْكِ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهَا.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الآثار في الباب:

- عَنْ طَلْحَةَ بْنِ السَّحَّاجِ، قَالَ: كَتَبَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مَعْمَرٍ الْقُرَشِيُّ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ أَمِيرُ فَارِسٌ عَلَىٰ جُنْدٍ: إِنَّا قَدِ اسْتَقْرَرْنَا فَلَا نَخَافُ عَدُوًّا، وَقَدْ أُتِيَ عَلَيْنَا سَبْعَ سِنِينَ، فَقَدْ وُلِدَ لَنَا الْأَوْلَادُ فَكَمْ صَلَاتُنَا؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ صَلَاتَكُمْ رَكْعَتَانِ، فَأَعَادَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ بِسُنَّتِي فَهُوَ مِنِّي، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»،وهو محمول علىٰ المتردد مع ضعف في السند ولكن المتن ثابت عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين.

- عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] قَالَ: "الرَّدُّ إِلَىٰ اللهِ: إِلَىٰ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَىٰ الرَّسُولِ إِذَا قُبِضَ: إِلَىٰ سُنَّتِهِ".

- وعَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] قَالَ: (إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في سنده ليث بن أبي سليم والمعنىٰ صحيح.

- وعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِذَا رَمَيْتُمُ الْجَمْرَةَ وَذَبَحْتُمْ وَحَلَقْتُمْ، فَقَدْ حَلَّ لَكُمْ كُلُّ شَيْءٍ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ: "أَنَا طَيَّبْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَرَمِهِ حِينَ أَحْرَمَ وَلِحِلِّهِ بَعْدَ مَا رَمَىٰ الْجَمْرَةَ قَبْلَ أَنْ يَزُورَ" قَالَ سَالِمٌ: وَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ أَنْ تُتَّبَعَ.

- وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، - قَالَ: "تَمَتَّعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا يَقُولُ عُرَيَّةُ يُرِيدُ؟ قَالَ: يَقُولُ: نَهَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقُولُونَ نَهَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"

- عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَضْلَلْتَ النَّاسَ قَالَ: "وَمَا ذَاكَ يَا عُرَيَّةُ؟" قَالَ: تَأْمُرُ بِالْعُمْرَةِ فِي هَؤُلَاءِ الْعَشْرِ، وَلَيْسَتْ فِيهِنَّ عُمْرَةٌ، فَقَالَ: "أَوَلَا تَسْأَلُ أُمَّكَ عَنْ ذَلِكَ؟" فَقَالَ عُرْوَةُ: فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ لَمْ يَفْعَلَا [ص:٣٧٨] ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "هَذَا الَّذِي أَهْلَكَكُمْ -وَاللهِ- مَا أَرَىٰ إِلَّا سَيُعَذِّبُكُمْ، إِنِّي أُحَدِّثُكُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَجِيئُونِي بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ" فَقَالَ: عُرْوَةُ: هُمَا وَاللهِ كَانَا أَعْلَمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاتْبَعَ لَهَا مِنْكَ قُلْتُ: قَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَلَىٰ مَا وَصَفَهُمَا بِهِ عُرْوَةُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَلَّدَ أَحَدٌ فِي تَرْكِ مَا ثَبَتَتْ بِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وعن إِسْحَاقَ بْن الطَّبَّاعِ، يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ مَالِكٍ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ كَذَا؟ قَالَ مَالِكٌ: "﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] "

- وعن عَبْد اللهِ بْن إِسْحَاقَ الْجَعْفَرِيُّ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ يُكْثِرُ الْجُلُوسَ إِلَىٰ رَبِيعَةَ قَالَ: فَتَذَكَّرُوا يَوْمًا السُّنَنَ، فَقَالَ رَجُلٌ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ: لَيْسَ الْعَمَلُ عَلَىٰ هَذَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: "أَرَأَيْتَ إِنْ كَثُرَ الْجُهَّالُ حَتَّىٰ يَكُونُوا هُمُ الْحُكَّامُ أَفَهُمُ الْحُجَّةُ عَلَىٰ السُّنَّةِ؟" قَالَ رَبِيعَةُ: "أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا كَلَامُ أَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ".

- وعَنْ طَاوُس قال: رَآنِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَنَا أُصَلِّي، بَعْدَ الْعَصْرِ فَنَهَانِي، فَقُلْتُ [ص:٣٨١]: إِنَّمَا كَرِهْتُ أَنْ تَتَّخِذَ سُلَّمًا فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْعَصْرِ»، وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ

وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وَمَا أَدْرِي تُعَذَّبُ عَلَيْهَا أَمْ تُؤْجَرُ.

- وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَرْمَلَةَ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، نَظَرَ إِلَىٰ رَجُلٍ صَلَّىٰ بَعْدَ النِّدَاءِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَأَكْثَرَ الصَّلَاةَ فَحَصَبَهُ، ثُمَّ قَالَ: "إِذَا لَمْ يَكُنْ أَحَدُكُمْ يَعْلَمُ فَلْيَسْأَلْ، إِنَّهُ لَا صَلَاةَ بَعْدَ النِّدَاءِ إِلَّا رَكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَانْصَرَفَ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَتَخْشَىٰ أَنْ يُعَذِّبَنِي اللهُ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: "بَلْ أَخْشَىٰ أَنْ يُعَذِّبَكَ اللهُ بِتَرْكِ السُّنَّةِ".

- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: - وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَيُّوبَ: أَنَّهُ قَالَ -: "إِنَّا نَقْتَدِي وَلَا نَبْتَدِئُ، وَنَتَّبِعُ وَلَا نَبْتَدِعُ، وَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَمَسَّكْنَا بِالْأَثَرِ".

- وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: "الْقَصْدُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ".

- وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» قَالَ بَشِيرٌ: فَقُلْتُ: إِنَّ مِنْهُ ضَعْفًا وَإِنَّ مِنْهُ عَجْزًا، فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَتَجِيئُنِي بِالْمَعَارِيضِ لَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ مَا عَرَفْتُكَ فَقِيلَ يَا أَبَا نُجَيْدٍ: إِنَّهُ طَيِّبُ الْهَوَىٰ، وَإِنَّهُ وَإِنَّهُ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّىٰ سَكَنَ وَحَدَّثَ.

- وعَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «تَوَضَّئُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، وَلَوْ مِنْ ثَوْرٍ مِنْ أَقِطٍ» فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: إِنَّا لَنَتَوَضَّأُ بِالْحَمِيمِ وَقَدْ أُغْلِيَ عَلَىٰ النَّارِ، وَإِنَّا لَنَدَّهِنُ بِالدُّهْنِ وَقَدْ طُبِخَ عَلَىٰ النَّارِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَا ابْنَ أَخِي: إِذَا سَمِعْتَ بِالْحَدِيثِ يُحَدَّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَلَا تَضْرِبْ لَهُ الْأَمْثَالَ.

- وعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ شِهَابٍ، يَقُولُ: "سَلِّمُوا لِلسُّنَّةِ وَلَا تُعَارِضُوهَا".

- وعن أَيُّوب، قَالَ: سَأَلَ الْحَكَمُ بْنُ عُتَيْبَةَ الزُّهْرِيَّ - وَأَنَا شَاهِدٌ، - عَلَىٰ عِدَّةِ أُمِّ الْوَلَدِ فقَالَ: السُّنَّةُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، فقَالَ: الْحَكَمُ: مَا يَقُولُ ذَلِكَ أَصْحَابُنَا قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: يَأْتِيكُمُ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ تَعْرِضُونَ لَهُ بِرَأْيِكُمْ؟ قَالَ: إِنَّ بَرِيرَةَ أُعْتِقَتْ «فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَعْتَدَّ عِدَّةَ الْحُرَّةِ».

- وقال: أَبُو عِيسَىٰ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا السَّائِبِ، يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ وَكِيعٍ، فَقَالَ لِرَجُل مِمَّنْ عِنْدَهُ، مِمَّنْ يَنْظُرُ فِي الرَّأْيِ: أَشْعَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، - يَعْنِي هَدْيَهُ -، وَيَقُولُ أَبُو حَنِيفَةَ هُوَ مُثْلَةٌ؟ قَالَ الرَّجُلُ: فَإِنَّهُ قَدْ رُوِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الْأَشْعَارُ مُثْلَةٌ قَالَ: فَرَأَيْتُ وَكِيعًا غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، فَقَالَ: "أَقُولُ لَكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ، مَا أَحَقَّكَ بِأَنْ تُحْبَسَ، ثُمَّ لَا تَخْرُجُ حَتَّىٰ تَنْزِعَ عَنْ قَوْلِكَ هَذَا".

- وعن إِسْحَاقُ يَعْنِي: ابْنَ أَبِي إِسْرَائِيلَ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَذُكِرَ، عِنْدَهُ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ - فَجَعَلَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ قَالَ: "يَرحِمَهُ اللَّهُ، إِنْ كَانَ لَمُتَّبِعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" قَالَ سُفْيَانُ: "مِلَاكُ الْأَمْرِ الِاتِّبَاعُ".

-. وساق من طريق أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّد بْن إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَىٰ الْأَزْدِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ دَاوُدَ الْخُرَيْبِيَّ، يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَوْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَزِيدُوا فِي الْوُضُوءِ عَلَى غَسْلِ أَظْفَارِهِمْ، لَمَا زِدْنَا عَلَيْهِ» قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ: يُرِيدُ أَنَّ الدِّينَ الِاتِّبَاعُ.

- وقال: الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، وَسَأَلَهُ، رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: يُرْوَىٰ فِيهَا كَذَا وَكَذَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ تَقُولُ بِهِ؟ فَرَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ أَرْعَدَ وَانْتَقَصَ، فَقَالَ: "يَا هَذَا، أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، إِذَا رَوَيْتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا فَلَمْ أَقُلْ بِهِ؟ نَعَمْ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، نَعَمْ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ".

- وَقَالَ الرَّبِيعُ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، وَقَدْ رَوَىٰ حَدِيثًا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حضَرَ: تَأْخُذُ بِهَذَا؟ فَقَالَ: "إِذَا رَوَيْتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا صَحِيحًا فَلَمْ آخُذْ بِهِ فَأَنَا أُشْهِدُكُمْ أَنَّ عَقْلِي قَدْ ذَهَبَ" - وَمَدَّ يَدَيْهِ -.

- وقال الرَّبيع بْن سُلَيْمَانَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: "إِذَا وَجَدْتُمْ فِي كِتَابِي خِلَافَ سَنَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُولُوا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَعُوا مَا قُلْتُ".

وغير ذلك كثير تركته خشية الإطالة.

وفي البدع لابن وضاح (١/ ٦٦):

عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "كَتَبَ عَامِلٌ لَهُ يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَهْوَاءِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَهُ مِمَّا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللهِ عِصْمَةٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يُحْدِثُوا بِدْعَةً إِلَّا وَقَدْ مَضَىٰ قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا وَعِبْرَةٌ فِيهَا، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا مِنَ الْخَطَأِ، وَالزَّلَلِ، وَالْحُمْقِ، وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمُ السَّابِقُونَ، وَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ كَانُوا عَلَىٰ كَشْفِ الْأُمُورِ أَقْوَىٰ، وَبِفَضْلٍ فِيهِ لَوْ كَانَ أَحْرَىٰ، فَلَئِنْ كَانَ الْهُدَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَئِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا أَحْدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ، وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، لَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، وَمَا فَوْقَهُمْ مُحْصِرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ دُونَهُمْ أَقْوَامٌ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ عَنْهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا، إِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ ﴿لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ٦٧﴾ [الحج: ٦٧]".

وفي البدع لابن وضاح (١/ ٦٧):

٧٥ - نا أَسَدٌ قَالَ: نا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: سُئِلَ عَاصِمُ ابْنُ بَهْدَلَةَ، وَأَنَا أَسْمَعُ قِيلَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] وَمِنْهَا جَائِرٌ، وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ، قَالَ: نا أَبُو وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ عَبْدُ اللهِ خَطًّا مُسْتَقِيمًا، وَخَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَقَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا فَقَالَ لِلْخَطِّ الْمُسْتَقِيمِ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، وَلِلْخُطُوطِ الَّتِي عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ: " هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَالسَّبِيلُ مُشْتَرَكٌ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال (٧٦): نا أَسَدٌ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ قَالَ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: "تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ؛ فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّهُ الْإِسْلَامُ، وَلَا تُحَرِّفُوا الصِّرَاطَ شِمَالًا وَلَا يَمِينًا، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ وَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلُوا صَاحِبَهُمْ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْعَلُوا الَّذِي فَعَلُوا؛ فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْتُلُوا صَاحِبَهُمْ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْعَلُوا الَّذِي فَعَلُوا بِخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ". قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ الْحَسَنَ، فَقَالَ: صَدَقَ وَنَصَحَ. قَالَ: وَحَدَّثْتُ بِهِ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ، فَقَالَتْ: بِأَبِي وَأَهْلِي أَنْتَ حَدَّثْتَ بِهَذَا مُحَمَّدًا؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَتْ: حَدِّثْهُ بِهِ.

لا يستقيم قولٌ ولا عمل إلا بموافقة السنة

وكذلك المتابعة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما جل ودق وكبر وصغر، ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا، من أعظم وسائل نصرة الدعوة: قال الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾[الأحزاب:٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء:٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾[الأحزاب:٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾[النور:٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧].

قال الجنيد كما قال السيوطي في الأمر بالاتباع (٥٣): الطرق كلها مسدودة إلا علىٰ المقتفين آثار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمتبعين سنته وطريقته، فإن طرق الخير

مفتوحة عليه كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[الأحزاب:٢١].

ومن أعظم الأدلة علىٰ أن الدعوة تنصر بمتابعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث المغيرة، ومن حديث جابر ومعاوية وثوبان وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، بألفاظ متقاربة: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ومن خالفهم، حتى تقوم الساعة وهم على ذلك».

فأنظر إلىٰ هذا الوعد النبوي الذي هو وعد رباني لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[النجم: ٣-٤]، كيف جعل من وسائل الاستمرار والظهور لهذه الدعوة الحقة هو سلوك سبيله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهديه وطريقته، هذا السبيل التام الكامل الشامل الذي قال الله تعالىٰ عنه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، ولقوله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، ولقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]، ولقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»، فمن لزم البيضاء وهي طريقة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نجي من الهلاك، ومن خالفها كان حليفه العطب.

والعطب قد يكون دنيويًا بالخزي والهزيمة والفشل، وإما أن يكون أخرويًا، فعلىٰ الله التكلان وهو المستعان، والاتباع ما ثبت عليه الحجة وهو اتباع كل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله، فالرسول هو المثل الأعلىٰ في اتباع ما أُمر به. اهـ (أضواء البيان) (٧/ ٥٤٨).

والمتابعة هي قطب رحىٰ الدين، وحبله المتين، وحصنه الحصين، وعروته الوثقىٰ التي لا تنفصم، والطريق اللاحب الوحيد الذي يوصل إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

والنور المضيء الذي تحيا به القلوب والنفوس، وتستقيم به الحياة كلها، والضرورة اللازمة لاستمرار الحياة، وهو سبب الرسالة التي هي ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، فإن الإنسان مضطر إلىٰ الشرع، والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمنًا.

وليست حاجة أهل الأرض إلىٰ الرسول كحاجتهم إلىٰ الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلىٰ حياته، ولا كحاجة الإنسان إلىٰ ضوئها والجسم إلىٰ الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه، في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده.

وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم علىٰ ربه محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أرسله الله بالهدىٰ ودين الحق بين يدي الساعة، بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرا، فختم به الرسالة، وهدىٰ به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وفتح برسالته أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلمتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، فأقام بها الملة العوجاء، وأوضح بها المحجة البيضاء، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع ذكره، وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمره.

فهدىٰ الله به الخلائق، وأوضح به الطريق، وأخرج به الناس من الظلمات إلىٰ النور، وبصر به من العمىٰ، وأرشد به من الغي، وجعله قسيم الجنة والنار، وفرق ما بين الأبرار والفجار، وجعل الهدىٰ والفلاح في اتباعه وموافقته، والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته، إلىٰ آخر ما ذكره شيخ الإسلام من كلامه النفيس كما في «المجموع» (١٩/ ٩٩-١٠٥).

ومن أعظم ما يدل علىٰ أن الاتباع سبب للاستمرار في الخير، والابتداع سبب للانحراف والضير: **ما أخرجه الإمام مسلم** (١٧٥٩): من حديث عائشة قالت: وكانت

فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيبر وفدك، وصدقته بالمدينة، فأبىٰ أبو بكر عليها ذلك وقال: لست تاركًا شيئًا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعمل به إلا عملت به، إني أخشىٰ إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ.

ونقل الإمام الذهبي في «السير» (٨/٩٨): عن الإمام مالك ابن أنس قوله: "سن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها اتباع لكتاب الله واستكمال بطاعة الله، وقوة علىٰ دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها من اهتدي بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولىٰ، واصلاه جهنم وسائت مصيرًا".

وكان السلف رضوان الله عليهم يرون الاتباع كالجهاد في سبيل الله.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام كما في «السير» (١٠/٤٩٩): المتبع السنة كالقابض علىٰ الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب بالسيف في سبيل الله.

ومعلوم أن الضرب بالسيف في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ من أسباب انتشار الدين واستمرارية عزته، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجعلت الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري».

وما وصل المسلمون إلىٰ هذا الانحطاط الذي هم فيه إلا بسبب تركهم لهذا الباب العظيم كما سيأتي بيانه، وليس بخاف عند كثير من المسلمين السبب الذي من أجله انتشرت دعوة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ومُكِنَ بعد السجن والقهر غير الاتباع حيث كان يقول لهم: أعطوني آية من كتاب الله أو حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقول به.

والاتباع من أسباب نصرة الدين، وقد تقدم معنا بيان نصر الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين الناصرين لدينه وشرعه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر:٥١]، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد:٧].

والاتباع والإخلاص كما تقدم هما سبب قبول العمل، وإذا قبل العمل مكن العامل، وإذا مكن استمر خيره وانتشر علمه وقبلت دعوته.

قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في مسلم (٢٦٤٢): يا رسول الله، أحدنا يعمل الخير يثنىٰ عليه به، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تلك عاجل بشرى المؤمن».

ثم قبل أن نطوي الكلام في هذا الباب علينا أن نعرف أن الله عَزَّوَجَلَّ الذي أمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاتباع، قال تعالىٰ بعد ذكر ثمانية عشر نبيًا في سورة الأنعام: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأنعام:٩٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨﴾[الجاثية:١٨].

ومعلوم أن الاتباع من أسباب محبة الله، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٣١]، وإذا أحبك الله عَزَّوَجَلَّ أيدك ونصرك ومكنك، ومنها استمرارية ونصرة الدعوة، وهو دليل الفلاح، ومن الفلاح الاستمرارية في الدعوة كما تقدم، وبه يحصل الأمن من الخطأ والزلل؛ لأن الشرع معصوم، وإذا قَلَّتِ الأخطأ في الدعوة كان هذا من أسباب نصرها.

صاحب الاتباع سالم من الاعتراض والانتقاد؛ لأن الاعتراض عليه اعتراض علىٰ الشرع، والاعتراض علىٰ الشرع باطل بالإجماع.

ورحم الله ابن القيم إذ يصور اعتراض بعض الأدعياء علىٰ العلماء:

يا قوم والله العظيم اسئتموا	بأئمة الإسلام ظن الشأن
ما ذنبهم ونبيهم قد قال ما	قالوا كذلك منزل القرآن

والعالم المتبع للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أئمة الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ، وهذا الصنف هو المنصور والله المستعان وعليه التكلان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه «الفوائد» (٢١١) ط الجوزي: أقرب الوسائل إلىٰ الله ملازمة السنة والوقوف معها في الظاهر والباطن، ودوام الافتقار إلىٰ الله وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال.

وما وصل أحد إلىٰ الله إلا من هذه الثلاثة، وما انقطع عنه أحد إلا بانقطاعه عنها أو عن أحدها. اهـ والمتأمل لسيرة الصحابة رضوان الله عليهم يجد أنهم لازموا هذه العبادة غاية الملازمة، فنصرهم الله عَزَّوَجَلَّ وأعز قدرهم، وأعلىٰ منزلتهم دنيا وأخرىٰ.

بينما لو نظرنا لما حل بالمسلمين يوم أحد ويوم حنين بسبب المخالفة للأمر النبوي لعلمنا خطر المخالفة وعظم المتابعة، قال الله تعالىٰ في سورة آل عمران في ذكر ما حل بالمؤمنين في غزوة أحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران:١٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة/٢٥، ٢٦]

خطر البدعة في الدنيا ولآخرة وضررها على الدين وبيان فسادها

وفي كتاب مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص: ١٩٨):

وقد تضافرت النصوص الشرعية علىٰ ذمّ البدع وبيان آثارها، وعلىٰ هذا اجتمعت كلمة السلف من الأمة أولًا: فمن القرآن الكريم، قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧].

وهذه الآية من أعظم الشواهد علىٰ ذلك، فقد جاء تفسيرها عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأنهم الذين يجادلون في آيات الله بترك الآيات المحكمة واتباع المتشابه، وهذا يصدق علىٰ كل صاحب بدعة، ويدخل فيهم ما ذكره بعضهم كالخوارج وأتباع ابن سبأ، بل ويدخل فيهم كل المبتدعة من غير هذه الأمة حتىٰ قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية، فلا أدري من هم؟

ثم قال: إن اليهودية لَبدعة، وإن النصرانية لبدعة، وإن الحرورية لبدعة، وإن السبئية لبدعة، ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبي.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فالصراط المستقيم: هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السنة. و"السبل": هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الطريق المستقيم، وهم أهل البدع، كما جاء في حديث ابن مسعود -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- ما يفسر ذلك، وعلىٰ هذا قول مجاهد حيث فسرها بالبدع والشبهات...

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۢ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]. انتهىٰ.

وفي صحيح مسلم: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وفي الترمذي وغيره: عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ثُمَّ قَالَ آخِرَ مَوْعِظَتِهِ: «إِيَّاكُمْ وَكُلَّ بِدْعَةٍ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

قال ابن وضاح في البدع والنهي عنها (٥٧): نا أَسَدٌ، عَنْ مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: نا وَاصِلٌ مَوْلَىٰ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: " دَفَعَ إِلَيَّ يَحْيَىٰ بْنُ عُقَيْلٍ صَحِيفَةً فَقَالَ: " هَذِهِ خُطْبَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ، إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ كُلَّ عَشِيَّةِ خَمِيسٍ: (إِنَّمَا هُوَ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ، فَأَصْدَقُ الْقَوْلِ قَوْلُ اللهِ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ).

وقال: ٦٠ - نا أَسَدٌ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ ذَهَابُ أَهْلِيهِ. عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَىٰ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ، أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَىٰ مَا عِنْدَهُ، وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ وَالتَّنَطُّعَ، وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ".

وقال: ٦٦ – نا أَسَدٌ قَالَ: نا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: (صَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا يَزْدَادُ اجْتِهَادًا، صِيَامًا وَصَلَاةً، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا).

وفي البدع لابن وضاح (٢/ ٧٧): عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، قَالَ: "كَانَ عِنْدَنَا فَتًى يُقَاتِلُ وَيَشْرَبُ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنَ الْفِسْقِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَقَرَّأَ فَدَخَلَ فِي التَّشَيُّعِ، فَسَمِعْتُ حَبِيبَ بْنَ أَبِي ثَابِتٍ وَهُوَ يَقُولُ: (لَأَنْتَ يَوْمَ كُنْتَ تُقَاتِلُ وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ خَيْرٌ مِنْكَ الْيَوْمَ).

وفي مقدمة التمسك بالسنن والتحذير من البدع للذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (ص: ٩٣):

اعلم أن البدعة مذمومة في الجملة، قال تعالى: ﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾، وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ "قال: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾.

فاتِّبَاع ما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلٌ ونورٌ، مخالفته ضلال ووبال، وابتداع ما لم يأذن به ولا سَنَّهُ، مردودٌ. انتهى

وفي مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (١١/ ٦٣٣): فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِبِرٍّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَرَامًا فَمَنْ فَعَلَهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْبِرِّ وَالتَّقَرُّبِ إِلَىٰ اللهِ كَانَ عَاصِيًا مَذْمُومًا مُبْتَدِعًا وَالْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مِنْ الْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ الْعَاصِيَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عَاصٍ فَيَتُوبُ وَالْمُبْتَدِعُ يَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُهُ طَاعَةٌ فَلَا يَتُوبُ. وَلِهَذَا مَنْ حَضَرَ السَّمَاعَ لِلَّعِبِ وَاللَّهْوِ لَا يَعُدُّهُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ وَلَا يَرْجُو بِهِ الثَّوَابَ وَأَمَّا مَنْ فَعَلَهُ عَلَىٰ أَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فَإِنَّهُ يَتَّخِذُهُ دِينًا وَإِذَا نُهِيَ عَنْهُ كَانَ كَمَنْ نُهِيَ عَنْ دِينِهِ وَرَأَىٰ أَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ عَنْ اللهِ وَحُرِمَ نَصِيبُهُ مِنْ اللهِ تَعَالَىٰ إذَا تَرَكَهُ. فَهَؤُلَاءِ ضُلَّالٌ بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: إنَّ اتِّخَاذَ هَذَا دِينًا وَطَرِيقًا إلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَمْرٌ مُبَاحٌ؛ بَلْ مَنْ جَعَلَ هَذَا دِينًا وَطَرِيقًا إلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ ضَالٌّ مُفْتَرٍ مُخَالِفٌ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ. انتهى مجموع الفتاوى (١١/ ٦٨٤)

ثم قال: وَكَذَلِكَ الْبِدَعُ كُلُّهَا. وَلِهَذَا قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ - مِنْهُمْ الثَّوْرِيُّ -: الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إلَىٰ إبْلِيسَ مِنْ الْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا. وَهَذَا مَعْنَىٰ مَا رُوِيَ عَنْ طَائِفَةٍ أَنَّهُمْ قَالُوا: إنَّ اللهَ حَجَرَ التَّوْبَةَ عَلَىٰ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ لَا يَتُوبُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ يَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَىٰ هُدًى وَلَوْ تَابَ لَتَابَ عَلَيْهِ كَمَا يَتُوبُ عَلَىٰ الْكَافِرِ. وَمَنْ قَالَ: إنَّهُ لَا يُقْبَلُ تَوْبَةُ مُبْتَدِعٍ مُطْلَقًا فَقَدْ غَلِطَ غَلَطًا مُنْكَرًا. وَمَنْ قَالَ: مَا أَذِنَ اللهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ فِي تَوْبَةٍ. فَمَعْنَاهُ مَا دَامَ مُبْتَدِعًا يَرَاهَا حَسَنَةً لَا يَتُوبُ مِنْهَا فَأَمَّا إذَا أَرَاهُ اللهُ أَنَّهَا قَبِيحَةٌ فَإِنَّهُ يَتُوبُ مِنْهَا كَمَا يَرَىٰ الْكَافِرُ أَنَّهُ عَلَىٰ ضَلَالٍ؛ وَإِلَّا فَمَعْلُومٌ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ كَانَ عَلَىٰ بِدْعَةٍ تَبَيَّنَ لَهُ ضَلَالُهَا وَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْهَا. وَهَؤُلَاءِ لَا يُحْصِيهِمْ إلَّا اللهُ. وَ " الْخَوَارِجُ " لَمَّا أُرْسِلَ إلَيْهِمْ ابْنُ عَبَّاسٍ فَنَاظَرَهُمْ رَجَعَ مِنْهُمْ نِصْفُهُمْ أَوْ نَحْوُهُ وَتَابُوا وَتَابَ مِنْهُمْ آخَرُونَ عَلَىٰ يَدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَغَيْرِهِ مِنْهُمْ مَنْ سَمِعَ الْعِلْمَ فَتَابَ وَهَذَا كَثِيرٌ فَهَذَا الْقِسْمُ الَّذِي لَا يَعْلَمُ فَاعِلُوهُ قُبْحَهُ قِسْمٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

انتهىٰ من مجموع الفتاوىٰ.

بهذا المختصر نعلم ضرر البدعة وعدم الرضا بها مطلقًا بل وجوب البعد عنها والتحذير منها بل وهجر أهلها كما بينت نصوصه في كتابي: (الوسائل الجلية في نصرة الدعوة السلفية) ولله الحمد والمنة.

وإنما القصد: بيان أن البدعة منها ما هو مخرج من دين الإسلام وصاحبها في حيز المرتدين.

ومنها ما لا يخرج من الإسلام مع ضلال صاحبها؛ لأن كل محدثة في الدين ضلالة بنص الوحي الشريف.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (٢/ ١٢٨): فَقَوْلُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»،

فَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ شَيْئًا، وَنَسَبَهُ إِلَىٰ الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الدِّينِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، فَهُوَ ضَلَالَةٌ، وَالدِّينُ بَرِيءٌ مِنْهُ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَسَائِلُ الِاعْتِقَادَاتِ، أَوِ الْأَعْمَالُ، أَوِ الْأَقْوَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ.

وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي كَلَامِ السَّلَفِ مِنَ اسْتِحْسَانِ بَعْضِ الْبِدَعِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْبِدَعِ اللُّغَوِيَّةِ، لَا الشَّرْعِيَّةِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا جَمَعَ النَّاسَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ عَلَىٰ إِمَامٍ وَاحِدٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَخَرَجَ وَرَآهُمْ يُصَلُّونَ كَذَلِكَ فَقَالَ: نِعْمَتُ الْبِدْعَةُ هَذِهِ. وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ بِدْعَةٌ، فَنِعْمَتُ الْبِدْعَةُ. وَرُوِيَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ، فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ عَلِمْتُ، وَلَكِنَّهُ حَسَنٌ، وَمُرَادُهُ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ، وَلَكِنَّ لَهُ أُصُولٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ يُرْجَعُ إِلَيْهَا، فَمِنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَحُثُّ عَلَىٰ قِيَامِ رَمَضَانَ، وَيُرَغِّبُ فِيهِ، وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِهِ يَقُومُونَ فِي الْمَسْجِدِ جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً وَوُحْدَانًا، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّىٰ بِأَصْحَابِهِ فِي رَمَضَانَ غَيْرَ لَيْلَةٍ، ثُمَّ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ مُعَلِّلًا بِأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِمْ، فَيَعْجِزُوا عَنِ الْقِيَامِ بِهِ، وَهَذَا قَدْ أُمِنَ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِأَصْحَابِهِ لَيَالِيَ الْأَفْرَادِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ. انتهىٰ

قال الطرطوشي في الحوادث والبدع (ص: ٤١): منهاج الصحابة في إنكار البدع وترك ما يؤدي إليها: فمن ذلك ما روىٰ البخاري في كتاب الصلاة عن أم الدرداء؛ قالت: دخل علي أبو الدرداء مغضبًا، فقلت له: ما لك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئا من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعًا.

وروىٰ مالك في "الموطأ" عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: "ما أعرف شيئًا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة".

يعني: الصحابة.

وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره، ورآها مخالفة لما أدرك من أفعال الصحابة.

وكذلك أبو الدرداء أنكر ما أدرك بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يعرفه من أحوال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال الزهري: "دخلت علىٰ أنس بدمشق وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت".

وفي لفظ آخر أنه قال: "ما كنت أعرف شيئًا علىٰ عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا قد أنكرته اليوم".

وقال الحسن: "سأل أبا الدرداء رجلٌ، فقال: رحمك الله! لو أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرنا؛ هل كان ينكر شيئًا مما نحن عليه؟ فغضب واشتد غضبه، ثم قال: وهل كان يعرف شيئًا مما أنتم عليه؟!".

وقال المبارك بن فَضَالَة: "صلىٰ الحسن الجمعة، ثم جلس فبكىٰ، فقيل له: ما يبكيك يا أبا سعيد؟! فقال: تلومونني علىٰ البكاء ولو أن رجلًا من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم؛ ما عرف شيئًا مما كانوا عليه علىٰ عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما أنتم اليوم عليه؛ إلا قِبْلَتَكُمْ هذه؟!".

وروى البخاري عن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها علىٰ عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الموبقات.

فانظروا -رحمكم الله- إذا كان في ذلك الزمان طمس الحق وظهر الباطل حتىٰ لا يعرف من الأمر القديم إلا القبلة؛ فما ظنك بزمانك هذا؟! والله المستعان. انتهىٰ

التقاسيم عند أهل السنة والجماعة

الناظر في طريقة أهل السنة والجماعة يجد أنهم يفصلون في مسائل الدين جمعًا بين الأدلة واستقراء للنصوص وهذا طريق سلفي لا خلفي وشرعي لا بدعي.

وفي الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ١٤٠): عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ عِنْدَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَرِيبًا، أَوْ نَحْوًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، قَالَ: فَقُلْتُ مَا يَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا قَدْ سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَأَلَنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْنَاهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»، فَأَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ يَحْمِلُ الْحَدِيثَ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَافِظًا، وَلَا يَكُونُ فِيهِ فَقِيهًا، وَأَكْثَرُ كَتَبَةِ الْحَدِيثِ فِي هَذَا الزَّمَانِ بَعِيدٌ مِنْ حِفْظِهِ، خَالٍ مِنْ مَعْرِفَةِ فِقْهِهِ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ مُعَلِّلٍ وَصَحِيحٍ، وَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ مُعَدَّلٍ مِنَ الرُّوَاةِ وَمَجْرُوحٍ، وَلَا يَسْأَلُونَ عَنْ لَفْظٍ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ رَسْمُهُ، وَلَا يَبْحَثُونَ عَنْ مَعْنًى خَفِيٍّ عَنْهُمْ عِلْمُهُ، مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ أَذْهَبُوا فِي كُتُبِهِ أَعْمَارَهُمْ، وَبَعُدَتْ فِي الرِّحْلَةِ لِسَمَاعِهِ أَسْفَارُهُمْ، فَجَعَلُوا لِأَهْلِ الْبِدَعِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَلِمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ مِنَ الْمُتَفَقِّهِينَ طَرِيقًا إِلَى الطَّعْنِ عَلَى أَهْلِ الْآثَارِ، وَمَنْ شَغَلَ وَقْتَهُ بِسَمَاعِ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ، حَتَّى وَصَفُوهُمْ بِضُرُوبِ الْجَهَالَاتِ، وَنَبَزُوهُمْ بِأَسْوَإِ الْمَقَالَاتِ، وَأَطْلَقُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِسَبِّهِمْ، وَتَظَاهَرُوا بِعَيْبِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَثَلْبِهِمْ، وَضَرَبُوا لَهُمُ الْمَثَلَ، بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

زَوَامِلُ لِلْأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ ❁❁ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْمَطِيُّ إِذَا غَدَا ❁❁ بِأَحْمَالِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ

كُلُّ ذَلِكَ لِقِلَّةِ بَصِيرَةِ أَهْلِ زَمَانِنَا بِمَا جَمَعُوهُ، وَعَدَمِ فِقْهِهِمْ بِمَا كَتَبُوهُ وَسَمِعُوهُ، وَمَنْعِهِمْ نُفُوسَهُمْ عَنْ مُحَاضَرَةِ الْفُقَهَاءِ، وَذَمِّهِمْ مُسْتَعْمِلِي الْقِيَاسِ مِنَ الْعُلَمَاءِ،

لِسَمَاعِهِمُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي تَعَلَّقَ بِهَا أَهْلُ الظَّاهِرِ فِي ذَمِّ الرَّأْيِ وَالنَّهْيِ عَنْهُ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ مَحْمُودِ الرَّأْيِ وَمَذْمُومِهِ، بَلْ سَبَقَ إِلَىٰ نُفُوسِهِمْ أَنَّهُ مَحْظُورٌ عَلَىٰ عُمُومِهِ، ثُمَّ قَلَّدُوا مُسْتَعْمِلِي الرَّأْيِ فِي نَوَازِلِهِمْ، وَعَوَّلُوا فِيهَا عَلَىٰ أَقْوَالِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ، فَنَقَضُوا بِذَلِكَ مَا أَصَّلُوهُ وَاسْتَحَلُّوا مَا كَانُوا حَرَّمُوهُ، وَحَقَّ لِمَنْ كَانَتْ حَالُهُ هَذِهِ أَنْ يُطْلَقَ فِيهِ الْقَوْلُ الْفَظِيعُ، وَيُشَنَّعُ عَلَيْهِ بِضُرُوبِ التَّشْنِيعِ، فَأَبْلَغَ مِنِّي مَا ذَكَرْتُهُ اغْتِمَامًا، وَأَثَّرَ فِي مَعْرِفَتِي بِهِ اهْتِمَامًا لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: قَصْدُ مَنْ ذَكَرْتُ بِكِبَرِ الْوَقِيعَةِ، مُتَقَدِّمِي أَئِمَّةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، الْقَائِمِينَ بِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ، لِأَنَّهُمْ رَأْسُ مَالِي، وَإِلَىٰ عِلْمِهِمْ مَآلِي، وَبِهِمْ فَخْرِي وَجَمَالِي، نَحْوَ: مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ، وشُعْبَةُ، وَالثَّوْرِيُّ، وَيَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، وَابْنُ مَهْدِيٍّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ الْأَمِينُ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَابْنُ مَعِينٍ، وَمَنْ خَلَفَهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ، عَلَىٰ مُضِيِّ الْأَوْقَاتِ وَكُرُورِ الْأَيَّامِ، فَبِهِمْ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ أَكْبَرُ الْفَخْرِ، لَا بِنَاقِلِيهِ وَحَامِلِيهِ فِي هَذَا الْعَصْرِ. انتهىٰ

ومما سطره العلماء ودونوه وبينوه وجلوه دفعًا لجهل الجهال:

١- **تقسيم التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام**: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، علىٰ ما هو معلوم في موطنه.

٢- **تقسيم الصفات إلىٰ**: ذاتية، وفعلية، وثبوتية، وسلبية.

٣- **تقسيم الإرادة والقدر والإذن والقضاء إلىٰ**: كوني، وشرعي.

٤- **تقسيم الكفر إلىٰ**: أكبر مخرج من الملة وصاحبه مرتد، وأصغر غير مخرج من الملة وصاحبه علىٰ خطر عظيم.

٥- **تقسيم الشرك إلىٰ**: أكبر مخرج من الملة وصاحبه مرتد، وأصغر غير مخرج من الملة وصاحبه علىٰ خطر عظيم.

٦- **تقسيم الرياء إلىٰ**: أكبر مخرج من الملة وصاحبه مرتد، وأصغر غير مخرج من الملة وصاحبه علىٰ خطر عظيم.

٧- **تقسيم الظلم إلىٰ**: أكبر مخرج من الملة وصاحبه مرتد، وأصغر غير مخرج من الملة وصاحبه علىٰ خطر عظيم.

٨- **تقسيم النفاق إلىٰ**: أكبر مخرج من الملة وصاحبه مرتد، وأصغر غير مخرج من الملة وصاحبه علىٰ خطر عظيم والأكبر هو الاعتقادي والأصغر هو العملي.

وفي كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة بيان لما تقدم (ص: ٨٤): لكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولًا: **(الكفر الأكبر)**، وهو خمسة أنواع:

أ- كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: ٦٨].

ب- كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالمًا بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارًا وعنادًا، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

ت- كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾، وقوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ وقوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ

﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧﴾، وقوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨﴾ [الكهف: ٣٥- ٣٨].

ث- كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [الأحقاف: ٣].

ج- كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾ (المنافقون: ٣).

والنفاق على ضربين:

أ- نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

ب- ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنه جريمة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الحديث حيث قال: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» متفق عليه.

وقال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»، رواه البخاري.

ثانيًا: (الكفر الأصغر):

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلىٰ حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

- ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

وفي قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت»، رواه مسلم.

وفي قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، رواه البخاري ومسلم.

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]، فسماهم الله عَزَّ وَجَلَّ مؤمنين مع الاقتتال.

ولقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، فدلت الآية الكريمة علىٰ أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي: إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفره كما هو صريح في الآية وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]. انتهىٰ

وفي معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ١٠١٨): وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ تَسْمِيَةِ الْعَمَلِ فِسْقًا أَوْ عَامِلِهِ فَاسِقًا، وَبَيْنَ تَسْمِيَتِهِ مُسْلِمًا وَجَرَيَانِ أَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ فِسْقٍ يَكُونُ كُفْرًا، وَلَا كُلُّ مَا سُمِّيَ كُفْرًا وَظُلْمًا يَكُونُ مُخْرِجًا مِنَ الْمِلَّةِ حَتَّىٰ يَنْظُرَ إِلَىٰ لَوَازِمِهِ وَمَلْزُومَاتِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ وَالنِّفَاقِ جَاءَتْ فِي النُّصُوصِ عَلَىٰ قِسْمَيْنِ: أَكْبَرُ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ لِمُنَافَاتِهِ أَصْلَ الدِّينِ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَأَصْغَرُ يُنْقِصُ الْإِيمَانَ وَيُنَافِي الْمِلَّةَ وَلَا يَخْرُجُ صَاحِبُهُ مِنْهُ.

فَكُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وَفُسُوقٌ دُونَ فُسُوقٍ. وَنِفَاقٌ دُونَ نِفَاقٍ. انتهىٰ

٩- التفصيل في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ.

١٠- تقسيم البدعة من حيث أنها مكفرة وغير مكفرة وإلىٰ صغرىٰ وكبرىٰ.

١١- التفصيل فيما جاء من إطلاقات المتأخرين كالحيز والجهة والجسم والتركيب لأن المعاني قد تتضمن حقًا أو باطلًا.

إلىٰ غير ذلك من التقاسيم التي فيها تمييز منهج أهل السنة والجماعة عن طريق أهل البدعة والشناعة.

مبحث: في أقسام البدع:

في مجلة البحوث الإسلامية (١٤/ ١٦٧) تنقسم البدع إلى أقسام حسب الآتي:

١- بدعة هي إحداث في الدين غير مشروع من أصله. كصلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة عاشوراء.

٢- وبدعة هي زيادة علىٰ أمر مشروع كزيادة الشيعة في الأذان (أشهد أن عليًا ولي الله).

٣- وبدعة هي نقص من المشروع كالذكر بالاسم المفرد؛ لأن الوارد إنما هو ذكر الله بلفظ مركب مفيد.

٤- وبدعة هي تحويل للمشروع عن موضعه كتقديم خطبة العيد علىٰ صلاته.

٥- وبدعة هي ترك للمأذون فيه على وجه التدين وتسمى البدعة التركية.

مثال ذلك: ما حصل من بعض الصحابة حيث هم أحدهم أن يحرم نفسه النوم بالليل، وآخر: الأكل بالنهار، وآخر: إتيان النساء، وبعضهم هم بالاختصاء مبالغة في ترك شأن النساء. وفي أمثال هؤلاء قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رغب عن سنتي فليس مني»، فإذا كل من منع نفسه من تناول ما أحل الله من غير عذر شرعي، فهو خارج عن سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعامل بغير السنة تدينا هو المبتدع بعينه. انتهى

مبحث: تفاوت البدع من حيث هي كبيرة وصغيرة:

في مجلة البحوث الإسلامية (١٤/ ١٧١): من المعروف أن المحرمات تنقسم من حيث حكمها وما يترتب عليها من مفاسد إلى ما هو كبيرة من الكبائر وإلى ما هو صغيرة من صغائر الذنوب، والكلام هنا عن البدع وتنوعها إلى بدع كبيرة وبدع صغيرة اعتبارا بتفاوت درجاتها.

فالبدع الكبيرة هي ما أخل بأصل من الضروريات، وما لا فهي الصغيرة.

يوضح هذا أن البدع تنقسم إلى ما هو كلي في الشريعة وإلى ما هو جزئي. ومعنى ذلك أن يكون الخلل الواقع بسبب البدعة كليا في الشريعة كبدعة التحسين والتقبيح العقليين، وبدعة إنكار الأخبار السنية اقتصارا على القرآن، وبدعة الخوارج في قولهم: لا حكم إلا لله. وما أشبه ذلك من البدع التي لا تختص فرعا من فروع الشريعة دون فرع، بل نجدها تنتظم ما لا ينحصر من الفروع الجزئية.

أما الخلل الواقع جزئيا كالذي يأتي في بعض الفروع دون بعض كبدعة التثويب في الصلاة: الذي قال فيه الإمام مالك: التثويب ضلال.

وكبدعة الأذان والإقامة في العيدين ومثل بدعة الاعتماد في الصلاة علىٰ إحدىٰ الرجلين وما أشبه ذلك. فهذا القسم لا تتعدىٰ فيه البدعة محلها. ولا تنتظم تحتها غيرها حتىٰ تكون أصلا لها.

ولكن مع القول بأن البدع منها ما هو كبيرة، ومنها ما هو صغيرة فإن العلماء رحمهم الله قالوا: لا تكون البدعة من الصغائر إلا بالشروط الآتية، وذلك اقتناعا منهم بأن البدع في الأصل مضادة للشارع ومراغمة له، حيث نصب المبتدع نفسه منصب المستدرك علىٰ الشريعة لا منصب المكتفي بما حوله، وحيث إن كل بدعة وإن قلت تشريع زائد أو ناقص أو تغيير للأصل الصحيح؛ لهذا كانت البدعة مذمومة بكل حال؛ لأن النصوص الواردة في البدع بينت أن كل بدعة ضلالة، ومن أجل هذا اشترطوا في البدعة الشروط الآتية لتكون من البدع الصغيرة.

١- ألا يداوم عليها صاحبها؛ لأن الصغيرة من المعاصي مع الإصرار تكون كبيرة كما قالوا: "لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار" فكذلك البدعة.

٢- ألا يدعو إليها، فإن البدعة قد تكون صغيرة، ثم يدعو مبتدعها إلىٰ القول بها والعمل علىٰ مقتضاها، فيكون إثم ذلك عليه. كما جاء في الحديث الصحيح من أن كل من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا. والصغيرة إنما تخالف الكبيرة بكثرة الإثم وقلته، فإذا دعا المبتدع إلىٰ بدعته كثرت أوزاره؛ فلا تكون البدعة حينئذ صغيرة.

٣- ألا يجاهر بها في مجتمعات الناس أو في الأماكن التي تقام فيها السنن أمام العوام؛ لأن هذا يجعلهم ينخدعون بها ويسول لهم الشيطان بأنها حسنة فتنتشر وتفشو وبهذا لا تكون من الصغائر.

وبهذا يظهر أن البدعة لا تكون صغيرة إلا بوجود هذه الشروط. فإن تخلف منها شرط أو أكثر صارت كبيرة أو خيف أن تكون كبيرة.

أسباب الوقوع في البدعة

١- اعتمادهم علىٰ الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوبة علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها.

٢- اعتمادهم علىٰ تحكيم عقولهم والسير علىٰ قواعد قعدوها مما حملهم علىٰ رد أحاديث صحيحة؛ لأنها غير موافقة لأغراضهم ومذهبهم فيجب ردها، كالمنكرين لعذاب القبر والصراط والميزان ورؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة، وكذلك حديث الذباب إذا وقع في الإناء وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء.

٣- قولهم في القرآن والسنة بالخرص والتخمين مع جهلهم بعلم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله، فيفتاتون علىٰ الشريعة بما فهموا ويدينون به ويخالفون الراسخين في العلم.

وإنما فعلوا هذا من جهة تحسين الظن بأنفسهم واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط وليسوا كذلك. كقول بعضهم في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ أي: ألقينا فيها. كأنه عندهم من قول العرب: (ذرته الريح) وذلك لا يجوز لأن (ذرأنا) مهموز و (ذرته) غير مهموز.

٤- الانحراف عن الأصول الواضحة إلىٰ اتباع المتشابهات والأخذ بها تأويلًا كما أخبر سبحانه في كتابه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾. انتهىٰ بتصرف من مجلة البحوث الإسلامية(١٤/ ١٨٨).

والذي عليه العلماء: أن كل دليل فيه اشتباه وإشكال ليس بدليل في الحقيقة حتىٰ يتبين معناه ويظهر المراد منه. ويشترط في ذلك ألا يعارضه أصل قطعي. فإذا لم يظهر معناه لإجمال أو اشتراك أو عارضه قطعي. فليس بدليل؛ لأن حقيقة الدليل أن يكون

ظاهرًا في نفسه ودالا علىٰ غيره، وإلا احتيج إلىٰ دليل. فإن دل الدليل علىٰ عدم صحته فأحرىٰ ألا يكون دليلًا.

بعض أقوال العلماء في تقسيم البدعة إلى مكفرة وغير مكفرة

كلام أهل العلم في هذه المسألة كثير جدًا، إما بلسان الحال أو المقال، ويعرف ذلك من له اطلاع علىٰ كتب أهل العلم وما ألفوه في باب الملل والنحل، وأذكر هنا بعض النقولات لبيان المقصود وبالله التوفيق.

مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مذهب شيخ الإسلام المدون في كتبه وفتاويه عدم تكفير أهل البدع مطلقًا بل تجد أن يفصل كثيرًا فيرىٰ تكفير الجهمية ولا يكفر المعتزلة والمرجئة والخوارج ويكفر نفاة العلم من القدرية وفي مجموع الفتاوىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (٢٣/ ٣٤٨): وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا أَنَّ مَذَاهِبَ الْأَئِمَّةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ هَذَا التَّفْصِيلِ بَيْنَ النَّوْعِ وَالْعَيْنِ وَلِهَذَا حَكَىٰ طَائِفَةٌ عَنْهُمْ الْخِلَافَ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَفْهَمُوا غَوْرَ قَوْلِهِمْ فَطَائِفَةٌ تَحْكِي عَنْ أَحْمَد فِي تَكْفِيرِ أَهْلِ الْبِدَعِ رِوَايَتَيْنِ مُطْلَقًا حَتَّىٰ تَجْعَلَ الْخِلَافَ فِي تَكْفِيرِ الْمُرْجِئَةِ وَالشِّيعَةِ الْمُفَضِّلَةِ لِعَلِيٍّ وَرُبَّمَا رَجَّحَتْ التَّكْفِيرَ وَالتَّخْلِيدَ فِي النَّارِ وَلَيْسَ هَذَا مَذْهَبَ أَحْمَد وَلَا غَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ بَلْ لَا يَخْتَلِفُ قَوْلُهُ أَنَّهُ لَا يُكَفِّرُ الْمُرْجِئَةَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ وَلَا يُكَفِّرُ مَنْ يُفَضِّلُ عَلِيًّا عَلَىٰ عُثْمَانَ بَلْ نُصُوصُهُ صَرِيحَةٌ بِالِامْتِنَاعِ مِنْ تَكْفِيرِ الْخَوَارِجِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ. وَإِنَّمَا كَانَ يُكَفِّرُ الْجَهْمِيَّةَ الْمُنْكِرِينَ لِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ؛ لِأَنَّ مُنَاقَضَةَ أَقْوَالِهِمْ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهِرَةٌ بَيِّنَةٌ: وَلِأَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ تَعْطِيلُ الْخَالِقِ وَكَانَ قَدْ أُبْتُلِيَ بِهِمْ حَتَّىٰ عَرَفَ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ وَأَنَّهُ يَدُورُ عَلَىٰ التَّعْطِيلِ وَتَكْفِيرُ الْجَهْمِيَّةِ مَشْهُورٌ عَنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ. انتهىٰ

الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

قال في كتابه التمسك بالسنن والتحذير من البدع (ص: ١٢٤): فَشَرُّ البدع وأخبثُها ما أخرجَ صاحِبَها من الإسلام، وأوجبَ له الخلود في النَّار، كالنُصيْرِية، والباطِنِيَّةِ، ومن ادّعىٰ نُبوَّةَ عليٍّ، ثم بعدهم غلاة الرافضة، وغلاة الجهمية، والخوارج، وهؤلاء مُتَرَدَّدٌ في كفرهم. وكذا مَنْ صرّح بخلقِ القرآن، أو جَسَّم، أو جحد الصفات، أو شَبَّه الله بخلقه.

ثم دونهم: القدرية، ودعاة المعتزلة، ومَنْ ينقص بأبي بكر وعمر، ثم من تنقّص بعثمان، وعلي، وعمّار، وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

ثم دونهم الشيعة الذين يُحبّون الشيخين، وُيفَضِّلون علياً عليهما، والزيدية.

فبدع العقائد تَتَنَوَّع أعاذك الله وإيَّانا منها... إلى أن قال: وأمَّا بدَعُ العبادات، والعادات، فخطبها يسير، وكتلاوة جماعة بتطريب، وأذانهم وصلاة النصف، والحلاوة فيه، وأمثال ذلك من الشعارات، والهيئات، والنِّيَّات، والحوادث وأشباه ذلك، ولكنّ الخير كله في الإتّباع واجتماع الكلمة. انتهىٰ

قول الإمام الشاطبي وتفصيله في ذلك:

قال الشاطبي في الاعتصام (٢/ ٣٥٤): فَاقْتَضَىٰ النَّظَرُ انْقِسَامَ الْبِدَعِ إِلَىٰ الْقِسْمَيْنِ؛ فَمِنْهَا بِدْعَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَمِنْهَا بِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ، وَذَلِكَ أنها داخلة تحت جنس المنهيَّات؛ والمنهيات لا تعدو الكراهة أو التحريم، فَالْبِدَعُ كَذَلِكَ. هَذَا وَجْهٌ.

وَوَجْهٌ ثَانٍ: أَن البدع إِذا تُؤُمِّل معقولُها وجدت رتبها مُتَفَاوِتَةً.

فَمِنْهَا مَا هُوَ كُفْرٌ صُرَاحٌ؛ كَبِدْعَةِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي نَبَّه عَلَيْهَا الْقُرْآنُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾الآية، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ﴾ وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا

جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾، وَكَذَلِكَ بِدْعَةُ الْمُنَافِقِينَ حَيْثُ اتَّخَذُوا الدِّينَ ذَرِيعَةً لِحِفْظِ النَّفْسِ وَالْمَالِ، وَمَا أشبه ذَلِكَ مِمَّا لا يُشَكّ أنه كُفْرٌ صُرَاحٌ.

وَمِنْهَا مَا هُوَ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي لَيْسَتْ بِكُفْرٍ، أَو يُخْتَلَفُ: هَلْ هِيَ كُفْرٌ أَم لَا! كَبِدْعَةِ الْخَوَارِجِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَمَنْ أشبههم مِنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ.

ومنها ما هو معصية ويُتَّفَقُ علىٰ أنها ليست بِكُفْرٍ؛ كَبِدْعَةِ التَّبَتُّل، وَالصِّيَامِ قَائِمًا فِي الشَّمْسِ، والخِصَاءِ بِقَصْدِ قَطْعِ شَهْوَةِ الْجِمَاعِ.

وَمِنْهَا مَا هُوَ مَكْرُوهٌ كَمَا يَقُولُ مَالِكٌ فِي إتباع رَمَضَانَ بست مِنْ شَوَّالَ، وقراءة الْقُرْآنِ بالإدارة، وَالِاجْتِمَاعِ للدعاءِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، وَذِكْرُ السَّلَاطِينِ فِي خُطْبَةِ الْجُمْعَةِ ـ عَلَىٰ مَا قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الشَّافِعِيُّ ـ، وَمَا أشبه ذَلِكَ.

فَمَعْلُومٌ أن هذه البدع ليست في رتبة واحدة، ولا علىٰ نسبة واحدة، فلا يصح علىٰ هَذَا أَن يُقَالَ: إنها عَلَىٰ حُكْمٍ وَاحِدٍ، هُوَ الْكَرَاهَةُ فَقَطْ، أَو التَّحْرِيمُ فَقَطْ. انتهىٰ

قول بعض الحنفية:

في الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (١/ ٤٩): (قَوْلُهُ: وَمُعْتَقَدِ خُصُومِنَا) أَيْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُكَفِّرَةِ وَغَيْرِهَا كَالْقَائِلِينَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ أَوْ نَفْيِ الصَّانِعِ أَوْ عَدَمِ بِعْثَةِ الرُّسُلِ، وَالْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَعَدَمِ إرَادَتِهِ تَعَالَىٰ الشَّرَّ وَنَحْوِ ذَلِكَ. انتهىٰ

قول بعض المالكية:

في حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني (١/ ٩٨): [قَوْلُهُ: كَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ] أَيْ كَالْقَدَرِيِّ وَالْجَبْرِيِّ وَالرَّافِضِيِّ وَإِنْ غُفِرَ لَهُمْ إذَا كَانَتْ عَقِيدَتُهُمْ غَيْرَ مُكَفِّرَةٍ كَمَا فِي عج لِعِظَمِ جُرْمِهِمْ، وَأَوْلَىٰ إذَا كَانَتْ مُكَفِّرَةً كَمُنْكِرِي عِلْمِهِ. انتهىٰ

قول بعض الشافعية:

في الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (٨/ ٢٧٦): السبب الأول أي في عزل الحاكم: الكفر، سواء كان صريح القول، أو بأي فعل أو قول يستلزم الكفر، فإذا صدر من الإمام ذلك بطلت إمامته، وخرجت الأُمة عن بيعته، ووجب عليهم الخروج عليه وخلعه.

أما موجبات الفسق، سواء بارتكاب المحظورات، أو باعتناق بعض البدع غير المكفرة، فلا يستوجب العزل. انتهىٰ

قول بعض الحنابلة:

في المبدع في شرح المقنع (٢/ ٢٦٢): قَالَهُ السَّامِرِيُّ وَغَيْرُهُ؛ لِقَوْلِهِ -عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-: «صَلُّوا عَلَى مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» رَوَاهُ الْخَلَّالُ، وَيُصَلِّي عَلَىٰ كُلِّ عاصٍ، نَصَّ عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ - عَلَيْهِٱلسَّلَامُ - تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا عَلَىٰ الْغَالِّ وَقَاتِلِ نَفْسِهِ، وَيَلْحَقُ بِهِمَا صَاحِبُ بِدْعَةٍ مُكَفِّرَةٍ انتهىٰ

وفي الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٧/ ٣٥٢): الثَّانِيَةُ: كُلُّ مُبْتَدِعٍ دَاعِيَةٌ إلَىٰ بِدْعَةٍ مُكَفِّرَةٍ: فَمَالُهُ فَيْءٌ نَصَّ عَلَيْهِ فِي الْجَهْمِيِّ وَغَيْرِهِ. وَسَيَأْتِي ذَلِكَ فِي بَابِ مَوَانِعِ الشَّهَادَةِ. انتهىٰ

وفي الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٢٢٨): ولا يصلىٰ علىٰ كل صاحب بدعة مكفرة نصا ولا يورث ويكون ماله فيئا قال أحمد: الجهمية والرافضة لا يصلىٰ عليهم وقال أهل البدع: إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم انتهىٰ

وفي كشاف القناع عن متن الإقناع (١/ ٤٧٥): (وَلَا تَصِحُّ) الصَّلَاةُ (خَلْفَ كَافِرٍ، وَلَوْ) كَانَ كُفْرُهُ (بِبِدْعَةٍ مُكَفِّرَةٍ) عَلَىٰ مَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي الْأُصُولِ، وَيَأْتِي بَعْضُهُ فِي شُرُوطِ مَنْ تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ. انتهىٰ

وفي الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٥/ ٤٢٣): والفسق بالاعتقاد ذكر بعض العلماء ضابطًا في هذا، فقال: كل بدعة مكفرة للمجتهد فهي مفسقة للمقلد، وهذا ضابط واضح؛ لأن المجتهد يقولها ويناظر عليها وربما يدعو إليها، والمقلد لا يعلم فنقول: هو فاسق، هكذا أطلق بعض العلماء وهي كما ذكرت عبارة جميلة وخالف آخرون فقالوا: إن المقلد لا يخلو إما أن يعتقد أن ما قاله هذا المجتهد هو الحق؛ لأنه لا يعرف غيره فهذا لا يمكن أن نحكم بفسقه؛ لأنه اتقى الله ما استطاع، ولا يستطيع أكثر من ذلك، وليس عنده في بلده إلا هؤلاء العلماء، ولا يسمع قولاً يخالف قولهم، أو قولاً يُدَّعى أنه الحق وهو مخالف لقولهم، فكيف نفسقه، وهو قد اتقى الله ما استطاع؟! ولكن نقول: من تعصب لهم فحينئذٍ نفسقه، يعني لو قيل له: الحق كذا، قال: لا، مشايخي يقولون: كذا وكذا، فهذا لا شك أننا نفسقه، لأنه يشبه قول المشركين الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف: ٢٢]، والآية الثانية: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣]، مثلاً: لو قال قائل بخلق القرآن، وأن القرآن مخلوق بائن من الله عَزَّوَجَلَّ، فإن كثيراً من السلف أطلق عليه القول بالكفر، وقال: إنه إذا قال: إن القرآن مخلوق فقد كذب قول الله تعالىٰ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، فجعله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - نازلاً بالعلم لا مخلوقًا بالقدرة، وإذا كان نازلاً بالعلم لم يكن مخلوقًا بالقدرة وإذا قلنا: إنه مخلوق صار تكذيبًا لقوله تعالىٰ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾، وحينئذٍ يكون كافراً، كذلك من قال: إن الله تعالىٰ بذاته في كل مكان، فهذا كافر ولا شك في كفره، فيكون الذي يقلده في هذا فاسقًا بشرط أن يعرض عليه الحق، ولكنه يصر ويتعصب لرأي متبوعه، كذلك من قال: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس فوقًا، ولا تحتًا، ولا يمينًا، ولا شمالاً، ولا متصلاً، ولا منفصلاً، فهو - أيضًا - كافر؛ لأن هذا حقيقة العدم، المهم أننا نتتبع أقوال أهل العلم في البدعة المكفرة، فإذا صار الإنسان المجتهد أي: الذي نصب نفسه للفتوىٰ

والتعليم يقول بهذه البدعة المكفرة فالمقلد له بعد أن يعرض عليه الحق ويرده يكون فاسقًا. انتهىٰ

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية (٨/ ٣٣): الْبِدَعُ الْمُكَفِّرَةُ وَغَيْرُ الْمُكَفِّرَةِ:

٢٤ - الْبِدَعُ مُتَفَاوِتَةٌ، فَلاَ يَصِحُّ أَنْ يُقَال: إِنَّهَا عَلَىٰ حُكْمٍ وَاحِدٍ هُوَ الْكَرَاهَةُ فَقَطْ، أَوِ التَّحْرِيمُ فَقَطْ. فَقَدْ وُجِدَ أَنَّهَا تَخْتَلِفُ فِي أَحْكَامِهَا، فَمِنْهَا مَا هُوَ كُفْرٌ صُرَاحٌ، كَبِدْعَةِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي نَبَّهَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾ الآيَة، وقَوْله تَعالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ﴾ وقَوْله تَعالَىٰ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾.

وَكَذَلِك بِدْعَةُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الدِّينَ ذَرِيعَةً لِحِفْظِ النَّفْسِ وَالْمَال وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ فَهَذَا وَأَضْرَابُهُ لاَ يَشُكُّ أَحَدٌ فِي أَنَّهُ كُفْرٌ صُرَاحٌ، لاِبْتِدَاعِهِ أَشْيَاءَ أَنْكَرَتْهَا النُّصُوصُ وَتَوَعَّدَتْ عَلَيْهَا.

وَمِنْهَا مَا هُوَ كَبِيرَةٌ وَلَيْسَ بِكُفْرٍ، أَوْ يُخْتَلَفُ فِيهِ هَل هُوَ كُفْرٌ أَمْ لاَ؟ كَبِدَعِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ. وَمِنْهَا مَا هُوَ مَعْصِيَةٌ وَلَيْسَ بِكُفْرٍ اتِّفَاقًا، كَبِدْعَةِ التَّبَتُّل وَالصِّيَامِ قَائِمًا فِي الشَّمْسِ، وَالْخِصَاءِ بِقَطْعِ شَهْوَةِ الْجِمَاعِ، لِلأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ، وَقَدْ سَبَقَ بَعْضٌ مِنْهَا وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾.

تَقْسِيمُ الْبِدَعِ غَيْرِ الْمُكَفِّرَةِ إِلَىٰ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ:

٢٥- إِنَّ الْمَعَاصِيَ مِنْهَا صَغَائِرُ وَمِنْهَا كَبَائِرُ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِكَوْنِهَا وَاقِعَةً فِي الضَّرُورِيَّاتِ أَوِ الْحَاجِيَّاتِ أَوِ التَّحْسِينَاتِ، فَإِنْ كَانَتْ فِي الضَّرُورِيَّاتِ فَهِيَ أَعْظَمُ

الْكَبَائِرِ، وَإِنْ وَقَعَتْ فِي التَّحْسِينَاتِ فَهِيَ أَدْنَىٰ رُتْبَةً بِلاَ إِشْكَالٍ، وَإِنْ وَقَعَتْ فِي الْحَاجِيَّاتِ فَمُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الرُّتْبَتَيْنِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾، وَإِذَا كَانَتْ لَيْسَتْ رُتْبَةً وَاحِدَةً فَالْبِدَعُ مِنْ جُمْلَةِ الْمَعَاصِي، وَقَدْ ثَبَتَ التَّفَاوُتُ فِي الْمَعَاصِي، فَكَذَلِكَ يُتَصَوَّرُ مِثْلُهُ فِي الْبِدَعِ، فَمِنْهَا مَا يَقَعُ فِي الضَّرُورِيَّاتِ، وَمِنْهَا مَا يَقَعُ فِي رُتْبَةِ الْحَاجِيَّاتِ، وَمِنْهَا مَا يَقَعُ فِي رُتْبَةِ التَّحْسِينَاتِ. وَمَا يَقَعُ فِي رُتْبَةِ الضَّرُورِيَّاتِ، مِنْهُ مَا يَقَعُ فِي الدِّينِ، أَوِ النَّفْسِ، أَوِ النَّسْلِ، أَوِ الْعَقْلِ، أَوِ الْمَالِ.

فَمِثَال وُقُوعِهِ فِي الدِّينِ: اخْتِرَاعُ الْكُفَّارِ وَتَغْيِيرُهُمْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ وَحَاصِل مَا فِي الآيَةِ تَحْرِيمُ مَا أَحَل اللهُ عَلَىٰ نِيَّةِ التَّقَرُّبِ بِهِ إِلَيْهِ، مَعَ كَوْنِهِ حَلاَلاً بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

وَمِثَال مَا يَقَعُ فِي النَّفْسِ: مَا عَلَيْهِ بَعْضُ نِحَلِ الْهِنْدِ، مِنْ تَعْذِيبِهَا أَنْفُسَهَا بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَاسْتِعْجَال الْمَوْتِ، لِنَيْلِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ عَلَىٰ زَعْمِهِمْ.

وَمِثَال مَا يَقَعُ فِي النَّسْلِ: مَا كَانَ مِنْ أَنْكِحَةِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مَعْهُودَةً وَمَعْمُولاً بِهَا وَمُتَّخَذَةً كَالدِّينِ، وَهِيَ لاَ عَهْدَ بِهَا فِي شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلاَ غَيْرِهِ، بَل كَانَتْ مِنْ جُمْلَةِ مَا اخْتَرَعُوهُ. مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي حَدِيثِ أَنْكِحَةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

وَمِثَال مَا يَقَعُ فِي الْعَقْل: مَا يُتَنَاوَل مِنَ الْمُسْكِرَاتِ وَالْمُخَدِّرَاتِ بِدَعْوَىٰ تَحْصِيل النَّفْعِ وَالتَّقَوِّي عَلَىٰ الْقِيَامِ بِبَعْضِ الْوَاجِبَاتِ الْمَشْرُوعَةِ فِي ذَاتِهَا.

وَمِثَال مَا يَقَعُ فِي الْمَال: قَوْلُهُمْ ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ۗ﴾ فَإِنَّهُمُ احْتَجُّوا بِقِيَاسٍ فَاسِدٍ وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا يُحْدِثُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْبُيُوعِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَىٰ الْمُخَاطَرَةِ وَالْغَرَرِ.

انتهىٰ

العلامة حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

قال في أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص: ١٢١): س: إلىٰ كم قسم تنقسم البدعة باعتبار إخلالها بالدين؟ جـ: تنقسم إلىٰ قسمين: بدعة مكفرة وبدعة دون ذلك.

س: ما هي البدع المكفرة؟

جـ: هي كثيرة وضابطها من أنكر أمرا مجمعا عليه متواترا من الشرع معلوما من الدين بالضرورة؛ لأن ذلك تكذيب بالكتاب، وبما أرسل الله به رسله كبدعة الجهمية في إنكار صفات الله عَزَّوَجَلَّ، والقول بخلق القرآن أو خلق أي صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وإنكار أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلا، وكلم موسىٰ تكليما وغير ذلك، وكبدعة القدرية في إنكار علم الله وأفعاله وقضائه وقدره، وكبدعة المجسمة الذين يشبهون الله تعالىٰ بخلقه وغير ذلك من الأهواء، ولكن هؤلاء منهم من علم أن عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه فهذا مقطوع بكفره بل هو أجنبي عن الدين من أعدىٰ عدو له، وآخرون مغرورون ملبس عليهم فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم، وإلزامهم بها.

س: ما هي البدعة التي هي غير مكفرة؟

جـ: هي ما لم تكن كذلك مما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولا بشيء بما أرسل الله به رسله، كبدعة المروانية التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة ولم يقروهم عليها، ولم يكفروهم بشيء منها ولم ينزعوا يدا من بيعتهم لأجلها كتأخيرهم بعض الصلوات إلىٰ أواخر أوقاتها، وتقديمهم الخطبة قبل صلاة العيد، والجلوس في نفس الخطبة في الجمعة وغيرها، وسبهم بعض كبار الصحابة علىٰ المنابر، ونحو ذلك مما لم يكن منهم عن اعتقاد شرعية بل بنوع تأويل وشهوات نفسانية وأغراض دنيوية.

س: كم أقسام البدع بحسب ما تقع فيه؟

جـ: تنقسم إلىٰ: بدع في العبادات، وبدع في المعاملات.

س: إلىٰ كم قسم تنقسم البدع في العبادات؟

جـ: إلىٰ قسمين: الأول: التعبد بما لم يأذن الله أن يعبد به البتة، كتعبد جهلة المتصوفة بآلات اللهو والرقص والصفق والغناء وأنواع المعازف وغيرهما مما هم فيه مضاهئون فعل الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]

الثاني: التعبد بما أصله مشروع، ولكن وضع في غير موضعه ككشف الرأس مثلا هو في الإحرام عبادة مشروعة، فإذا فعله غير المحرم في الصوم أو في الصلاة أو غيرها بنية التعبد كان بدعة محرمة، وكذلك فعل سائر العبادات المشروعة في غير ما تشرع فيه كالصلوات النفل في أوقات النهي، وكصيام يوم الشك، وصيام العيدين، ونحو ذلك.

س: كم حالة للبدعة مع العبادة التي تقع فيها؟

جـ: لها حالتان:

الأولى: أن تبطلها جميعا كمن زاد في صلاة الفجر ركعة ثالثة، أو في المغرب رابعة، أو في الرباعية خامسة متعمدا، وكذلك إن نقص مثل ذلك.

الحالة الثانية: أن تبطل البدعة وحدها كما هي باطلة ويسلم العمل الذي وقعت فيه كمن زاد في الوضوء علىٰ ثلاث غسلات فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل ببطلانه بل قال: «فمن زاد على هذا، فقد أساء وتعدى وظلم». ونحو ذلك.

س: ما هي البدع في المعاملات؟

جـ: هي اشتراط ما ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله، كاشتراط الولاء لغير المعتق كما في قصة بريرة لما اشترط أهلها الولاء قام النبي فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم

قال: « أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، كِتَابُ اللهِ أَحَقُّ وَشَرْطُ اللهِ أَوْثَقُ، مَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ أَعْتِقْ فُلَانًا وَالْوَلَاءُ لِي، إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ»، وكذلك كل شرط أحل حرامًا، أو حرم حلالًا.

العلامة عبد المحسن العباد حفظه الله تعالى:

قال في الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال (ص: ٣٨): والجوابُ من وجوه:

الأول: أنَّ قولَه في الذين زعم نصحَهم أنَّهم يتَّهمون المسلمين بالشِّرك، وأنَّهم يُكفِّرون الصوفيةَ كافَّة والأشاعرة هو افتراءٌ عليهم، وهم بُرآءُ من ذلك، وعقيدتُهم هي عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وأنَّهم لا يُكفِّرون إلاَّ مَن كفَّره الله ورسولُه، ولا يُكفِّرُ المسلمُ بذنبٍ إلاَّ إذا استحلَّه، وكان ذلك الذنبُ مِمَّا عُلِم من الدِّين تحريمُه بالضرورة، قال الإمامُ الطحاويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدة أهل السنة والجماعة: "ولا نُكفِّر أحداً من أهلِ القبلة بذنبٍ ما لَم يستحلَّه".

والبدعُ تنقسِمُ إلىٰ قسمَين:

بدعةٌ مكفِّرةٌ: كالاستغاثة بالأموات والجِنِّ والملائكةِ ونحوِهم، وطلبِ الحاجات وكشفِ الكُرُبات منهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

وبدعةٌ مفسِّقةٌ: كالتوسُّلِ إلىٰ الله بالأموات والملائكةِ ونحوهم.

والصوفية المذمومون الذين يلهَج بهم الكاتب من جملة أهل البِدع، فيهم مَن بدعتُه مكفِّرة، كابن عربي وأضرابِه، ومَن بدعتُه مفسِّقة.

ويقول الشيخ حافظ الحكمي في كتابه معارج القبول: (٢/٥٠٣ ٥٠٤): "ثم البدع بحسب إخلالها بالدين قسمان: مكفرة لمنتحلها، وغير مكفرة.

ضابط البدعة المكفرة: من أنكر أمرًا مجمعًا عليه، متواترًا من الشرع، معلوما من الدين بالضرورة، من جحود مفروض، أو فرض ما لم يفرض، أو إحلال محرم، أو تحريم حلال، أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتابه عنه.

والبدعة غير المكفرة: هي ما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب، ولا بشيء من مما أرسل به رسله.

العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى:

قال كما في مقالات للشيخ الفوزان (٢ /٤): س٣: ما قولكم يا شيخ حفظكم الله في هذه المقولة: "أن الذي لا يأتي ببدعة مكفرة لا يُخرج من مسمىٰ أهل السنة، بل الذي يُخرج من مسمىٰ أهل السنة الذي يقع في بدعة مكفرة فقط"؟

ج٣: يا سبحان الله! الذي يأتي ببدعة مكفرة هذا ليس من المسلمين أصلاً، ما يكفي أنه يقال أنه ليس من أهل السنة، الذي يأتي ببدعة مكفرة يقال أنه ليس من المسلمين، ولا يقال أنه ليس من أهل السنة فقط، لأنه إذا قيل ليس من أهل السنة فُهم أنه مسلم لكنه مخالف لمذهب أهل السنة فيكون كسائر المبتدعة، إما من جاء ببدعة غير مكفرة فهذا هو الذي ليس من أهل السنة، فالمبتدعة إذاً علىٰ قسمين:

١- مبتدع كافر ليس من المسلمين أصلًا، وهو الذي عنده بدعة مكفرة

٢- ومبتدع يُعد من المسلمين ولكنه ليس من أهل السنة، فلا يمكن لمبتدع أن يقال أنه من أهل السنة أبدأ، بل يقال إما أنه كافر خارج من الملة، وإما أن يقال أنه مبتدع من غير أهل السنة والجماعة كالمعتزلة والجهمية، والخوارج وغيرهم من الفرق.

الإمام محمد بن صالح العثيمين:

في مجموع فتاوى ورسائل العثيمين) (١٥/ ١٣٥): **وأهل البدع ينقسمون إلىٰ قسمين**: أهل بدع مكفرة، وأخرىٰ غير مكفرة.

فأما أهل البدع المكفرة: فإن الصلاة خلفهم لا تصح، لأنهم كفار لا تقبل صلاتهم عند الله فلا يصح أن يكونوا أئمة المسلمين.

وأما أهل البدع غير المكفرة: فالصلاة خلفهم تنبني علىٰ خلاف العلماء في الصلاة خلف أهل الفسق.

والراجح: أن الصلاة خلف أهل الفسق جائزة، إلا إذا كان في ترك الصلاة خلفهم مصلحة، مثل أن يكون ذلك سببًا في ردعهم عن فسقهم، فإن الأولىٰ هنا أن لا يصلي خلفهم

قال في لقاءات الباب المفتوح (٤١/ ١٥): **السؤال**: هناك كثير من النصارىٰ عندما يسلم يتبع مذهبًا غير مذهب أهل السنة والجماعة، مثل: التصوُّف، والتشيُّع، فهل نُكَفِّره؛ لأنه دَخَلَ مذهبًا غير مذهب أهل السنة والسلف الصالح، أم ننظر إليه بحسب الفرقة التي دخل فيها؟

الجواب: إذا أسلم وانتمىٰ إلىٰ الإسلام، ثم اتخذ نِحْلَة مبتدَعة، فإننا نعطيه حكم أهل هذه النِّحْلَة، إن كانت البدعة مكفِّرة فهو كافر، ولن ينفعه انتقالُه من النصرانية إلىٰ هذه البدعة المكفِّرة، وإن كانت لا تكفِّر فإنه لا يكفر؛ لكن ينبغي لأهل السنة أن يتلقوا هؤلاء الذين يسلمون؛ لأنه ربما يسلم راغبًا في الإسلام، ثم يأتيه رجل مبتدع فيغره ويقول: هذا هو الإسلام، فيرتكب البدعة؛ لأنه لا يدري. فالواجب علىٰ أهل السنة أن يتلقوا هؤلاء الذين أسلموا حديثًا حتىٰ لا يتلقفهم أحدٌ له بدعة. السائل: إذاً: يكفَّر، وهذا أمر عاديٌّ! الشيخ: كما قلتُ لك: إذا انتَحَلَ بدعة مكفِّرة فله حكم أصحابها، وإذا انتَحَلَ بدعة غير مكفِّرة فله حكم أصحابها. لكن قد يقال: هذا

النصرانيُّ الذي لا يعرف عن الإسلام شيئًا بدعتُه التي ارتكبها وهي مكفِّرة ارتكبها عن جهل، فهذا نعَلِّمه أولاً بأن ما انتحله غير صحيح، ثم إذا أصَرَّ حُكِمَ عليه بحكم أهل هذه البدعة انتهىٰ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجموع فتاوى و رسائل (٢٧/ ٣): وسئل فضيلة الشيخ: كيف يتعامل الإنسان الملتزم بالسنة مع صاحب البدعة؟ وهل يجوز هجره؟.

فأجاب بقوله: البدع تنقسم إلىٰ قسمين :

بدع مكفرة، وبدع دون ذلك وفي كلا القسمين يجب علينا نحن أن ندعو هؤلاء الذين ينتسبون إلىٰ الإسلام ومعهم البدع المكفرة وما دونها إلىٰ الحق؛ ببيان الحق دون أن نهاجم ما هم عليه إلا بعد أن نعرف منهم الاستكبار عن قبول الحق لأن الله – تعالىٰ – قال للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فندعو أولاً هؤلاء إلىٰ الحق ببيان الحق وإيضاحه بأدلته، والحق مقبول لدىٰ كل ذي فطرة سليمة، فإذا وجد العناد والاستكبار فإننا نبين باطلهم، علىٰ أن بيان باطلهم في غير مجادلتهم أمر واجب.

أما هجرهم فهذا يترتب علىٰ البدعة، فإذا كانت البدعة مكفرة وجب هجره، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره؛ إن كان في هجره مصلحة فعلناه، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنبناه، وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره لقول النبي، صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،: "لا يحل لرجل مؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث" فكل مؤمن وإن كان فاسقًا فإنه يحرم هجره مالم يكن في الهجر مصلحة، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه، لأن الهجر حينئذ دواء، أما إذا لم يكن فيه مصلحة أو كان فيه زيادة في المعصية والعتو، فإن ما لا مصلحة فيه تركه هو المصلحة. انتهىٰ

الإمام عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

قال في شرح كتاب فضل الإسلام لابن باز (ص: ١٧):... وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظه: «من دعا إلى هدى..»، ثم قال: «ومن دعا إلى ضلالة..».

باب ما جاء في أن الله احتجز التوبة علىٰ صاحب البدعة:

المقصود بهذا الباب: بيان خطر البدعة وأن من أخطار البدعة: أن صاحبها لا يوفق للتوبة، يرىٰ أنه مصيب ويستمر علىٰ الباطل هذا من أخطارها وبلائها، فالواجب الحذر من البدع لأنها شر عظيم كما ذكر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وقال: «كل بدعة ضلالة» لاحول ولا قوة إلا بالله.

سئل الشيخ- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: عن صحة الحديث: «إن الله احتجز التوبة على كل صاحب بدعة»؟

فأجاب سماحته: الحديث يحتاج إلىٰ تأمل ونظر في سنده. يراجع

لكن إنما يخشىٰ عليهم، وذلك أن الغالب عليهم أنهم يستحسنون آرائهم ويبقون عليها. نسأل الله العافية. وإلا فإن كثيراً من أهل البدع تابوا وتاب الله عليهم. وإن صح الحديث فهو من باب الوعيد والتحذير نسأل الله العافية. مثل ما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المدينة: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»، هذا من باب الوعيد، وإلا من تاب تاب الله عليه.

ثم أجاب الشيخ في أحد الدروس عن الحديث ومعناه قائلاً: وهذا هو الحق أن الله احتجب التوبة عن صاحب البدعة ومعناها: أنه يستحسنها ويرىٰ أنه مصيب، ولهذا فالغالب أنه يموت عليها والعياذ بالله، لأنه يرىٰ أنه مصيب بخلاف صاحب المعصية الذي يعرف أنه عاص وأنه مجرم وأنه مخطئ، فيتوب وقد يتوب الله عليه،

لكن صاحب البدعة علىٰ خطر لأنه يستحسنها ويتبع هواه، ولهذا فهو علىٰ خطر فيحجب عن التوبة لاستحسانه للبدعة، وظنه أنه علىٰ هذىٰ واعتقاد أنه علىٰ حق.

أما إذا هداه الله وتبصر وتاب تاب الله عليه، وجميع الذنوب إذا تاب منها العبد تاب الله عليه حتىٰ الشرك الذي هو أكبر من البدعة، فالكفر بالله إذا تاب منه العبد تاب الله عليه، والكفار من قريش وغيرهم لما تابوا تاب الله عليهم وهكذا سحرة فرعون لما تابوا تاب الله عليهم، وهكذا صاحب البدعة إذا بصره الله وتاب منها تاب الله عليه، فهو من باب الوعيد مثل الحديث الصحيح: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» فهو من باب الوعيد.

وقال في شرح كتاب فضل الإسلام لابن باز (ص: ٣٠): ولما رأىٰ عبد الله بن مسعود قوماً في المسجد كل حلقة في المسجد وحدها فيها واحد يقول: سبحوا كذا عدوا كذا وكذا، يعدوا الحصىٰ، قال: إنكم لعلىٰ ملة هي أهدىٰ من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة؟، فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء"، هذا من البدع في كونهم يتفرقون أحزاباً، كل واحد يقول افعل كذا وكذا، وإنما الواجب النصيحة والتذكير بالله، قال الله وقال رسوله هذا هو الواجب، أما أن يجعلون حلق ويقولون: عدوا حسناتكم، خذوا الحصىٰ عد يا فلان!! هذا مما أحدثه الناس من البدع، ولهذا يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبته: «أما بعد: فإن خير الكلام كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، فما أحدثه الناس من القربات هو من البدع، والبدع تكون بالقرب، فما تقرب به الناس مما لم يشرع، هذا من البدع، فالواجب الحذر منها، وليس فيها تفصيل بل كل بدعة ضلال ...وأما قول بعض الناس: إن البدعة تنقسم إلىٰ خمسة أقسام، فهو قول غلط ممن قاله، والصواب: أن كل بدعة ضلالة، والبدعة هي القربة

التي يتقرب بها الناس ولم يشرعها الله تعالىٰ مثل: ما فعل هؤلاء في عهد ابن مسعود، ومثل بدعة الموالد، ومثل بدعة البناء علىٰ القبور، وتجصيص القبور والكتابة عليها، كل هذا مما أحدثه الناس من البدع، فالواجب الحذر من ذلك وأن يتقيد المؤمن بما شرع الله وما درج عليه أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العبادات وأن يحذر أن يزيد شيئًا فيما شرعه الله جَلَّ وَعَلَا، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فالله أكمل الدين فليس لأحد أن يزيد فيه.اهـ

وقال في فتاوى نور على الدرب (٣/ ١٤): أما تقسيم بعض الناس البدعة، إلىٰ واجبة، ومحرمة ومكروهة ومستحبة، ومباحة، فهذا تقسيم غير صحيح، والصواب أن البدع كلها ضلالة، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وإذا كانت بدعة الإمام مكفرة، لا يصلىٰ خلفه، كبدعة الجهمية والمعتزلة وأشباههم، أما البدعة غير المكفرة، كرفع الصوت بالنية: نويت أن أصلي، أو ما أشبه ذلك، فلا بأس بالصلاة خلفه، لكن يعلم، يوجه إلىٰ الخير، يعلم فلا يرفع صوته بل ينوي بقلبه، والحمد لله نية القلب تكفي، وهكذا بدعة الاجتماع للموالد، إذا ما كان فيها شرك، هذه ليست بمكفرة، أما إن كان فيها

حول تقسيم البدعة إلى واجبة ومحرمة وغيرهما:

س ١٤٥: **يقول السائل**: فصل الشيخ النووي رَحِمَهُ اللهُ في شرحه موضوع البدعة إلىٰ خمسة أقسام: **الأول**: بدعة واجبة، ومثالها نظم أدلة المتكلمين علىٰ الملاحدة، **الثاني**: المندوبة، ومثالها تصنيف كتب العلم، **الثالث**: المباحة، ومثالها البسط في ألوان الطعام، الرابع والخامس: الحرام والمكروه وهما واضحان.

والسؤال: يقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل بدعة ضلالة» أرجو توضيح ذلك مع ما يقصده الشيخ النووي رَحِمَهُ اللهُ وبارك الله فيكم؟

الجواب: هذا الذي نقلته عن النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقسيم البدعة إلىٰ خمسة أقسام قد ذكره جماعة من أهل العلم، وقالوا: إن البدعة تنقسم إلىٰ أقسام خمسة: واجبة ومستحبة ومباحة ومحرمة ومكروهة.

وذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ أن البدعة كلها ضلالة وليس فيها تقسيم، بل هي كلها كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضلالة»، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «كل بدعة ضلالة»، هكذا جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، منها ما رواه مسلم في الصحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب يوم الجمعة فيقول في خطبته: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة».

قول اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية:

فتاوى اللجنة الدائمة - ٢ (٢/ ١٩٢) الفتوى رقم (١٤٧٩١): س: لقد كثر الجدال والشقاق في الآونة الأخيرة بين العلماء في مختلف مناطق بنغلاديش، حول مسألة الدعاء بعد التسليم من الصلاة المفروضة، حيث يدعو الإمام يرفع يديه مستقبلًا القبلة والمأمومون بعد كل الصلوات المكتوبة الخمس علىٰ المواظبة، ويتبعه المأمومون أيضًا بقول اللهم آمين، اللهم آمين، فقط برفع أيديهم مع رفع الأصوات، وفي الختام يمسحون وجوههم بأيديهم ويختمون الدعاء. وقد بدأ يحدث التضارب والقتال والفرقة بين العلماء بعضهم بعضًا وبين العوام بعضهم بعضًا اتباعًا منهم للعلماء، بعض يقول إنه بدعة، وبعض يقول بقول آخر إنها جائز وسنة.

فالرجاء من سماحتكم بيان الحق في هذه المسألة بيانًا مزودًا بأدلة الكتاب والسنة، ومع آراء العلماء في ذلك، كما أرجو بيان آداب وكيفيات الدعاء، مع ذكر المواضع التي يجوز فيها الدعاء جماعيًا. ولكم مني جزيل الشكر وسيكون لفتواكم أثر بالغ في حسم الخلاف إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ج: على المسلمين أن يعرفوا صحة ما يفعلونه في صلواتهم وأدعيتهم، وهل هو ثابت عن الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو هو بدعة استحدثت وتطاول عليها الزمن حتى ألفها الناس وظنوها من واجبات الدين التي يغضبون من أجلها. وينبغي أن يعلم المسلم أن هذه البدع ليست من البدع المكفرة التي تبعد المسلم عن الإسلام أو تبطل صلاة من فعلها، بل هي من البدع التي ليس لها أصل في الدين، ولا يؤجر المسلم على فعلها؛ لأنها لم تثبت عن الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ ولهذا فلا يجوز الاقتتال بين المسلمين من أجلها أو ترك المسجد وهجر الجماعة من أجل ذلك، بل يصلي المسلم خلف من يفعل ذلك، مع إبلاغه بعدم مشروعيته والإنكار عليه.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية :عضو... نائب الرئيس... الرئيس: عبد الله بن غديان... عبد الرزاق عفيفي... عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

حفظنا منه هذا التقسيم كثير.

العلامة يحيى بن علي الحجوري:

نعرفه على هذا التقسيم.

ما يبين أن الشيخ الألباني لا يكفر أهل البدع مطلقًا:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٤١١)

الأمر الآخر: أن بعض المحققين من العلماء اليمانيين ممن نقطع أنه وقف على كتب ابن الوزير، ألا وهو الشيخ صالح المقبلي، قد تكلم على هذا الحديث بكلام جيد من جهة ثبوته ومعناه، وقد ذكر فيه أن بعضهم ضعف هذا الحديث فكأنه يشير

بذلك إلىٰ ابن الوزير. وأنت إذا تأملت كلامه وجدته يشير إلىٰ أن التضعيف لم يكن من جهة السند، وإنما من قبل استشكال معناه، وأرىٰ أن أنقل خلاصة كلامه المشار إليه لما فيه من الفوائد. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في " العلم الشامخ في إيثار الحق علىٰ الآباء والمشايخ " (ص ٤١٤): حديث افتراق الأمة إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة، رواياته كثيرة يشد بعضها بعضا

بحيث لا يبقىٰ ريبة في حاصل معناها. (ثم ذكر حديث معاوية هذا، وحديث ابن عمرو بن العاص الذي أشار إليه الحافظ العراقي وحسنه الترمذي ثم قال: والإشكال في قوله: "كلها في النار إلا ملة "، فمن المعلوم أنهم خير الأمم، وأن المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة، مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود حسبما صرحت به الأحاديث، فكيف يتمشىٰ هذا؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة، وقال: هي زيادة غير ثابتة. وبعضهم تأول الكلام. قال: ومن المعلوم أن ليس المراد من الفرقة الناجية أن لا يقع منها أدنىٰ اختلاف، فإن ذلك قد كان في فضلاء الصحابة. إنما الكلام في مخالفة تصير صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها.

وإذا حققت ذلك فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل، وفيما يترتب عليه عظائم المفاسد لا تكاد تنحصر، ولكنها لم تخص معينا من هذه الفرق التي قد تحزبت والتأم بعضهم إلىٰ قوم وخالف آخرون بحسب مسائل عديدة. ثم أجاب عن الإشكال، **بما خلاصته**: " إن الناس عامة وخاصة، فالعامة آخرهم كأولهم، كالنساء والعبيد والفلاحين والسوقة ونحوهم ممن ليس من أمر الخاصة في شيء، فلا شك في براءة آخرهم من الابتداع كأولهم.

وأما الخاصة، فمنهم مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه، وبلغ في تقويتها كل مبلغ، وجعلها أصلا يرد إليها صرائح الكتاب والسنة، ثم تبعه أقوام من نمطه في الفقه والتعصب، وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها وحملوه ما لم يتحمله، ولكنه

إمامهم المقدم وهؤلاء هم المبتدعة حقا، وهو شيء كبير ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾، كنفي حكمة الله تعالىٰ، ونفي إقداره المكلف، وككونه يكلف ما لا يطاق، ويفعل سائر القبائح ولاتقبح منه، وأخواتهن! ومنها ما هو دون ذلك، وحقائقها جميعها عند الله تعالىٰ، ولا ندري بأيها يصير صاحبها من إحدىٰ الثلاث وسبعين فرقة.

ومن الناس من تبع هؤلاء وناصرهم وقوىٰ سوادهم بالتدريس والتصنيف، ولكنه عند نفسه راجع إلىٰ الحق، وقد دس في تلك الأبحاث نقوضها في مواضع لكن علىٰ وجه خفي، ولعله تخيل مصلحة دنيئة، أو عظم عليه انحطاط نفسه وإيذاؤهم له في عرضه وربما بلغت الأذية إلىٰ نفسه. وعلىٰ الجملة فالرجل قد عرف الحق من الباطل، وتخبط في تصرفاته، وحسابه علىٰ الله سبحانه، إما أن يحشره مع من أحب بظاهر حاله، أو يقبل عذره، وما تكاد تجد أحدا من هؤلاء النظار إلا قد فعل ذلك، لكن شرهم والله كثير، فلربما لم يقع خبرهم بمكان، وذلك لأنه لا يفطن لتلك اللمحة الخفية التي دسوها إلا الأذكياء المحيطون بالبحث، وقد أغناهم الله بعلمهم عن تلك اللمحة، وليس بكبير فائدة أن يعلموا أن الرجل كان يعلم الحق ويخفيه. والله المستعان.

ومن الناس من ليس من أهل التحقيق، ولا هيء للهجوم علىٰ الحقائق، وقد تدرب في كلام الناس، وعرف أوائل الأبحاث، وحفظ كثيرا من غثاء ما حصلوه ولكن أرواح الأبحاث بينه وبينها حائل. وقد يكون ذلك لقصور الهمة والاكتفاء والرضا عن السلف لوقعهم في النفوس. وهؤلاء هم الأكثرون عددًا، والأرذلون قدرًا، فإنهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة، ولا أدركوا سلامة العامة. فالقسم الأول من الخاصة مبتدعة قطعًا. والثاني ظاهره الابتداع، والثالث له حكم الابتداع.

ومن الخاصة قسم رابع: ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين، أقبلوا علىٰ الكتاب والسنة وساروا بسيرها، وسكتوا عما سكتا عنه، وأقدموا وأحجموا بهما وتركوا تكلف ما لا يعنيهم، وكان تهمهم السلامة، وحياة السنة آثر عندهم من حياة نفوسهم، وقرة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالىٰ، وفهم معانيه علىٰ السليقة العربية والتفسيرات المروية، ومعرفة ثبوت حديث نبوي لفظًا وحكمًا.

فهؤلاء هم السنية حقًا، وهم الفرقة الناجية، وإليهم العامة بأسرهم، ومن شاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين، بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم.

إذا حققت جميع ما ذكرنا لك، لم يلزمك السؤال المحذور وهو الهلاك علىٰ معظم الأمة، لأن الأكثر عددا هم العامة قديما وحديثا، وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة، ولعل القسمين الأوسطين، وكذا من خفت بدعته من الأول، تنقذهم رحمة ربك من النظام في سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية، ورحمة ربك أوسع لكل مسلم، لكنا تكلمنا علىٰ مقتضىٰ الحديث ومصداقه، وأن أفراد الفرق المبتدعة وإن كثرت الفرق فلعله لا يكون مجموع أفرادهم جزءا من ألف جزء من سائر المسلمين: فتأمل هذا تسلم من اعتقاد مناقضة الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة ".

قلت: وهذا آخر كلام الشيخ المقبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو كلام متين يدل علىٰ علم الرجل وفضله ودقة نظره، ومنه تعلم سلامة الحديث من الإشكال الذي أظن أنه عمدة ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إعلاله إياه. والحمد لله علىٰ أن وفقنا للإبانة عن صحة هذا الحديث من حيث إسناده، وإزالة الشبهة عنه من حيث متنه وهو الموفق لا إله إلا هو. انتهىٰ

وقال في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة و أثرها السيئ في الأمة (٢/ ٧١):

ومعنىٰ الحديث صحيح إن كان المراد بـ "أمة محمد" فيه أمة الإجابة لا أمة الدعوة

كما هو ظاهر. ويؤيده ما ذكره ابن القيم في " حادي الأرواح " (٢ / ١٧٦ - ١٧٧) من رواية إسحاق بن راهويه: حدثنا عبيد الله (بن معاذ): حدثنا أبي: حدثنا شعبة عن يحيىٰ بن أيوب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: "ما أنا بالذي لا أقول: إنه سيأتي علىٰ جهنم يوم لا يبقىٰ فيها أحد، وقرأ قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ الآية.

قال عبيد الله: كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحدين. وقد روي الحديث عن أبي أمامة ولا يصح أيضًا. انتهىٰ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٣/ ٢٠٠): وإن مما يؤكد ضعفه أن الحديث صح بلفظ: «من يهود أصبهان»... مكان: «من أمتي»، انظر الحديث (٣٠٨٠ و ٣٠٨١) من "الصحيحة".

وقد يقول قائل: يمكن أن يكون المقصود: «من أمتي»: أمة الدعوة؛ وحينئذٍ فلا تعارض.

فأقول: نعم؛ هذا ممكن، ولكنه تأويل؛ والتأويل فرع التصحيح، وما دام أنه لم يصح؛ فلا داعي إليه. انتهىٰ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في موسوعة الألباني في العقيدة (٩/ ٥٣٨): سؤال: قرأت حديثًا يا شيخنا في تفسير الجلالين يقول: قال - صلىٰ الله عليه وآله وسلم -: «﴿ئي بر بز بم بن بى﴾ [الأنعام:١٥٩] إنما هم أهل البدع وأهل الأهواء والضلالة من هذه الأمة، يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع ليس لهم توبة، يا عائشة إني بريء منهم وهم منا براء»، فما مدىٰ صحة هذا الحديث؟ وما معنىٰ: غير أصحاب البدع والأهواء ليس لهم توبة؟ وجزاكم الله خيراً.

الشيخ: طبعًا هذا الحديث ضعيف سنداً ومتنًا كما يقول علماء الحديث سنداً ومتنًا.

أما السند فلأن فيه علة تمنع من الحكم عليه بالصحة طبعاً أنا الآن غير مستحضر لهذه العلة سوى أني أعرف أن الحديث لا يصح من حيث إسناده، أما أنه لا يصح من حيث متنه، فهذا واضح جداً؛ لأن صاحب البدعة مهما كانت بدعته فسوف لا تكون أشر عند الله عَزَّوَجَلَّ من شرك الكافر المشرك، فإذا كان الأمر كذلك وكان معلوماً عند كل مسلم قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

فهذا النص صريح بأن الله عَزَّوَجَلَّ من الممكن الجائز بالنسبة إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ليس فقط أن يقبل توبة المبتدع، بل وأن يغفر له بدعته، ولو لم يتب منها؛ لأن بدعته ليست شركاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

هذا جواب على افتراض أن البدعة ليست كالشرك، وإنما هي دون ذلك.

وإذا افترضنا أن البدعة التي أريد بهذا الحديث هي: نوع من أنواع الشرك حينئذ نستدل بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في صفات الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨ – ٧٠].

لقد بدأ الله عَزَّوَجَلَّ بذكر المذنبين المجرمين في هذه الآية بالمشركين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ (الفرقان:٦٨) إلى آخر الآية.

ثم استثنى، أي: بعد أن حكم لهؤلاء بالنار قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٧٠].

إذن: لنفترض أن هذا المبتدع بدعته بدعة شركية، فلماذا لا يتوب الله عليه إذا تاب؟ وقد قال تعالىٰ في الآية السابقة: إلا من تاب.

فهذا دليل علىٰ بطلان هذا المتن بعد أن لم يثبت هذا المتن علىٰ طريقة المحدثين أي: من جهة السند، فإذاً: هذا الحديث لا يصح لا إسناداً ولا متنـًا، لكن يمكن أن يقال: لو افترضنا أن لهذا الحديث أصلاً يمكن أن يقال: بأن راويه الذي بسببه ضعف إسناد الحديث هذا كان من أصحاب الأوهام والأخطاء في رواية الحديث. انتهىٰ

تجويز السلف الصلاة خلف أهل البدع دليل على التفصيل

وهذا مذهب جماهير المسلمين تجويز الصلاة خلف كل بر وفاجر منهم.

وفي صحيح البخاري: بَابُ إِمَامَةِ المَفْتُونِ وَالمُبْتَدِعِ قال وَقَالَ الحَسَنُ: "صَلِّ وَعَلَيْهِ بِدْعَتُهُ".

وقال رقم (٦٩٥): قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَقَالَ لَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ خِيَارٍ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، - وَهُوَ مَحْصُورٌ - فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ، وَنَزَلَ بِكَ مَا نَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامُ فِتْنَةٍ، وَنَتَحَرَّجُ؟ فَقَالَ: "الصَّلاَةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ، فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ" وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ، قَالَ: الزُّهْرِيُّ: "لاَ نَرَى أَنْ يُصَلَّى خَلْفَ المُخَنَّثِ إِلَّا مِنْ ضَرُورَةٍ لاَ بُدَّ مِنْهَا".

قلت: فهؤلاء الصحابة وتابعيهم قد صلوا خلف أهل البدع وذلك لاعتقاد إسلامهم في الجملة مع اعتقاد ضلالهم.

قال ابن رجب فتح الباري (٦/ ١٨٧): وخرج -أيضًا- بإسناده، عَن جَعْفَر بن برقان قَالَ: سألت ميمون بن مهران عَن الصلاة خلف من يذكر أَنَّهُ من الخوارج؟ فَقَالَ: إنك لا تصلي لَهُ، إنما تصلي لله، قَدْ كنا نصلي خلف الحجاج وَهُوَ حروري أزرقي. فنظرت إليه، فَقَالَ: أتدري مَا الحروري الأزرقي، هُوَ الَّذِي إذا خالفت آيةً سماك كافراً، واستحل دمك، وكان الحجاج كذلك.

وروى أبو نعيم في (كِتَاب الصلاة): ثنا سُفْيَان، عَن هِشَام، عَن ابن سيرين، قَالَ: كَانَ يكون أمراء عَلَى المدينة، فسئل ابن عُمَر عَن الصلاة معهم، فَقَالَ: الصلاة لا أبالي من شاركني فيها.

وروىٰ **أبو شِهَاب**: ثنا يونس بن عُبَيْدٍ، عَن نَافِع، قَالَ: كَانَ ابن عُمَر يسلم عَلَىٰ الخشبية والخوارج وهم يقتتلون. فَقَالَ: من قَالَ: (حي عَلَىٰ الصلاة) أجبته، من قَالَ: (حي عَلَىٰ الفلاح) أجبته، ومن قَالَ: (حي عَلَىٰ قتل أخيك الْمُسْلِم وأخذ ماله)، قُلتُ: لا. خرجه البيهقي.

وروىٰ عَن ابن عُمَر من وجوه، أَنَّهُ كَانَ يصلي خلف الحجاج. انتهىٰ

وقال رَحِمَهُٱللَّهُ فتح الباري (٦/ ١٩٠): وفرقت طائفة بَيْن البدع المغلظة وغيرها:

فَقَالَ أبو عُبَيْدٍ فيمن صلىٰ خلف الجهمي أو الرافضي: يعيد. ومن صلىٰ خلف قدري أو مرجىٰء أو خارجي: لا آمره بالإعادة.

وكذلك الإمام أحمد، قَالَ فِي الصلاة خلف الجهمية: إنها تعاد.

والجهمي عنده من يَقُول: القرآن مخلوق؛ فإنه كافر. أو يقف ولا يَقُول مخلوق ولا غير مخلوق، ونص أَنَّهُ تعاد الصلاة خلفه - أَيْضـًا -، وقال: لا يصلي خلف من قَالَ: لفظي بالقرآن مخلوق، وَهُوَ جهمي.

وقال: لا يصلي خلف القدري إذا قَالَ: لا يعلم الشيء حَتَّىٰ يكون، فهذا كافر، فإن صلىٰ يعيد.

وَقَالَ - أَيْضـًا - فِي القدري: إذا كَانَ داعيـًا مخاصمـًا تعاد الصلاة خلفه.

وهذا محمول عَلَىٰ من لا ينكر منهم العلم القديم.

وَقَالَ فِي الخوارج: إذا تغلبوا عَلَىٰ بلد: صلي خلفهم.

وَقَالَ - مرة -: يصلىٰ خلفهم الجمعة؛ صلىٰ ابن عُمَر خلف نجدة الحروري.

وَقَالَ فِي الرافضي الَّذِي يتناول الصَّحَابَة: لا يصلىٰ خلفه.

وَقَالَ فيمن يقدم عليـًا عَلَىٰ أَبِي بَكْر وعمر: إن كَانَ جاهلاً لا علم لَهُ فصلىٰ خلفه فأرجو أن لا يكون بِهِ بأس، وإن كَانَ يتخذه دينـًا فلا تصل خلفه.

وَقَالَ فِي المرجئ - وَهُوَ: من لا يدخل الأعمال فِي الإيمان -: إن كَانَ داعياً فلا يصلىٰ خلفه. وَقَالَ فِي الصلاة خلف أهل الأهواء: إذا كَانَ داعيةً ويخاصم فِي بدعته فلا يصلىٰ خلفه، وإلا فلا بأس.

وهذا محمول عَلَىٰ البدع الَّتِي لا يكفر صاحبها، فأما مَا يكفر صاحبه فتعاد الصلاة خلفه، كما تقدم عَنْهُ.

قَالَ حرب: قُلتُ لأحمد: فتكره الصلاة خلف أهل البدع كلهم؟ فَقَالَ: إنهم لا يستوون. انتهىٰ المراد

الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٤٠٣): قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَسُئِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ الصَّلَاةِ خَلْفَ أَهْلِ الْبِدَعِ فَقَالَ لَمْ يَزَلْ فِي النَّاسِ إذَا كَانَ فِيهِمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَدْلٌ فَصَلِّ خَلْفَهُ، فَقُلْت: فَالْجَهْمِيَّةُ قَالَ لَا، هَذِهِ مِنْ الْمَقَاتِلِ هَؤُلَاءِ لَا يُصَلَّىٰ خَلْفَهُمْ وَلَا يُنَاكَحُونَ وَعَلَيْهِمْ التَّوْبَةُ. مجموع الفتاوىٰ (٢٣/ ٣٥٥)

وقال: وَأَمَّا " الصَّلَاةُ خَلْفَ الْمُبْتَدِعِ " فَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا نِزَاعٌ وَتَفْصِيلٌ. فَإِذَا لَمْ تَجِدْ إمَامًا غَيْرَهُ كَالْجُمُعَةِ الَّتِي لَا تُقَامُ إلَّا بِمَكَانِ وَاحِدٍ وَكَالْعِيدَيْنِ وَكَصَلَوَاتِ الْحَجِّ خَلْفَ إمَامِ الْمَوْسِمِ فَهَذِهِ تُفْعَلُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَإِنَّمَا تَدَعُ مِثْلَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ خَلْفَ الْأَئِمَّةِ أَهْلِ الْبِدَعِ كَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ لَا يَرَىٰ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْقَرْيَةِ إلَّا مَسْجِدٌ وَاحِدٌ فَصَلَاتُهُ فِي الْجَمَاعَةِ خَلْفَ الْفَاجِرِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ مُنْفَرِدًا؛ لِئَلَّا يُفْضِي إلَىٰ تَرْكِ الْجَمَاعَةِ مُطْلَقًا. وَأَمَّا إذَا أَمْكَنَهُ أَنْ يُصَلِّيَ خَلْفَ غَيْرِ الْمُبْتَدِعِ فَهُوَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ بِلَا رَيْبٍ لَكِنْ إنْ صَلَّىٰ خَلْفَهُ فَفِي صَلَاتِهِ نِزَاعٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ. وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ تَصِحُّ صَلَاتُهُ. وَأَمَّا مَالِكٌ وَأَحْمَد فَفِي مَذْهَبِهِمَا النِّزَاعُ وَتَفْصِيلٌ.

وَهَذَا إنَّمَا هُوَ فِي الْبِدْعَةِ الَّتِي يُعْلَمُ أَنَّهَا تُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ مِثْلَ بِدَعِ الرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ. فَأَمَّا مَسَائِلُ الدِّينِ الَّتِي يَتَنَازَعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ

مِثْلَ "مَسْأَلَةِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ" وَنَحْوِهَا فَقَدْ يَكُونُ كُلٌّ مِنَ الْمُتَنَازِعَيْنِ مُبْتَدِعًا وَكِلَاهُمَا جَاهِلٌ مُتَأَوِّلٌ فَلَيْسَ امْتِنَاعُ هَذَا مِنَ الصَّلَاةِ خَلْفَ هَذَا بِأَوْلَىٰ مِنَ الْعَكْسِ فَأَمَّا إِذَا ظَهَرَتْ السُّنَّةُ وَعُلِمَتْ فَخَالَفَهَا وَاحِدٌ فَهَذَا هُوَ الَّذِي فِيهِ النِّزَاعُ وَاللهُ أَعْلَمُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. اهـ

فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٢/ ٧٣): س: سماحة الشيخ، الصلاة خلف المبتدع ما حكمها (١)؟

ج: الصلاة فيها تفصيل خلف المبتدع: إذا كان المبتدع ابتدع بدعة تكفر كالجهمي هذا لا يصلىٰ خلفه، والمعتزلة في صفات الله، والخوارج لا يصلىٰ خلفهم. أما إذا كانت بدعة خفيفة؛ مثل أن يقول: نويت أن أصلي. أو عنده بدعة أخرىٰ غير هذا من البدع الخفيفة؛ التي لا تفضي إلىٰ الشرك فالأمر في هذا سهل، يصلىٰ خلفه، ولكن إذا تيسر إزالته والتماس إمام من أهل السنة فهذا هو الواجب، ولكن إذا دعت الضرورة إلىٰ أن يصلىٰ خلفه، إذا كانت بدعته لا تكفره كالعاصي، كالذي يعرف بالمعاصي يصلىٰ خلفه ما دام مسلما. انتهىٰ

مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٣٧٥): إن إقامة الجمعة واجبة مع كل مسلم أو فاجر، فإذا كان الإمام في الجمعة لا تخرجه بدعته عن الإسلام فإنه يصلىٰ خلفه قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته المشهورة: (ونرىٰ الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة وعلىٰ من مات منهم) انتهىٰ.

مجموع فتاوى ابن باز(١٢/ ١١٨): الصلاة خلف المبتدع والمسبل إزاره.

س: هل تصح الصلاة وراء المبتدع والمسبل إزاره؟.

ج: نعم تصح الصلاة خلف المبتدع وخلف المسبل إزاره وغيرهما من العصاة في أصح قولي العلماء ما لم تكن البدعة مكفرة لصاحبها، فإن كانت مكفرة له كالجهمي ونحوه ممن بدعتهم تخرجهم عن دائرة الإسلام، فلا تصح الصلاة

خلفهم، ولكن يجب علىٰ المسئولين أن يختاروا للإمامة من هو سليم من البدعة والفسق، مرضي السيرة؛ لأن الإمامة أمانة عظيمة، القائم بها قدوة للمسلمين، فلا يجوز أن يتولاها أهل البدع والفسق مع القدرة علىٰ تولية غيرهم.

فتاوى اللجنة الدائمة ١- (٧/ ٣٥٥): وأما الصلاة خلف المبتدعة: فإن كانت بدعتهم شركية كدعائهم غير الله ونذرهم لغير الله واعتقادهم في مشايخهم ما لا يكون إلا لله من كمال العلم أو العلم بالمغيبات أو التأثير في الكونيات - فلا تصح الصلاة خلفهم، وإن كانت بدعتهم غير شركية؛ كالذكر بما أثر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن مع الاجتماع والترنحات - فالصلاة وراءهم صحيحة، إلا أنه ينبغي للمسلم أن يتحرىٰ لصلاته إماما غير مبتدع؛ ليكون ذلك أعظم لأجره وأبعد عن المنكر.

وبالله التوفيق وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: عضو... عضو... نائب الرئيس: عبد الله بن منيع... عبد الله بن غديان... عبد الرزاق عفيفي.

وفي شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٢/ ٥٣٢) قال: وَلَوْ صَلَّىٰ خَلْفَ مُبْتَدِعٍ يَدْعُو إِلَىٰ بِدْعَتِهِ، أَوْ فَاسِقٍ ظَاهِرِ الْفِسْقِ، وَهُوَ الْإِمَامُ الرَّاتِبُ الَّذِي لَا يُمْكِنُهُ الصَّلَاةُ إِلَّا خَلْفَهُ، كَإِمَامِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ، وَالْإِمَامِ فِي صَلَاةِ الْحَجِّ بِعَرَفَةَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ -: فَإِنَّ الْمَأْمُومَ يُصَلِّي خَلْفَهُ، عِنْدَ عَامَّةِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ.

وَمَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الْإِمَامِ الْفَاجِرِ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُصَلِّيهَا وَلَا يُعِيدُهَا، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الْأَئِمَّةِ الْفُجَّارِ وَلَا يُعِيدُونَ، كَمَا كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يُصَلِّي خَلْفَ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، وَكَذَلِكَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَكَذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ يُصَلُّونَ خَلْفَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَكَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، حَتَّىٰ

إِنَّهُ صَلَّىٰ بِهِمُ الصُّبْحَ مَرَّةً أَرْبَعًا، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ؟! فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا زِلْنَا مَعَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ فِي زِيَادَةٍ!!.

وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حُصِرَ صَلَّىٰ بِالنَّاسِ شَخْصٌ، فَسَأَلَ سَائِلٌ عُثْمَانَ: إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ، وَهَذَا الَّذِي صَلَّىٰ بِالنَّاسِ إِمَامُ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنُوا فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ.

وَالْفَاسِقُ وَالْمُبْتَدِعُ صَلَاتُهُ فِي نَفْسِهَا صَحِيحَةٌ، فَإِذَا صَلَّىٰ الْمَأْمُومُ خَلْفَهُ لَمْ تَبْطُلْ صَلَاتُهُ، لَكِنْ إِنَّمَا كَرِهَ مَنْ كَرِهَ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ بِدْعَةً وَفُجُورًا لَا يُرَتَّبُ إِمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ التَّعْزِيرَ حَتَّىٰ يَتُوبَ، فَإِذَا أَمْكَنَ هَجْرُهُ حَتَّىٰ يَتُوبَ كَانَ حَسَنًا، وَإِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ وَصَلَّىٰ خَلْفَ غَيْرِهِ أَثَّرَ ذَلِكَ فِي إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ حَتَّىٰ يَتُوبَ أَوْ يُعْزَلَ أَوْ يَنْتَهِيَ النَّاسُ عَنْ مِثْلِ ذَنْبِهِ -: فَمِثْلُ هَذَا إِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَلَمْ تَفُتِ الْمَأْمُومَ جُمْعَةٌ وَلَا جَمَاعَةٌ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ تَرْكُ الصَّلَاةِ خَلْفَهُ يُفَوِّتُ الْمَأْمُومَ الْجُمْعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، فَهُنَا لَا يَتْرُكُ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ إِلَّا مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْإِمَامُ قَدْ رَتَّبَهُ وُلَاةُ الْأُمُورِ، لَيْسَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ خَلْفَهُ مَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ، فَهُنَا لَا يَتْرُكُ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ، بَلِ الصَّلَاةُ خَلْفَهُ أَفْضَلُ، فَإِذَا أَمْكَنَ الْإِنْسَانُ أَنْ لَا يُقَدِّمَ مُظْهِرًا لِلْمُنْكَرِ فِي الْإِمَامَةِ، وَجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، لَكِنْ إِذَا وَلَّاهُ غَيْرُهُ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ صَرْفُهُ عَنِ الْإِمَامَةِ، أَوْ كَانَ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ صَرْفِهِ عَنِ الْإِمَامَةِ إِلَّا بِشَرٍّ أَعْظَمَ ضَرَرًا مِنْ ضَرَرِ مَا أَظْهَرَ مِنَ الْمُنْكَرِ -: فَلَا يَجُوزُ دَفْعُ الْفَسَادِ الْقَلِيلِ بِالْفَسَادِ الْكَثِيرِ، وَلَا دَفْعُ أَخَفِّ الضَّرَرَيْنِ بِحُصُولِ أَعْظَمِهِمَا، فَإِنَّ الشَّرَائِعَ جَاءَتْ بِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، بِحَسَبِ

الْإِمْكَانِ. فَتَفْوِيتُ الْجُمَعِ وَالْجَمَاعَاتِ أَعْظَمُ فَسَادًا مِنْ الِاقْتِدَاءِ فِيهِمَا بِالْإِمَامِ الْفَاجِرِ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ التَّخَلُّفُ عَنْهَا لَا يَدْفَعُ فُجُورًا، فَيَبْقَىٰ تَعْطِيلُ الْمَصْلَحَةِ الشَّرْعِيَّةِ بِدُونِ دَفْعِ تِلْكَ الْمَفْسَدَةِ.

وَأَمَّا إِذَا أَمْكَنَ فِعْلُ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ خَلْفَ الْبَرِّ، فَهَذَا أَوْلَىٰ مِنْ فِعْلِهَا خَلْفَ الْفَاجِرِ. وَحِينَئِذٍ، فَإِذَا صَلَّىٰ خَلْفَ الْفَاجِرِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، فَهُوَ مَوْضِعُ اجْتِهَادِ الْعُلَمَاءِ: مِنْهُمْ مَنْ قَالَ. يُعِيدُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا يُعِيدُ. وَمَوْضِعُ بَسْطِ ذَلِكَ فِي كُتُبِ الْفُرُوعِ. انتهىٰ

يقول ابن حزم: ما نعلم أحداً من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ امتنع من الصلاة خلف المختار وعبيد الله بن زياد والحجاج، ولا فاسق أفسق من هؤلاء، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾. المحلىٰ (٤/ ٣٠٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض استدلاله لعدم تكفير الخوارج: ومما يدل علىٰ أن الصحابة لم يكفروا الخوارج، أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري. منهاج السنة (٥/ ٢٤٧).

وفي كتاب حكم الصلاة خلف أهل البدع (ص: ٧): وأما التابعون وتابعوهم علىٰ الخير والهدىٰ من أئمة الدين وعلماء المسلمين، فهم علىٰ طريقة الصحابة ومنهجهم في كل ذلك.

روىٰ ابن أبي زمنين بسنده عن الأعمش قال: كان كبار أصحاب عبد الله يعني ابن مسعود يصلون الجمعة مع المختار ويحتسبون بها. أصول السنة لابن أبي زمنين (٣/ ١٠٠٤).

وسأل رجل الحسن البصري: رجل من الخوارج يؤمنا، أنصلي خلفه؟ قال: نعم قد أم الناس من هو شر منه. المصدر نفسه (٣/ ١٠٠٥).

وعن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: أنصلي خلف الحجاج؟ قال: إنا لنصلي خلف من هو شر منه. المحلىٰ لابن حزم (٤/ ٣٠١).

وروىٰ ابن أبي زمنين عن ابن وضاح قال: سألت يوسف بن عدي عن تفسير حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صلوا خلف كل بر وفاجر**» قال: الجمعة خاصة، **قلت**: وإن كان الإمام صاحب بدعة؟ قال: نعم وإن كان صاحب بدعة، لأن الجمعة في مكان واحد ليس توجد في غيره. أصول السنة (٣/ ١٠٠٦).

والحديث لا يصح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان معناه صحيحًا دلت عليه النصوص، وقد ضعفه العلماء، قال العجلي: رواه البيهقي عن أبي هريرة وفي سنده انقطاع، وأورده ابن حبان في الضعفاء. كشف الخفاء (٢/ ٢٩)، **وقال عنه الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ضعيف علته الانقطاع بين مكحول وأبي هريرة، حاشية شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٢١).

وروىٰ عن ابن وضاح أيضًا قال: سألت حارث بن مسكين هل ندع الصلاة خلف أهل البدع؟ فقال: أما الجمعة خاص فلا، وأما غيرها من الصلاة فنعم. أصول السنة (٣/ ١٠٠٦).

وروىٰ الخلال: أنه قيل للإمام أحمد: صلاة الجمعة والعيدين جائزة خلف الأئمة البر والفاجر ما داموا يقيمونها؟ قال نعم. السنة للخلال (١/ ٧٧).

وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة: ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات، خلف كل بر وفاجر لما روىٰ عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن كان يصلي خلف الحجاج. الإبانة عن أصول الديانة (ص ٦١).

وقد ترجم البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ للأثر المتقدم عن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبعض الآثار الأخرىٰ في معناه بقول: باب إمامة المفتون والمبتدع وقال الحسن صل وعليه بدعته. البخاري مع الفتح (٢/ ١٨٨).

وقد دلت أقوال هؤلاء الأئمة علىٰ اعتقادهم جواز إقامة سائر الصلوات من الجمع والأعياد والمكتوبات، خلف الأئمة المعلنين للفسق والبدعة، ما لم يمكن إقامة هذه الصلوات إلا خلفهم.

والكلام علىٰ هذه المسألة يطول لكن في هذه كفاية لمن أراد الحق وبالله التوفيق.

صلاة أبي سعيد رضي الله عنه خلف مروان

ثبت في صحيح مسلم(٨٨٩): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْأَضْحَىٰ، وَيَوْمَ الْفِطْرِ، فَيَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّىٰ صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ، قَامَ فَأَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي مُصَلَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِبَعْثٍ، ذَكَرَهُ لِلنَّاسِ، أَوْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بِغَيْرِ ذَلِكَ، أَمَرَهُمْ بِهَا، وَكَانَ يَقُولُ: «تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا»، وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ كَانَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، فَخَرَجْتُ مُخَاصِرًا مَرْوَانَ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْمُصَلَّىٰ، فَإِذَا كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ قَدْ بَنَىٰ مِنْبَرًا مِنْ طِينٍ وَلَبِنٍ، فَإِذَا مَرْوَانُ يُنَازِعُنِي يَدَهُ، كَأَنَّهُ يَجُرُّنِي نَحْوَ الْمِنْبَرِ، وَأَنَا أَجُرُّهُ نَحْوَ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، قُلْتُ: أَيْنَ الِابْتِدَاءُ بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: لَا، يَا أَبَا سَعِيدٍ قَدْ تُرِكَ مَا تَعْلَمُ، قُلْتُ: كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَأْتُونَ بِخَيْرٍ مِمَّا أَعْلَمُ، ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ انْصَرَفَ

فهل كفرهم علىٰ هذه البدعة مع أنه أقام الحجة عليهم.

قول ابن عمر في صلاة الضحى بدعة هل يعني ذلك أنهم كفار عنده

في صحيح مسلم (١٢٥٥): وحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ الضُّحَى فِي الْمَسْجِدِ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ؟ فَقَالَ: بِدْعَةٌ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كَم اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، فَقَالَ: أَرْبَعَ عُمَرٍ، إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ، فَكَرِهْنَا أَنْ نُكَذِّبَهُ وَنَرُدَّ عَلَيْهِ، وَسَمِعْنَا اسْتِنَانَ عَائِشَةَ فِي الْحُجْرَةِ، فَقَالَ عُرْوَةُ: أَلَا تَسْمَعِينَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَتْ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَقَالَتْ: يَرْحَمُ اللهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ «مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ، وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ».

فإن كان يرىٰ كل بدعة كفر لماذا لم يرفع الأمر إلىٰ ولي أمر المسلمين في عهده.

صلاة طارق ابن أشيم رضي الله عنه خلف من يقنت في الصبح وقد حكم أن القنوت بدعة وحدث

في مسند أحمد ط الرسالة (٢٥/ ٢١٤): حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مَالِكٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتِ إِنَّكَ قَدْ "صَلَّيْتَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ هَاهُنَا بِالْكُوفَةِ، قَرِيبًا مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، أَكَانُوا يَقْنُتُونَ؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، مُحْدَثٌ. وأخرجه غيره.

وفي سنن الترمذي (١٤٤): عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَايَةَ، عَنْ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ، أَقُولُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ لِي: أَيْ بُنَيَّ مُحْدَثٌ إِيَّاكَ وَالحَدَثَ، قَالَ: وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَبْغَضَ إِلَيْهِ الحَدَثُ فِي الإِسْلَامِ - يَعْنِي مِنْهُ - قَالَ: "وَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَمَعَ عُمَرَ، وَمَعَ عُثْمَانَ، فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقُولُهَا، فَلَا تَقُلْهَا، إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَقُلْ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَالعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَغَيْرُهُمْ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَابْنُ المُبَارَكِ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ: لَا يَرَوْنَ أَنْ يَجْهَرَ بِـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالُوا: وَيَقُولُهَا فِي نَفْسِهِ "

ومع ذلك كانوا يصلون خلف من يهجر والصحيح في هذه المسألة عدم الوصول إلى البدعية وإنما هو أفضل ومفضول.

عدم تكفير ابن مسعود لمن أحدث في الذكر

في سنن الدارمي (٢١٠): أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَنبَأَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَىٰ بَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّىٰ خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَىٰ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا خَيْرًا.

قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتظارَ أَمْرِكَ. قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مَضَىٰ وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ أَتَىٰ حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ». قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ» قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ "، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ.

مناظرة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج ولم يرد أنه كفرهم حتى بعد إقامة الحجة عليهم

ففي الطبراني في المعجم (١٠/ ٢٥٧): والقصة أيضا في الخصائص للنسائي وخرجها الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيح المسند.

قال الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (١٠٥٩٨): حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّبَرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، ح وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ مُوسَىٰ بْنُ مَسْعُودٍ، كِلَاهُمَا عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، ثنا أَبُو زُمَيْلٍ الْحَنَفِيُّ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَتْ حَرُورَاءَ، وَكَانُوا فِي دَارٍ عَلَىٰ حِدَتِهِمْ، قُلْتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبْرِدْ عَنِ الصَّلَاةِ؛ لَعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأُكَلِّمُهُمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَتَخَوَّفُهُمْ عَلَيْكَ، قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا إِنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْيَمَانِيَّةِ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ قَائِلُونَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ أَرَ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثَفِنُ الْإِبِلِ، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّبَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ، قَالَ: فَدَخَلْتُ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَزَلَ الْوَحْيُ وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُحَدِّثُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنُحَدِّثَنَّهُ، قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَا تَنْقِمُونَ عَلَىٰ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَتَنِهِ، وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ؟ قَالُوا: نَنْقِمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَوَّلُهُنَّ أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا؟ قَالُوا: وَقَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، لَئِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّتْ لَهُ أَمْوَالُهُمْ، وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا؟ قَالُوا: وَمَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ، قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ الْمُحْكَمِ، وَحَدَّثْتُكُمْ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَا تُنْكِرُونَ، أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللهِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾ [المائدة: ٩٥] إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، وَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]، أَنْشُدُكُمُ اللهَ أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ فِي أَرْنَبٍ ثَمَنُهَا رُبُعُ دِرْهَمٍ؟ قَالُوا: اللهُمَّ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، أَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ، أَمْ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا؟ فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأُمِّكُمْ فَقَدْ كَفَرْتُمْ وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، فَأَنْتُمْ تَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، فَاخْتَارُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَقَالَ: " اكْتُبْ: هَذَا مَا قَاضَىٰ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ "، فَقَالُوا: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: «وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ يَا عَلِيُّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ»، فَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ. فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا، وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، فَقُتِلُوا.

وفي مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٤٦٩): حدثنا أَبُو سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ بَجِيرٍ، حَدَّثَنَا سَيَّارٌ قَالَ: جِيءَ بِرُءُوسٍ مِنْ قِبَلِ الْعِرَاقِ فَنُصِبَتْ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ، وَجَاءَ أَبُو أُمَامَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:

«شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ»، ثَلَاثًا، وَخَيْرُ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ مَنْ قَتَلُوهُ. وَقَالَ: كِلَابُ النَّارِ "،، ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّهُ بَكَىٰ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: يَا أَبَا أُمَامَةَ أَرَأَيْتَ هَذَا الْحَدِيثَ؟ حَيْثُ قُلْتَ: كِلَابُ النَّارِ، شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ شَيْءٌ تَقُولُهُ بِرَأْيِكَ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ إِنِّي إِذًا لَجَرِيءٌ لَوْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، حَتَّىٰ ذَكَرَ سَبْعًا لَخِلْتُ أَنْ لَا أَذْكُرَهُ. فَقَالَ الرَّجُلُ: لِأَيِّ شَيْءٍ بَكَيْتَ؟ قَالَ: رَحْمَةً لَهُمْ أَوْ مِنْ رَحْمَتِهِمْ.

قال محقق المسند: وأخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة" (١٥٤٥)، وابن خزيمة في الجهاد كما في "إتحاف المهرة" ٦/ ٢٢٩، والحاكم ٢/ ١٤٩ و ١٤٩-١٥٠ من طرق عن عكرمة بن عمار، عن أبي عمار شداد بن عبد الله الدمشقي، عن أبي أمامة.

وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، وأقره الذهبي. وزادوا في آخره: قال: إنهم كانوا مؤمنين، فكفروا بعد إيمانهم، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

[آل عمران: ١٠٥-١٠٦].

قلنا: والقائلُ: إنهم كانوا مؤمنين فكفروا بعدَ إيمانهم، هو أبو أُمامة، واستدلَّ بهذه الآية، وإليكَ ما قاله الإمامُ الآلوسيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها: والظاهرُ مِن السِّياق والسّباق أنَّ هؤلاء أهلُ الكتاب، وكفرُهم بعدَ إيمانهم كفرُهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدَ الإيمانِ به قبل مبعثه، وإليه ذهبَ عكرمةُ واختاره الزجاجُ والجبائيُّ.

وقيل: هُمْ جميعُ الكفار لإعراضهم عما وَجَبَ عليهم من الإقرار حينَ أشهدَهُم علىٰ أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ويروىٰ ذلك عن أُبي بن كعب.

ويحتمل أن يُراد بالإيمانِ الإيمانُ بالقُوَّةِ والفِطرة، وكفرُ جميع الكفار، كان بعدَ هذا الإيمانِ لتمكنهم بالنظرِ الصحيحِ، والدلائلِ الواضِحَةِ، والآيات البينة مِن الإيمان بالله تعالىٰ ورسولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن الحسن: أنهم المنافقونَ أَعْطَوْه كَلِمَةَ الإيمانِ بألسنتهم، وأنكروها بقلوبهم وأعمالِهم، فالإيمانُ علىٰ هذا مجازي.

وقيل: إنهم أهلُ البدعِ والأهواء من هذه الأمة، ورُوي ذلك عن علي وأبي أمامة وابن عباس وأبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قلنا: ذهب أكثرُ أهل الأصول مِن أهل السنة إلىٰ أن الخوارج فُسَّاق، وأن حكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين، ومواظبتهم علىٰ أركانِ الإسلامِ، وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمينَ مستندين إلىٰ تأويلٍ فاسدٍ، وجَرَّهم ذلك إلىٰ استباحةِ مخالفيهم وأموالهم والشهادةِ عليهم بالكفرِ والشرك.

وقال الإمامُ الخطابي: أجمع علماءُ المسلمين علىٰ أن الخوارجَ مع ضلالتهم فِرقةٌ من فِرق المسلمين، وأجازوا مناكحتَهم وأكلَ ذبائحهم، وأنهم لا يُكَفَّرون ما داموا متمسِّكينَ بأصل الإسلام، وقال القاضي عياض: كادت هذه المسألةُ تكونُ أشدَّ إشكالاً عندَ المتكلمين من غيرها حتىٰ سألَ الفقيهُ عبدُ الحق

الإمامَ أبا المعالي عنها، فاعتذرَ بأن إدخالَ كافرٍ في الملة وإخراجَ مسلم منها عظيمٌ في الدين. قال: وقد توقف قبلَه القاضي أبو بكر الباقلانيُّ، قال: لم يُصِّرحَ القومُ بالكفر، وإنما قالوا أقوالاً تُؤدي إلىٰ الكفر.

وقال الإمام الغزالي في كتاب "التفرقة بين الإيمان والزندقة": والذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وُجدَ إليه سبيلاً، فإن استباحة دماءِ المُصلين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في تركِ ألفِ كافرٍ في الحياة أهونُ من الخطأ في سفكِ دمٍ لمسلمٍ واحد. انظر "الفتح" (١٢/ ٣٠٠)، وقال الإمام النووي في "شرح مسلم" (٧/ ١٦٠):

ومذهبُ الشافعي وجماهير أصحابه العلماء أن الخوارجَ لا يكفرون، وكذلك القَدَرِيَّة وجماهيرُ المعتزلة وسائر أهل الأهواء.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطَّابية، وهم طائفة من الرافضة يشهدون لموافقيهم في المذهب بمجرد قولهم، فرد شهادتهم لهذا لبدعتهم.

وقال الكمالُ ابن الهمام: وحكم الخوارج عندَ جمهور الفقهاء والمحدثين حكم البغاة، وذهب بعض المحدثين إلىٰ كفرهم. قال ابن المنذر: ولا أعلم أحداً وافق أهل الحديث علىٰ تكفيرهم. وهذا يقتضي نقل إجماع الفقهاء. انظر "حاشية ابن عابدين" (٦/ ٤١٣).

قلت: ومع ذلك المسألة خلافية بين أهل السنة والجماعة والشاهد مما ذكرت التفصيل في البدع بين مكفرة وما هو دون الكفر.

ومما يدل على التفصيل في هذا الباب الرواية عن أهل البدع

فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهم من أئمة السنة أحاديث كثيرة: من رواية أهل البدع فلو كانوا يعتقدونهم كفارًا ما رووا عنهم ولا أخرجوا لهم في كتبهم

وفي كتاب منهج الإمام البخاري (ص: ١٠٢): مذاهب العلماء في الرواية عن أهل البدع والأهواء:

اختلف العلماء من أئمة الحديث ونقاده في حكم الرواية عن أهل البدع والأهواء، اختلافًا كثيراً وخاصة عند المتأخرين منهم. وقد تباينت أنظارهم تباينًا واضحًا، فمنهم من ذهب إلىٰ رد رواية المبتدع رداً كاملاً ولم يقبلها سواء أكان هؤلاء من الغالين أم من غير الغالين، من الدعاة أغيرهم، ومنهم من قبلها حتىٰ من الغالين، والدعاة منهم، وسأذكر تفصيل ذلك حسب نوعي البدعة.

أما بالنسبة للمبتدعة الذين بدعتهم مكفرة. فللعلماء في رواياتهم ثلاثة مذاهب:

الأول: القبول مطلقًا وإن كانوا كفاراً أو فساقًا بالتأويل، إليه ذهب جماعة من أهل النقل والمتكلمين.

الثاني: يقبل خبرهم إذا كانوا يعتقدون حرمة الكذب، وقد ذهب إليه جماعة من الأصوليين، كأبي الحسن البصري المعتزلي وفخر الدين الرازي، والبيضاوي.

الثالث: الرد مطلقًا، وقد حكىٰ النووي الاتفاق علىٰ أن المكفرين ببدعهم لا يحتج بهم ولا تقبل روايتهم وما سبق ينقض قوله.

وقد حقق الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المسألة وأتىٰ فيها بقول فصل موافق لما عليه أئمة الحديث ونقاده فقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: "والتحقيق أنه لا يرد كل مكفر ببدعته، لأن كل طائفة تدعي أن مخالفيها مبتدعة، وقد تبالغ فتكفر مخالفيها، فلو أخذ علىٰ الإطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف. فالمعتمد: أن الذي ترد روايته: من أنكر أمراً متواتراً

من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة، وكذا من اعتقد عكسه، فأما من لم يكن بهذه الصفة وانضم إلىٰ ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه وتقواه، فلا مانع من قبوله "

وأما بالنسبة للمبتدعة الذين لم يكفروا ببدعتهم. فللعلماء في رواياتهم خمسة مذاهب:

الأول: الرد مطلقاً: وممن ذهب إليه مالك بن أنس، وابن عُيينة، والحميدي، ويونس بن أبي إسحاق، وعلي بن حرب، وقد وجه الحافظ ابن رجب هذا المذهب بقوله: " والمانعون من الرواية، لهم مأخذان: أحدهما تكفير أهل الأهواء وتفسيقهم، وفيه خلاف مشهور. والثاني: الإهانة لهم، والهجران، والعقوبة بترك الرواية عنهم، وإن لم نحكم بكفرهم أو فسقهم. ولهذا مأخذ ثالث: وهو أن الهوىٰ والبدعة لا يؤمن معه الكذب ولا سيما إذا كانت الرواية مما تعضد هوىٰ الراوي ".

الثاني: يحتج بهم إن لم يكونوا يستحلون الكذب في نصرة مذهبهم، سواء أكانوا دعاة أم لا، وممن قال به الشافعي وابن أبي ليلىٰ وسفيان الثوري وروي عن أبي يوسف وأبي حنيفة، وحكاه الحاكم في المدخل عن أكثر أئمة الحديث.

الثالث: تقبل رواية المبتدع إذا كان مرويه مما يشتمل علىٰ ما ترد به بدعته، وذلك لبعده حينئذ عن تهمة الكذب.

الرابع: تقبل روايته إذا كانت بدعته صغرىٰ، وإذا كانت كبرىٰ فلا تقبل فالبدعة الصغرىٰ كالتشيع بلا غلو ولا تحرق، والكبرىٰ كالتشيع مع الغلو والطعن وسب الصحابة.

الخامس: تقبل أخبار غير الدعاة إلىٰ بدعهم، وترد أخبار الدعاة منهم، وقد صرح الخطيب وغيره بأنه مذهب الكثير من العلماء.

بعد أن سردت أقوال الأئمة ومذاهبهم في الرواية عن أهل البدع والأهواء، فقد تبين أن مذاهبهم متباينة جداً. امتزجت فيها أقوال المحدثين بآراء علماء الكلام

والأصول. فلا بد من استجلاء الموقف العملي للمحدثين من خلال مصنفاتهم، ومن هؤلاء الإمام البخاري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فكيف تعامل مع روايات أهل البدع في صحيحه؟

إذا تأملنا رجال البخاري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: نجد جملة كبيرة منهم قد رموا ببدع اعتقادية مختلفة وقد أورد الحافظ في " هدي الساري " من رمي من رجال البخاري بطعن في الاعتقاد فبلغوا (٦٩) راويـًا، ومن خلال التتبع لهؤلاء الرواة يمكن أن نستخلص المعايير التي اعتمدها البخاري في الرواية عن أهل البدع ويمكن أن نجملها في النقاط التالية:

- ليس فيهم من بدعتهم مكفرة.
- أكثرهم لم يكن داعية إلىٰ بدعته، أو كان داعية ثم تاب.
- أكثر ما يروي لهم في المتابعات والشواهد.
- أحيانـًا يروىٰ لهم في الأصول لكن بمتابعة غيرهم لهم.
- كثير منهم لم يصح ما رموا به.

إذن فالعبرة إنما هي صدق اللهجة، وإتقان الحفظ، وخاصة إذا انفرد المبتدع بشيء ليس عند غيره.

وما ذهب إليه البخاري هو مذهب كثير من المحدثين، ومن هؤلاء تلميذه وخريجه الإمام مسلم، فقد روىٰ في صحيحه عن أهل البدع والأهواء المعروفين بالصدق والإتقان، وخاصة إذا انضم إلىٰ ذلك الورع والتقوىٰ، وما ذهب إليه الشيخان هو رأي أكثر الأئمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وإنما توقف من توقف منهم في الرواية عن أهل البدع إما لأنه لم يتبين لهم صدقهم، أو أرادوا محاصرة البدعة وإخمادها حتىٰ لا تفشوا، ولكن شاء الله تعالىٰ أن تكثر البدع وتفشو، وتبناها كثير من العلماء والفقهاء والعباد فلم يكن من المصلحة ترك

رواياتهم، لأن في تركها، اندراساً للعلم، تضييعاً للسنن. فكانت المصلحة الشرعية تقتضي قبولها ما داموا ملتزمين بالصدق والأمانة.

قال الخطيب البغدادي - بعد أن ذكر أسماء كثير من الرواة احتج بهم وهم منسوبون إلى بدع اعتقادية مختلفة: ". دون أهل العلم قديماً وحديثاً رواياتهم واحتجوا بأخبارهم، فصار ذلك كالإجماع منهم، وهو أكبر الحجج في هذا الباب وبه يقوىٰ الظن في مقارنة الصواب ".

وقال علي بن المديني: "لو تركت أهل البصرة لحال القدر، ولو تركت أهل الكوفة لذلك الرأي خربت الكتب " انتهىٰ المراد.

بيان ما أستُدل به على أن كل بدعة كفر

أستدل القائل بتكفير أهل البدع عامة بعدة أدلة منها:

١- قول الله تعالىٰ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، قال: والشاهد من الآية هو: أن البدعة تشريع والتشريع كفر بإجماع أهل العلم.

٢- وبقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥] قال: والشاهد هو: أن التشريع في الدين هو ابتغاء الدين الآخر غير الإسلام سواء كان يهودي أو نصراني أو مجوسي أو غيره من الأديان الباطلة.

٣- وبقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩]

٤- ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣] قال: والشاهد من هذه الآية هو: أن الله جعل الشرك والبدعة قرينين بقوله: وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا

٥- وبقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣] قال: والشاهد من هذه الآية: أن الاستدراك على الله وإتهام الإسلام بالنقص والزيادة واتهام الرسول بالخيانة وإلحاق الصحابة بعدم كمال دينهم كلها كفر.

وغير ذلك مما لا دلالة له فيها أصلا لما ذهب إليه سوىٰ النقل فالأدلة صحيحة والاستدلال غير صحيح ومما ذكره قول الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣

ﭐلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] وقوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر: ٦٥] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ [محمد: ٣٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣].

الجواب:

هذه أدلة عامة ليست بصريحة في تكفير أصحاب البدع مطلقا ونزولها في حق الكفار ولا بأس من الاستلال بعمومها في التحذير من البدع والمعاصي لكن الحكم بمنطوقها علىٰ كل أحد ليس بصحيح وفي الصحيحين ما يدل علىٰ جواز الاستدلال بالعموم فعن عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ [الكهف: ٥٤].

وفي الصحيحين: عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَىٰ غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ».

فكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكم عليه بأن فيه جاهليه دل علىٰ أن المعاصي من أمر الجاهلية وليس معنىٰ ذلك أن كل معصية كفر وبهذا بوب البخاري بقوله: بَابٌ: المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. انتهىٰ

وقوله: **والشاهد من هذه الآية**: أن الاستدراك علىٰ الله وإتهام الإسلام بالنقص والزيادة واتهام الرسول بالخيانة وإلحاق الصحابة بعدم كمال دينهم كلها كفر. انتهىٰ

* أقول: هذا لازم صنيع المبتدعة وليس قولهم فتنبه لذلك هداك الله والقاعدة عند أهل العلم والدين أن لازم القول ليس بقول حتىٰ يلتزم به صاحبه.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في: "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى" (ص: ١٢): وأما اللازم من قول أحد سوىٰ قول الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فله ثلاث حالات:

الأولى: أن يذكر للقائل ويلتزم به. مثل أن يقول: من ينفي الصفات الفعلية لمن يثبتها، يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله عَزَّوَجَلَّ أن يكون من أفعاله ما هو حادث. فيقول المثبت: نعم، وأنا ألتزم بذلك، فإن الله تعالىٰ لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد، ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ وقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾.

وحدوث آحاد فعله تعالىٰ لا يستلزم نقصا في حقه.

الحال الثانية: أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله. مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها: يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالىٰ مشابها للخلق في صفاته.

فيقول المثبت: لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه، لم تذكر مطلقة حتىٰ يمكن ما ألزمت به، وعلىٰ هذا فتكون مختصة به لائقة به، كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله تعالىٰ ذاتا وتمنع أن يكون مشابها للخلق في ذاته، فأي فرق بين الذات والصفات؟.

وحكم اللازم في هاتين الحالين ظاهر.

الحال الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتا عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع، فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلىٰ القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لازمه وبطلانه أن يرجع عن قوله، لأن فساد اللازم يدل علىٰ فساد الملزوم.

ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول. فإن قيل: إذا كان هذا اللازم لازمًا من قوله، لزم أن يكون قولا له؛ لأن ذلك هو الأصل، لا سيما مع قرب التلازم. **قلنا**: هذا مدفوع بأن الإنسان بشر وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه ونحو ذلك. انتهىٰ

ولهذا تجد أن السلف رضوان الله عليهم يشنعون علىٰ أهل البدع ولا يكفرونهم.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٨): وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا أَنَّ مَذَاهِبَ الْأَئِمَّةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى هَذَا التَّفْصِيلِ بَيْنَ النَّوْعِ وَالْعَيْنِ وَلِهَذَا حَكَىٰ طَائِفَةٌ عَنْهُمْ الْخِلَافَ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَفْهَمُوا غَوْرَ قَوْلِهِمْ فَطَائِفَةٌ تَحْكِي عَنْ أَحْمَد فِي تَكْفِيرِ أَهْلِ الْبِدَعِ رِوَايَتَيْنِ مُطْلَقًا حَتَّىٰ تَجْعَلَ الْخِلَافَ فِي تَكْفِيرِ الْمُرْجِئَةِ وَالشِّيعَةِ الْمُفَضِّلَةِ لِعَلِيٍّ وَرُبَّمَا رَجَّحَتْ التَّكْفِيرَ وَالتَّخْلِيدَ فِي النَّارِ وَلَيْسَ هَذَا مَذْهَبَ أَحْمَد وَلَا غَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ بَلْ لَا يَخْتَلِفُ قَوْلُهُ أَنَّهُ لَا يُكَفِّرُ الْمُرْجِئَةَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ وَلَا يُكَفِّرُ مَنْ يُفَضِّلُ عَلِيًّا عَلَىٰ عُثْمَانَ بَلْ نُصُوصُهُ صَرِيحَةٌ بِالِامْتِنَاعِ مِنْ تَكْفِيرِ

الْخَوَارِجِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ. وَإِنَّمَا كَانَ يُكَفِّرُ الْجَهْمِيَّةَ الْمُنْكِرِينَ لِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ؛ لِأَنَّ مُنَاقَضَةَ أَقْوَالِهِمْ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهِرَةٌ بَيِّنَةٌ: وَلِأَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ تَعْطِيلُ الْخَالِقِ وَكَانَ قَدْ ابْتُلِيَ بِهِمْ حَتَّىٰ عَرَفَ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ وَأَنَّهُ يَدُورُ عَلَىٰ التَّعْطِيلِ وَتَكْفِيرُ الْجَهْمِيَّةِ مَشْهُورٌ عَنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ. لَكِنْ مَا كَانَ يَكْفُرُ أَعْيَانُهُمْ فَإِنَّ الَّذِي يَدْعُو إِلَىٰ الْقَوْلِ أَعْظَمُ مِنْ الَّذِي يَقُولُ بِهِ وَالَّذِي يُعَاقِبُ مُخَالِفَهُ أَعْظَمُ مِنْ الَّذِي يَدْعُو فَقَطْ وَالَّذِي يُكَفِّرُ مُخَالِفَهُ أَعْظَمُ مِنْ الَّذِي يُعَاقِبُهُ وَمَعَ هَذَا فَالَّذِينَ كَانُوا مِنْ وُلَاةِ الْأُمُورِ يَقُولُونَ بِقَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ: إنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ وَإِنَّ اللهَ لَا يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَىٰ ذَلِكَ ويمتحنونهم وَيُعَاقِبُونَهُمْ إذَا لَمْ يُجِيبُوهُمْ وَيُكَفِّرُونَ مَنْ لَمْ يُجِبْهُمْ. حَتَّىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا إذَا أَمْسَكُوا الْأَسِيرَ لَمْ يُطْلِقُوهُ حَتَّىٰ يُقِرَّ بِقَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ: إنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَلَا يُوَلُّونَ مُتَوَلِّيًا وَلَا يُعْطُونَ رِزْقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ إلَّا لِمَنْ يَقُولُ ذَلِكَ وَمَعَ هَذَا فَالْإِمَامُ أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ تَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُمْ لِمَنْ يُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ لِلرَّسُولِ وَلَا جَاحِدُونَ لِمَا جَاءَ بِهِ وَلَكِنْ تَأَوَّلُوا فَأَخْطَئُوا وَقَلَّدُوا مَنْ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ الشَّافِعِيُّ لَمَّا قَالَ لِحَفْصِ الْفَرْدِ حِينَ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ: كَفَرْت بِاَللهِ الْعَظِيمِ. بَيَّنَ لَهُ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كُفْرٌ وَلَمْ يَحْكُمْ بِرِدَّةِ حَفْصٍ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ بِهَا وَلَوْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ مُرْتَدٌّ لَسَعَىٰ فِي قَتْلِهِ وَقَدْ صَرَّحَ فِي كُتُبِهِ بِقَبُولِ شَهَادَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالصَّلَاةِ خَلْفَهُمْ. وَكَذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَد فِي الْقَدَرِيِّ: إنْ جَحَدَ عِلْمَ اللهِ كَفَرَ وَلَفْظُ بَعْضِهِمْ نَاظِرُوا الْقَدَرِيَّةَ بِالْعِلْمِ فَإِنْ أَقَرُّوا بِهِ خَصِمُوا وَإِنْ جَحَدُوهُ كَفَرُوا. وَسُئِلَ أَحْمَد عَنْ الْقَدَرِيِّ: هَلْ يَكْفُرُ؟ فَقَالَ: إنْ جَحَدَ الْعِلْمَ كَفَرَ وَحِينَئِذٍ فَجَاحِدُ الْعِلْمِ هُوَ مِنْ جِنْسِ الْجَهْمِيَّةِ. وَأَمَّا قَتْلُ الدَّاعِيَةِ إلَى الْبِدَعِ فَقَدْ يُقْتَلُ لِكَفِّ ضَرَرِهِ عَنْ النَّاسِ كَمَا يُقْتَلُ الْمُحَارِبُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كُفْرًا فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ أُمِرَ بِقَتْلِهِ يَكُونُ قَتْلُهُ لِرِدَّتِهِ

وَعَلَىٰ هَذَا قُتِلَ غَيْلَانُ الْقَدَرِيُّ وَغَيْرُهُ قَدْ يَكُونُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ. وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ مَبْسُوطَةٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَإِنَّمَا نَبَّهْنَا عَلَيْهَا تَنْبِيهًا. انتهىٰ

بيان معنى حديث الافتراق

قال ابن الأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة (ص: ٤٧):

حَدِيث افْتِرَاق الْأمة ورد من طرق عديدة سَاقهَا ابْن الْأَثِير يرَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي جَامع الْأُصُول فَقَالَ: أخرج أَبُو دَاوُد عَن مُعَاوِيَة قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلا إِن من قبلكُمْ من أهل الْكتاب افْتَرَقُوا على ثِنْتَيْنِ وَسبعين مِلَّة وَإِن هَذِه الْأمة ستفترق على ثَلَاث وَسبعين ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّار وَوَاحِدَة فِي الْجنَّة وَهِي الْجَمَاعَة».

وَأخرج أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ: عَن أبي هُرَيْرَة: أَن رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَفَرَّقت الْيَهُود على إِحْدَى وَسبعين فرقة أَو اثْنَتَيْنِ وَسبعين وَالنَّصَارَى مثل ذَلِك وَسَتَفْتَرِقُ أمتِي على ثَلَاث وَسبعين فرقة».

وَفِي رِوَايَة أبي دَاوُد: «وَتَفَرَّقَتْ النَّصَارَى على إِحْدَى وَسبعين أَو اثْنَيْنِ وَسبعين فرقة»، وَذكر الحَدِيث وَقَالَ: حسن صَحِيح، وَأخرج التِّرْمِذِيّ عَن ابْن عَمْرو بن الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليَأْتِيَن على أمتِي مَا أَتَى على بني إِسْرَائِيل حذوا النَّعْل بالنعل حَتَّى إِن كَانَ مِنْهُم من أَتَى أمة عَلَانيَة ليَكُون فِي أمتِي من يصنع ذَلِك، وَإِن بني إِسْرَائِيل تفرّقت على ثِنْتَيْنِ وَسبعين مِلَّة وَسَتَفْتَرِقُ أمتِي على ثَلَاث وَسبعين مِلَّة كلهَا فِي النَّار إِلَّا وَاحِدَة»، قَالُوا: من هِيَ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «من كَانَ على مَا أَنا عَلَيْهِ وأصحابي» أخرجه التِّرْمِذِيّ وَقَالَ: غَرِيب.

وَأخرج ابْن ماجة مثل ذَلِك: عَن عَوْف بن مَالك وَأنس انْتهى مَا سَاقه ابْن الْأَثِير فِي الْجُزْء الثَّالِث فِي حرف الْفَاء.

إِذا عرفت هَذَا فَالْحَدِيث قد اسْتشْكل من جِهَتَيْنِ الْجِهَة الأولى مَا فِيهِ من الحكم على الْأَكْثَر بِالْهَلَاكِ والكون فِي النَّار وَذَلِكَ يُنَافِي الْأَحَادِيث الْوَارِدَة فِي الْأمة بِأَنَّهَا أمة مَرْحُومَة وبأنها أَكثر الْأُمَم فِي الْجنَّة مِنْهَا حَدِيث أنس عَنهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمتِي أمة

مَرْحُومَة مغْفُور لَهَا متاب عَلَيْهَا وَغيره مِمَّا مليت بِهِ كتب السّنة من الْأَحَادِيث الدَّالَّة علىٰ سَعَة رَحْمَة الله لَهَا وَلَو سردناها لطال الْكَلَام.

وَلما كَانَ حَدِيث الِافْتِرَاق مُشكلا كَمَا ترىٰ أجَاب بَعضهم بِأَن المُرَاد بالأمة فِيهِ أمة الدعْوَة لَا أمة الْإِجَابَة يَعْنِي أَن الْأمة الَّتِي دَعَاهَا رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الْإِيمَان بِاللَّه وَالْإِقْرَار بوحدانيته هِيَ المفترقة إِلَىٰ تِلْكَ الفرق وَأَن أمة الْإِجَابَة هِيَ الْفرْقَة النَّاجِية يُرِيد بهَا من آمن بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا إِشْكَال وَهَذَا جَوَاب حسن لَوْلَا أَن يبعده وُجُوه:

الأول: أَن لفظ: «أمتِي» حَيْثُ جَاءَ فِي كَلَامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُرَاد بِهِ إِلَّا أمة الْإِجَابَة غَالِبا كَحَدِيث أمتِي أمة مَرْحُومَة وَحَدِيث لاتزال طَائِفَة من أمتِي، وَحَدِيث أمتِي هَذِه أمة مَرْحُومَة لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَاب فِي الْآخِرَة، وَحَدِيث إِذا وضع السَّيْف فِي أمتِي وَحَدِيث لَيَكُونن من أمتِي قوم يستحلُّونَ الْخَزّ، وَغير ذَلِك مِمَّا لَا يُحْصىٰ فالأمة فِي كَلَامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ أطلقت لَا تحمل إِلَّا علىٰ مَا تعورف مِنْهَا وعهد بلفظها وَلَا تحمل علىٰ خِلَافه وَإِن جَاءَ نَادرًا.

الثَّانِي: قَوْله: «سَتَفْتَرِقُ» بالسِّين الدَّالَّة علىٰ أَن ذَلِك أَمر مُسْتَقْبل.

الثَّالِث: قَوْله: «ليَأْتِيَن على أمتِي» فَإِنَّهُ إِخْبَار بِمَا سَيكون وَيحدث وَلَو جَعَلْنَاهُ إِخْبَارًا يَنْتَهِي بافتراق الْمُشْركين فِي الْمُسْتَقْبل لما كَانَ فِيهِ فَائِدَة إِذْ هم علىٰ ضَلَالَة وهلاك اجْتَمعُوا أَو افْتَرَقُوا.

الرَّابِع: «قرنهم» بطائفتي الْيَهُود وَالنَّصَارَىٰ فَإِن المفترقين منهما هم طائفتا الْإِجَابَة لظَاهِر قَوْله تَعَالَىٰ وَمَا تفرق الَّذين أُوتُوا الْكتاب إِلَّا من بعد مَا جَاءَتْهُم الْبَيِّنَة، وَقَوله تَعَالَىٰ وَمَا اخْتلف فِيهِ إِلَّا الَّذين أوتوه من بعد مَا جَاءَتْهُم الْبَينَات، وَقَوله: وَمَا اخْتلف الَّذين أُوتُوا الْكتاب إِلَّا من بعد مَا جَاءَهُم الْعلم، وَقَوله تَعَالَىٰ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِين تفرقُوا وَاخْتلفُوا من بعد مَا جَاءَهُم الْبَينَات.

الْخَامِس: مَا أخرجه التِّرمِذِيّ عَن أبي وَاقد اللَّيْثِيّ: أَن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما خرج إِلَىٰ غَزْوَة حنين مر بشجرة للْمُشْرِكين كَانُوا يعلقون عَلَيْهَا أسلحتهم يُقَال لَهَا ذَات أنواط، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله اجْعَل لنا ذَات أنواط كَمَا لَهُم ذَات أنوط، فَقَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ الله» إِلَىٰ أَن قَالَ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لتركبن سنَن من قبلكُمْ»، وَهَذَا خطاب لمن خاطبه من أمة الْإِجَابَة قطعا وَالَّذِي يظْهر لي فِي ذَلِك أجوبة أَحدهَا أَنه يجوز أَن هَذِه الْفرق الْمَحْكُوم عَلَيْهَا بِالْهَلَاكِ قَليلَة الْعدَد لَا يكون مجموعها أَكثر من الْفرْقَة النَّاجِية فَلَا يتم أكثرية الْهَلَاك فَلَا يرد الْإِشْكَال و إِن قيل يمْنَع عَن هَذَا أَنه خلاف الظَّاهِر من ذكر كَثْرَة عدد فرق الْهَلَاك فَإِن الظَّاهِر انهم أَكثر عددا قلت لَيْسَ ذكر الْعدَد فِي الحَدِيث لبَيَان كَثْرَة الهالكين وَإِنَّمَا هُوَ لبَيَان اتساع طرق الظلال وشعبها ووحدة طَرِيق الْحق نَظِير ذَلِك مَا ذكره أَئِمَّة التَّفْسِير فِي قَوْله وَلَا تتبعوا السبل فَتفرق بكم عَن سَبيله؛ أَنه جمع السبل الْمنْهِي عَن اتباعها لبَيَان شعب طرق الضلال وَكَثْرَتهَا وسعتها وأفرد سَبِيل الْهدى وَالْحق لوحدته وَعدم تعدده.

وَثَانِيها: أَن الحكم علىٰ تِلْكَ الْفرق بِالْهَلَاكِ والكون فِي النَّار حكم عَلَيْهَا بِاعْتِبَار ظَاهر أعمالهَا وتفريطها كَأَنَّهُ قيل كلهَا هالكة بِاعْتِبَار ظَاهر أعمالهَا مَحْكُوم عَلَيْهَا بِالْهَلَاكِ وَكَونهَا فِي النَّار، وَلَا يُنَافِي ذَلِك كَونهَا مَرْحُومَة بِاعْتِبَار آخر من رَحْمَة الله لَهَا وشفاعة نبيها وشفاعة صالحيها لطالحيها.

والفرقة النَّاجِية وَإِن كَانَت مفتقرة إِلَىٰ رَحْمَة الله لَكِنَّهَا بِاعْتِبَار ظَاهر أعمالهَا يحكم لَهَا بالنجاة لإتيانها بِمَا أمرت بِهِ وانتهائها عَمَّا نهيت عَنهُ

وَثَالِثهَا: أَن ذَلِك الحكم مَشْرُوط بِعَدَمِ عقابها فِي الدُّنْيَا وَقد دلّ علىٰ عقابها فِي الدُّنْيَا حَدِيث أمتِي هَذِه أمة مَرْحُومَة لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَاب فِي الْآخِرَة إِنَّمَا عذابها فِي الدُّنْيَا الْفِتَن والزلازل وَالْقَتْل والبلايا أخرجه الطَّبَرَانِيّ فِي الْكَبِير وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب

الْإِيمَان عَن أبي مُوسَىٰ فَيكون حَدِيث الافتراق مُقَيّدا بِهَذَا الحَدِيث فِي قَوْله كلهَا هالكة مَا لم تعاقب فِي الدُّنْيَا لَكِنَّهَا تعاقب فِي الدُّنْيَا فَلَيْسَتْ بهالكة وَرَابِعهَا أَن الْإِشْكَال فِي حَدِيث الافتراق إِنَّمَا نَشأ من جعل الْقَضِيَّة الحاكمة بِهِ وبالهلاك دائمة بِمَعْنىٰ أَن الافتراق فِي هَذِه الْأمة وهلاك من يهْلك مِنْهَا دَائِم مُسْتَمر من زمن تكلمه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْجُمْلَة إِلَىٰ قيام السَّاعَة وَبِذَلِك تتَحَقَّق أكثرية الهالكين وأقلية الناجين فَيتم الْإِشْكَال

وَالْحق أَن الْقَضِيَّة حينية يَعْنِي أَن ثُبُوت الافتراق للْأمة والهلاك لمن يهْلك ثَبت فِي حِين من الأحيان وزمن من الْأَزْمَان يدل علىٰ أَن المُرَاد ذَلِك وُجُوه:

الأول: قَوْله سَتَفْتَرِقُ الدَّال علىٰ الِاسْتِقْبَال لتحلية الْمُضَارع بِالسِّين الثَّانِي قَوْله ليَأْتِيَن علىٰ أمتِي فَإِنَّهُ إِخْبَار بِأَمْر مُسْتَقْبل الثَّالِث قَوْله مَا أَنا عَلَيْهِ وأصحابي فَإِن أَصْحَابه من

مُسَمّىٰ أمته بِلَا خلاف وَقد حكم عَلَيْهِم بِأَنَّهُم أمة وَاحِدَة وَأَنَّهُمْ الناجون وَأَن من كَانَ علىٰ مَا هم عَلَيْهِ هم الناجون فَلَو جعلنَا الْقَضِيَّة دائمة من حِين التَّكَلُّم بهَا للَزِمَ أَن تكون تِلْكَ الْفرق كائنة فِي أَصْحَابه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهلم جرا وَقد صرح الحَدِيث نَفسه بِخِلَاف ذَلِك فَإِذا ظهر لَك أَن الحكم بالافتراق والهلاك إِنَّمَا هُوَ فِي حِين من الأحيان وزمن من الْأَزْمَان لم يلْزم أكثرية الْهَلَاك وأقلية الناجين وَهَذَا الْجَواب بِحَمْد الله وَالَّذِي قبله جيده لَا غُبَار عَلَيْهَا إِن قلت يجوز أَن يكون زمن الافتراق أطول من زمن خِلَافه فَيكون أَهله أَكثر فَيكون الهالكون أَكثر من الناجين قلت أَحَادِيث سَعَة الرَّحْمَة وأكثرية الداخلين من هَذِه الْأمة إِلَىٰ الْجنَّة قد دلّت علىٰ أَن الهالكين أقل وَذَلِكَ لقصر حينهم المتفرع عَلَيْهِ قلتهم بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ أزمنة خِلَافه المتطاولة وَكَلَام رَسُول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْتِيهِ التَّنَاقُض من بَين يَدَيْهِ وَلَا من خَلفه فَلَا بُد من الْجمع بَين مَا يُوهم التَّنَاقُض وَقد تمّ الْجمع بِهَذَا الْوَجْه وَمَا قبله فَتعين الْمصير إِلَيْهَا هَذَا وَلَا يبعد

أَن ذَلِك الْحِين وَالزَّمَان هُوَ آخر الدَّهْر الَّذِي وَردت الْأَحَادِيث بفساده وفشو الْبَاطِل فِيهِ وخفاء الْحق وَأَن الْقَابِض فِيهِ علىٰ دينه كالقابض علىٰ الْجَمْرَة وَأَنه الزَّمَان الَّذِي يصبح فِيهِ الرجل مُؤمنا ويمسي كَافِرًا وَأَنه زمَان غربَة الدّين، فَتلك الْأَحَادِيث الْوَارِدَة فِيهِ الَّتِي شحنت بهَا كتب السّنة قرائن دَالَّة علىٰ أَنه زمَان كَثْرَة الهالكين وزمان التَّفَرُّق والتدابر.

وَيحْتَمل أَيْضا أَن الِافْتِرَاق كَانَ من عبد الْقُرُون الْمَشْهُود لَهَا بالخيرية وَأَن فِي كل قرن بعْدهَا فرق من الهالكة وأكثرها فِي آخر الزَّمَان وَهَذَا جَوَاب جيد اسْتقل عَن الْإِشْكَال.

الْجِهَة الثَّانِيَة من جهتي الْإِشْكَال فِي تعْيين الْفرْقَة النَّاجِية فقد تكلم النَّاس فِيهَا: كل فرقة تزْعم أَنَّهَا هِيَ الْفرْقَة النَّاجِية، ثمَّ قد تقيم بعض الْفرق علىٰ دَعْوَاهَا برهانًا أَوْهَىٰ من بَيت العنكبوت، وَمِنْهُم من يشْتَغل بتعداد الْفرق الْمُخَالفَة لما هُوَ عَلَيْهِ ويعمد إِلَىٰ مَا شذت بِهِ تِلْكَ من الْأَقْوَال فينقله عَنْهَا ليبين بذلك أَنَّهَا هالكة؛ لاعتمادها علىٰ تِلْكَ الْأَقْوَال، وَأَنه نَاجٍ بخلوصه عَنْهَا وَلَو فتش مَا انطوىٰ عَلَيْهِ لوجد عِنْده من المقالات مَا هُوَ أشنع من مقالات من خَالفه.

لَكِن عين الْمَرْء كليلة عَن عيب نَفسه وَبِالْجُمْلَةِ:

وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصْلًا لِلَيْلَىٰ ❁❁ وَلَيْلَىٰ لَا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَا

وَكَانَ الْأَحْسَن بالناظر فِي الحَدِيث أَن يَكْتَفِي بالتفسير النَّبَوِيّ لتِلْك الْفرْقَة فقد كَفاهُ ﷺ معلم الشَّرَائِع الْهَادِي إِلَىٰ كل خير ﷺ الْمُؤْنَة وَعين لَهُ الْفرْقَة النَّاجِية بِأَنَّهَا من كَانَ علىٰ مَا هُوَ ﷺ وَأَصْحَابه وَقد عرف بِحَمْد الله من لَهُ أدنىٰ همة فِي الدّين مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِي ﷺ وَأَصْحَابه وَنقل إِلَيْنَا أَقْوَالهم وأفعالهم حَتَّىٰ أكلهم وشربهم ونومهم ويقظتهم حَتَّىٰ كأنا رأيناهم رَأْي عين وَبعد ذَلِك فَمن رزقه الله إنصافًا من نَفسه وَجعله من أولي الْأَلْبَاب لَا يخفاه حَال

نَفسه أولا هَل هُوَ مُتبع لما كَانَ عَلَيْهِ النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابه أَو غير مُتبع، ثمَّ لَا يخفىٰ حَال غَيره من كل طَائِفَة هَل هِيَ متبعة أَو مبتدعة.

وَمن ادّعىٰ أَنه مُتبع للسّنة النَّبَوِيَّة متقيد بهَا يصدق دَعْوَاهُ أَقْوَاله وأفعاله أَو تكذبها فَإِن مَا كَانَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ظهر (بِحَمْد الله) لكل إِنْسَان فَلَا يُمكن التباس المبتدع بالمتبع وَعِنْدِي علىٰ تَقْرِير ذَلِك الْجَواب وَأَن زمن الِافْتِرَاق (والهلاك) هُوَ آخر الزَّمَان و أَنه لَا بعد فِي أَن الْفرْقَة النَّاجِية هم الغرباء الْمشَار إِلَيْهِم فِي الحَدِيث كَحَدِيث: «بَدَأَ الْإِسْلَام غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا فطوبى للغرباء» قيل وَمن هم يَا رَسُول الله قَالَ: «الَّذين يصلحون إِذا فسد النَّاس» وَفِي رِوَايَة: «الَّذين يفرون بدينهم من الْفِتَن» وَفِي رِوَايَة: «الَّذين يصلحون مَا أفسد النَّاس من سنتي»، وَفِي حَدِيث عبد الله بن عَمْرو قُلْنَا من الغرباء يَا رَسُول الله قَالَ: قوم صَالِحُونَ قَلِيل فِي نَاس سوء كثير من يعصيهم أَكثر مِمَّن يطيعهم وهم المرادون بحديث: «لَا تزَال طَائِفَة من أمتِي ظَاهِرين على الْحق لَا يضرهم من خالفهم أَو خذلهم حَتَّى يَأْتِي أَمر الله».

وهم المرادون بِمَا أخرجه الطَّبَرَانِيّ وَغَيره: عَن أبي أُمَامَة عَن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «إِن لكل شَيْء إقبالًا وإدباراً، وَإِن هَذَا الدّين إقبالًا وإدبارًا، وَإِن من إدبار الدّين مَا كُنْتُم عَلَيْهِ من الْعَمى والجهالة، وَمَا بَعَثَنِي الله بِهِ، وَإِن من إقبال الدّين أَن تفقه الْقَبِيلَة بأسرها حَتَّى لَا يُوجد فِيهَا إِلَّا الْفَاسِق والفاسقان فهما مقهوران ذليلان إِن تكلما قهرا وقمعا واضطهدا وَإِن من إدبار الدّين أَن تجفو الْقَبِيلَة بأسرها حَتَّى لَا يكون فِيهَا إِلَّا الْفَقِيه والفقيهان، وهما مقهوران ذليلان إِن تلما فأمرا بِالْمَعْرُوفِ ونهيا عَن الْمُنكر قمعا وقهرا واضطهدا فهما ذليلان لَا يجدان على ذَلِك أعوانًا وَلَا أنصارًا». انتهىٰ المراد

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح العقيدة السفارينية (١/ ٩٠): والأمة هنا منصوبة، يعني بان هذه الأمة سوف تفترق.

وقوله: (الأمة) المراد بالأمة هنا أمة الإجابة؛ لان أمة الدعوة تشمل اليهود والنصارىٰ والمشركين، لكن المراد بذلك أمة الإجابة الذين ينتسبون إلىٰ رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انتهىٰ

وقال الشيخ عبد المحسن العباد في الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال (ص: ٤٩): فقد بيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ أمَّةَ الإجابة ستفترق هذا التفرُّق الكثير، وأنَّه لا ينجو مِن العذاب إلاَّ مَن كان علىٰ ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُه، وهم الذين يتَّبعون الكتابَ والسنَّةَ وما كان عليه سلفُ الأُمَّة، وقد قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها". انتهىٰ

وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٧/ ٢١٨): وَكَذَلِكَ سَائِرُ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُنَافِقًا فَهُوَ كَافِرٌ فِي الْبَاطِنِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُنَافِقًا بَلْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاَللهِ وَرَسُولِهِ فِي الْبَاطِنِ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ أَخْطَأَ فِي التَّأْوِيلِ كَائِنًا مَا كَانَ خَطَؤُهُ؛ وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِهِمْ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ النِّفَاقِ وَلَا يَكُونُ فِيهِ النِّفَاقُ الَّذِي يَكُونُ صَاحِبُهُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ. وَمَنْ قَالَ: إنَّ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَكْفُرُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ فَقَدْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بَلْ وَإِجْمَاعَ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِ الْأَرْبَعَةِ فَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ كَفَّرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الثِّنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَإِنَّمَا يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِبَعْضِ الْمَقَالَاتِ كَمَا قَدْ بُسِطَ الْكَلَامُ عَلَيْهِمْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. انتهىٰ

معنى حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته

أخرج ابن أبي عاصم في السنة: (٣٧) وغيره عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ حَجَزَ - أَوْ قَالَ: حَجَبَ - التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ ".

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٠/ ٩): وَلِهَذَا قَالَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ كَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ إنَّ الْبِدْعَةَ أَحَبُّ إلَى إبْلِيسَ مِنْ الْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا وَالْمَعْصِيَةُ يُتَابُ مِنْهَا. وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ إنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا: أَنَّ الْمُبْتَدِعَ الَّذِي يَتَّخِذُ دِينًا لَمْ يُشَرِّعْهُ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ قَدْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَهُوَ لَا يَتُوبُ مَا دَامَ يَرَاهُ حَسَنًا لِأَنَّ أَوَّلَ التَّوْبَةِ الْعِلْمُ بِأَنَّ فِعْلَهُ سَيِّئٌ لِيَتُوبَ مِنْهُ. أَوْ بِأَنَّهُ تَرَكَ حَسَنًا مَأْمُورًا بِهِ أَمْرَ إيجَابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ لِيَتُوبَ وَيَفْعَلَهُ. فَمَا دَامَ يَرَى فِعْلَهُ حَسَنًا وَهُوَ سَيِّئٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّهُ لَا يَتُوبُ. وَلَكِنَّ التَّوْبَةَ مِنْهُ مُمْكِنَةٌ وَوَاقِعَةٌ بِأَنْ يَهْدِيَهُ اللهُ وَيُرْشِدَهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ كَمَا هَدَى سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مَنْ هَدَى مِنْ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَطَوَائِفَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ. انتهى.

وقال كما في مجموع الفتاوى (١١/ ٦٨٤): وَلِهَذَا قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ - مِنْهُمْ الثَّوْرِيُّ -: الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إلَى إبْلِيسَ مِنْ الْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا. وَهَذَا مَعْنَى مَا رُوِيَ عَنْ طَائِفَةٍ أَنَّهُمْ قَالُوا: إنَّ اللهَ حَجَرَ التَّوْبَةَ عَلَى كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَتُوبُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ يَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَى هُدًى وَلَوْ تَابَ لَتَابَ عَلَيْهِ كَمَا يَتُوبُ عَلَى الْكَافِرِ. وَمَنْ قَالَ: إنَّهُ لَا يُقْبَلُ تَوْبَةُ مُبْتَدِعٍ مُطْلَقًا فَقَدْ غَلِطَ غَلَطًا مُنْكَرًا. وَمَنْ قَالَ: مَا أَذِنَ اللهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ فِي تَوْبَةٍ. فَمَعْنَاهُ مَا دَامَ مُبْتَدِعًا يَرَاهَا حَسَنَةً لَا يَتُوبُ مِنْهَا فَأَمَّا إذَا أَرَاهُ اللهُ أَنَّهَا قَبِيحَةٌ فَإِنَّهُ يَتُوبُ مِنْهَا كَمَا يَرَى الْكَافِرُ أَنَّهُ عَلَى ضَلَالٍ؛ وَإِلَّا فَمَعْلُومٌ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ كَانَ عَلَى بِدْعَةٍ تَبَيَّنَ لَهُ ضَلَالُهَا وَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْهَا. وَهَؤُلَاءِ لَا يُحْصِيهِمْ إلَّا اللهُ. انتهى.

وفي المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٥٠): قال المروذي: سئل أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عما روي عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أن الله عَزَّ وَجَلَّ احتجز التوبة عن صاحب بدعة» وحجز التوبة أي شيء معناه؟ قال أحمد: لا يوفق ولا ييسر صاحب بدعة لتوبة، وقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [١٥٩/ ٦] فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «هم أهل البدع والأهواء ليست لهم توبة».

قال الشيخ تقي الدين: لأن اعتقاده لذلك يدعوه إلىٰ ألاَّ ينظر نظرًا تامًا إلىٰ دليل خلافه فلا يعرف الحق، ولهذا قال السلف: إن البدعة أحب إلىٰ إبليس من المعصية.
وقال أيوب السختياني وغيره: إن المبتدع لا يرجع.
وأيضًا التوبة من الاعتقاد الذي كثر ملازمة صاحبه له ومعرفته بحججه يحتاج إلىٰ ما يقارب ذلك من المعرفة والعلم والأدلة. انتهىٰ

تنبيه على أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧٩): ٧٤ - أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ، أنبا حَبِيبُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَزَّازُ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْرُوقٍ الطُّوسِيُّ، ثنا عَلِيُّ بْنُ قُدَامَةَ، ثنا مُجَاشِعُ بْنُ عَمْرٍو، ثنا مَيْسَرَةُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦] فَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأُولُو الْعِلْمِ، وَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ فَأَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَةِ ".
هذا أثر ضعيف، فيه: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْرُوقٍ الطُّوسِيُّ، قال الدارقطني: ليس بالقوي، يأتي بالمعضلات، وكذا علي بن قدامة ضعيف، ومجاشع بن عمرو قال

البخاري: مجاشع بن عمرو أبو يوسف منكر مجهول، وفيه ميسرة بن عبد ربه متهم بالوضع.

زعمهم بأن البدعة تشريع ولذلك كلها كفر

والصحيح: أن البدعة ليست رأيا مجردا لكنه رأي مستند إلىٰ الشرع مع ممازجة الهوىٰ وتقديم المتشابه علىٰ المحكم فوقعوا في الضلال.

لذلك قال الشاطبي في الاعتصام (١/ ٢٣٤): فصاحب البدعة لما غلب عليه الْهَوَىٰ مَعَ الْجَهْلِ بِطَرِيقِ السُّنَّةِ، تَوَهَّمَ أَنَّ مَا ظَهَرَ لَهُ بِعَقْلِهِ هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ دُونَ غَيْرِهِ، فَمَضَىٰ عَلَيْهِ، فَحَادَ بِسَبَبِهِ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، فَهُوَ ضَالٌّ مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ رَاكِبٌ لِلْجَادَّةِ، كَالْمَارِّ بِاللَّيْلِ عَلَىٰ الْجَادَّةِ وَلَيْسَ لَهُ دَلِيلٌ يَهْدِيهِ، يُوشِكُ أَنْ يَضِلَّ عنها، فيقع في متلفة، وَإِنْ كَانَ بِزَعْمِهِ يَتَحَرَّىٰ قَصْدَهَا.

فَالْمُبْتَدِعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِنَّمَا ضَلَّ فِي أَدِلَّتِهَا حَيْثُ أَخَذَهَا مَأْخَذَ الْهَوَىٰ وَالشَّهْوَةِ، لَا مَأْخَذَ الِانْقِيَادِ تَحْتَ أَحْكَامِ اللهِ. وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُبْتَدِعِ وَغَيْرِهِ، لِأَنَّ الْمُبْتَدِعَ جَعَلَ الْهَوَىٰ أَوَّلَ مَطَالِبِهِ، وَأَخَذَ الْأَدِلَّةَ بِالتَّبَعِ، وَمِنْ شَأْنِ الْأَدِلَّةِ أَنَّهَا جَارِيَةٌ عَلَىٰ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَمِنْ شَأْنِ كلامها الاحتراز فيه بالظواهر، فقلما تجد فيه نصـًا لا يحتمل حسبما قرره من تقدم في غير هذا الْعِلْمِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ يُمْكِنُ فِيهِ أَنْ يُصْرَفَ عَنْ مُقْتَضَاهُ فِي الظَّاهِرِ الْمَقْصُودِ، وَيُتَأَوَّلُ عَلَىٰ غَيْرِ مَا قُصِدَ فِيهِ. فَإِذَا انْضَمَّ إِلَىٰ ذَلِكَ الْجَهْلُ بِأُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَعَدَمُ الِاضْطِلَاعِ بِمَقَاصِدِهَا، كَانَ الْأَمْرُ أَشَدَّ وَأَقْرَبَ إِلَىٰ التَّحْرِيفِ وَالْخُرُوجِ عن مقاصد الشرع. فكان المدرك أعرق فِي الْخُرُوجِ عَنِ السُّنَّةِ، وَأَمْكَنُ فِي ضَلَالِ الْبِدْعَةِ، فَإِذَا غَلَبَ الْهَوَىٰ أَمْكَنَ انْقِيَادُ أَلْفَاظِ الْأَدِلَّةِ إِلَىٰ مَا أَرَادَ مِنْهَا.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّكَ لَا تَجِدُ مُبْتَدِعًا مِمَّنْ يُنْسَبُ إلىٰ الملة إِلَّا وَهُوَ يَسْتَشْهِدُ عَلَىٰ بِدْعَتِهِ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ، فَيُنْزِلُهُ عَلَىٰ مَا وَافَقَ عَقْلَهُ وَشَهْوَتَهُ، وَهُوَ أَمْرٌ ثَابِتٌ فِي الْحِكْمَةِ الْأَزَلِيَّةِ الَّتِي لَا مَرَدَّ لَهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾، وَقَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ﴾، لَكِنْ إِنَّمَا يَنْسَاقُ لَهُمْ

مِنَ الْأَدِلَّةِ الْمُتَشَابِهُ مِنْهَا لَا الْوَاضِحُ، وَالْقَلِيلُ مِنْهَا لَا الْكَثِيرُ، وَهُوَ أَدَلُّ الدَّلِيلِ عَلَىٰ اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْمُعْظَمَ وَالْجُمْهُورَ مِنَ الْأَدِلَّةِ إِذَا دَلَّ عَلَىٰ أمر بظاهره فهو الحق، فإن جاء مَا ظَاهِرُهُ الْخِلَافُ فَهُوَ النَّادِرُ وَالْقَلِيلُ، فَكَانَ من حق الناظر رَدُّ الْقَلِيلِ إِلَىٰ الْكَثِيرِ، وَالْمُتَشَابِهِ إِلَىٰ الْوَاضِحِ، غَيْرَ أَنَّ الْهَوَىٰ زَاغَ بِمَنْ أَرَادَ اللهُ زَيْغَهُ، فَهُوَ فِي تِيهٍ، مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، بِخِلَافِ غَيْرِ الْمُبْتَدِعِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا جَعَلَ الْهِدَايَةَ إِلَىٰ الْحَقِّ أَوَّلَ مَطَالِبِهِ، وَأَخَّرَ هَوَاهُ. انتهىٰ

وقال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في الاعتصام (٢/ ٤١٣): فالعاصي وإن تعمد الْمَعْصِيَةَ لَمْ يَقْصِدْ بِتَعَمُّدِهِ الِاسْتِهَانَةَ بِالْجَانِبِ العَلِيِّ الرَّبَّانِيِّ، وإنما قَصَدَ اتِّبَاعَ شَهْوَتِهِ مَثَلًا فِيمَا جَعَلَهُ الشَّارِعُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا، فَيَقَعُ الإِثم عَلَىٰ حَسَبِهِ، كَمَا أَن الْبِدْعَةَ لَمْ يَقْصِدْ بِهَا صَاحِبُهَا مُنَازَعَةَ الشَّارِعِ وَلَا التَّهَاوُنَ بِالشَّرْعِ، وإنما قَصَدَ الْجَرْيَ عَلَىٰ مُقْتَضَاهُ، لَكِنْ بتأْويل زَادَهُ وَرَجَّحَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ، بِخِلَافِ مَا إِذا تَهَاوَنَ بِصِغَرِهَا فِي الشَّرْعِ فإِنه إِنما تَهَاوَنَ بِمُخَالَفَةِ الْمَلِكِ الْحَقِّ، لأَن النَّهْيَ حَاصِلٌ، وَمُخَالَفَتُهُ حَاصِلَةٌ، وَالتَّهَاوُنُ بِهَا عَظِيمٌ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: "لَا تَنْظُرْ إِلىٰ صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَانْظُرْ إِلىٰ عَظَمَةِ من واجهته بها". انتهىٰ

وقال في الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٥): فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَالْمُبْتَدِعُ إِنَّمَا مَحْصُولُ قَوْلِهِ بِلِسَانِ حَالِهِ أَوْمَقَالِهِ: إِنَّ الشَّرِيعَةَ لَمْ تَتِمَّ، وَأَنَّهُ بَقِيَ مِنْهَا أَشْيَاءُ يَجِبُ أَوْ يُسْتَحَبُّ اسْتِدْرَاكُهَا، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُعْتَقِدًا لِكَمَالِهَا وَتَمَامِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، لَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَا اسْتَدْرَكَ عَلَيْهَا، وَقَائِلُ هَذَا ضَالٌّ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

قَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ: سَمِعْتُ مالكًا يقول: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا".

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْمُبْتَدِعَ مُعَانِدٌ لِلشَّرْعِ وَمَشَاقٌّ لَهُ؛ لِأَنَّ الشَّارِعَ قَدْ عيَّن لِمَطَالِبِ الْعَبْدِ طُرُقًا خَاصَّةً، عَلَىٰ وُجُوهٍ خَاصَّةٍ، وَقَصَرَ الْخَلْقَ عَلَيْهَا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْخَيْرَ فِيهَا، وَأَنَّ الشَّرَّ فِي تعدِّيها، إلىٰ غيرها؛ لِأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَرْسَلَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

فَالْمُبْتَدِعُ رَادٌّ هَذَا كُلِّهِ، فَإِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ ثَمَّ طُرُقًا أُخَر، لَيْسَ مَا حَصَرَهُ الشَّارِعُ بِمَحْصُورٍ، وَلَا مَا عَيَّنَهُ بمتعيِّن، وأن الشَّارِعَ يَعْلَمُ وَنَحْنُ أَيْضًا نَعْلَمُ، بَلْ رُبَّمَا يَفْهَمُ مِنِ اسْتِدْرَاكِهِ الطُّرُقَ عَلَىٰ الشَّارِعِ، أَنَّهُ عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ الشَّارِعُ.

وَهَذَا إِنْ كَانَ مَقْصُودًا لِلْمُبْتَدِعِ، فَهُوَ كُفْرٌ بِالشَّرِيعَةِ وَالشَّارِعِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَقْصُودٍ، فَهُوَ ضَلَالٌ مُبِينٌ. انتهى

تنبيه أن البدع أكبر من المعاصي:

البدعة في الجملة أكبر من المعصية وهنالك من المعاصي ما هي أكبر من بعض البدع ومع ذلك البدعة غير المكفرة ككبائر الذنوب كلها داخلة تحت المشيئة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وهذه الآية عامة في كل ذنب خلا الشرك بالله تعالىٰ علىٰ خلاف بين أهل العلم في الشرك الأصغر هل هو داخل تحت المشيئة أم غير داخل؟ **الصحيح**: أنه لايدخل تحت المشيئة؛ لعموم الآية، وقد فصلت القول في شرحي علىٰ كتاب التوحيد ولله الحمد.

قال الشاطبي في الاعتصام للشاطبي ت الشقير والحميد والصيني (٢/ ٣٥٤): وكل بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ". وَهَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ بِدْعَةٍ.

فَيَقَعُ السُّؤَالُ: هَلْ لَهَا حكمٌ وَاحِدٌ أَم لَا؟

فَنَقُولُ: ثَبَتَ فِي الأُصول أن الأَحكام الشرعية خمسة، يخرج عَنْهَا الثَّلَاثَةُ، فَيَبْقَىٰ حُكْمُ الْكَرَاهِيَةِ وَحُكْمُ التَّحْرِيمِ، فَاقْتَضَىٰ النَّظَرُ انْقِسَامَ الْبِدَعِ إِلَىٰ الْقِسْمَيْنِ؛ فَمِنْهَا بِدْعَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَمِنْهَا بِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ، وَذَلِكَ أَنها داخلة تحت جنس المنهيَّات؛ والمنهيات لا تعدو الكراهة أَو التحريم، فَالْبِدَعُ كَذَلِكَ. هَذَا وَجهٌ.

وَوَجْهٌ ثَانٍ: أَن البدع إذا تُؤُمِّل معقولُها وجدت رتبها مُتَفَاوِتَةً.

فَمِنْهَا مَا هُوَ كُفْرٌ صُرَاحٌ؛ كَبِدْعَةِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي نَبَّه عَلَيْهَا الْقُرْآنُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ (٧) الآية، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ﴾ وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، وَكَذَلِكَ بِدْعَةُ الْمُنَافِقِينَ حَيْثُ اتَّخَذُوا الدِّينَ ذَرِيعَةً لِحِفْظِ النَّفْسِ وَالْمَالِ، وَمَا أَشبه ذَلِكَ مِمَّا لا يُشَكّ أَنه كُفْرٌ صُرَاحٌ.

وَمِنْهَا: مَا هُوَ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي لَيْسَتْ بِكُفْرٍ، أَو يُخْتَلَفُ: هَلْ هِيَ كُفْرٌ أَم لَا! كَبِدْعَةِ الْخَوَارِجِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَمَنْ أَشبههم مِنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ.

ومنها: ما هو معصية ويُتَّفَقُ علىٰ أَنها ليست بِكُفْرٍ؛ كَبِدْعَةِ التَّبَتُّل، وَالصِّيَامِ قَائِمًا فِي الشَّمْسِ، والخِصَاءِ بِقَصْدِ قَطْعِ شَهْوَةِ الْجِمَاعِ.

وَمِنْهَا مَا هُوَ مَكْرُوهٌ كَمَا يَقُولُ مَالِكٌ فِي إِتباع رَمَضَانَ بستٍّ مِنْ شَوَّالَ، وقراءَة الْقُرْآنِ بالإدارة، وَالِاجْتِمَاعِ للدعاءِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، وَذِكْرُ السَّلَاطِينِ فِي خُطْبَةِ الْجُمْعَةِ ـ عَلَىٰ مَا قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الشَّافِعِيُّ، وَمَا أَشبه ذَلِكَ.

فَمَعْلُومٌ أَن هذه البدع ليست في رتبة واحدة، ولا علىٰ نسبة واحدة، فلا يصح علىٰ هَذَا أَن يُقَالَ: إِنها عَلَىٰ حُكْمٍ وَاحِدٍ، هُوَ الْكَرَاهَةُ فَقَطْ، أَو التَّحْرِيمُ فَقَط.

وَوَجْهٌ ثَالِثٌ: أَن الْمَعَاصِي مِنْهَا صَغَائِرُ، وَمِنْهَا كَبَائِرُ، وَيُعْرَفُ ذَلِك بِكَوْنِهَا وَاقِعَةً فِي الضَّرُورِيَّاتِ، أَوِ الْحَاجِيَّاتِ، أَو التَّكْمِيلِيَّاتِ، فَإِن كَانَتْ فِي الضَّرُورِيَّاتِ فهي أَعظم الكبائر، وإِن وقعت في التحسينيّات فَهِيَ أَدنىٰ رُتْبَةٍ بِلَا إِشكال، وإِن وَقَعَتْ في الحاجيّات فمتوسطة بين الرتبتين.

ثُمَّ إِن كُلَّ رُتْبَةٍ مِنْ هَذِهِ الرُّتَب لَهَا مُكَمِّل، وَلَا يُمْكِنُ فِي الْمُكَمِّل أَن يَكُونَ فِي رُتْبَةِ المكمَّل؛ فَإِن الْمُكَمِّل مَعَ الْمُكَمَّل فِي نِسْبَةِ الْوَسِيلَةِ مَعَ الْمَقْصِدِ، وَلَا تَبْلُغُ الْوَسِيلَةُ رُتْبَةَ الْمَقْصِدِ، فَقَدْ ظَهَرَ تَفَاوُتُ رُتَب المعاصي والمخالفات.

وأَيضـًا فإِن الضَّرُورِيَّاتِ إِذا تُؤُمِّلَتْ وُجِدَتْ عَلَىٰ مَرَاتِبَ فِي التأْكيد وَعَدَمِهِ، فَلَيْسَتْ مَرْتَبَةُ النَّفْسِ كَمَرْتَبَةِ الدِّينِ، ولذلك تُسْتَصْغَرُ حُرْمَةُ النَّفْسِ فِي جَنْبِ حُرْمَةِ الدِّينِ، فَيُبِيحُ الكفرُ الدمَ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَىٰ الدِّينِ مُبِيحٌ لِتَعْرِيضِ النَّفْسِ لِلْقَتْلِ والإِتلاف؛ فِي الأَمر بِمُجَاهَدَةِ الْكُفَّارِ وَالْمَارِقِينَ عَنِ الدِّين.

وَمَرْتَبَةُ الْعَقْلِ وَالْمَالِ لَيسَتْ كَمَرْتَبَةِ النَّفْسِ، أَلا تَرىٰ أَن قَتْلَ النفس يُبِيح القصاص بالقتل، بِخِلَافِ الْعَقْلِ وَالْمَالِ؟ وَكَذَلِك سَائِرُ مَا بَقِي.

وإِذا نُظِر فِي مَرْتَبَةِ النَّفْسِ تَبَايَنَتِ الْمَرَاتِبُ، فَلَيْسَ قَطْعُ الْعُضْوِ كَالذَّبْحِ، وَلَا الْخَدْشُ كَقَطْعِ الْعُضْوِ، وَهَذَا كله محلُّ بيانه الأُصول.

... وإِذا كَانَ كَذَلِكَ: فَالْبِدَعُ مِنْ جُمْلَةِ الْمَعَاصِي، وَقَدْ ثَبَتَ التَّفَاوُتُ فِي الْمَعَاصِي، فَكَذَلِكَ يُتَصَوَّر مِثْلُهُ فِي الْبِدَعِ. انتهىٰ

وجوب هجر أهل البدع

* قلت في كتابي: (الوسائل الجلية لنصرة الدعوة السلفية): العشرون: واتفقوا مع ذلك علىٰ قهر أهل البدع والتقرب إلىٰ الله بمجانبتهم ومهاجرتهم.

تقدم في الوسيلة السابقة بيان وجوب البعد عن مجالسة أهل البدع، وما ذلك إلا لأنها تؤدي إلىٰ انقطاع الداعي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن دعوته بسبب تأثره بالمجالس، وباب الهجر هو من باب النهي عن مجالسة أهل البدع والريب لكن أحببت أن أفرده لأن بعض الناس ربما ظن أن الهجر هو ترك المجالسة فقط.

وهذه الوسيلة من أنجح الوسائل في التحذير من المبطلين، ومن أعظم الأسباب لنصر الدعوة السلفية.

وأذكر أن الشيخ الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ لما رجع من السعودية إلىٰ صنعاء في رحلته العلاجية كان مما تكلم به في مجلسه الحث علىٰ التميز والبعد عن أهل البدع، فلما كان بعد صلاة الفجر ذلك اليوم قام بكلمة مختصرة قال فيها: عليكم بالتميز، ما نصر الله دعوتنا إلا بالتميز، أي مجانبة أهل البدع وهجرهم والتبرء منهم.

وهجر المسلم محرم بالسنة والإجماع، وإنما استثني منه الهجر لأهل البدع والريب والمعاصي بضوابطها، لما في ذلك من المصلحة الدينية والدنيوية.

فقد هجر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نساءه، قال الخطابي في "معالم السنن" (٢/١٢٢): وأما هجران الوالد والولد والزوج والزوجة ومن كان في معناهما فلا يضيق أكثر من ثلاث، وقد هجر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نساءه شهرًا. اهـ

ويكون الهجر من الإمام والمطاع كما في قصة كعب بن مالك وتخلفه عن غزوة تبوك وقد تقدم.

قال ابن القيم في "الزاد" (٣/ ٥٧٨): وفيه دليل علىٰ هجران الإمام والعالم والمطاع لمن فعل ما يستوجب العتب، ويكون هجرانه دواء له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه، إذ المراد تأديبه لا اتلافه.

وأما هجر أهل البدع والأهواء فإنها دائمة علىٰ مر الزمان حتىٰ يتوبوا من بدعتهم ويأبوا من غيهم، ويراجعوا دينهم وسنة نبيهم التي عاشوا عنها ناكبين، ولسبيلها هاجرين ولعهدها ناكثين.

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "معالم السنن" (٥/٧) في شرح حديث كعب: فيه من العلم أن تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث إنما هو فيما يكون سببًا من قبل عتب وموجدة، أو لتقصير يقع في حقوق العشرة ونحوها دون ما كان ذلك في حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة علىٰ مر الزمان، ما لم تظهر منه التوبة والرجوع عن الحق.

وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف علىٰ كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه إلىٰ غزوة تبوك فأمر بهجرانهم، وأمرهم بالقعود في بيوتهم نحو خمسين ليلة، إلىٰ أن أنزل سبحانه توبته وتوبة أصحابه، فعرف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ براءتهم من النفاق. اهـ

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الحديث (١٧/ ١٠٠): فيه استحباب هجران أهل البدع والمعاصي الظاهرة، وترك السلام عليهم، ومقاطعتهم تحقيرًا لهم وزجرًا.اهـ

وقال في «روضة الطالبين» (٧/٣٦٧-٣٦٨): إن الهجر بعذر بأن كان المهجور مذموم الحال لبدعة أو فسق أو نحوهما، أو كان فيه صلاح لدين الهاجر والمهجور فلا تحريم، وعلىٰ هذا يحمل ما ثبت من هجر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كعب بن مالك وصاحبيه، ونهيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة عن كلامهم، وكذلك ما جاء في هجران السلف بعضهم بعضًا. اهـ

وقد نقل إجماع العلماء غير واحد من العلماء في وجوب هجران أهل البدع ومنابذتهم.

وإليك بعض المواقف الدالة علىٰ منابذة السلف لأهل البدع والأهواء.

أخرج الدارمي في مقدمة سننه، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (١١٣٦): عَنْ نَافِعٍ مَوْلَىٰ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ صَبِيغًا الْعِرَاقِيَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ الْقُرْآنِ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ قَدِمَ مِصْرَ فَبَعَثَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ فَقَالَ أَيْنَ الرَّجُلُ قَالَ فِي الرَّحْلِ قَالَ عُمَرُ أَبْصِرْ أَيَكُونُ ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مِنْهُ الْعُقُوبَةُ الْمُوجِعَةُ فَأَتَاهُ بِهِ فَقَالَ عُمَرُ تَسْأَلُ مُحْدَثَةً وَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَىٰ رَطَائِبَ مِنْ جَرِيدٍ فَضَرَبَهُ بِهَا حَتَّىٰ تَرَكَ ظَهْرَهُ دَبِرَةً ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّىٰ بَرَأَ ثُمَّ عَادَ لَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّىٰ بَرَأَ فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ قَالَ فَقَالَ صَبِيغٌ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي فَاقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُدَاوِيَنِي فَقَدْ وَاللهِ بَرَأْتُ فَأَذِنَ لَهُ إِلَىٰ أَرْضِهِ وَكَتَبَ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ أَنْ لَا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ الرَّجُلِ فَكَتَبَ أَبُو مُوسَىٰ إِلَىٰ عُمَرَ أَنْ قَدْ حَسُنَتْ تَوْبَتُهُ فَكَتَبَ عُمَرُ أَنْ ائْذَنْ لِلنَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِ.

وأسانيدها لا تخلو من مقال، لكن يشد بعضها بعضًا.

وقد استوعبها الحافظ في «الإصابة» (٢/ ١٩٨-١٩٩)، وصحيح بعض أسانيدها، وصححها ابن كثير وشيخنا الحجوري في تحقيقه لمقدمة "سنن الدارمي" وغيرهم كثير.

وأخرج البخاري (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤): عن عبد الله بن مغفل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه رأىٰ رجلًا يخذف فقال له لا تخذف فإن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يكره أو قال ينهىٰ عن الخذف فإنه لا يصطاد به الصيد ولا ينكأ به العدو ولكنه يكسر السن ويفقأ العين ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له أخبرك أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يكره أو ينهىٰ عن الخذف ثم أراك تخذف لا أكلمك كلمة كذا وكذا.

قال النووي في شرح الحديث (١٣/١٠٦): فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم، وأنه يجوز هجرهم دائمًا والنهي عن الهجران فوق ثلاث أيام إنما هو في حق من هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائم.

وقال شيخ الإسلام كما في "المجموع" (٢٨/٢٤-٢٠٥): الهجر علىٰ وجه التأديب، وهو هجر من يظهر المنكرات حتىٰ يتوب منها، كما هجر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون الثلاثة الذين خلفوا حتىٰ أنزل الله توبتهم حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر ولم يهجر من أظهر الخير وان كان منافقا فهنا الهجر هو بمنزلة التعزير، والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل المحرمات كتارك الصلاة والزكاة والتظاهر بالمظالم والفواحش والداعىٰ إلىٰ البدع المخالفة للكتاب والسنة واجماع سلف الامة التىٰ ظهر انها بدع، وهذا حقيقة قول من قال من السلف والأئمة ان الدعاة إلىٰ البدع لا تقبل شهادتهم ولا يصلىٰ خلفهم ولا يؤخذ عنهم العلم ولا يناكحون فهذه عقوبة لهم حتىٰ ينتهوا ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية لأن الداعية اظهر المنكرات فاستحق العقوبة بخلاف الكاتم فانه ليس شرا من المنافقين الذين كان النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلىٰ الله مع علمه بحال كثير منهم. اهـ

قال الإمام الأجري في الشريعة (ج ٣-ص ٥٧٤): "باب ذكر هجرة أهل البدع والأهواء"، قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي لكل من تمسك بما رسمناه في كتابنا هذا وهو كتاب الشريعة أن يهجر جميع أهل الأهواء من الخوارج والقدرية والمرجئة والجهمية، وكل من ينسب إلىٰ المعتزلة، وجميع الروافض، وجميع النواصب، وكل من نسبه أئمة المسلمين أنه مبتدع بدعة ضلالة، وصح عنه ذلك، فلا ينبغي أن يكلم ولا يسلم عليه، ولا يجالس ولا يصلىٰ خلفه، ولا يزوج ولا يتزوج

إليه من عرفه، ولا يشاركه ولا يعامله ولا يناظره ولا يجادله، بل يذله بالهوان له، وإذا لقيته في طريق أخذت في غيرها إن أمكنك. فإن قال: فلم لا أناظره وأجادله وأرد عليه قوله؟. قيل له: لا يؤمن عليك أن تناظره وتسمع منه كلامًا يفسد عليك قلبك ويخدعك بباطله الذي زين له الشيطان فتهلك أنت؛ إلا أن يضطرك الأمر إلىٰ مناظرته وإثبات الحجة عليه بحضرة سلطان أو ما أشبهه لإثبات الحجة عليه، فأما لغير ذلك فلا. وهذا الذي ذكرته لك فقول من تقدم من أئمة المسلمين، وموافق لسنة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأما الحجة في هجرتهم بالسنة، فقصة هجرة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخروج معه في غزاته بغير عذر: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع رحمهم الله تعالىٰ فأمر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهجرتهم، وأن لا يكلموا، وطردهم حتىٰ نزلت توبتهم من الله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا قصة حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلىٰ قريش يحذرهم خروج النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم؛ فأمر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهجرته وطرده، فلما أنزل الله توبته فعاتبه الله تعالىٰ علىٰ فعله فتاب عليه، وقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفضل العمل الحب في الله والبغض في الله».

وضرب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لصبيغ، وبعث إلىٰ أهل البصرة أن لا يجالسوه؛ قال: فلو جاء إلىٰ حلقة ما هي قاموا وتركوه، وقد روي عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»، وسنذكر عن التابعين وأئمة المسلمين معنىٰ ما قلناه إن شاء الله تعالىٰ.

والهجر يستخدم إذا كانت فيه مصلحة للسنة وأهلها، إما إذ لا مصلحة فيه وإنما تحصل منه مفسدة وعزلة للسني وظهور للبدعي فهنا يترك حتىٰ تقوىٰ السنة، وهذه فتوىٰ الإمام الوادعي، والعلامة الحجوري وعليها شيخ الإسلام. وقال في "المجموع": وَهَذَا الْهَجْرُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْهَاجِرِينَ فِي قُوَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ زَجْرُ الْمَهْجُورِ وَتَأْدِيبُهُ وَرُجُوعُ الْعَامَّةِ عَنْ مِثْلِ حَالِهِ. فَإِنْ كَانَتْ

الْمَصْلَحَةُ فِي ذَلِكَ رَاجِحَةً بِحَيْثُ يُفْضِي هَجْرُهُ إلَى ضَعْفِ الشَّرِّ وَخِفْيَتِهِ كَانَ مَشْرُوعًا. وَإِنْ كَانَ لَا الْمَهْجُورُ وَلَا غَيْرُهُ يَرْتَدِعُ بِذَلِكَ بَلْ يُزِيدُ الشَّرَّ وَالْهَاجِرُ ضَعِيفٌ بِحَيْثُ يَكُونُ مَفْسَدَةُ ذَلِكَ رَاجِحَةً عَلَى مَصْلَحَتِهِ لَمْ يَشْرَعْ الْهَجْرُ؛ بَلْ يَكُونُ التَّأْلِيفُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعَ مِنْ الْهَجْرِ. وَالْهَجْرُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعُ مِنْ التَّأْلِيفِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَأَلَّفُ قَوْمًا وَيَهْجُرُ آخَرِينَ. كَمَا أَنَّ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خُلِّفُوا كَانُوا خَيْرًا مِنْ أَكْثَرِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ لَمَّا كَانَ أُولَئِكَ كَانُوا سَادَةً مُطَاعِينَ فِي عَشَائِرِهِمْ فَكَانَتْ الْمَصْلَحَةُ الدِّينِيَّةُ فِي تَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنُونَ سِوَاهُمْ كَثِيرٌ فَكَانَ فِي هَجْرِهِمْ عِزُّ الدِّينِ وَتَطْهِيرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَهَذَا كَمَا أَنَّ الْمَشْرُوعَ فِي الْعَدُوِّ الْقِتَالُ تَارَةً وَالْمُهَادَنَةُ تَارَةً وَأَخْذُ الْجِزْيَةِ تَارَةً كُلُّ ذَلِكَ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ وَالْمَصَالِحِ. وَجَوَابُ الْأَئِمَّةِ كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ فِي هَذَا الْبَابِ مَبْنِيٌّ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ وَلِهَذَا كَانَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي كَثُرَتْ فِيهَا الْبِدَعُ كَمَا كَثُرَ الْقَدَرُ فِي الْبَصْرَةِ وَالتَّنْجِيمُ بِخُرَاسَانَ وَالتَّشَيُّعُ بِالْكُوفَةِ وَبَيَّنَ مَا لَيْسَ كَذَلِكَ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ الْمُطَاعِينَ وَغَيْرِهِمْ وَإِذَا عَرَفَ مَقْصُودَ الشَّرِيعَةِ سَلَكَ فِي حُصُولِهِ أَوْصَلَ الطُّرُقِ إلَيْهِ.

... وَلِهَذَا كَانَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي كَثُرَتْ فِيهَا الْبِدَعُ كَمَا كَثُرَ الْقَدَرُ فِي الْبَصْرَةِ وَالتَّنْجِيمُ بِخُرَاسَانَ وَالتَّشَيُّعُ بِالْكُوفَةِ وَبَيَّنَ مَا لَيْسَ كَذَلِكَ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ الْمُطَاعِينَ وَغَيْرِهِمْ وَإِذَا عَرَفَ مَقْصُودَ الشَّرِيعَةِ سَلَكَ فِي حُصُولِهِ أَوْصَلَ الطُّرُقِ إلَيْهِ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعُقُوبَةُ الظَّالِمِ وَتَعْزِيرُهُ مَشْرُوطٌ بِالْقُدْرَةِ؛ فَلِهَذَا اخْتَلَفَ حُكْمُ الشَّرْعِ فِي نَوْعَيْ الْهِجْرَتَيْنِ: بَيْنَ الْقَادِرِ وَالْعَاجِزِ وَبَيْنَ قِلَّةِ نَوْعِ الظَّالِمِ الْمُبْتَدِعِ وَكَثْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ كَمَا يَخْتَلِفُ الْحُكْمُ بِذَلِكَ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ. فَإِنَّ كُلَّمَا حَرَّمَهُ اللهُ فَهُوَ ظُلْمٌ؛ إمَّا فِي حَقِّ اللهِ فَقَطْ وَإِمَّا فِي حَقِّ عِبَادِهِ وَإِمَّا فِيهِمَا. وَمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ هَجْرِ التُّرْكِ وَالِانْتِهَاءِ وَهَجْرِ الْعُقُوبَةِ وَالتَّعْزِيرِ إنَّمَا هُوَ إذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ رَاجِحَةٌ عَلَى فِعْلِهِ وَإِلَّا فَإِذَا كَانَ فِي السَّيِّئَةِ حَسَنَةٌ رَاجِحَةٌ لَمْ تَكُنْ

سَيِّئَةً وَإِذَا كَانَ فِي الْعُقُوبَةِ مَفْسَدَةٌ رَاجِحَةٌ عَلَىٰ الْجَرِيمَةِ لَمْ تَكُنْ حَسَنَةً؛ بَلْ تَكُونُ سَيِّئَةً؛ وَإِنْ كَانَتْ مُكَافِئَةً لَمْ تَكُنْ حَسَنَةً وَلَا سَيِّئَةً، فَالْهِجْرَانُ قَدْ يَكُونُ مَقْصُودُهُ تَرْكَ سَيِّئَةِ الْبِدْعَةِ الَّتِي هِيَ ظُلْمٌ وَذَنْبٌ وَإِثْمٌ وَفَسَادٌ وَقَدْ يَكُونُ مَقْصُودُهُ فِعْلَ حَسَنَةِ الْجِهَادِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَعُقُوبَةَ الظَّالِمِينَ لِيَنْزَجِرُوا وَيَرْتَدِعُوا. وَلِيَقْوَىٰ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ عِنْدَ أَهْلِهِ. فَإِنَّ عُقُوبَةَ الظَّالِمِ تَمْنَعُ النُّفُوسَ عَنْ ظُلْمِهِ وَتَحُضُّهَا عَلَىٰ فِعْلِ ضِدِّ ظُلْمِهِ: مِنْ الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي هِجْرَانِهِ انْزِجَارُ أَحَدٍ وَلَا انْتِهَاءُ أَحَدٍ؛ بَلْ بُطْلَانُ كَثِيرٍ مِنْ الْحَسَنَاتِ الْمَأْمُورِ بِهَا لَمْ تَكُنْ هِجْرَةً مَأْمُورًا بِهَا كَمَا ذَكَرَهُ أَحْمَد عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ إذْ ذَاكَ: أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَقْوَوْنَ بِالْجَهْمِيَّة. فَإِذَا عَجَزُوا عَنْ إظْهَارِ الْعَدَاوَةِ لَهُمْ سَقَطَ الْأَمْرُ بِفِعْلِ هَذِهِ الْحَسَنَةِ وَكَانَ مُدَارَاتُهُمْ فِيهِ دَفْعَ الضَّرَرِ عَنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَأْلِيفُ الْفَاجِرِ الْقَوِيِّ. وَكَذَلِكَ لَمَّا كَثُرَ الْقَدَرُ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَلَوْ تُرِكَ رِوَايَةُ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ لَا نْدَرُسَ الْعِلْمَ وَالسُّنَنَ وَالْآثَارَ الْمَحْفُوظَةَ فِيهِمْ. فَإِذَا تَعَذَّرَ إقَامَةُ الْوَاجِبَاتِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إلَّا بِمَنْ فِيهِ بِدْعَةٌ مَضَرَّتُهَا دُونَ مَضَرَّةِ تَرْكِ ذَلِكَ الْوَاجِبِ: كَانَ تَحْصِيلُ مَصْلَحَةِ الْوَاجِبِ مَعَ مَفْسَدَةٍ مَرْجُوحَةٍ مَعَهُ خَيْرًا مِنْ الْعَكْسِ. وَلِهَذَا كَانَ الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ فِيهِ تَفْصِيلٌ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَجْوِبَةِ الْإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ مِنْ الْأَئِمَّةِ خَرَجَ عَلَىٰ سُؤَالِ سَائِلٍ قَدْ عَلِمَ الْمَسْئُولَ حَالَهُ أَوْ خَرَجَ خِطَابًا لِمُعَيَّنٍ قَدْ عَلِمَ حَالَهُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ قَضَايَا الْأَعْيَانِ الصَّادِرَةِ عَنْ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّمَا يَثْبُتُ حُكْمُهَا فِي نَظِيرِهَا. فَإِنَّ أَقْوَامًا جَعَلُوا ذَلِكَ عَامًّا فَاسْتَعْمَلُوا مِنْ الْهَجْرِ وَالْإِنْكَارِ مَا لَمْ يُؤْمَرُوا بِهِ فَلَا يَجِبُ وَلَا يُسْتَحَبُّ وَرُبَّمَا تَرَكُوا بِهِ وَاجِبَاتٍ أَوْ مُسْتَحَبَّاتٍ وَفَعَلُوا بِهِ مُحَرَّمَاتٍ. وَآخَرُونَ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَمْ يَهْجُرُوا مَا أُمِرُوا بِهَجْرِهِ مِنْ السَّيِّئَاتِ الْبِدْعِيَّةِ؛ بَلْ تَرَكُوهَا تَرْكَ الْمُعْرِضِ؛ لَا تَرْكَ الْمُنْتَهِي الْكَارِهِ أَوْ وَقَعُوا فِيهَا وَقَدْ يَتْرُكُونَهَا تَرْكَ الْمُنْتَهِي الْكَارِهِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْهَا غَيْرَهُمْ وَلَا يُعَاقِبُونَ بِالْهِجْرَةِ وَنَحْوِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا فَيَكُونُونَ قَدْ ضَيَّعُوا

مِنْ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ مَا أُمِرُوا بِهِ إيجَابًا أَوْ اسْتِحْبَابًا فَهُمْ بَيْنَ فِعْلِ الْمُنْكَرِ أَوْ تَرْكِ النَّهْيِ عَنْهُ وَذَلِكَ فِعْلُ مَا نُهُوا عَنْهُ وَتَرْكُ مَا أُمِرُوا بِهِ. فَهَذَا هَذَا. وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ. وَاَللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَإِذَا اجْتَمَعَ فِي الرَّجُلِ الْوَاحِدِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَفُجُورٌ وَطَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ وَسُنَّةٌ وَبِدْعَةٌ: اسْتَحَقَّ مِنْ الْمُوَالَاةِ وَالثَّوَابِ بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْ الْخَيْرِ وَاسْتَحَقَّ مِنْ الْمُعَادَاتِ وَالْعِقَابِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنْ الشَّرِّ فَيَجْتَمِعُ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ مُوجِبَاتُ الْإِكْرَامِ وَالْإِهَانَةِ فَيَجْتَمِعُ لَهُ مِنْ هَذَا وَهَذَا كَاللِّصِّ الْفَقِيرِ تُقْطَعُ يَدُهُ لِسَرِقَتِهِ وَيُعْطَى مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يَكْفِيهِ لِحَاجَتِهِ. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. اهـ

وأيضًا يستخدم الهجر في حق بعض العصاة المظهرين كما تقدم.

قال شيخ الإسلام: وَأَمَّا إذَا أَظْهَرَ الرَّجُلُ الْمُنْكَرَاتِ وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ عَلَانِيَةً وَلَمْ يَبْقَ لَهُ غَيْبَةٌ وَوَجَبَ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَانِيَةً بِمَا يُرْدِعُهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ هَجْرٍ وَغَيْرِهِ فَلَا يُسَلَّمُ عَلَيْهِ وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذَا كَانَ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ مُتَمَكِّنًا مِنْ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مَفْسَدَةٍ رَاجِحَةٍ. وَيَنْبَغِي لِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالدِّينِ أَنْ يَهْجُرُوهُ مَيِّتًا كَمَا هَجَرُوهُ حَيًّا إذَا كَانَ فِي ذَلِكَ كَفٌّ لِأَمْثَالِهِ مِنْ الْمُجْرِمِينَ فَيَتْرُكُونَ تَشْيِيعَ جِنَازَتِهِ كَمَا "تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَرَائِمِ" وَكَمَا قِيلَ لسمرة بْنِ جُنْدُبٍ: إنَّ ابْنَك مَاتَ الْبَارِحَةَ. فَقَالَ: لَوْ مَاتَ لَمْ أُصَلِّ عَلَيْهِ: يَعْنِي لِأَنَّهُ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ فَيَكُونُ كَقَاتِلِ نَفْسِهِ. وَقَدْ "تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ عَلَى قَاتِلِ نَفْسِهِ". وَكَذَلِكَ هَجَرَ الصَّحَابَةُ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ ظَهَرَ ذَنْبُهُمْ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ الْوَاجِبِ حَتَّى تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا أَظْهَرَ التَّوْبَةَ أُظْهِرَ لَهُ الْخَيْرُ.

وانظر إلى حال السلف في هذا الباب فهذا عبد الله ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما عند اللالكائي (١١٣٥): من طريق نافع قال: بينما نحن عند عبد الله بن عمر جاءه إنسان

فقال: إن فلان يقرأ عليك السلام لرجل من أهل الشام، فقال ابن عمر: إنه قد بلغني أنه أحدث حدثًا، فإن كان كذلك فلا تقران عليه مني سلام.

وسنده حسن.

وأخرج رقم (١١٤١): من طريق عمرو بن دينار قال: بينا طاووس يطوف بالبيت لقيه معبد الجهني فقال له طاووس: أنت معبد؟ قال: نعم، فالتفت إليهم طاووس فقال: هذا معبد فأهينوه.

وأخرج (١١٤٧): من طريق ابن أبي عاصم قال: قال ابن أبي رواد قد جاءكم ثور فاتقوه، لا ينطحكم بقرنيه يعني ثور بن يزيد، قال الشيخ: وكان قدريًا.

وأخرج (١١٤٨): من طريق محمود بن غيلان: سمعت مؤمل ابن إسماعيل يقول في غير مجلس يقبل علينا احرج على كل مبتدع جهمي أو رافضي أو قدري أو مرجئ سمع مني، والله لو عرفتكم ما حدثتكم.

وأخرج (١١٤٩): قول الفضيل بن عياض: من جلس مع صاحب بدعة فاحذره، ومن جلس مع صاحب البدعة لم يعط الحكمة، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب البدعة حصن من حديد.

آكل عند اليهودي والنصراني أحب إلي من أن آكل عند صاحب بدعة.اهـ

وما ذلك إلا لأن اليهودي والنصراني معروف شره ولن يُغتربه بينما صاحب البدعة قد يجرك إلى بدعته وأنت لا تشعر.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٩٦): أن الناس وثبوا على بشر المريسي عند سفيان بن عيينة حتى ضربوه، وقالوا: جهمي، فقال له سفيان: يا دويبة يا دويبة، ألم تسمع الله يقول: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، فأخبر الله عَزَّوَجَلَّ: أن الخلق غير الأمر.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «السنة» (٦٦) بسند صحيح: عن هارون الرشيد أنه قال: بلغني أن بشرًا المريشي يزعم أن القرآن مخلوق، لله علي إن أظفرني الله به إلا قتلته قتلة ما قتلتها أحدًا قط.

وأخرج رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده (٢/٤٣٤): عن محمد بن كعب القرضي: أن الفضل الرقاشي قعد إليه فذاكره شيئًا من القدر، فقال له محمد بن كعب القرضي: تشهد فلما بلغ من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له رفع محمد عصا معه فضرب بها رأسه وقال: "قم" فلما قام فذهب قال: لا يرجع هذا عن رأيه أبدًا.

وأخرج الآجري في «الشريعة»: بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان بن مسلم يقول في القدر فبعث إليه فحجبه.

وأخرج الفريابي في «القدر» (٢٠٦): عن ابن عون قال: كنا جلوسًا في مسجد بني عدي، فدخل معبد الجهني المسجد فقال أبو السوار: ما يدخل هذا مسجدنا، لا تدعوه يجلس إلينا.

قال الوادعي في «الجامع الصحيح في القدر»: أثر صحيح.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «السنة»: عن أبي الزبير أنه كان يطوف مع طاووس بالبيت، فمر بمعبد الجهني فقال قائل لطاووس هذا معبد الجهني الذي يقول في القدر فعدل إليه طاووس حتىٰ وقف عليه فقال أنت المفتري علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ القائل ما لا تعلم، قال معبد: يكذب علي، قال أبو الزبير: فعدلت مع طاووس حتىٰ دخلنا علىٰ ابن عباس فقال له طاووس: يا أبا عباس الذين يقولون في القدر، فقال ابن عباس: أروني بعضهم، قال: قلنا صانع ماذا قال إذا أجعل يدي في رأسه ثم أدق عنقه.

قال الوادعي: هذا الأثر سنده حسن.

فهذا باب عظيم لنصرة السنة وأهلها، وهو البرأة والبعد وهجر أهل الأهواء والريب والتميز عنهم، وترىٰ زهد السلف وحرصهم علىٰ كل خير ومع ذلك لا

تأخذهم في المبتدعة لومة لائم، يغضبون لله عَزَّوَجَلَّ، وينابذون من نابذ الكتاب والسنة.

والعجب أن كثيرًا من الناس ممن يتقمص القماص السلفي في هذه الأيام تجده سهلًا هينًا لينًا لأهل البدع.بدعوىٰ الرحمة بالمسلمين والشفقة عليهم والحكمة في الدعوة ما هذا والله إلا من التميع الذي يؤدي إلىٰ زحزحة الدين والسنة يجاملهم تارة بالابتسامات والمجالسات والمراسلات وإن ذكرهم ذكر محاسنهم وترك مساوئهم.

وإن حذر المصلحون من أهل البدع خذلهم، فلا خير في هذا الصنف ولا كرامة، بل هم والله أضر علىٰ الدعوة من المبتدعة؛ لأنهم بصنيعهم هذا يظهرون بالاعتدال والوسيطة، وربما اغتر بهم بعض من لا يعرف أصحاب البدعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون من الخذلان ومن هذه الأصناف السقيمة المريضة الذين تنكروا الطريقة السلف الصالحين والعلماء المصالحين ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[الحج:٤٦].

الخاتمة

هذا ملخص ما قصدنا بيانه من تقسيم البدع إلىٰ: مكفرة مخرجة من الملة، وغير مكفرة، ومع ذلك قولنا في البدع وأهلها معروف وظاهر لكن الحكم بتكفيرهم مطلقًا يخالف الطريق الصحيح والفعل القويم.

وقد أتيت من النقولات بما يشفي من أراد الحق ومن أراد العناد فلا قدرة عليه، وأسأل الله تعالىٰ الهداية لجميع المسلمين.

وكان الفراغ منه يوم الأحد الموافق: ١٤ من ذي القعدة الحرام: ١٤٣٨هـ، في مكة حرسها الله تعالىٰ وجميع بلاد المسلمين.

كتبه:

عبدالحميد الحجوري الزعكري

وفقه الله.

الفهرس

التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين ٥
مقدمة الشيخ العلامة: أحمد بن يحيىٰ النجمي رحمه الله ٥
مقدمة الشيخ: يحيىٰ بن علي الحجوري حفظه الله ٧
مقدمة المؤلف ٩
تمهيد ١٢
أركان الإيمان بالله...١٢
قواعد مهمة في أسماء الله عز وجل.......................................١٤
القاعدة الأولىٰ ١٤
القاعدة الثانية ١٤
القاعدة الثالثة ١٦
القاعدة الرابعة ١٦
القاعدة الخامسة ١٧
القاعدة السادسة ١٧
القاعدة السابعة ١٨
أدلة القائلين بعدم الحصر ١٨
ذكر بعض العلماء الذين صححوا الحديث...................................٢٢
توجيه الحديث الذي احتج به المخالف....................................٢٩
معاني الإحصاء ٣٧
مسألة ٤١
أقوال أئمة الحديث في سرد الأسماء في حديث أبي هريرة..........................٤٣
خطر القول بالحصر ٤٩
القول بالتعطيل يؤدي إلىٰ الإلحاد المذموم.................................٥٠
شبهه والرد عليها..٥٥
الخاتمة ٥٩
مسألة تحديث العوام بأدلة الأسماء والصفات ٦١

الفهرس

مقدمة الشيخ العلامة: يحيىٰ بن علي الحجوري حفظه الله.......... ٦١
مقدمة المؤلف ٦٤
الفصل الأول: أهمية العلم النافع ٦٨
أهم العلوم الشرعية ٧١
التحذير من كتم العلم ٧٣
كيفية معرفة الله عز وجل ٧٤
أهمية الفقه بباب الأسماء والصفات ٧٧
محبة الله تعالىٰ للمدح ٧٩
معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته ٨٣
معرفة الأسماء والصفات هو داخل في الإيمان بالله وكتبه ورسله ٨٦
الإيمان والإخبار بخبر الله ورسوله ليس فيه محظور ٨٧
باب توجيه أثر علي رضي الله عنه ٨٨
مناسبة هذا الأثر لباب الصفات ٨٩
معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ ٩٦
أحاديث وآيات الصفات من المحكم أم من المتشابه ٩٨
صفات الله كمال محض لا نقص فيها بوجه من الوجوه ١٠٥
لا يثنىٰ علىٰ الله عز وجل إلا بأسمائه وصفاته، ولا يُسأل إلا بها ١٠٦
عدم بث آيات وأحاديث الصفات بين العوام يؤدي بهم إلىٰ عدم استخدام الألفاظ الشرعية في هذا الباب ١٠٧
إذا لم يعلم العوام الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ قد يقعون في الإلحاد في هذا الباب ١٠٧
رد شيخ الإسلام علىٰ من أنكر عليه تحديث العوام بأدلة الأسماء والصفات ١٠٩
الوجه الأول ١٠٩
الوجه الثاني ١١٠
الْوَجْهُ الثَّالِثُ ١١٢
الْوَجْهُ الرَّابِعُ ١١٣
الْوَجْهُ الْخَامِسُ ١١٥

الْوَجْهُ السَّادِسُ ١١٥
الْوَجْهُ السَّابِعُ ١١٦
الْوَجْهُ الثَّامِنُ ١١٧
الْوَجْهُ التَّاسِعُ ١١٧
الْوَجْهُ الْعَاشِرُ ١١٨
الْوَجْهُ الْحَادِيَ عَشَرَ ١١٩
الْوَجْهُ الثَّانِيَ عَشَرَ ١٢٠
الْوَجْهُ الثَّالِثَ عَشَرَ ١٢٢
الْوَجْهُ الرَّابِعَ عَشَرَ ١٢٢
الْوَجْهُ الْخَامِسَ عَشَرَ ١٢٥
الْوَجْهُ السَّادِسَ عَشَرَ ١٢٦
الْوَجْهُ السَّابِعَ عَشَرَ ١٢٦
فصل: ذكر بعض آيات الصفات من القرآن ١٢٨
فصل: ذكر بعض أحاديث الصفات، وتحديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بها ١٣٤
الدليل علىٰ الإشارة عند من يفهم ١٣٧
المذاهب والمشارب في الأسماء والصفات ١٤١
أولًا: مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات ١٤١
ثانيًا: مذهب أهل البدع في الأسماء والصفات ١٤١
ثالثًا: مذهب المعتزلة ١٤٢
ثالثًا: مذهب الأشاعرة ١٤٣
رابعًا: مذهب المفوضة ١٤٣
خامسًا: أصحاب التشبيه والتمثيل ١٤٤
الفصل الثاني: القواعد الحسان لمعرفة صفات الرحمن ١٤٦

الفهرس

القاعدة الأولىٰ ١٤٦
القاعدة الثانية ١٤٦
القاعدة الثالثة ١٤٧
القاعدة الرابعة ١٤٨
القاعدة الخامسة ١٤٨
القاعدة السادسة ١٤٨
القاعدة السابعة ١٤٩
القاعدة الثامنة ١٤٩
القاعدة التاسعة ١٤٩
القاعدة العاشرة ١٤٩
القاعدة الحادية عشرة ١٥٠
القاعدة الثانية عشرة ١٥٠
الخاتمة ١٥١
القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن ١٥٨
مقدمة ١٥٨
الفصل الأول ١٦١
بيان توحيد الله عز وجل وأنواعه ١٦١
أولاً: توحيد الربوبية: ١٦١
ثانيًا: توحيد الألوهية: : ١٦٣
ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات: ١٦٧
أبواب في تحقيق الإيمان بأسماء الله وصفاته ١٦٩
كيفية معرفة الله عز وجل ١٧٢
محبة الله تعالىٰ للمدح ١٧٣
معرفة الأسماء والصفات هو داخل في الإيمان بالله وكتبه ورسله ١٧٤

تفاضل أسماء الله تعالىٰ وصفاته ١٧٥
تعطيل الله عز وجل من أسمائه وصفاته مسبة لله تعالىٰ ١٨٠
انقسام الناس في باب الأسماء والصفات ١٨١
طريقة السلف أصحاب الحديث: ١٨١
القسم الأول: قول الجهمية والقرامطة ومن نحا نحوهم: ١٨٢
القسم الثاني: قول المعتزلة ومن وافقهم: ١٨٣
القسم الثالث: الأشاعرة، ومن إليهم: ١٨٤
القسم الرابع: أهل التمثيل: ١٨٤
القسم الخامس: وهم أهل التجهيل –المفوضة: ١٨٥
الفصل الثاني ١٨٨
القواعد المهمة في أسماء الله الحسنىٰ ١٨٨
الأولىٰ: في اشتقاق الاسم: ١٨٨
الثانية: في أن الحسنىٰ تأنيث الأحسن: ١٨٨
الثالثة: في تعريف الاسم: ١٨٩
قواعد في أسماء الله عز وجل ١٩٠
القاعدة الأولىٰ: أسماء الله تعالىٰ كلها حسنىٰ: ١٩٠
القاعدة الثانية: الحسن في أسماء الله تعالىٰ حال الانفراد، والتركيب: ١٩٠
القاعدة الثالثة: الأسماء المركبة الثابتة بالكتاب والسنة من الأسماء الحسنىٰ: ١٩١
القاعدة الرابعة: أسماء الله تعالىٰ أعلام وأوصاف: ١٩١
القاعدة الخامسة: دلالات أسماء الله المتعدية واللازمة: ١٩٢
القاعدة الخامسة: دلالات أسماء الله تعالىٰ من حيث المطابقة والتضمن والالتزام: ... ١٩٣
القاعدة السادسة: باب أسماء الله تعالىٰ وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها: ١٩٤
القاعدة السابعة: أسماء لله تعالىٰ غير محصورة بعدد معلوم لنا: ١٩٥

الفهرس

القاعدة الثامنة: الإلحاد في أدلة الأسماء والصفات:................................١٩٨

القاعدة التاسعة: القول في أسماء الأخبار: ٢٠٠

القاعدة العاشرة: أسماء الله سبحانه وتعالىٰ غير مخلوقة:...........................٢٠١

القاعدة الحادية عشرة: تعدد أسماء الله تعالىٰ كمال:................................ ٢٠٣

القاعدة الثانية عشرة: أسماء الله تعالىٰ مشتقة من أفعاله وصفاته:..................... ٢٠٤

القاعدة الثالثة عشر: الأسماء المنقسمة إلىٰ ما يُمدح به وغيره لا تطلق علىٰ الله تعالىٰ إلا مقيدة:.. ٢٠٤

القاعدة الرابعة عشرة: أسماء الله تعالىٰ ثابتة له علىٰ الحقيقة: ٢٠٦

القاعدة الخامسة عشرة: أفعال الله صادرة عن أسمائه:.............................. ٢٠٨

القاعدة السادسة عشرة: الإثبات المفصل في الأسماء والصفات: ٢٠٨

القاعدة السابعة عشرة: القول في الاسم والمسمىٰ: ٢٠٩

القاعدة التاسعة عشرة: الألف واللام الداخلة علىٰ الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه:... ٢١١

القاعدة العشرون: الأسماء المقيدة ليست من الأسماء الحسنىٰ:.......................٢١٣

القاعدة الحادية والعشرون: أحكام ختم الآيات بالأسماء الحسنىٰ:.................... ٢١٤

القاعدة الثانية والعشرون: لايجوز أن يطلق علىٰ الله تعالىٰ لفظ يقتضي التأنيث: ٢١٦

القول في الذات:..٢١٦

القاعدة الثالثة والعشرون: تقسيم أسماء الله تعالىٰ إلىٰ مختص وغير مختص:.............٢١٨

ذكر الأسماء التسعة والتسعين التي أرجو أن من أحصاها دخل الجنة ٢١٩

فمن كتاب الله تعالىٰ.. ٢٢٠

ومن سنة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ٢٢٩

الفصل الثالث ٢٣٤

قواعد في صفات الله سبحانه وتعالىٰ ٢٣٤

تنبيه: الفرق بين الإسم والصفة ٢٣٤
القاعدة الأولىٰ: صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها: ٢٣٤
القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء: ٢٣٥
القاعدة الثالثة: الصفات الثبوتية والمنفية: ٢٣٦
القاعدة الرابعة: صفات الإثبات صفات مدح وتنوعها وتعددها يدل علىٰ الكمال: ٢٣٧
القاعدة الخامسة: الصفات الذاتية والفعلية: ٢٣٧
القاعدة السادسة: محاذير الإثبات والنفي: ٢٣٨
القاعدة السابعة: أنواع الإضافات إلىٰ الله تعالىٰ: ٢٣٩
القاعدة الثامنة: قياس الأولىٰ: ٢٤٠
أنواع القياس في باب التوحيد: ٢٤١
القاعدة التاسعة: القول في الصفات كالقول في الذات: ٢٤٣
القاعدة العاشرة: القول في بعض الصفات كالقول في البعض: ٢٤٤
القاعد الحادية عشرة: القول في الصفات كالقول في الأسماء: ٢٤٥
الفصل الرابع ٢٤٦
قواعد في أدلة الأسماء والصفات وكيفية التعامل معها ٢٤٦
القاعدة الأولىٰ: الأدلة التي تثبت بها أسماء الله وصفاته هي: كتاب الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم: ٢٤٦
القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها علىٰ ظاهرها دون تحريف: ٢٤٧
القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار، ومجهولة لنا باعتبار آخر: ٢٤٩
القاعدة الرابعة: أحاديث وآيات الصفات من المحكم لا المتشابه: ٢٤٩
القاعدة الخامسة: دلالة الكتاب والسنة علىٰ الصفة بثلاثة أوجه: ٢٥٢
القاعدة السادسة: القول في الألفاظ المجملة: ٢٥٢

القاعدة السابعة: تقديم النقل على العقل: ٢٥٤
القاعدة الثامنة: القول في المجاز:.. ٢٥٧
القاعدة التاسعة: معرفة القرائن:... ٢٥٨
القاعدة العاشرة: دلالة الإجماع على الصفات:.. ٢٦٠
القاعدة الحادية عشرة: قبول خبر الآحاد في هذا الباب وغيره: ٢٦٢
القاعدة الثانية عشرة: الدلالة العقلية على إثبات الصفات:.......................... ٢٦٤
الفصل الخامس ٢٦٦
بيان بعض المعاني والمصطلحات ٢٦٦
معنى التحريف:... ٢٦٦
معنى التعطيل:... ٢٦٧
معنى التكييف والتمثيل: ٢٦٧
كل معطل ممثل والعكس: ٢٦٨
وأما تعطيل الممثل فمن وجوه ثلاثة: ٢٦٩
معاني التأويل:... ٢٦٩
الطواغيت الأربعة التي بنى المتكلمون عليها بدعتهم ٢٧٢
الفصل السادس ٢٧٥
الرد الإجمالي على أشهر أهل البدع في هذا الباب ٢٧٥
الرد على الجهمية:... ٢٧٥
شبهة الجهمي والرد عليها:.. ٢٧٧
الرد على المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء دون ما تضمنته من صفات:.................. ٢٧٧
شبهة المعتزلي والرد عليها:.. ٢٧٨
القول في الصفات كالقول في الذات:.. ٢٧٩
الرد على الأشاعرة ومن وافقهم ممن يثبتون الأسماء وبعض الصفات فقط:........... ٢٨٠
الرد على الممثلة:... ٢٨١

الرد علىٰ أهل التفويض: ٢٨٢
الخاتمة ٢٨٥
القول الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ.................................. ٢٩٢
المقدمة ٢٩٢
سبب تأليف الكتاب ٢٩٩
وسميت بالحسنى لأمور منها:.. ٢٩٩
قواعد مهمة في باب الأسماء والصفات ٣٠٠
تفاضل الأسماء والصفات وبيان الاسم الأعظم.............................. ٣١٢
ومن هذا الباب القول في الاسم الأعظم................................... ٣١٣
وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولًا............................. ٣١٥
ذكر الأسماء التسعة والتسعين التي أرجو أن من أحصاها دخل الجنة: ٣١٩
فصل.. ٣٩١
تنبيهات ٣٩٥
فصل: وجوب احترام أسماء الله عز وجل ٣٩٧
مختصر أصول أهل السُنة والجماعة.. ٤٠١
المقدمة ٤٠١
الْإِيمَانُ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ.. ٤٠٦
وَمِنْ أُصُولِهِمْ الْإِيمَانُ بِمَلَائِكَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ٤١٠
وَمِنْ أُصُولِهِمْ: الْإِيمَانُ بِرُسُلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.................................. ٤١٢
وَمِنْ أُصُولِهِمْ: الْإِيمَانُ بِكُتُبِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.................................. ٤١٤
وَمِنْ أُصُولِهِمْ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ٤١٨
وَمِنْ أُصُوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْإِيْمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ................ ٤٢٦
وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ وَاَلْجَمَاعَةِ اَلْإِيمَانُ بِأَشْرَاطِ اَلسَّاعَةِ................... ٤٢٩
وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَدَاءُ حَقِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٤٣٠
وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ أَوْ نَارٍ عَلَى اَلتَّعْيِينِ.. ٤٣٣

وَمِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ ٤٣٤
وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْأُلْفَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيُحَذِّرُونَ مِنَ الْفُرْقَةِ ٤٣٦
وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَطَرِيقِهِمْ؛ اَلسَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ لِكُلِّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَهُمْ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ بَرًّا كَانَ، أَوْ فَاجِرًا ٤٣٨
وَمِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَقْدِيمُ اَلْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ ٤٤٠
وَمِنْ طَرِيقَتِهِمُ اَلتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ ٤٤١
وَمِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هَجْرُ أَهْلِ اَلْبِدَعِ، وَمُبَايَنَتِهِمْ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ ... ٤٤٤
معنىٰ معية الله تعالىٰ لخلقه وبيان أنواعها ٤٤٦
المقدمة ٤٤٦
الإيمان بالقدر ٤٥٩
الإيمان بالقدر ٤٥٩
المقدمة ٤٨٠
مضمون هذه الرسالة ٤٨١
متن القواعد الأربع ٤٨٢
التعليق علىٰ المتن ٤٨٦
الجمع بين الآيات المثبتة والآيات النافية ٥١٩
خلاصة القواعد الأربع ٥٣٤
الخاتمة ٥٣٥
وَصَايَا مُهِمَّةٌ للشارح ٥٣٧
اللمعة في تقسيم البدعة ٥٤٠
المقدمة ٥٤٠
الفصل الأول ٥٤١
وجوب طاعة النبي صلىٰ الله عليه وسلم والأخذ بسنته وطريقته ٥٤١

حرص السلف رضوان الله عليهم على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم سنته والقول بها ٥٤٦
لا يستقيم قولٌ ولا عمل إلا بموافقة السنة ٥٥٣
خطر البدعة في الدنيا والآخرة وضررها على الدين وبيان فساده ٥٥٩
التقاسيم عند أهل السنة والجماعة ٥٦٥
مبحث: في أقسام البدع ٥٧٠
مبحث: تفاوت البدع من حيث هي كبيرة وصغيرة: ٥٧١
أسباب الوقوع في البدعة ٥٧٣
بعض أقوال العلماء في تقسيم البدعة إلى مكفرة وغير مكفرة ٥٧٥
كلام أهل العلم في هذه المسألة كثير جدًا، إما بلسان الحال أو المقال، ويعرف ذلك من له اطلاع على كتب أهل العلم وما ألفوه في باب الملل والنحل، وأذكر هنا بعض النقولات لبيان المقصود وبالله التوفيق...٥٧٥
مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٧٥
الإمام الذهبي ٥٧٦
قول الإمام الشاطبي وتفصيله في ذلك ٥٧٦
قول بعض الحنفية.. ٥٧٧
قول بعض المالكية.. ٥٧٧
قول بعض الشافعية... ٥٧٨
قول بعض الحنابلة.. ٥٧٨
العلامة حافظ حكمي ٥٨٢
العلامة عبد المحسن العباد حفظه الله تعالى...................................... ٥٨٤
العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى...٥٨٥
الإمام محمد بن صالح العثيمين... ٥٨٦
الإمام عبدالعزيز بن باز.. ٥٨٨
قول اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية.....................................٥٩١

الإمام مقبل بن هادي الوادعي.. ٥٩٢
العلامة يحيىٰ بن علي الحجوري:.. ٥٩٢
ما يبين أن الشيخ الألباني لا يكفر أهل البدع مطلقًا:................................. ٥٩٢
تجويز السلف الصلاة خلف أهل البدع دليل علىٰ التفصيل ٥٩٩
صلاة أبي سعيد رضي الله عنه خلف مروان.................................. ٦٠٨
قول ابن عمر في صلاة الضحىٰ بدعة هل يعني ذلك أنهم كفار عنده ٦٠٩
صلاة طارق ابن أشيم رضي الله عنه خلف من يقنت في الصبح وقد حكم أن القنوت بدعة وحدث.. ٦١٠
عدم تكفير ابن مسعود لمن أحدث في الذكر...................................٦١١
مناظرة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج ولم يرد أنه كفرهم حتىٰ بعد إقامة الحجة عليهم..٦١٢
ومما يدل علىٰ التفصيل في هذا الباب الرواية عن أهل البدع ٦١٧
بيان ما أستُدل به علىٰ أن كل بدعة كفر ٦٢١
بيان معنىٰ حديث الافتراق.. ٦٢٧
معنىٰ حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتىٰ يدع بدعته ٦٣٤
تنبيه علىٰ أثر ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:... ٦٣٥
زعمهم بأن البدعة تشريع ولذلك كلها كفر.......................................٦٣٧
تنبيه أن البدع أكبر من المعاصي:... ٦٣٩
وجوب هجر أهل البدع ٦٤٢
الخاتمة ٦٥٣
الفهرس.. ٦٥٤